

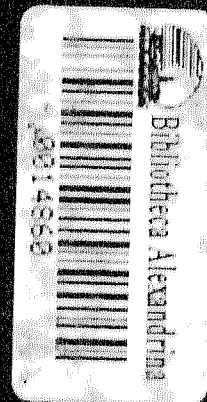
صِفْوَةُ الْأَعْيَانِ

بِمَسْتَوْجِ الْأَمْثَالِ وَالْأَقْطَابِ

تأليف

محمد يريم الخامس التونسي

دار صادر
بيروت



4

صِفْوَةُ الْأَعْتَابِ

بِمُسْتَوْجِ الْأَمْثَالِ وَالْأَقْطَابِ

٥-٤

تأليفُ

محمد بَيرم الخَامِسِ التُونِسِيِّ

دار صَادِ
بِירוْتِنَ

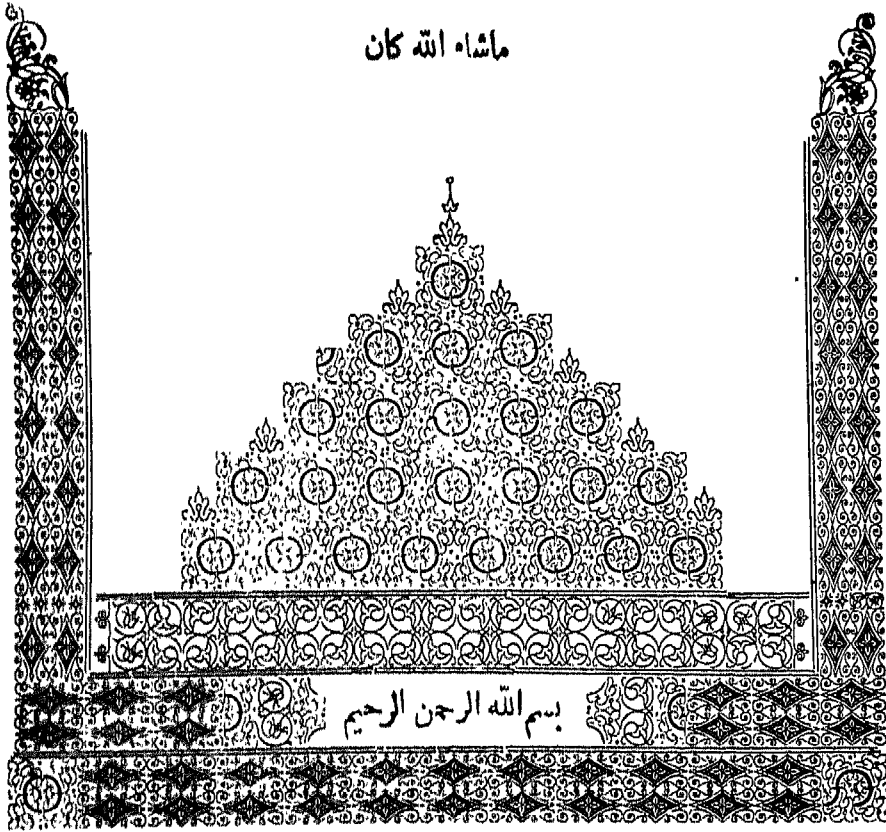
الجزء الرابع من كتاب صفوة الاعتمار بمسئودع الامصار
والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ
المدقق قدوة العلماء وصفوة الازكياء
وحيه...دعصره وفريدده...ره
الشيخ محمد دبيرم الخامس
التونسي نعمنا الله
به وبعلومه
آمين

﴿ لا يجوز طباع هذا الكتاب الا باذن مؤلفه ومن ﴾
﴿ تصارى على ذلك يعسا كم حسب القوانين ﴾

﴿ طبعة اولى ﴾

﴿ بالطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣ هجرية ﴾

ما شاء الله كان



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ال باب ال خام س فى ق ط ر ال ج ز اى ر

ال فصل ال اول فى س فى رى ال ي ه

قد تقدم انى لما رجعت المرة الاولى من فرانسا كان رجوعى ببحر امارا اعلى بالمديونة المعروفة بعنايه وهى احد فرض الجزائر فأرست بها البساخرة صلبا حافى مينا صناعية واسعة متينة تصل البواخر فيها الى الرصيف فى البر ويصل الرتل بطريق الحديد الى حدوفوهة هاته المرسى الصناعية لكنه رتل للساع خاصة وبهاته المرسى كثير من السفن والبواخر منها نحو ثلاثة باواخر شركة معدن الحديد الموجود بقرب بعنايه فهذا الميناء هناك غنى ويستخرج بكثرة ويحمل فى حواصل طريق الحديد وهى توصله الى ذات البواخر التى تحملها الى مرسيليا وفى كل يوم تخرج من المرسى باخرة مشحونة به وتدخل أنوى

خاوية

خاوية وفي مرسة يلبا يصفى ويشغل لاهم وجدوا ذلك أرخص مصر وفان جلب معمل
 لتصفيته في محله. ولما ارسلنا رأينا البلاد من جهة الغرب متصاعدة في جبل وحول
 المرسي ابنية حسنة من النوع الاوروبى ثم نزلنا الى البر فوجدنا عجايبا الى كروب
 الكراة اكثر اربعة وسبعة فذهبت لدخل البلاد فاذا فيها قرب المرسي بطحاء وطريق
 متسع وحواليه ابنية جيدة وقهاوى ومنازل للمسافرين وحوادث لبيع الخلويا
 والتحف النظريفة وفي وسط البطحاء حديقة صغيرة منزهة للمسرة وفي وسط البلد بطحاء
 أخرى صغيرة يحيط بها سرادات تحتها حوانيت وفي هاته البطحاء الجامع الكبير فذهبت
 الى الجامع الذى هو قرب الجامع حيث كان فرضي التيمم في السنة اذ اجام بها ولما
 دخلت الى البلد وجب الحمام فاذا هو على فحوجامات تونس وسائر بلاد المشرق غير انه
 غير متقن النظافة وليس فيه بيوت منفردة للتطهير للانسان وحده وانما يطهر الانسان
 بعد التنظيف في محله فبقع الحرج من التلحظ على كشف العورة امام المغتسلين ولذلك
 كان اكثرهم مكشوف العورة وهى مصيبة طامة في اغلب البلاد الاسلامية التى رأيتها
 على خلاف تونس فان حماماتها لها بيوت صغيرة ذات أحواض صغيرة لغرف الماء منها
 ولها انايب للماء الحار والبارد وللبيت باب يغلق ويفرد الانسان للتطهير وروح الماء
 مشقة ولذلك كنت اختار الحمامات الافرنجية في اكثر اسفارى ولوفى البلاد الاسلامية
 لانها بعد عن الحر من كشف العورة وان حصل فيها تعب من جهة الاعتقال المعتاد
 وذلك ان هبتم ابيدت صغيفيه حوض كبير يجعل الانسان وله انايب للماء الحار
 والبارد وفي البيت متكاء ومسطبة ومعلق للثياب وأرض البيت مفروشة بزرية
 فلا يمكن اخراج الماء عن الحوض وانما يغتسل الانسان في الحوض ويغتسل فيه
 بالصابون اما بنفسه او بخادم من الحمام ثم يجذب ساسله من قعر الحوض لجذب سداة
 فيخرج ما فيه من الماء ثم يجدد له ماء ثانيا وبأنى بمناديل من الكمان مسخنة نظيفة جدا
 يتشرف بها الانسان وهو منفرد وبابه معلق لا يدخل عليه أحد الا باذنه فاذا اراد الانسان
 التطهير يزيل ما على يده من النجاسة في بيته ان أمكنه والاعند انيانه الى الحمام يأمر
 الخادم بأن لا يملأ الحوض بالماء ولما ينقرد يقف في الحوض ويأخذ الكاس الموضوع
 في البيت لاجل الشرب فيملؤه بالماء الحار والبارد من الانايب ويزيل ما عليه من
 النجاسة وينسل رجليه ويخرج من الحوض ثم يفتح له منفذ خروج الماء منه ويفتح
 انايب اندفاع الماء ويظهر أرض الحوض بالنسل ثم يسد منه هذا الخرج ويملا الحوض

(٤)

ماء على قدر ما يكفيه وينقسل ويتطهر فيه وهو ساخن على مذهبه إلا أن الماء لا يصير
 مستعملاً إلا بعد انقضائه عن جميع البدن والبدن كامل في الاعتسال عضو واحد (وأما)
 على مذهب المالكية فهو أيسر وقد اضطررت في ذلك الحسام إلى استئجار أحد خدمته
 ليستر زاوية من الحمام بمسك أزار في يديه حتى تيسر لي تطهر - برما تحت أزارى وهنالك
 صعوبة أخرى وهي بعد الماء بحيث إن كل من غسل يأتي إليه بنحو عنزة مما يسمى برميل
 مملوءة له ليطهر به - هذا للتنظيف ثم خرجت من الحمام وأتيت الجامع وإذا هو نظيف
 محروس قائم الأدوات مفروش بالحصص - برمن السماء على نحو ما هو يتونس ولما كنت
 لا بسبب العمل كالخلف مما يصح المسح عليه وهو تنظيف دخلت به المسجد وصليت به وكان
 هنالك بعض الناس فرأيتهم ينظرون إلى شئرا متكررين الدخول بالنعول إلى المسجد
 لكن لم يقل لي أحد منهم شيئاً فلما فرغت من الصلاة خاطبني من بجنبى فقال لي أنت مسلم
 ولم تدخل المسجد بنهالك فقلت له هل تعرف الفقه قال نعم قلت ما هو مذهبك قال
 مالكي فانظر في مختصر الشيخ خليل في كتاب الطهارة فانك تجد فيه مسألة المسح على
 الخفين وإن المسافر مسح عايمها ولا ينزعها ما وصل فيهما وأنا مسافر وحتى المقيم أيضا
 له ليدمسها والمسح عايمها والصلاة فيهما وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهو
 مذكور في كتب الحديث وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمنين يدخلون المسجد
 ينعالهم بعد تنقدها وتطهيرها إن كان بها نجاسة فهذا جزئ شرا وليس في نعلي نجاسة
 ولا مسح فرضي بذلك وأخبر الحاضرين بجهة بأن الرجل مسافر وعارف بالحكم ثم خرجت
 من هنالك وتطوّفت في الأباد وقد فطرت فيها في حانوت لطباخ مسلم ~~الكل~~ لا عربي
 واسم المذقة للغاية كيفما كان لاشتياقى للمتاد سبها وقد كانت تلك الساعة هي أول
 سفرائى والأشياء الغير المعتادة تصعب على النفس أولاً وأحسن ما في الأباد سوق الخضر
 فإنه على النعم المتقن في أروبا من كونه واسمها مذاقبة من الزجاج محمولة على قطع حديد
 مرفوعة على أعمدة حديد والحيطان أيضا مثل ذلك مع النظافة وحسن التقسيم ولكن
 ليس فيه حوانيت وإنما كل يباع يجلس في جهة ويضع مبيعته أمامه ويخارج البادأ نار
 قديمة للرومان من البناء والدهاليز تقصد للتهرج ويخارجها أيضا إستان عمومي ويبيع
 منه الأشجار الصغيرة وأيس هو عتقن والحارات القديمة في الباد وديارها على نحو ديار
 تونس وحاراتها الضيقة الطرق غير أن أبواب دورها بنه بدفة واحدة وبناء أبواب مقوس
 قابل الارتفاع ويخارج البلد أيضا جهة شاطئ البحر بعض من البساتين وحمامات من

الخشب

(٥)

المخشب على ماء البحر تنهيمها الناس في الصيف وحوطها قهاوى تحوى في الصيف الفث
 والسمين وسافران من هاته البلدة بعد الغروب قاصدين تونس وعتد اليها في سنة ١٢٩٥ *
 في سفرى الى فرانس اذها با ويايا واقعت فيها في الاياب اسبوعا وكان الزمن صيفا وهى
 اصغرها وعدم وجود الحركة الكثرة بها الا ينشرح المسافر فيها وفي هاته السنة أيضا
 مرت في الاياب على مدينة الجزائر قاعدة هذا القطر وهى لها مرسى على نحو ما تقدم
 في عنابه والبدأ كبر من السابقة ومنظرها من جهة المرسى اوسع وأضخم وقد انشئ بها
 طريق للترمواى يخترق البلدة من جهة المرسى ويذهب الى قرية تسمى مصطفي جهة
 الشرق من الجزائر والبنية البلاد على نحو ما ذكر في عنابه وهى أيضا متصاعدة في جبل
 وليس بها عميون فزيرة بل المساهلة خزنة في الجبل تحت مع فيها امياه الامطار من جهات
 الجبل ولذلك كانت الطرق الواسعة في الصيف محتاجة الى الرش لقلة ما ترش به وبها
 أربعة جوامع للخطب اثنتان مالمسكان واثنتان حنفيان والجوامع نظيفة مستقيمة وبقية
 ما كان بها من الجوامع هدمت وبدلت وبها حصون متينة وهاته البلدهى مقر الحاكم *
 العام لقطر الجزائر ومنظر البلدة من جهة البحر جميل لكثرة الديار والبساتين في الجبل
 منحوت به درج يصعد فيها من أسفل البلدة الى أعلى الجبل كما انه به طرق صناعة قليلة
 الا تصيد اريص مدهيا في البجلات الى قمته وامام دار الحاكم بطحاص صغيرة منظمة والدار
 من نوع ابدية الا هالى قديما وامامها محل لطائفة من الجند حرسا وفي خارج البلدة وداخلها
 مقامات للاولياء والعلماء محترمة منها مقام سيدي عبدالرحمن الثعالبي رضى الله عنه
 خارج البلدة في الجبل في مكان منشرح نزه واضربح الشبيخ مهالبة ووقار قابي وحوانيت
 البلاد على نحو ما ذكرنا في تونس وبساتينها تسقى بآبار يسنى عليها بالدوايب وأغلب
 القصد منها الانتفاع بالغلال وأكثر ذوى اليسار يسكنون في بساتينهم في الصيف وتنور
 البلاد ليلا بفوانيس الغاز وبخارجها بستان انتزاه عمومى قليل الجودوى وبقربه سبيل
 قديم لازال قائما وخذوه قهوة على النحو العربى لكنها قد رقتنا بها بعض الناس ومنازل
 المسافرين بالبلد جديدة على النحو الاوروبى وقد اقامت بهاته البلدة ليلتين ثم سافرت *
 بحرقا قاصدا عنابه ومنها الى تونس فمررت ببالدلس وهى قرية صغيرة على البحر لم نستطع
 الدخول اليها لشدة هيجان البحر وعدم مرسى امينة بها ثم مررنا على بجاية ثم جلبلى
 ثم اسكيد وكلها قرى صغيرة الجديدين بنى على النحو الاوروبى والقديم على
 عادة أهل القطر والاهالى اغلبهم فرنساويون ارتحلوا الى هناك وأما اسكيد فبالبلاد *

(٦)

القديمة قد خست مع تقدم الارض والعباد بالله وقد بنى على شاطئ البحر قرية جديدة منتظمة الطرق واسعة اعلى نحو النوع الاول ورواوى ولم اشاهد تفاصيل هذه القرى لان البانرة لا ترسى فيها الا قليلا واجمال حالهم يندمج فيما سياتى ان شاء الله تعالى ومن القرى التي رايتها قرية قالمة البعيدة عن عنابه نحو أربع ساعات في طريق الحديد في الجهة الجنوبية الشرقية منها وهي قرية مستحدثة يغلب على طبع أهلها البداوة وهي منتظمة البناء والطرق قليلة المساء وبها جامع وقاض وحاكم فرانسواى وعساكر وحصن وكنيسة وحديقة صغيرة للعامة

الفصل الثانى

﴿ في التعريف بالجزائر ﴾

هذا القطر واقع على شط أفريقيا الشمالية ويحده جنوبا الصحراء الكبيرة وشرقاً تونس وشمالاً البحر الابيض وغرباً مراکش وهو قطر متسع ذو جمال شاهقة وأنهر عديدة وعميون دافئة توبه معادن غنية من الحديد والفضة والآل مشتغلون بانخراجها سيما المعدن الذى اصله نابع الى تونس قرب حدودها فى القالة وبها معادن أخر عدديدة منها المسستعمل كالتصدير ومنها الذى لم يزل فى زوايا الجول وأما هواؤه وحيواناته ونباتاته فهو مثل تونس فى عموم ما ذكرناه فيها والمجهاث الشمالية هي ذات الخصب والاشجار العظيمة والغابات ومدن هذا القطر وبلدانه أشهرها قاعدته الجزائر ثم وهران ثم تلمسان ثم قسنطينة ثم بوننة وغيرها كثير لا يبلغ مبلغ ما ذكره مراسيم المهمة هي المدن المذكورة غير قسنطينة لان هاتمة متوغلة فى البحر على قمة جبل وينقسم القطر بالنظر الى طبيعة الارض والسكان والادارة الى ثلاثة اوطان كبار (أولها) وطن الجزائر وهو فى الوسط ويمتد من الشط شمالاً الى الصحراء جنوباً (وثانيها) وطن وهران غربى السابق متمدعه كذلك (وثالثها) وطن قسنطينة شرقي الاول متمدعه كذلك ولكل وطن قاعدة هي المدينة المنسوب اليها وله فروع على حسب الاحتياج وعدد سكانه فهو ما بين وسبعمائة ألف وستون الفا والمسلمون منهم ما بين ثمان وخمسمائة ألف والنصارى ما ثمان ألف وبنيف والمهود نحو الثلاثين ألفا وقاعدة الجميع هي الجزائر عدد سكانها نحو خمسة وسبعين ألفاً منهم ثمانية عشر ألفاً مسلمون وتسعة آلاف يهود وثمانية وأربعون من النصارى من أجناس مختلفة وأكثرهم الاسبندول والسكان المسلمون أصلهم من البربر

وهم

(٧)

وهم أكثر سكان الجهات الجنوبية والجنوب والبقاى الجهات سكانها من نسل العرب والمختلط
 منهم ومن البربر وبعض من نسل التبرك الذين استوطنوا ههناك وكذلك الاندلسيون الذين
 هاجروا بعد استيلاء الاسبنيول على بلادهم (واما النصرارى) على العموم فأكثريهم
 فرانسويون انتقلوا الى ههناك بعد استيلاء الفرانسيس سيما بعد حرب المانيا معهم سنة
 ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م وأخذها الاقايى الاجناس واللورين فارتحل من أهالى ذينك
 الاقايى من نحو المائة والسبعين الفاسكنوا الجزائر واما نتم: ولتم باعطائهم الاراضى
 الخصبة التى أخذتها من الاهالى الاصاين عقابا لهم على الثورات وغيرها وأغلب هؤلاء
 الفرانسيس سكنوا جهات الشطوط واشوا فيها قرى (واما المسلمون) فاعلمهم على مذهب
 أهل السنة فى العقيدة وعلى مذهب الامام مالك فى العروى ونسل التبرك على مذهب الامام
 أبى حنيفة وبعض السكان على مذهب الاعتزال كبنى مزاب ثم ان أهل السنة فى المدن
 والقرى يكترفهم معرفة احوال الديانة وان حصل الا ان من كثير منهم تمارن كثير
 بالشعائر (واما البوادى) فيغلب عليهم الجهل بالاحكام لسكنهم لازوال امتصاين فى العقيدة
 الاسلامية سيما أهالى الجهات الجنوبية والوسطى

الفصل الثالث

في اجمال تاريخ الجزائر

- مطاب فى التاريخ القديم اعلم ان احوال هذا القطر التاريخى فى القديم كانت
 فى الاغاب متحدة مع تونس وطرابلس والمغرب فسايناه فى احوال تونس كان شاملا
 لهذا القطر حتى فى زمن الفتح واستقرار الحكومات الاسلامية لانه فى اغب الاعصار
 تابع لتونس لما كانت هى مقر الحكم العام الاسلامى لافريقية ثم لما انفرد
 المغرب عن تونس كانت الجهة الغربية من الجزائر تابعة له ثم اتحد الجميع تحت دولة بنى
 حفص وعن تقهرها وانفراد المغرب انشأت بعض حكومات منفردة فى الجزائر كما ملكة
 بنى زيان من زناته التى مقرها فى تلمسان ثم لما اشرفت الدولة الحفصية على الاضمحلال
 واستولى الاسبنيول على عدة جهات من شطوط افريقية وكانت الفرق المنقسمة اليها
 الجزائر غير قادرة على مدافعة دولة كبيرة مثل الاسبنيول اذ ذلك وكانت الدولة
 العثمانية رافعة علم الحماية لاهل الاسلام واسطوطها ليجوب البهار تحت عمدة امراء
 وارسى فرقة من هذا الاسطول تحت امره بالدين بربروس باشا واخيه عروج على

(٨)

شروط الجزائر للبحث عن حالة الانداس مع الاسبنيول ضجح الى هـ. ذا الاسطول اهالى
الجزائر وطلبوا من الامراء حماية هذا القطر الاسلامى مادام فيه رmq قبل هجوم
الاسبنيول عليه وذلك احق من تتبع الاسبنيول فى الانداس اذ لم يبق فيها مسلم فاجابوا
طلبهم بعد تصحيحهم للاتفاق ومن ذلك التاريخ استقرت الحكومة للدولة العثمانية
وذلك فى حدود سنة ٩٤٥ هـ وجرى اعمال الدولة فى الجزائر على نحو ما قررناه فى تونس
لان المراد هو حماية البلاد الاسلامية واتحادها وجرى من الولاة الترك اولالا استقامة
والعدل ثم ساهت هورت العساكر الينكشارية فى جميع الجهات حصل منهم ايضا فى
الجزائر ما صجرت منه الاهالى وطغوا فى النصب والعزل للولاة من هولاء العساكر
حسب الشهوات وقوة العصبية ولم يحسن من هولاء الولاة الامتثال لاوامر الدولة
العثمانية الى ان ولى حسين باشا الذى كان سنيا فى دخول الفرائس او بين الى البلاد
والمحك لله رب العالمين

● * مطلب فى تاريخ الجزائر الجديد اعلم ان الدولة الفرائسية لما ترفت فى
المعارف والقوات سيم فى العصر الاخيرة لانهما احب الظهور ووعدم تحمل الهوان
وكانت الدولة العثمانية فى شغلها الشاغل من اعمال الينكشارية وحروب الروسية
● * وثورات اليونان وضم الى ذلك طغمان ولاة الاقاليم وعدم ائمتها لهم للاوامر وكان حسين
باشا والى الجزائر مستبدا ظالما مر تشبا قليل التدبير وحصل منه اهانة لقنسل فرانسسا
وذلك على ما فى تاريخ ابن الضياف احدث التجار اليهود الاغنياء الجزائريين الملقب
ببقرى أبو جناح له خاظة مالية مع تجار من الفرائسيس وتداعوا فى خسائهم من الجهتين
وانتصر حسين باشا رعيته بالاحساح على قنسل فرانسسا فى انصافه وآل الامر الى صلح
يدفع على مقتضاة التجار الفرائسسا ويون الى التاجر الجزائري ما لا وافر او اضر حسين باشا
أخذ المال لنفسه ما رآه ذر بعاور اجمع رعيته وتلك عادة الفروها ولما قرب دفع المال
واذ تجار أنقر فرانسسا ويون قاموا على بقرى المذكور بدين اوقفوا عليه المال الذى
يريد قبضه فاستاء حسين باشا من ذلك وطلب من القنسل رفع الايقاف وقال ان ارباب
الدين الفرائسيس الطالبيين لرعيته يتبعون ذمة المدين بعد قبضه للمال بحيث لا يكون
لالتالبيين حق فى المال الذى يدفعه الفرائسسا ويون فامتنع من ذلك القنسل مستندا
الى ان المال المهرقل مال المدين والفروما لهم حق فيه الا اذا ضمنه من يرضون بذمته
وكان المدين نفسه مغر يا بهذا التدبير خوفا على ماله من الضياغ باستيلاء الباشا عليه

فأعرض

(٩)

فأعرض الباشا عن القنصل وكاتب دولة فرانس في غرضه فإرسالت المكتوب الى القنصل وامرته بالجواب عنه ولما قدم القنصل الى الباشا البعض ما سرب خاطبه الباشا في استبطاء جواب مكتوبه المشار اليه الى دولة فرانس فقال له القنصل ان المكتوب ارساله الدولة الى راسه فبالجواب عنه فسأل عن سبب عدم اجابة الدولة له فاجابه بما فهم منه احتقاره وكانت بيد الباشا منشة يطرد بها الذباب فضرب بها وجه القنصل وبارده وبقي أسفا على ما فاتته من مال بقري وتهددت فرانس الى الوالي المذكور على اهانة ناقمها وألمحت عليه بان يطلب منها الرضى ويعترف بالخطا فاجاب واصر مع امر الدولة العثمانية له بذلك ومن النصائح المتتابعة له من الدول الاجانب وخواص الاهالى وقد كانت فرانس في شغل من داخلتها في ذلك الوقت مما امر بك في تاريخها لان ذلك كان اثر حروب نابليون الاول وكانت ايضا متوقفة المشاهدة مع العرب ومع الدولة العثمانية حتى رضيت فرانس بان يكف الباشا أى انسان كان في باريس يطلب الترضية لكي تندفع عنها المعرة ولا تحققه هو ومذلة بارسال أحد من موظفيه الى القنصل للاقوال الى باريس وكان قصدها بذلك كله اجتناب الحرب بما يمكن لاشتهائها بحروبها واخراجها الداخلية فأصر الولى على رأيه وإرسالت فرانس اسطو لها وحاربت بلاد الجزائر واستولت عليها ورجل ذلك الولى الى باريس ثم مات في اسكندرية وقد نسب المؤرخ المذكور منشأ اسم الباشا المشار اليه الى كونه لا غير له على الوطن من حيث كونه لم يكن من ابناء ترابها ولذلك خاطر به الى ذلك المحدم علمه بالضعف والخلل عرى عصبية ونفوة الاهالى من جوره المخ والحق ان مثل ذلك التعليل تأباه الشريعة على ما سببها فى الخاتمة ان شاء الله تعالى فالجسمية الاسلامية واحدة ثم المشاهدة تناقض مقاله ايضا فكما شاهدنا وسعنا من النار يخ ما ثبت قيرة الوافدين على الاقطار ووظاهم لها بشكر ثم اثار اراء واجبات الدبابة فيها من التحسين والتحصين وكما شاهدنا وسعنا ايضا ضد ذلك من ابناء الاقليم ومن دعوى فيها تحقيق السبب هو ان الله اذا تاذن فى امة بانحلها فسدت آخلاق اكبرها ففسدوا فيها ومن فسوقهم اسناد الامر الى غير اهلها فحق عليها القول وساط عليها ما يدمرها وذلك هو الدال عليه القرآن الكريم والحديث الشريف وهو المشاهد بالعيان والمعالم من التوار يخ فى اضمحلال الدول وتقهقرها وحس مذاق الناظرين فى احوال الدول يذسبون نكاتها لاصول منشاء الفساد وان طال الزمان ويكون الذى انحل بيده الامر ظهر السكان الداء الزمن وهو نبع ذلك مسؤول لله واعباده

اذا كان يمكن له توقيف المرض فيعوض ذلك بزيادة مهيجات بخرانته فيكون أشد على
 الامة من وقع الصواعق اذا اجتمع العايل يتأثر بما لا يتأثر منه السليم كما هو خزيا في الدنيا
 والاشخرة ان كان مظهرا للشرور فداء الجزائر قد ابتعدت دأمنذا نخزم أمرالينيه كشارية
 في القسطنطينية التي هي مقرالدولة العسامة ونشأ عنه ما نشأ من فساد الادارة والولاية
 الى ان اصيبت عدة جهات وباء حسين باشا في الجزائر باثم الظلم والخراب والتهور الذي
 كان أعظم النكبات وانتقلت حاله الجزائر بل وحالة السياسة في شطوط افريقية
 الشمالية الى طور آخر وكان مبدأ استيلاء فرانس على الجزائر سنة ١٢٤٦ في مدة
 كارلوس العاشرة ملك فرانس وتكون الفرائيس اولامن القاعدة وما حو لها لكن
 بقية الجهات اصروا على الامتناع من الطاعة لفرانس لانها انما ارادت الانتقام من
 الوالي حسين باشا وقد حصل فالجهات الشرقية من القطر ان فرد بالحكم فيها الحاج احمد
 باي قسطنطينية والجهات الجنوبية والغربية تسدت تحت رؤساء القسمايل ورام
 الفرانسايون محمولة تطويهم بالرفق بان يتولى الامر في وهران والي تونس بارسال
 احدهما ثلثة او احدهم وتوظفه فارسيل والي تونس واحدا من جهته ومعه شزيمة من
 الحرس فلم ينفذ امره في مدينة وهران فضلا عن خارجها ورجع من حيث أتى ثم اجعت
 الجهات الغربية والجنوبية على مبايعة الرجل الوحيد سلاللة النسل المظهر الامير
 سيدى عبدالقادر بن محي الدين الحسيني وقام لله حق القيام وصحبه به النصره الالهية
 في كثير من الوقائع الى ان كان في بعض ايامها هو خارق للعادة من الكرامات كضفر فرسه
 الازرق به ستمين ميتر وحيث احاطت به العساكر الفرانساوية كالحلقة وراموا مسكه
 باليد فظفر به فرسه على رؤس العساكر واسلحتهم ذلك المدي ونجا را كضالى منعتة
 ودام محاربهم نحو سبع عشرة سنة واستقامت له حكومة ترب فيها السكة باسمه
 وانشأ المدافع والبنادق ونفذ أمره ونشيتة فرانس ودعا الحاج احمد باي ليتحدوا ويكونا
 يدا واحدة فامتنع تجبرا وطغيانا وخذل الامة الى ان وهن أمره واسد ثولى الفرانسايون
 على ما كان تحتهم وبقى الامير سيدى عبدالقادر مدافعا ومهاجا الى ان سوت الغاطات
 النفسانية المخالفة للديانة الاسلامية لسلطان المغرب الاتحاد مع الفرانسيس على
 محاربة الامير المارشال اليه وقطع عنه سلطان المغرب نخط التجائه جهات الصحراء فاضطر
 الامير الى التسليم للفرانسيس فاقتبلوا بالرحب والاكرام وجملوا الى باريس تحت المراقبة
 فيها وكان اذالك نابليون الثالث مقبوضا عليه هنالك بخصات منه مودة للامير ويقال

(١١)

انه وعده بالمساعدة لوي فضى ملك فرنسا اليه وعندما استقر نابليون الثالث في منصب
الامبراطورية لم تساعده رجال دولته على انجاز قصده من تولية الاميرالمشار اليه على
الجزائر فاهدى اليه رسالة في محاسن الشام ونهيه في انتخاب محل لا قامته فاختر الامير
سیدی عبد القادر ارض الشام وقدم من فرانساً اولاً الى الاستانة واكرم مقدمه السلطان
عبدالمجيد واقام مدة في بلاد الترتك ثم استقر في دمشق الشام ادم الله بركته للانعام وحاطه
بالامن والسلامة في نفسه وفي آله الكرام وبعد خروج الاميرالمشار اليه من الجزائر
خف الخطب على فرانساً لكن بقي جبل الزاوة ثائراً اعلمها تحت امره كبرائه فطوعته
اخيراً بمثل ما فعلته في أغلب الجهات من انخداع الرؤساء بالمال وتسلط بعضهم على بعض
كما انها حاربته في الجزائر أيضاً دولة المغرب بجيوش كثيرة خالية عن التدبير والتدريب
الحربي فلم تغد شيئاً سوى ضياع ما جملوا معهم وكان البوادي المنضعين الى الفرانسيس
أشد على المغاربة من نفس الفرانسيس وذلك سبب الخذلان ولا زالت تتوالى الثورات
في الجزائر على الفرانسيس متتداخلاً الى الآن تارة مشددة وتارة خفيفة والله عاقبة
الامور

مطاب في كيفية اجراء السياسة الداخية في الجزائر **ع** اعلم ان ادارة الجزائر في
الحقيقة مناقلة بارباب الامر والنهي في باريس على ماهي قاعدة الفرانسيس من ارجاع
كل الامور في محاسنهم ومستعمراتهم الى باريس من غير التفات الى بعد المستعمرات أو
قربها والى الجهل بأحوالها وأخلاق أهلها وعوائدهم فيضطروا أصحاب الحكومة الى
اعتماد أقوال المباشرة في المستعمر المبعوث فيه فيؤول الامر الى ما تقتضيه حالة ذلك المباشرة
من الانصاف أو بوضعه مع أنه في نفس الامر غير مسؤول عما يقع الا في الاجراء فلا يلزمه
الاحترايس اللزيم للمسؤل ومع ذلك فالاحكام والادارة كلها في الجزائر كانت استبدادية
بصحة تمت الحكم العسكري فما هي الاجتهادات من المباشرين بلا تعقب لمحسبهم لان
الدولة منعت الاهالي من الحرية السياسية ومختتم بعض الحرية الشخصية من
التصرف في ديارهم وأنفسهم بأموالهم كيفما أرادوا فيها لا يضر بالدولة ولا بأحد
في تناول الحكم والدولة تختبها كما عامان أهل المناصب العالية من الفرانسيس
ويولى حاكما عاماً على الجزائر جميعها ويستقر في مدينة الجزائر وهي أيضاً تختب ثلاثة
حكام آخرين كبار الفرانسيس تناط بأحد منهم ولاية الجزائر وبالاستنول لاية وهران
وبالاستنول لاية قسنطينة ويرجعون في النظر لحاكم الجزائر العام وعلى كل قبيلة قائد

(١٢)

والاغاب ان يكون من بنى القبائل ويلقب كبراه هؤلاء القبايل بالاغاب ويتصرفون حسب
اجتهادهم وحسب ما يلقنون به من الاوامر من الولاة وفي كل بلدة قسم من العساكر
والكبراهتم نفوذ كبير في الاهالي وفي كل بلدة أو قرية حاكم فرنساوى والرسم الظاهرية
في الجباية وان كانت محدودة مقبولة بأخذ الاعشار من المزروعات والزيادة على الحيوانات
فيكم براما تمتد الايدي الى المكاسب من غير الثقات من المتوظفين على اوجه شبيهة بالسرية
حيث انه ليس عليهم الاحتساب حقيقى ثم للتوظف مخاص عند ما تقع به الشكاية بان ينسب
المأخوذ منه الى الثورة أو السبى فيم او يادنى قول في ذلك تثبت التهمة وائسائهم واقوف
على القرائن لدى الحاكم المسبب وكل من ثبت عليه شئ من ذلك يؤخذ بجميع كسبه
للعكوة زيادة عن عقابه البدنى الشديد ولا يعقب لتلك الاحكام وقد ابتدأ ذلك العمل
منذ دخلوا الجزائر فان جردان بن عثمان خرج الذى هو من الاعيان العلماء الاغنياء
العارف بالاسن الاجنبية اتهم بانه كانت الحكومة السابقة أمنته او الاؤخذ منه
وسافر هو وشهكا الى دولة فرانسافا حالته على مجلس شورا الدولة المسبى كونسيل دى تا
وكل اشهر العارفين باحكامهم وعكف منة نظر الحكم ثلاث سنين صاروا واقائه
في مطالعة الكتب وتأليف كتابه باللغة الفرنساوية المسبى مرآة الجزائر الذى اودعه
اخلاق القبائل وحالة سيرة حكام الترك وما آلت اليه من مظالم الفرنساويين ما لم يكن
يظن صدوره عن امة متقدمة وقد قبل هذا التأليف في فرانسافا لاعتبار ان حكام
الجزائر اسنواؤامه وزادوا تكاليف كل من له علاقة بالمؤلف المذكور وبعد ما مر عليه ما مر
صدر المحكم من المجلس المشار اليه ان جردان المدعى بحق في دعواه لكتهم المارفت الى
المجلس بعد صدور امر الدولة بان لا تقبل دعاوى تلك السنة التي حصلت عليه فيها
المظالم فلا حق له حينئذ فاف واسفير الدولة العثمانية واستقر بعد ما في الاستانة وكان ابته
على باشا من اعيان رجال الدولة وعلى نحو ذلك العمل تجرى الادارة السياسية في الجزائر
الى الاسن فترى في صحيفة الرسمية المسماة بالمبتصر على الاستمرار صدر الامر بتعاقف
أملاك فلان وهى كذا وكذا وأملاك فلان الخ لكن من سنة ١٢٩٥ أدخلت
المدن وبعض قرى تقيها تحت الحكم المدنى القانونى لئلا يخال عن الحرية اللازمة
والمساواة هون من الحكم العسكرى الاستبدادى لبعض اقسام الناس وأما كثير من
السيادية وجهال العامة فانهم يريدون الحكم السابق العسكرى ويرونه خيرا لهم لما يأتى
بيانه لجموع ما تم دم ذكره مع التحالف فى الديانات بين الاهالى والدولة المتسلطة

دامت

دامت الثورات وتعاقبت عند كل فرصة وعذرهم على ذلك منصفوا الفرنسيين حتى
 سمعت من كثير منهم - م ساكني الجزائر يتشككون من الادارة وما زالت صحفهم تطلب
 انصافهم واستقامة ادارتهم واعطاءهم المحبة المناسبة بل ويطلبون المساواة مع الفرنسيين
 في جميع قوانينها وهي - هذا الرأي قسم واقر من أهالي قرانسا أيضا بل ان نابليون
 الثالث تقر عن أسباب الثورات وذهب بنفسه الى الجزائر مرتين نايتها التسكين ثورة
 وقعت هناك وعلم ان أعظم أسباب ذلك من سوء مهارة الاهالي من الحكام فمضى في
 الى شكايتهم وازال عنهم كثير من المظالم وساعفهم الى مطالبهم - فسكنت الثورة بدون
 سفك للدماء ولا تشفي في الثائرين كما صرح بذلك الامبراطور نفسه في خطبته عند
 رجوعه الى فرنسا وكان توغل في دواخل الجزائر وأواسط القبائل المحسية ذات السطوة
 منفردا عن الجماعة الفرنسية واعتمد على ولاء العرب وصدقهم وقد تنهدوا له بذلك
 وقاموا له حق القيام من عامتهم وخاصتهم وفرحوا بقدومه لمسلمهم ومالوا اليه والى انصافه
 وأظهروا له من الضاعة والتعظيم ما عاينهم سرورا منهم وقتنا بانصاف مطالبهم ومحبا
 خالصا وطاقة اخنوا عاينهم واختص منهم في باريس قسما من العساكر لمحاكاة ذواته واكرم
 مقامهم ورفع من شأنهم واتخذ قسما من الفرنسيان في مصاحبتهم في ركوبهم بلا بسهم العربية
 وكذلك العساكر يابسون العمامة ويسمون بالزواف وقد حاربوا في الدفاع عن
 الفرنسيين في حرب سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م بحموية أكثر من حمية الفرنسيين
 أنفسهم وشهد لهم بالشجاعة والصبر والمعرفة والجرأة كل من الفرنسيين والامان ولما
 وقع انكسار الفرنسيين اثناء تلك الحرب حركت الدساتين أهالي الجزائر الى الثوران
 فامتنعوا ووافقهم مع الامبراطور نابليون الذي أحكم معهم الصلوة ووعدهم بمزيد
 المساعدة والتجاح قبيل تلك الحرب الى ان هلكوا خلع الفرنسيين له قتل بعضهم اذ ذلك
 ليكنه لم يجد نفعا لفرغ فرنسا من حربهم ولما انفق السكاهة بين الجزائريين
 ولا زال أهل الجزائر يثمنون على نابليون وعائلته المشاهير وامنه من انصافهم واعتبار
 حرمهم حتى قال في خطابه الرسمي في امبراطور الفرنسيين كما في امبراطور العرب
 وكان ذلك هو الذي اوجب للكثير ترجيح الحكومة العسكرية لظن انهم انما لا يريد
 الاعلى فهو ما تركه ساعليه الامبراطور بخلاف غيرها من لا يراعى له - ثم دعت حتى ان
 العساكر مع ما ذكره لم يمنع لاحد من اطعمهم ان ينال رتبة رفيعة في العسكرية فذلك
 هو سبب المال الذي لا يبرح من نفوس الاهالي وان جعل منهم بعض أعضاء في المجلس

(١٤)

الذي يدعوه الحاكم للتشاور في المصالح لا يمكنهم أعضاء صورية لان اغلب الاعضاء من
 الفرانساويين مدافعون عن حقوق الفرانساويين المستوطنين هناك وهؤلاء يرون
 انفسهم مظلومين بالنسبة لامة لهم في فرانساهم عدم الداعي الى ذلك لانهم قد تحققوا ان
 الاهالي اذا نالوا انصافهم وتسويتهم في الحرق يكونون اهل ان ينالوا المنح الماتز لها
 الفرانساويون واهالي الجزائر الا ان يعتبرون انهم في حماية الفرانسييس لان لهم الجنسية
 الفرانساوية والفرق بين هذين هو ان من له الجنسية ينال سائر المنح الفرانساوية وعاليه
 ما على أفراد الفرانسييس من القوانين من الدخول في العسكر واجراء أحكام الزواج
 المدني والتوارث على مقتضى القانون الى غير ذلك واما صاحب الحماية فيجري أحكام
 ديانته فيما ذكر ولا يدخل العسكر الا برضاه نعم يتخذ منهم نوع من العسكر الخيالة
 يسمون بالسمايس دون رتبة العسكر وللأفراد ان يدخلوا في الجنسية باختيارهم بحيث
 لا ضرب فيها وقد دخل فيها كثير بعضهم للشهوات وبعضهم تملقا كاليهود وبعضهم طامعا
 في الرتبة العالية العسكرية وهو وان قال شيئا منها لكنه مهان في اعتبار النفوس لما
 يوجب ذلك من امتنانه لديانته في نظر العموم ولومن الفرانسييس واستتق دم لم يكن
 للاهالي المساواة في الاعتبار بينهم وبين الفرانسييس ويظهر ذلك حتى ينظر اليهم
 في المعاملات التكرميةة والتوقير وترى اليهود احرز للعربية في معاملة الفرانسييس
 ونحط بهم من المدين

(مطالب في السياسة الخارجية للجزائر) ليس للجزائر سياسة خارجية اذا السياسة انما هي
 لفرانسا ولا ترى في قاعدة الجزائر ولا غيرها من اعتبار ارض كراقتاسل الدول الاجنبية
 وما هم فيها الا كما لهم في احدى مدن فرانساه

الفصل الرابع

في بعض صفات الاهالي وعوائدهم

أغلب عوائد الاهالي وصفتهم في الجزائر هي مثل ما في اهالي تونس في السلام والحياة غير
 ان الجبل الجديد في المدن تخلق أغلبه بانحلاق مخضرة بين العادات الاصابية وبين
 عوائد الفرانساويين ومن المعلوم ان النفوس مائلة الى التقسيمه بالغالب غير انهم اول
 ما تسمى اليها الاخلاق الشريرة اما الهامد فانها بما يجعل عليها العقل بالكافة ولهذا
 فشت قلة الحياء في كثير حتى سرى ذلك الى أبناء الفرانسييس الذين نشأوا هناك وقد

صاحبني

- صاحبني في القابورين الجزائر الى عنابة امرأة حاكم بلاد قالمه صاحبة لابنة اسمها الصغار
 وهم ثلاثة وبن البلوغ كانوا يتعلمون الفنون في مكتب بلاد الجزائر ولما أوست البنات
 على مربي جعل صعد اليها نائب لجنة تلك البواخر من قدام وكان حاضرا ذلك وقت الفطور
 بفاس مع الركب على المساندة وكان من جملة الحاضرين الابناء المذكورون وبعد الاكل
 أتى بالقهوة ومن عادة الافرنج الاقيان بقنية فيها نوع من المشروبات الروحة المسمى
 بالكنيك وهو كيسان صغاران يريد المشرب من ذلك مع القهوة فأخذ منه من أخذ
 وامتنع من امتنع فعهد أولئك الصبية الى المشروب وأخذ كل منهم كأسا ووضعه أمامه
 فتبسم كبار الحاضرين متعجبين من ذلك وأمههم فارعاها العرق من الحياء ولم تكلمهم
 بشئ وبعد هنيهة أخذني نائب اللجنة الى ناحية منفردة وقال لي رأيت ما وقع قلت ما هو
 فقال لا تنزهه هي لو كان أولئك ابائى لا لقيتهم في البحر فقلت لماذا هو عندكم ليس
 بمنوع قال كلا فإنه وان كان النحر عنده ناما بحال لكن انما هو ما يؤخذ منه مع الاكل
 من نوع ماء العنب بعمق دار لا يفعل نشوة أما هذا فإنه لا يستعمل الا بعد الاكل بخير
 الذشوة والصغار ينعون من ذلك بمقتضى التربية الحسنة وليسكن فمن قد خرجت عن
 طورنا وفسدت أخلاقنا وأفسدنا أخلاق غيرنا فهو لا ابنة أحد حكام البلاد على هذا
 النحو فبالك بغيرهم الخ وكان منذأ هذا الفساد هو ان الحرية في الفرائس قد فطروا
 عليها بقسمها اعني الحرية الشخصية والحرية السياسية لكنهم تحمها في بلادهم الحرية
 السياسية على الخلق بحمام الاخلاق على قدر استطاعتهم وادراكهم وأما في الجزائر
 فقد دمروا في أنفسهم من الحرية السياسية وكذلك الاها الى أطلقوا لهم الحرية
 الشخصية وحرموه من الاخرى فانه مثل القوات كاه الى الاولى مع ملائمة الطبائع
 النفسانية فأقوا على كل ما يمكنهم التوصل اليه من الفسوق وقبائح الكلام والتزوج بين
 كل متراضين من غير نظر لديانة ولا صحة شرعية بل يقع حتى لبسات مسلمات الفرار من
 آباؤهن الى رجال من الافرنج أو غيرهم ويصاحبهم بدون زواج أو به ولا مانع عندهم من
 ذلك وأضف الى ما تقدم من السبب ان الحكام لما كانوا من العساكر من قبلين فتراهم
 يشتمون بالكلام الفاحش وكأنه هو أول ما يتعلمونه بالصداقة من لغة الاها الى ثم ان
 السيرة العسكرية الاستبدادية معلومة في ان الغالب على الضباط الصغار من دونهم هو
 الميل الى الشهوات الطبيعية والانحلال فيها ولا ينفك كونها الاباوازع الحكيم
 أو العادي كما في بلاد انهم في فرنسا بالنظر للعادة وهاته المادة متفينة في الجزائر ادم

اعتبار عادات الاهالى حق الاعتبار فنشأ في ذلك القسم زيادة الاطلاق وقد شبهتم
صغار الاهالى على قاعد النساس على مذهب امرائهم ومع هذا فلزال في ذوى
البيتوتات واصحاب الاصول مكارم الاخلاق الاسلامية وفضائل الطبايع العربية
وان كانوا بالاصالة قبايل في المدن واما اهالى القبائل من البادية والمتوغلين في الجنوب
ردواخل القطر فالأكثر منهم على الطبايع والعادات الاصيلة والقبائل الذين لهم علة
بالحكام والتداخل معهم تغيرت عاداتهم الى نحو ما وقع في الكثير من أهل البلدان ومن
الاخبار الذين اجتمعت بهم ومنحرفي فضائل اخلاقهم النحرير العالم الشيخ علي بن
الحفاف المفتي المالكي بقاعدة الجزائر وهو من تلامذة علامة القطر الافريقي الشيخ
ابراهيم الياحي كما أخبرني بذلك عن نفسه وله فضائل كاملة وتقوى وسكينة واطلاع
والسعة في الفقه والحديث وذاكرني في الهجرة فذكرته بان مثله قليل الوجود في ذلك
القطر وان بقاءه فيه لتعاليم الناس دينهم أنفع للعامة وله عند الله من تروجه برأسه وابقاء
تلك الاممة المسلمة خالية عن مثله بل وربما جعل خروج غيره من هو على شاكته على
الخروج فتبقى العامة بلا تعلم لداياتهم وتضجج منم الديانة شديدة افشيما والعيان بالله
بخلاف ما اذابني هو وأمثاله فانه تنتشر تعاليم العقائد والفقه وتبقى الديانة ان شاء الله
محفوظة في الاهالى وذلك هو المنصوص عليه في كتب فقهاء حتى ان الاسارى اذا لم
يمكن فداءهم جملة فيؤخر منهم العلماء ومن الاخبار ايضا الاصيل الفهامة الشيخ احمد
أبو قندوره المفتي الحنفي بالقاعدة المشار اليها وهو ذو بصيرة في المعارف السياسية ومعتن
للغة الفرنسية وصاحب جملة في المدافعة عن أهالى وطنه وهو عضو ايضا في مجلس
الوالية وله مشاركة في الفقه والحديث وكل من الشيخين الموحى اليهما الامام وخطيب في
جامع بالقاعدة المشار اليها وقد زرت كليهما في مقصورة جامعة ودعاني ثانيا في الولاية
اتخذها كراما لى جازاه الله أحسن الجزاء وتوجهت معه الى رستانه في الجبل وهو رستان
ناريف جامع لشكاين العربي والاورباوى ويناؤه ظريف نظيف على النحو العربي
المتقن ومن أكارم من اجتمعت به صفوة الخيرة سيدي قدور الشريف نقيب السادة
الاشرف صاحب شمائل تليق بجلالة نسبه ومنهم العالم المتقن الشيخ علي بن موسى
نقيب زاوية سيدي عبدالرحمن الثعالبي رضي الله عنه وهو صاحب ورع وديانة كان
ولي في احدى المناصب المحكبة والسالم كنه الامتاع تصام واعتد ثريا لهم فأعني
ومخ نقابة الزاوية المذكورة فبقيا ساكنها ناك معتكفا على العبادة والمطالعة وله

(١٧)

- أشعار جيدة ومنهم الوجيه السيد الشريف الصفصافي وغيرهم من الاعيان كما اجتمعت بثقات من كبار متوظفي franzis كالجفرال شـ بريزحاكم بهران ونائب الحاكم العام في الجزائر عند مغيبه في وقت قدومي الى هناك وهذا الجـ نزل زيادة على معارفه العسكرية التي توصـ بها الى رتبة الفريق فانه منصف عاقل عارف بأحوال سياسة الوطن والسياسة الخارجية صدوق في الكلام بدون محاباة ويا ليت سائر كبار موظفيهم هناك مثله والذي أعانه على معرفة مصالح الاهالي هو معرفته لغتهم ومنهم أميرال البحر السكنداني ديسان انددى وهو شيخ من منصف في السياسة ومن لا قيمته في غير القاعدة الفقيه الغيبه الشيخ السعيد بن شتياح قاضي بالقلمه وهو مشارك في الغنون الاثني وله اطلاع حسن في الفقه مع عفة واستقامة ثم ان الاهالي على العموم طابعهم نوع من الخدعة والنشاط وذرية البربر في لوتهم شقرة وصهوبة ولهم رلوع بالفروسية واللاهية في المدن على نحو ما في أوروبا وفي بقية القرى والوادي على نحو ما ذكر في تونس
- مطلب في التجارة بالجزائر ✪ التجارة مع خارج القطر أغابها بيد franzis ثم الاسبنيول والاطليان ثم غـ ير كالبعض من الاهالي والانكيز والنادر من غيرهم وفي دواخل القطر مقسمة بين الاهالي والفرانسايين وهي على نحو التجارة بتونس اذ لم تحدث بها معامل ولا كبحركة تجارية سوى بعض معسدين كما تقدم في معدن الحديد بعنايه معدن فضة في القالمه على ان تصفيتها رصناعتها تكون في فرانساي وأصول التجارة التجارية على نحو الاصول الفرانسايية وعلى ما فيها من المعاهدات مع الدول وأما البريد برا وبحرافه ويبدشركات فرانسايية وفي الجزائر دار صرف تسمى بانككة الجزائر لها أوراق مالية مثل البنوك المعبرة في أوروبا ولتسهيل طرق التجارة وإن شئت قلت لتسهيل الحركة العسكرية قدامت طرق الحديد بين الجزائر وهران وتلمسان ثم أخرى بين عنابه وقالمه وسوق هراس وقسنطينه واسكندرية وهم بصدد وصلها بطريق تونس ووصل البقية ببعضها والمذاكرات تجارية في مداريق الحديد الى دواخل افريقية والاهرام حتى تجتمع بين شطوط افريقية الشمالية الشرقية من جهة الجزائر وتونس وبين شطوطها الغربية من جهة سانيةغال وتقر على ممالك السودان ولا يخفى ما في ذلك الربح الباهظ
- مطلب في الاحكام بالجزائر ✪ الاحكام الشخصية منقسمة الى قسمين فسيار جمع الى الوفاق والنكاح والطلاق والارث عنه المسماين له قضاة مسلمون على مذهب مالك

وفي بعض المدن مفتون حنفيّة والقضاة معهم من لهم الحكم بكتاب مختصر الشيخ خليل
 ويجلس مع القاضي عدلان للشهادة على الخصوم وينوبها كبارهم عند منيبه وأما ما يرجع
 الى سائر المعاملات والجنائيات فله مجلس مركب من ثلاثة أعضاء فرانسوا وبين ويحضر
 معهم عضواً مسلماً وهذا المجلس على نحو مجالس الاحكام في فرانسوا غير ان القانون الذي يحكم
 به مترجم بين ما ترجم من مختصر الشيخ خليل وبين القانون الفرانسواي فاذا كان المخصمان
 من المسلمين والدعوى من أنواع المعاملات الاختيارية فلهما الاختيار بين فصاها
 في هذا المجلس اولدى القاضي المشار اليه. وأما اذا كانت الدعوى من قبيل الجنائيات
 أو بين مسلم وغيره فلا تفصل الا بالمجلس كما ان للمجلس حق التحقيق على القاضي فيما يحكم
 به في نوازل المعاملات وذلك جار في كل بلدة (واما القبائل) فكما هم القواد والاقوات
 والقضاة ثم لما كان أعضاء المجلس في الاغلب غير طارفين بلغة القوم لم يحضر مترجم
 مع مراقبة العضو المسلم ومع هذا فلا يحصل الانصاف المعهود في محاكم فرانسوا الامن حيث
 الأعضاء الفرانسواي فانهم يتحرى في انتخابهم استكمال الصفات والاستقامة لكن
 يحصل أطوار عدم احسان الترجمة جهلاً أو عدم جدارة العضو المسلم فلا يجري
 الانصاف وأغاب ما يكون ذلك في الحكم الذي لا يقيم المحكوم عليه وكبلاطار فاللغة
 الفرانسوية ومتضلعاً بمعرفة الاحكام وقد حضرت يوماً متفرجاً في مجلس الحكم بعنابة
 الذي هو في الهيئة على نحو ما تقدم في باريس فأتى برجل في دعوى جنائية وتبينها هو
 يتم في كلامه واذا بالترجم تكلم للحكام كان الرجل تم مقالة فصدرد الحكم حالاً
 بسجنه وما أخرج من بيت الحكم الا ولاقى من اللكم والاهم والسب من أعوان المجلس
 ما تعجبت من صدوره من فروع الامة التي كنت أشاهد في اعتدالمسا في فرانسوا وأولئك
 الأعوان هم من الاهالي غير الثقات ومنهم أيضاً أعوان للضابطية ويتجسسون على من
 يقدم من خارج رعباً يهيج الاعراب اذا توجه اليهم وبمجرد التهمة يسافر من البلاد وهم
 لا يحسنون لا التجسس ولا الخطاب لعدم الاهلية في الانتخاب وعلى هذا النحو في عدم
 الجدارة جمع من قضاتهم فلا يتقنون الارتشاء ولا يحسنون حفظاً، وس المنصب حتى
 شاهدت قاضياً في عنابة يتلالم ويتخايق مع المخصوم ويجلس في حالات الاراذل مما
 يتنزه عنه أعضاء مجالس الحكم وكان ذلك في أصل القصد من عدم التحري في الانتخاب
 لتفرا الهالي من أحكام القضاة ويفضلون أحكام المجالس بل ورعباً أدى ذلك مع

زيادة

(١٩)

زيادة جهل العامة الى اعتقادهم الاختلال في الشعائر الدينية لم يبرون من سوء حالة
القضاة وأحكامهم واعتدال المجالس وانصافهم
* **مطلب في المعارف بالجزائر** * المعارف فيها على قسمين الاول علوم الديانات والثاني
علوم الرياضيات فالاول قسمان أيضا الاول ماهو محنة عن بالديانة الاسلامية وله
مدرسون في الجوامع يقرؤون النحو والفقه وفي خصوص الجزائر من هؤلاء عشر مدرسين
والفقه هو المالكي وقيل من الدروس في الحديث أو غيره وأكثر الاجتهاد في هاتيه
العلوم في بلاد قسنطينة ثم تلمسان وفي الجهات الجنوبية يقرؤون العلوم في زوايا الطرق
ولا هالي هاته الجهات اعتناء بأخذ العلم فبرحلون اليه الى فاس وتونس وقيل من منهم
يرحل الى مصر فلذلك لم يتطع في تلك الجهات من له اطلاع حسن ومشاركة جديدة وقيل
من يتضلع حقيقة التضلع لانه ليس في أوطانهم علماء يقولون بما يقرؤون صغارا الكتب
وأكثر الانسكاب في الفقه المالكي على حفظ نسخة من خليل وتفهمه ومن تهرق العلوم
في احدى البلاد الحارجية قلما يرجع الى وطنه وفي كل تلك العلوم مدرسون في
الجوامع لهم مرتبات من قبل الدولة الفرنسية وهي القائمة بمصاريف اقامة الجوامع
وما فيها من قراءة الاحزاب أو كتب الحديث لانها استولت على جميع الاوقاف والمساجد
واقترنت في كل بلد على عدد مخصوص من المساجد تقوم به وغيره تصرف فيه بما
ناسها وحرمت المستحتمين من مالهم كأوقاف الحرمين والقسم الثاني ما يختص بالديانة
النصرانية ولا دخل للدولة فيه وإنما القسيسون لهم مدارس لتعليم ديانتهم وقد كان
نوع من القسوس يعرف بالجزوز ويت أنشأ مدارس للتعليم حتى لعلوم الرياضية مع
الديانة ولهم اتقان في كيفية التعليم والتربية وقد كانوا في حدود نيف وثمانين ومائتين
والفاحنازوا بكبر من اولاد الاعراب وغيرهم المسلمين بناتاقا وأطفالا ونصرهم وذلك
عند ما وقعت بفاة شديدة بالقطر ولما بلغ بحاس النواب في فرائس ذلك العمل شدد
قسم منه الزكبير على الدولة في اطلاق القسوس على ذلك العمل لكانتم لمتنهم وعنده
ما كبر البعض من أولئك الاولاد وهو ابان أهلهم مسلمون فرؤالي إلى اهلهم ثم لما منحت
الدولة الجزوز ويت من التعليم في فرائس واستولت على مدارسهم ومكاتبهم في سنة
١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م عممت ذلك في الجزائر أيضا ونفتهم من كل عمال الكنائس
أوصت بهم فوابها في الممالك الاسلامية بان يحكمهم وهم في جريتهم أي اذا ارادوا بناء مدارس
والتعليم فيها فليس للدولة الاسلامية لامية منهم وان منعهم تعارضهم فرائس ان

(٢٠)

الدولة الفرنسية والفرنساوية الاثنى جمهورية وتطلق المحررية في كل شىء غير انما سلمت حرية الجزويت في ممالكها ولم يتيسر لها جايتهم في ممالك أوروبا الا في اكثرها فعملهم - م مثل ما فعلت هي فكيف يسوغ مضادة ذلك في الممالك الاسلامية مع اختلاف الديانة فيها وأما في فرنسا فان ديانتهم تحمده لان الجزويت نصارى من أتباع الكنيسة الكاثوليكية الخاضعة للبابا - يراهم لهم مذهب في دقائق الديانة والتأويلات والفلسفة فيما جعل لهم نوع انفراد عن بقية القسوس بيدان الدولة الفرنسية تستند في منعهم من التعليم بانهم - م يزوجون في تعليمهم الاحوال السياسية على الاصول الاستمدادية بما لا يوافق سياستها وتحمي من فسادها في الناس مع المكاتب التي يتخذونها تصير كالمسكرات تحمدها الثورفة بأوى اليها التأثيرون (وأما القسم الثاني) من أصل المعارف فهو صائر المعارف الرياضية وهاته لها مكاتب من الدولة في البلدان المتقدمة وهي على نحو المكاتب الفرنسية وغير انما قاصرت عن العلوم العالية فبعد اتمام التلميذ فيها معارفه ينتقل الى باريس التي هي مركز سائر العلوم العالية والمكاتب بالجزائر فيها ما هو لولدان وفيها ما هو للبنات وقد حضرت بالاستعدادها في امتحان البنات بعناية ووقع الامتحان في اللغة الفرنسية وفي الكتابة وعزى الينا فوأنشدت المديرية خطبة في تحسب من التعليم وأغاب المعلمين نساء في هذا المكتب كما حضرت امتحان مكتب الولدان من مسلمين وغيرهم وحضر كلام من الامتحانين وجوه البلد وحكامها

مطلب في الصنائع وغيرها بالجزائر * الصنائع بحسبها الفلاحية وقد اتقنت في الجهات الشمالية على نحو ما هي في فرنسا (وأما بقية الصنائع) فانها على نحو ما بتونس مع الانحطاط في الدرجة لاني السكية ولاني الكيفية عما في تونس الابعض أنواع من البرنس فلهم فيه مزيدات ان كالمسمى بالعيسى (وأما هيبة المساكن والطرق) فان الجديد على نحو ما في فرنسا والقديم على نحو ما في تونس لكن الطرق معتنى بتنظيفها وتويرها على كل حال كما في فرنسا (وأما اللبس) فالرسمى فرنساوى وقواد الاعراب الكبار يلبسون فقطانا طويلا مطرز بالمالك الفضة المذهبة وبقية لابس الاهالى على نحو لابس التونسيين سوى عموم لابس الرداء المسمى بالحرام حتى في المدن ويجعلون العمامة فوقه وكلهم يدخلون رؤسهم في فوهة البرنس ولباس الذسوة أحسن سترة منهم في تونس لانه متدلى وكذلك الاكل والملابس على أنواعها فانها نحو ما في تونس الا

الذين

(٢١)

الذين لهم مزيد اعتناء بتقليد الاروبايين فقد دوههم في اشرء ككثرة وقد رأيت من العادات القديمة انهم لا يدخلون ديارهم نهالمهم بل كل من وصل الى القبة نزع نعله وليس نعلان خاصا بالدار أو دخل حافيا تحفظا على النظافة والطهارة ولهم أنواع ظريفة متقنة في الاكل سيما المتخذ من ورق البجين حلوا وماحسا (وأما اللغة) فهي أيضا عربية محرفة على نحو ما في تونس غير أنهم أقل فصاحة في النطق ببعض الاحرف مع وجود كلمات غير معروفة في تونس كقولهم أدرك بمعنى انظر أو ما قاربها وفي جهات ذرية البربر لم تزل لغات أسلافهم مستعملة كما في زاووة وبنى مزاب

الباب السادس في انكالاتىره

الفصل الاول في سفرى اليها

قد تقدم فى أقمت فى باريس سنة ١٢٩٦ فحوشهر وحيث كت علت أغلب ما فيها ولزمنى انتظار أشياء يتوقف عليها رجوعى الى تونس أحببت أن أقضى بعض أيام فى رؤية انكالاتيره لشهرتها مع قربها من باريس فركبت الرتل السريع صباحا وذلك فى رمضان الموافق لثموز الأعجمى واستقر الرتل صباحا بسرعة يقطعها نحو الخمسة والاربعين أو الخمسين ميلا فى الساعة قرأت من منظر شمال فرانس ما يربوعن الجهات الشرقية والجنوبية ان نظاما وعمد رانا الى أن وصلنا الى بلد كلى التى هى مرسى على أضيق خليج بجزر المنش بين فرانس وانكالاتيره ولها عدة أسوار وخنادق متينة حصينة للغاية ودخل الرتل بين سورين الى أن وصل الى محاذات البانحة اللاصقة بالرصيف وكنا أخذنا ورقة الكراه الى ذات لندره فانتقنا من الرتل الى البانحة وصادفنا بانحة عجيبه الشكل اذهى مؤلفة من بانحتين متلاصقتين عرضا وسطحهما متحد ولاكل آلة بخارية وبها يدت جلوس واسع جدا وذواتقان بلايخ وبها أيضا بيوت صغار لمن يريد الانفراد لكنه يزيد نحو عشرة فونك فى الكراه عن الطبقة الاولى وفى البانحة جميع ما يحتاج اليه المسافر لكنه له ثمن زائد عن الكراه والداعى للجلس البانحة كذلك هو صعبه ذلك الخليج وشدة اضطرابه لانه مضيق بين بحرين ويمر فيه التيار بسرعة فبادر فى ربح شدة اضطرابه مع تطاب الراحه لاسا فاخترعوا ذلك النوع من البوانحر الكلى لا يحصل فيه الاضطراب بكثرة عرضه فلم يقدوا اخترعوا نوعا آخر فيه أيضا وهو أن يكون بيت الجلوس منفصلا عن البانحة من جميع الجهات ومعلقة فيها

(٢٢)

على نحو الفوانيس بحيث اذا مالت الباخرة لا يجيل البيت حيث كان معلقا فيمتبع ثقل المركب فلم يفتأ ايضا لانه اذا اشتد الميلان والاطم بعض اجزاء السفينة حافظ البيت ويتبعه في الميلان فاولوا ان يخترقوا طريقتا تحت قعر البحر ووضعوا لذلك رأس مال قدره أربعة ملايين فرنك بين الفرنسيين والانكليز للتجربة اعنى تجربة معرفة الطبقة السفلى من أرض البحر هل هي صلبة قابلة للاستسكان أم هي رندوة أما أصل امكان النفاذ فقد جربوه فمحت نهر التيمس كما سيأتى ذكره ولا زال العمل جاريا في هاتئ التجربة وذلك كروا أنهم وجدوا الارض صلبة بان حفروا في شاطئ البحر بئر من أعماق من أعماق محل في ذلك البحر فوجدوا طبقة الارض صلبة فاجتهدا في متواليات في أحداث هذا الطريق وهذا يتبين عن عزائم الامتين في العمل والمال ولا يعد حصول المقتصد في وقت قليل ثم أقدمت بنا الباخرة ولم تحمله الراكب والبريد وما خف من البضائع ورحل الراكب وأنعم الله علينا بان كان البحر في نهاية السكون ولله الحمد فكنا في غاية الراحة غير اننا لانظر الا ما قرب من البحر للباخرة لكثرة الغيم في الشطين وبعد سير ساعة وأربعين دقيقة وصلنا الى مرسى دو فر من انكلانديا التي هي اقرب مرسى في مقابلة مرسى كالى ووصلت الباخرة أيضا للرصيف ونزلنا الى الرتل الذي هو على أهبة السفر باصق الباخرة فسألني خادمة الرتل الى أين توجهى فقلت الى لندره فقالوا الى جهة منها فتجهيت هل هو لا ملهم بحلات يصلونني بها الى محل نزلني مع اني لم اتخذ ذم نزل وانما كنت كنت لاحدم معارف فيها التلقا في المحطة فاعدت لهم اني اذهب الى لندره الى محطة سكة الحديد فقالوا الى محطة فنذرت ما كتب لي المتلقى الى في المحطة من انه ينتظري في محطة فيكتوريا وعلمت اذ ذلك فائدة تنصيصه على اسم المحطة وحينئذ ذكرت لهم اسم المحطة فعينوا الى الحافلة التي تركها وكان ذلك بعد تعجب في التفاهم من الجهل باللغات حتى كان الذي فرج الحال رجل يعرف الفرنسي ثم قفل الرتل ومرحان ساجها بسرعة از يدما هي في فرانس حتى لا يقع في النظر من رؤية الاشياء القريبة وكان الرتل يطرفقوا من تقارب مقاطع قضبان الحديد الجارى عليها من سرعة السير اذ هو يسير ستة ميلاً وازيد الى الثمانين في الساعة الواحدة وكنت أرى على بساط الارض آجائنا عن بعد من شجرة لدينار التي يضم ورقه الى الماء الشمس وير المتخذ سكر كما المعروفه بالبيرة ونرى كواما كالقمر المنثورة من الاجرام المصنوع حتى تهب من كثرته وكثرت معاملته ولا يمكنني عند ما شاهدت بلداتهم زال التهب لان

الاجر

(٢٣)

الاجز وحده هو مادة البنائيم لسائر بنان من لندره واذا بساط الارض على نحو مد البصر
 كأنه شبكة صياد بقضبان طارق الحديد المنفرعة الى جميع الجهات والرتل وارادة صادرة
 كالغل لساحب فرصنا الى المحطة وتاقا في المنتظر الى ونفس عنى مللى بكلامه العربي *
 وهو مسترامى في أحد ابنيه الشام انقل الى هنالك وسكن بلندره محترفا بصناعة التعليم
 للسان العربى وكان دخله من التعليم كافيا له بعمر اربعين الاسفار وكانت مدة السفر من
 باريس الى لندره تسع ساعات وثلاث ارباع الساعة بين السير في البر والبحر وسكنت في
 الحرارة المعروفة بهيت بادك واقمت بلندره يومين من فصاين وثلاث ليال واليوم الوسط
 ذهبت فيه الى بلدا برين صبا حور جعت منها مساء حيث انها على شاطئ البحر ويقتديها
 اعيانهم صيفا وهي من اعظم منتزهاتهم وابنيتهما مثل ابنيته لندره واحسنها في هاته البلد
 ثلاثة أماكن (أولها) قصر الملك ويستانه فالنستان جيل اجالا (وأما) القصر فقد بناه *
 ملكهم ويلم الثالث المتولى سنة ١٦٨٩ الذي كان محبها بالصياد والخلعة تحبها
 للانفراد في قصر برين وكان مغربا بأحوال الصينيين فجعل بهاذلك القصر بعيدا عن
 القاعدتين في عيشه بالانفراد ثم أنشأ القصر على نحو قصور ملوك الصين وجلب اليه من
 هنالك سائر الادوات والمفروشات وغاية الفرق بين هذا البناء والمعهود انه
 لا يشتمل الا طبقتين والقباب كلها على شكل مخروط الوسط والمحيوط والابواب كلها
 منقوشة من زينة الاشكال الصينية والوانها وتصاويرها والدرج ذات شكل غريب
 مرتاح وظاهر القصر من زينة وعلى زواياه وابوابه شرافات وصوامع جيدة مزر كشيقة قد
 باعت المنكة فكتوريا المتولية الان هذا القصر بجمية أهلية ليبقى من ممدى للعوم في
 خطهم واجتماعهم وقد اتدبوا اليه عقب شرائه من سائر أقطار انكلا تيره وما زال
 هكذا ما حاله تفرجين وقد شغعت صحف أخبارهم على شح ما كتتم ونهتها في المسال
 بديهها ذلك القصر للأهالى وكان ينبغي لها أن تهم اياها واظن ان الثمن لم يبلغ
 المليونين فرنكا (والمكان الثاني) في البلاد هو محل معرض أنواع السمك في أحواض *
 من الزجاج وراها الضوء مركز في الحيوط ينزل اليه بدرج على الشا وحوله مطاعم
 أنيقة وحدها فوقها قهوة وفي بيوت هذا المعرض بيوت عديدة جديدة جميع حيوطها
 أحواض زجاج فيها أنواع الحيوانات البحرية ما الله به عليم ويستفدون من ذلك كيفية
 حياة الحيوانات وتوالدها (والمكان الثالث هو دكة) على البحر طولها نحو نصف ميل *
 مصنوعة من خشب متين مرفوعة على أعمدة مبنية من الحديد عاليتها عن سطح البحر

(٢٤)

وحول الذكوة وفوقها مائة دو ومنارة وقهاوى وذلك هو منتهى المنتزهين واللاعبين
والمتسابقين في البحر وبقية البلد ليس فيها ما يستغرب وإنما هي حسنة فإلهة نظافة
الطريق ولم تنزل الأشغال جارية في أحداث حارات جديدة فيها تمسار جعلت إلى فرنسا
بت ليله في مرسى دو فرلان البانحة تسافر بالبريد بمكة فاستمرت الذهاب اليها عشية
التي لا تنقب بالركوب في الرتل ليلا للوصول اليها وتطوفت فيها فاذا هي مرسى حربية
وحشة متينة الحصون كثيرتها ومبانيها رديئة وطرقها وسخنة ومنزل المسافرين الذي بقنا
فيه حسن متقن وطعامه رديء وليس في البلاد ما يبسط النفس فركبنا منها بكرى
الصباح ورجعنا إلى فرنسا في بانحة فرنسية اعتيادية وكان البحر ساكنا مع الضباب
الكثيف وحول شاطئ فرنسا كان الجزر حاصل حتى خشى السفن من مصادمة الأرض
وتن فر البحر يرى في بعض الجهات

الفصل الثاني

لما كانت هاته المصير المنعصرة هي قاعدة انكسار وفيها أنموذج سائر المملكات يلزم ان
تفرد بالذكري غير انه لا يخفى ما للمعادن من المعادن وقد ذكرنا من أوصاف باريس
وتفاصيلها ما يغني كثير من عن اعادته في صفة لندره فلنقتصر على ما تفرد به هاته عن
تلك وهكذا نسلك في سائر المباحث بحيث تقتصر على ما يفيد وما يشترك فيه الجميع يعلم
حاله مسبق في الابواب السابقة فنقول ان لندره أكبر مصر في أوروبا وسكانها على ما تحرر
سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م ٣٤٨٩٠٠٠ نسمة منهم ١٦٣٣٠٠٠ ذكر و
و ١٨٥٦٠٠٠ انا و يخترقها نهر التيمس الذي يحمل السفن الكبيرة وعاليه جسور
هيديدة ضخمة جدا منها البناء ومنها الخشب ومنها الحديد الذي لأعمدة له يقوم عليها في
النهر وانما طرفاه على العدوتين ووسطه معاني بتضبان وسلاسل ممتدة الى طرفيه حيث
يوجد أبنية ضخمة مرتفعة ترفق أعلاها تلك السلاسل والقضبان ثم تنزل الى الأرض
بحيث تكون على شكل مثلث زاوية الوسطى قائم فيها ذلك البناء وتلك السلاسل
أربع في كل جهتين من طرفيه اثنتان وبعض هاته الجسور رعاها طريق الحديد
وبعضها على جسم آخر عالياه طريق الحديد وقد خرقوا تحت النهر نفقا يمر فيه
الرتل أيضا وطول النفق ألف ومائتا قدم وكان انشاؤه سنة ١٨٢٥ ثم طمى عليه الماء
ثم جدد سنة ١٨٤٣ وكانت مصاريفه ١٥٣٥٠٠٠٠ فرنك بحيث ترى الطرق

(٢٥)

عند نهر التيمس في بعض جهاته على أربع طبقات فالرطل تحت الماء والسفن على
الماء والبعثات والدواب والناس على الجسر والرطل أيضا على جسر فوقهم والطرق
أكثرها في عرض عشرين ذراعا والقليل أزيد من ذلك أو أقل حتى ان منها الضيق الذي
لا تمر فيه بحملة والطرق قليلة النظافة حتى ان منها ما فيه الوحل من الطين بجمّة دار
لا يستطيع معها البعثات على سير المحجب وبعض الطرقات مبلطه بقطع من الخشب
في شكل الحجارة ذات الشبر التي يبلط بها وذلك لقلّة الوسخ من الخشب مع قلّة الدوى
وفقدان قرعة البعثات وذلك انما هو في الطرق الكثرة مرور البعثات (وأما غيرها) *
فعلى النحو والمعناد والبنسآت فالبها من الاسر الا قليلا من ابنية خاصة ضخمة متخذة
من الحجارة وقيل أيضا من أساسات بعض الابنية فهاته تحت لها الحجارة على شكل
مستوى جبل المنظر وكثير من الديار عند ابوابها اسطوانات من المرمر محمول عليها
رواشن أو مرادق وعمامة البناء ذر ثلاث طبقات والرابعة السفلى وكل دار تسكن عائلة
فقط ولذلك كان منظر باريس أجمع الابيض حارات بنيت على نحو باريس فلم
يستحسنها الاهالى وبقية بنفورا من سكاها وكل دار تجدد على بابها روشن خارج عن
حائط الدار وفي البلاد عدة حدائق رحيمة جدا أعظم مما في باريس منها حديقة هيت
بارك وليكل حارة تقر بها حديقة صغيرة خاصة بناهلها وأعظم مكان في لندره هو الجهة
المعروفة بالسينين وهو طريق عظيم مشتمل على دار صرف الدولة وعلى دار حاكم البلاد
وهو مركز شغال التجارة الكبرى ومحط ادارات أعيان التجار فترى فيه من الازدحام
ودوى العواجل والتوافل والمخاقل والركاب والساح ما يحير العقل والنظر واللب مع ان
ابنيةه وتحسيناته ليست مما يند كروادة أهالى لندره ان حارات الاشغال والحوانيت
والمخازن لا يسكنها الا الصنف السافل من الناس وحارات السكنى تكون خالية عن
جميع ذلك حتى يتعب الساكنون في جانب ضرورياتهم لولا التيسير الكثير في الابواب
الانتقال من مكان الى مكان على نحو ما عرف في باريس وتزيد لندره بان خط طريق الحديد
يطوقها بدائرتين احدهما أوسع من الاخرى وبالجملة فقد انفردت لندره بما رأيت
يو سمعت من مدن العالم بكثرة الحركة وهول البه في الشغل والانشد والعطاء والسفر
والازجوع ويرى أثر ذلك في محطات طريق الحديد كما أشيرنا الى ذلك سابقا من رؤية براج
شبهكة القضاة مبسوطة عدة أميال ويحار العقل كيف لا يعط مسير المازجيات
وحراس منافج الطرق بنهاب الرتل الى ضيق قصده ففي لندره ثمان محطات على نحو

(٢٦)

ما ذكرنا في محطة فككتور يا وقد اُحصى في احداها عدد الداخل والخارج من الرتل في مدة نصف ساعة في مكان اثني عشر رتلا وليمس على ذلك وقد نظرت يوما من قصر الزجاج دخان المزجيات الصادرة والواردة جارة للرتل فاذا هي مثل الجراد المنتشر في كل الجهات (واما بقية الاحوال فهي دون باريس في نظارة الحوانيت وبهجة البناء وعدم وجود محل للبول أو كنف في الطرقات وفي النظافة والتنظيم والتنوير ولذا ذكر بعض محلات لم نر مثلها في باريس فتمها قصر الزجاج وهو قصر عظيم جدا متخذ من قضبان حديد مرصبة بينهما قطع الزجاج وقد انشئ أو الامر كالمعرض العام في لندن وهو أول معرض في اربوا بعد انقضاء المعرض نقل ذلك القصر الى ريوه حذر ولندره واتخذ سوقا لبيع تحف وساع ظريفه ولوضع عجائب وآثار دهرية وصناعية للفرجة والتنزه وحوله حديقة انيقة ذات فوارات وقهاوى وعلى كل داخل ان يدفع شيئا زهيدا من المال لجرد الدخول والفرجة وما يشتري فهو يئتمنه وطريق الحديد يصل الى هذا القصر من جهتين وهو ذو ثلاث طبقات تمقسم على عدة اقسام (وفيه) ماهسى (وفيه) محل للرمايه (وفيه) حديقة (وفيه) عدة فوارات (وفيه) عدة مطاعم (وفيه) قسم للمال جراه غرناطة بالاندياس اعنى مثال بعض جهاتها الشهيرة كوسط الحجراء والبيوت الكبيرة متقن التمثيل اعنى تمثيلها بحجبت يدخل الانسان الى قصر هو على شكل الحجراء فيما تقدم وفي كيفية تطلبي البيوت وتمويهها بالذهب وما فيها من الكتابات الانيقة بالخط الكوفي وذلك القصر هو على نحو الابنية العربية لكنه فايق الاتقان والصنعة والتأنيق والتزييق وفي القصر الزجاجي (قسم) لاحوال الصينيين وصناعاتهم وأشكال نامهم محسنة بتصاوير من الشمع وهيئة المسكرين منهم لاسيما اعمال الاقيون وتأثيره العجيب في عقولهم وذاتهم (وقسم) منة لتار يخج بلادي يبي من ايطالياتار يخج بالاشاهد مدة لصورة اطوارها وقدم منه لحيوانات غريبة منها الغول المسمى بالكورا الذي هو نوع من القرد الكبير وقد مر ذكره في باريس وأنواع أنمر من القردة صغار شبيهة بالانسان الزنجي وفي القصر الزجاجي أيضا (قسم) لبيع التحف والبضائع الرقيقة وقد رأيت فيه نحو سبعة رجال من العرب من أهل الشام ومصر والمغرب متخذين محلات لبيع تحف بلادهم والعطريات (والمحاصل) ان هذا القصر الزجاجي جامع لاشتات الظرف والمزاهة (ومن الاماكن الشهيرة) في لندره أيضا التربة المعروفة ترافلا كرو فيها حود بلاسون المبنى من المرمر ارتفاعه ١٧٦ قدما انقباضه وعاليه تقال وحوله شرفات من الخحاس اتخذت من

مدافع

مدافع أخذت من الفرنسيين وحول العمود فوارتان بالماء أمامهما - كما صورة الملك شارلس الاول وكان نصب العمود (سنة ١٨٤٣ ومنها) أنوى (ومنها) الملاهى المتعددة وقد شرعوا في بناء أكبر ملاهى في أوروبا وأكثرها تأنيقا بماهاة للهوى قران لوبرة في باريس لكنه لم يتم الى الآن وأجيب ما رأيت في مـ الايهي في محل التخصيص من اللعب ان يتناثر تقع في الهواء الى السقف وتيب فيه وتارة لما ترتفع الى نحو نصف الفضاء تذهب في الهواء طائفة الى جهة اليمين من المنفرجين من غير أن يرى لها ماسك أو شئ تعاقب به وقت دخاقتهم في ذلك ولم يقفوا على قول حقيقي في صورة ذلك فـ يراني شعرت بأنهم يقللون الضوء عند اعادة تلك اللعبة (ومنها) دار الامتحانات العلمية (ومنها) قصر الندوى وهو أعظم بناء في هاته البلاد ويمكن ان يقال في أرو بأىضا - مدافع قصر الفاتكان يرومه فهذا القصر بالمندره يشتمل على ١٢٦ مدرجا وأزيد للصعود اليه وأكثر من ١١٨٠ بحجرة و ١٩ ايوانا (منها) ايوان الاجتماع الرسمى الرحيب ويشتمل على اسرة ومطاعم وقهاوى بحيث ان أعضاء الندوة اذا حوجبهم الحمال الى اقامة ايام هناك فلا يحتاج أحدهم منهم شئ سوى الملبوس يأتي به من محله ولما كان ليهم طويلا يقضون أشغالهم فيه فكان في القصر من التوير ما يتعجب منه الناظر وكذلك أمر قد فتمته (ومنها) المتحف البريتانى الشامل للآثار العتيقة والذخائر الغريبة وعلى نحو وودونه عدة متاحف آخر (ومنها) دار الصرف اى البنك الدولى وهو أعجب بنوك أوروبا كبروا غناها ذفيه من الذهب فقط عشرات آلاف الملايين مخزونة قطعها كـ بيرة وصغيرة للدولة ولما يؤمن ماله فضة لـ عن المصوغ والفضة وللخزنة محل حصين محاط بالمياه خشية المهرب (ومنها) البورس أى محل اجتماع التجار (ومنها) مجامع التجار الهندية (ومنها) قصر الهند أى محل ادارة الهند المؤتى (ومنها) دار شيخ البلد (ومنها) الحصن العظيم المسمى توراف لندره (ومنها) منزل للسافرين المسمى ريدش مانت وهو خارج البلاد على رهوة مطبل على قياض ومرج ونهر ويغنايه الناس للكل بكثرة وللسكنى بقلة وأكله أحسن من غيره (ومنها) بستان الملك وقصره خارج لندره أيضا المسمى هيمبتون كورت وليس به من الغرائب الاعريشة غيب واحدة مغروسة في بيت من الزجاج لوقايتها من البرد حيث ان شدة برد انكلا تيره يمنع من نبات العنب بها فسكان هاته الشجرة معنتى ما منذ ازيد من قرن وقد ظمت جدا حتى ملأت أغصانها جميع البيت التى طولها نحو الاربعين ذراعاً وصارت ثمرآ لافان العناقيد ولا يخرج منها

(٢٨)

عنه وقد لا يتذكره من عند ذات المملوكة ثم ادى بها من تحفه من الاقارب والاعيان وعلى تلك الشجرة قيم خاص وخدمة وتقصد للتفرج بانفرادها (والحاصل) ان لتدوره لا تونس الوارد بنظرها الاجامى ومحاسنها مخبئة يروق بها الاعالى من الناس ومن أكرمهم هم - م حتى انهم ليست بها قهاوى كما فى سائر أروبا وليس فيها الاطانات لا يدنها الا الالهة الهاء أو حوائث تبديع الخلويات لمن يدخلها واقفا ومنها عمود مصر المسمى بالمسلة موضوع على عدوة نهر التيمس الحاوية للقصور الملكية وسائر مهمات لندره وقد صرف على جلبه من اسكندرية أموال باهظة تجاوزت عدة ملايين من الفرنك وأنشئ بجلبها سفينة خاصة بخاربه وصاحبته المراقبة سفينة أخرى وتلقبت عند الوصول الى لندره باحتفال وركزت فى موضعها غير ان هذا الموضع وما حوله ليس مما يذكرو به وبه وبين مركز المسلة بباريس يون بعيد وكان الانقياز انما قصه - د والاسم وضع مسلة بقاء عدهم لانهم أرادوا جالها وبهاها (ومنها انما) زوج المملوكة الخالة المتوفى سنة ١٨٦١ فاقيم له شمال فى غيضة هيت بارك من أعظم الهياكل بناء ورواقا واتقانا من أنواع المرمر الملون المزخرف بقناطير الذهب وصرف عليه عدة ملايين من الفرنك (ومنها) المكتبات العديدة الحاوية لـ ١٠ ملايين الكتب واحداه اشامله لـ المكتب التي غنمت من ممالك الهند التي استولى عليها الانكليز - تيلابا تاهاتيه المكتبة ليس بها قاعات وأواوين كبيرة كغيرها وانما هي عبارة عن قصر ضخم كقصور السكنى الكبيرة فى باريس وفيه عدة طبقات وكل يشتمل على بيوت بها نوع من الكتب والفنون وعلى كل نوع مدير تحته عدة قيمين والكتب المجلوبة من الهند فى أعلى طبقات القصر فى عدة بيوت ضيقة غير مرتبة ولا نظيفة والقباب على أكثرها ووضعها فى الخزائن على ترتيب وضعها فى دفتر قيد أسماءها وهذا الدفتر انما ترتيب منه - د قريبا لان الكتب التى بها من الهند فى أزيد من أربعين صندوقا كبيرا بقيت متروكة على حالها زمانا طويلا ثم لما فتح الصناديق ووجدت ملائكة بالكتب وضعت هناك زمانا طويلا من غير ترتيب ثم كلف بتنظيفها وكتب فهرس لها أحدا المستعربين من جهات سورية فرتبها على حسب حروف المعجم فى أسمائها من غير نظر اوضاعها ومعانيها فتجدها مجموعة ولا جامع الاحرف أسمائها ولم يتمها كلها بل قديمها ألفا وخمس - ين مجلدات بقى غيرها - يه معروف ثم ان الكتب المزخرفة والاوراق المذهبة جهت فى صناديق من الزجاج للناظرين فترى ورقة من صحف كرم وبازاتها ورقة من تصاوير الصيادين

الى

الى غير ذلك وتشتمل هذه المكتبة على كتب غريبة قليلة الوجود وغير معروفة وقد طبعت مع ماتم من فوارسها واعطيت منه نسخة وليس هو مجرد اسم الكتاب بل يذكر اسم وطالعتها وخاتمتها ومؤلفه وكاتبه وسنة بالعربي مع الترجمة للانكليزي وما رايت به نسخة من التلويح بخط جميل صحيح اظنها بخط المؤلف حيث قال في آخرها كتبت هذه النسخة للشاب العزيز مني وأنا العمدة المذنب الغريب الموسوم بسعد التمتازاني غفر الله ذنوبه وسع عيوبه وهو المحترم المكرم صاحب المروءة والكرم علاه الملة والدين بلغه الله أقصى ما يشاء اه وعلى ظاهر هذه النسخة خاتم مدغم كأنه خاتم تيمورلنك والله أعلم

الفصل الثالث

في وصف انكلا تير

سمي عاتة الممالكة جزيرتان كبيرتان احدهما أكبر من الاخرى واقعتان في البحر الشمالي من أوروبا تبعد عن من دقيقة ٥٧ ودرجة ٤٩ شمالا الى دقيقة ٠٥ ودرجة ٠٦ وفي الطول الغربي معتبرا من باريس من دقيقة ٣٤ ودرجة ١ الى دقيقة ٥٠ ودرجة ١٢ ويحدهما من ثلاثة جهات المحيط الشمالي ومن الجهة الرابعة الخليج المسمى بالمدش الفاصل بينهما وما بين فرانسهم يفصل بينهما في ذاتهما خليج مارجرس وبحر ارلانده وكبرهاتين الجزيرتين يسمى انكلا تير وجهاتها الشمالية تسمى اسكو تسيابو الجزيرة الصغيرة تسمى ارلانده ولهذا كانت هذه الممالكة معتبرة ثلاثة أقسام نظرا للتاريخ القديم ويسمى مجموعها الاكبر بريتانيا فيما العظمى وعلى الاجمال فأرضها خصبة جدا ذات مزارع ومراعى واسعة الاتجاهات الشمالية المسماة اسكو تيا فانها الشدة بردها كانت غير صالحة للزراعة وهاته الممالكة اراضها منبسطة بهاربات قليلة الارتفاع وكما انها معروفة حسنة المنظر متقنة الصناعة (وأما الجبال) فهي منخفضة بها الا في اسكو تسيافا ثمرة شاهقة وليس بها جبل بل كافي (وأشهر) مكان في الجبال جهة الشمال على البحر في اسكو تسيابو المسمى الجبابرة وهو اعمدة صخرية مركبة على بعضها الى علو ٤٠٠ قدما بنائية الاحكام خلاقة فكانت نزهة للناظرين (وأما انهرها) فكثيرة واعظافها نهر ساورن الذي يصب في المحيط عند مدينة بريستل ونهر مرهي الذي يصب في بحر ارلانده عند مدينة لينفر بول ونهر التيس الذي يحمل

(٣٠)

السفن العظيمة الى مدينة اندروو بين هاته الانهر ترع عظيمة سهلة المواصلات وكذلك
 نهر شانون في ارلانده والترعة الماكية بها الموصلة بين البحرين (وأما بحيراتها) فكثيرة
 أيضا وهي في اسكوتسيا البحر المحيط بها من المرج والجبال ولذلك كانت ممتدة
 الافتياء في الصيف وأشهرها بحيرة نس وبحيرة لومندطولها نحو ٣٠ ميلا وكذلك
 بحيرة نياغ في شمالي ارلانده وبحيرة أرز فيها أيضا (وأما هاواؤها) فهو على العموم بارد
 وفي الشمال أشد وسامم موافق للحمية لكن يكثر فيها الضباب صيفا وشتاء وكذلك المطر
 الذي يسقي مزارعاتهم صيفا وشتاء ويوم العاصف الذي يظرون فيه زرقاء السماء بعد من
 حسنة الايام لان الضباب يتكاثف أحيانا الى أن يحوج الى ابقاء النور ثم تارة وربما
 كان فيه مجرد الاقي البيوت والمسقفات أما في الطرق فالنور راغيا يقوم بنفسه ولا تخفق
 أشعته تكاثف الضباب وكاد المطر أن لا يفارقهم ثلاثة أيام متواليات وقديس تدم الحجر
 في الصيف الى أشد من أقاليم خط الاستواء سيما في دواخل القارة حتى يموت الناس في
 الطرق وذلك لانعدام القسم وسكون الهواء سكونا زائدا في شتاء الحار الى درجة عالية
 للغاية لكنه لا يدوم قاهوا الا يوم أو بعض يوم وتعقبه السحب والامطار والبرد (وأما
 نباتاتها) فهي نباتات الاراضي الباردة والجهات الوسطى والجنوبية يتخصب فيها اسباب
 الحبوب وان كانت لا تكفي السكان وأما العنب وما شاكلة من نبات الاعمال والحار
 فلا يوجد منه الا ما يجعل له بيوت خاصة معالجتها بالنار ومع ذلك فتجد الارض
 مغطاة بمخضرة النباتات لكثرة العلاج واتقان الفلاحة وتجرية المياه وغاباتها كثيرة
 بها الانجار الصخرة الصالح خشب الانشاء السفن العظيمة فيراها الناس مرة لا غالب
 البقاع ونباتات المراعي خصبة جدا تنوع عليها الحيوانات (وأما عاداتها) فالغنى منها
 الحديد والنعم المجري يكثر في أغلب الجهات وفيها الرصاص وغيره وهي أغنى بممالك
 أوربا في المعادن (وأما حيواناتها) ففيها كل أنواع الحيوانات الموجودة في فرنسا
 وإيطاليا كما سبق ذكره والسباع منها منقطة للاجتها في ازالها من قديم فان وجد
 ثمن من صغار السباع فأغساها في الجبال الشمالية وذلك كالدب والنعاب وما شاكلة
 وأول من اعتنى بافناء السباع من المعادكة الملك أدغر المتولى سنة ٩٥٩ فقد أزم
 رعيته في كل سنة بأن تأتيه بثلاثة ذئب واستمر ذلك الى ان ففي ذلك النوع وقد
 كان مالسا أرضها مع خيمته الشديدة لان الذئاب الشمالية كالسباع الكبيرة في الجرة
 والاذابة كالمشاهد الا أن في الروسية وخيلها جيدة للغاية وفيها من أجود الخيل العربية

لشدة

شدة العناية بحماها وتوليد ما وتربيتها حتى فاقت سائر أروبا في الخبـل وكذلك غنمها
 أحسن أنواع الأغنام وصورها مرغوبة للصناعات النخسية لأنها كادت أن تكون مثل
 الحرير (وأما مدنها فاعدهم النذره) وقد مر ذكرها وبتمية المدن كثيرة ومن أشهرها
 ليقربول وهي ثانيه لندره (في التجارة) واقعة على مصب نهر مرسى في بحر ارلانده وفي
 مرساه من السفن ما يستقر به من كثيره ثم (مدينة) مانشيستر لها من الشهرة ما يناكب
 السابقة وهي شرقها على نحو (٣٣) ميلا ثم (مدينة) بيرنهام ثم (مدينة) رشفيلد
 (ومدينة) كدرمستر وفي أسكوتسيا (مدينة) ايدنير (ومدينة) ابردين (ومدينة)
 دندي (ومدينة) كلاسكو وهاته أعظم انخواتها تجارة ومركزها و معارفها في ارلانده أربع
 عظيمة (احدها) جهة الشمال وهي بلغاست (الثانية) جهة الشرق وهي دويلين
 (الثالثة) جهة الجنوب وهي كورك (الرابعة) جهة الغرب وهي قلوه وكل من هاته
 الأربع قاعدة القسم الذي هي فيه وهناك مدن أخرى عديدة غيرها (وأما مرسى)
 هاته المملكة فحيث كانت هي جزائر بحرية فكادت مرساها أن لا تعدوا أكثرها محصن
 تحصينها جميعا حتى ان كثير من الحصون في المراسى البحرية صارت الآن مدرعة
 بصفايح الحديد الثمين الذي لا يهمل فيه الكورن المدافع الجديدة وفي بعضها معامل
 للسفن المدرعة والخشبية ومن هاته المراسى ما هو آمن للسفن بأصل الخاكة كما كثير مرسى
 ارلانده لان شطوطها تعاريج كثيرة حسنة المنظر ومنها ما هو آمن بالصناعة وتجيء
 الى هاته المراسى التجارة في السفن والبواخر من سائر الاقطار وأكثرت سفن العالم انما هو
 لانها تكاثر كما يأتي توضيحه ان شاء الله تعالى وقد تقرر ان شطوطها الهداية للسفن
 ليدلأز يد من مائتي منارة (وأما تقاسيم المملكة) بالنظر للادارة فهي في انكلا تيره
 الاصلية اثنان وخمسون مقاطعة وفي أسكوتسيا ثلاثة وثلاثون مقاطعة وفي ارلانده أربع
 مقاطعات فالجميع تسعة وثلاثون مقاطعة لكل منها ادارة على نحو ما يأتي بيانه ان شاء
 الله (واعلم) ان هاته المملكة تتبعها جزائر أخرى صغيرة حولها كثيرة أشهرها جزيرة مان
 وجزائر نورمونيا وذلك عدد المستعمرات الخارجية لأن ما ذكره وطعته من ذات
 المملكة (وأما أهل المملكة) فهم اثنان وثلاثون مليوناً كلهم انكلا تيريون وديانتهم
 نصرانية على مذهب البروتستانت الا البعض وهم أكثر أهل ارلانده فهو ولا على
 مذهب الكاثوليك ويوجد فيهم قليل من اليهود والذهرين وأفراد من المسلمين منهم من
 أهل المناصب العالية والبيوتات الكريمة الملقبـين باللورد كاللورد اسقارنلي وهو من

(٣٢)

الصادقين في الاعتقاد الاسلامي ولله الحمد دخل اليه عن رؤية وبرهان نسأل الله له مزيد
 * في الحياة وعلو الكعب والهداية ثم ان هاته المملكة لها مستعمرات واسعة في
 جميع قطار الارض حتى كانت اول دولة في العالم في اتساع الممالك وثاني دولة في كثرة
 الرعية اذ هي تالية لدولة الصين في كثرة الرعية لكننا الاولي في اتساع المملكة وعلو
 الشأن في اقطار الارض جميعها فاعظم مستعمراتها هو الهند وما معه وقد مر في المقدمة
 تفصيل ما رصناه اليه من احواله ولها في آسيا أيضا جزيرة هندية كونغ في الصين ومدينة
 عدن وباب المنديب وجزيرة يريم في جزيرة العرب وجزيرة قبرس في البحر الابيض دخاتها
 بمجاهدة مع الدولة العثمانية سنة ١٢٩٥ وحياتة على مسقط وبعض قبائل شطوط
 جزيرة العرب الشرقية ولها في اوروبا جزيرة الباسغولاند في بحر الشمال وجزر جوسى
 * وفرنسى في بحر المنس وجزر صغيرة حول المنجمد الشمالي وجبل طارق الهائل
 التحصين في ارض اسبانيا على الخليج الموصل بين المحيط والبحر الابيض المسمى بيونغاز
 طارق لان طارق هذا هو الذي عبر البحر من افريقية واسمك الجبل المذكور للمسلمين
 قديمي به ثم افتتح بقية الاندلس وكذلك لها في اوروبا جزيرة مالطة في البحر الابيض
 وسباني تفصيل حالها ان شاء الله ولها في افريقية شطوط من سانيةفيل وجبال الاسد
 في كينيا العليا وارض شط الذهب فيها اوراس الرجا الصالح وجزر سانيةفيل وموريس
 ولا سانبول وشطوط في جزيرة مدغسكار ولها انواع جمادية او سلطنة على ممالك مسنة قليلة
 في افريقيا ايضا مثل الزلوس وغبرها في ارض الكفر ونفوذ في الزنجبار ولها في
 اماريكال البرنيتا بالجديدة في شمال اماريكال وكندا وبرنزويك وسكوسيا ولا برادور
 وكلها توصف بالجديدة وجزيرة الارض الجديدة وارض اخرى غربي شمالي اماريكال
 وجزر المنجمد الشمالي وجزر الانقبيل الصغار وجزر جامايك ويمان الانقبيلية وما
 جلان ولها في استراليا الشط الشرقي ومعظمها من بقية الشطوط وجزر ترمياندا
 وزيلاند الجديدة ونورفولك فاذا نظر المتأمل لاتساع هاته المستعمرات وافتراقها على
 جميع اقسام المسكونة علم مقدار اقدار هاته الدولة وسباني في فصل التاريخ من
 حسن ادارتها كانت هاتي الممالك قوة لدواتها لاجابة لضعفها وهذا جدول لعدد
 السكان

(٣٣)

سكان انكلا تيره	٠٢٢٧٠٤١٠٨
سكان اسكوتسيا	٠٠٣٣٥٨٦١٣
سكان ايرلانده	٠٠٥٤٠٢٧٥٩
سكان الجزر التابعة لها	٠٠٠١٤٤٤٣٠
عساكرو بحرية خارجها	٠٠٠٢٠٧١٩٨
سكان عساكها بالهند	١٦٣٠٧٢٧١٥
سكان بقيه اماكن باروبا	٠٠٠١٦٠٣٩٩
سكان عساكها بامريكا	٠٠٥١٣٣٧٢٢
سكان مستعمرات افريقيا	٠٠١٨٦٠٠٠٠
في استراليا	٠٠١٩٥٨٦٥٠
في بقيه الجهات	٠٠٠٤٢٦٠٤٧
	<hr/> ٢٠٣٤٣٠٦١١

الفصل * الرابع

﴿ في اجمال تاريخ انكلا تيره ﴾

•

معالم في تاريخها القديم لا يخفى ان سائر اروبا كانت في الاعصر السالفة على جانب عظيم من التوحش فاذلك كانت تواريخها القديمة عقيمة مجهولة ومن ذلك تاريخ انكلا تيره ايضا ونجاية ما يعلم من احوالهم ان قوما من السكان اى قدماء الفرائسيين الذين مقرهم في فرانسوا بين نهر السين ونهر غارون عبروا الى اراضى انكلا تيره بقصد توسيع التجارة فلم يجدوا لهم مساكن واسطوطرافها انكلا تيره من اهل البلجيك وبقوا جميعا على التوحش التام بحكمهم بايدي رؤساء القبائل بل العائلات حتى ان فير هولاهم كالعبيد بايديهم ويقتلهم كاهان لهم سلطة على الجميع عسايتهم بلونه خفية من علم السيام والطبيعيات لوهجوا العامة بضرق العادة لهم حتى اعتبروهم كالهة وكانوا جميعا عبيد دون الاصله نام حتى انهم بقربون الهنداء الانسان بالضعف لها وفي سنة ٥٥٠ قبل التاريخ المسيحى عبر الى انكلا تيره بولوس قيصر بجيوش الرومان فلم يتمكن منها المعارضة الاهالى مع هييجان عظيم في البحر ثم عاد اليها ثانيا واسم ذلك منها بعض الجهات لكنهم لم يستقر حالها ايضا وفي سنة ٤٣ بعد التاريخ المسيحى اعاد

ح

صفحة

٥

٣ ، صدرة الاعتبار

(٣٤)

الرومان السكرية وافتتحوا الجزيرة وارسلوا رئيس حصبتها الى رومة اسيراً ثم ازداد الرومان
تكتناهم بما وقع من التخاذل بين أولئك الكهان الى ان ابادوهم غير انه كانت احدى
القبايل مترسدة عام - م امرأة يقال لها يوديكيا فاستنهضت جميع الاهالي ووقه - رت
الرومان وقتلت منهم (سبعين) الفاً ثم اعادوا السكرية وانقموا من الاهالي حتى قتلوا منهم
ثمانين ألفاً وازادوا عليهم العذاب المعروف من الرومان ثم عدلوا فيهم وكل اخضاعهم
بالعدل احسن من السيف لكنهم شعبههم اهالي اسكوتسيا الساكنون في الجبال بغاراتهم
المتتابعة فينبوا بينهم سوراً ثم آخر اعظم منه طوله ثمانون ميلاً وذلك في حدود سنة ١٢١
مسيحية وفي سنة ٦٨٧ استبد على الرومان احد قوادهم على الاهالي اليه وصار ملكاً على
انكلا تيره ثم عادت الى الرومان بلا حرب لانه كان لا يثق بالمدخلية ودامت ولاية
رومانية الى القرن الخامس وفي مدة استيلاء الرومان التي هي اربعة قرون حصلت
الاهالي على معارف جيدة مما كان عند الرومان حتى كانت ذات مدن وحضارة
وصنائع وتجارة لما في الاهالي من النشاط الى الكلد ثم في سنة ٤٢٠ اضطرت رومانيون
الى تسليم انكلا تيره لاهاء اورفع جيوشهم منها لما وقع في ايطاليان من الحروب الالهية
والخارجية فكان حفظ قاعدتهم أولى لهم من حفظ المستعمر غير ان اهالي انكلا تيره
وان حصوله على - ظ من التمرد بسبب المنسلط عليهم - م فقد فقدوا ما يوازي ذلك من
الحرية والشجاعة للهوان الذي جعلوهم اياه فلم يستطيعوا الاستقلال بانفسهم لهما جهة أهل
الشمال من جبال اسكوتسيا فاذلك استنجدوا قبيلة من الالمان مقرها على مصب نهر
الالب من اوروبا الشمالية تسمى السكسونية لما كان بينهم من المودة والخلاطة وطابوا
منهم - م الاعانة على دفاع الاعداء وأنجدوهم لكنهم - م استأثروا عنهم بفائدة النصر فقبلوا
الاهالي كالعبود لهم وتماكروا عليهم وعند ما أرادوا دفاعهم شتموهم واستقلواهم بالبلاد
ورحات فرقة من اهل انكلا تيره فارة بجياتهم الى اراضي فرانسارسمى المكان الذي
استقروا به منها باسم برنيطانيا نسبة اليهم حيث كانوا من اهالي برنيطانيا وكان مبدأ
استيلاء السكسونية من سنة ٤٤٢ ميلاديه ثم قسموا انكلا تيره الى سبع ولايات
تسمى باسماء اعيانهم ولكل منها امير ويرجع الجميع الى ملك وهو واحد منهم ونشأ عن ذلك
منزعات في هاتيك السيادة دامت بسببها الحروب الداخلية وعند ما فاز بها ملك ولاية
كنت احد السبع المذكورة دخلت في الاهالي الديانة النصرانية وذلك سنة ٥٩٦
وامتدت الهويان فيهم الى ان عمتهم وفي سنة ٨٢٧ زال استقلال سائر الولايات بدخولها

جميعها

جميعاً تحت تلك الملك واسبيكس وهو أغرب وهو أول مستقى حقيقة بالجميع وأول ملك
 لأن كلاً تير جميعاً من العائلة السكسونية ونوارثت الولاية أولاده وفي مدتهم هجم عليهم
 أهالي الدايمرك وعلموا أولاً عدة جهات ثم عمت ولايتهم لكنهم لم تطل واسترجع
 منهم الفريد الملك الأصلي من العائلة السكسونية بعض الجهات ثم عقد معهم صلحاً ومعهاهدة
 على الذب والاقدام واشترط عليهم الدخول في النصرانية ثم التفت إلى اصلاح البلاد من
 جهة التمدن ومن جهة القوات الحربية وأدمل جراحاتها ورقاها إلى أوج حسن ومع ذلك
 كان منكمباً على التأليف والترجمة فأفاد أمته فوائد جسيمة وفتح لهم باباً من الحرية حتى
 كان من جملة حكمه التي جرت عندهم مثلاً إلى الآن قوله يجب ان يكون الان كاي زحاراً
 مثل أوكارهم ومثل ذلك لقب هذا الملك بالفريد الكبير وكانت وفاته سنة ٩٠٠ ومن
 مشاهير ملوك هاته العائلة حفيد الملك كوراشامستان الذي أتم استخلاص المملكة من
 بقية الدنمرك ورفى قواته الحربية إلى أن رغب في موالاته غالب المملوك من أوروبا فبعد
 الصلح مع فرانسوا صاهر باخته ملكها وباخته الاخرى ملك المانيا ومن مشاهيرهم
 أيضاً الرضون المستولى سنة ٩٥٩ فإنه أبان القوات البحرية إلى درجة لم تعهد لهم في ذلك
 التاريخ حتى صارت سفنه أربعاً ستمائة سفينة وكان يتفقد بنفسه المملكة مرة في السنة وهو
 الذي قطع الذئاب منها كما مر آنفاً ومنهم أيضاً الملك اثير الذي كان سبب استيلاء
 الدنمرك على المملكة بقتله جميع من كان فيها منهم فافتتحوها بحرب وذرية ذلك منهم
 على ان كلاً تير ثلاثة ملوك أشهرهم الملك كوت الذي عم العدل والراحة حتى استطاع
 السفر عن الزياره إلى بابا في رومية وكتب إلى عماله بعثه بعثه إليه بما فيها من نذرت
 حياتي لله وأن لا أحكم في مسالكي الا بالعدل وأن لا أفعل في كل أمر الا المستقيم فان كان
 صدره مني وأنا في عنة وان شئ يبغى وعدم مبالاة ما يناقض ذلك فما أنا ذاقه عزمت بحول
 الله على تعويض ما فرط مني ولذلك أرجو وأمر كل من قلدته شيئاً من الامر ويريد
 خلاص نفسه وبقاء طاعته لي ان لا يظلم أحداً سواء كان فقيراً أو غنياً والتسوية بين الاشراف
 وغيرهم في انالة حقوقهم على مقتضى الشرائع التي يجب حفظها ولا يجوز لكم عن ذلك
 الخوف مني ولا تطلبوا رضاه الاشراف ولا الميل إلى علي عزرائلي المسالية فاني لأحب مالا
 جمع بظلمه وبعد وفاة هذا الملك ثارت الفتن بين أعقابها وأعقاب العائلة السكسونية
 إلى ان استولى منها اثنان في ترتيباً كاتمة واليه حتى انقرض الجميع سنة ١٠٦٦ وبينما
 كانت الاهالي في نزاع فبين علم كوه عليهم واذ اباد ادماء ولاية نورفندية التابعة

لفرانس اقدم عليهم وقهرهم جميعا واسنقرملا كما عا على انكلا تيره وعلى نور مندية
مع انهم حصلت له حروب في انكلا تيره جعلته على الانتقام بالقتل لاهلها وافساد الزرع
حتى نشأت عنه مجاعة مات فيها نحو مائة ألف نفس ثم نار عليه ابنه الذي خلفه في نور
مندية وحاربه وانصر عليه هو بعد موته خلفه ذلك الابن في كل من المملكتين مع حروب
دائمة فيه وفي خلفه حتى استولى هنري الاول من احفاده وحاربه فرانسافي عدة لويس
السادس عشر لاستخلاص ولاية النور مندية وغلما ونازع البابا في حق اعطائه ونظامت
الديانة واستقل هو بها مثل سائر اللوطائف ثم تعاقبت الثورات والحروب تارة داخلية وتارة
مع الولاية النور مندية في استخلاص نفسها وتزعج في التملك الى ان وليها هنري الثاني
أول العائلة البيلانجاينية وهو واسم حشيشة كانوا يصنعونها في فلانديسهم فسدت العائلة
بها وذاك سنة ١١٥٤ فاجعل هذا الملك حومه في ازالة تعصبات الجهات وأزال ما فيها
من الحصون وخضر شيئا من شوكة الاعيان وأجرى نوعا من التسوية في الحقوق فهذات
الحروب في مدته ومن مشاهير فروعها في الملك ريكادوس الملقب بقلب الاسد المتولي
سنة ١١٨٩ وهو الذي اشترك في حرب الصليب ثم أسر عند النمسا وفضاه أهله وقتل وهو
محاصر لاحدى القلاع في فرانسافولى أخوه يوحنا الموسوم باختلال العقل حتى تخسره
مستعجلات الانكليزي فرانسافوقتل ابن أخيه فمات عليه الاعيان والزموه بما يأتي
خبره وانتقلت حالة المملكة الى طور آخر

مطلب في تاريخ انكلا تيره المجديد اعلم ان مبدأ ظهور الحربية في جميع أوروبا
على الاصول المعروفة هي انكلا تيره ولذلك كانت هي أسبق ممالك أوروبا الى ذلك
وحصل فيما هذا الامر على نحو ما سيأتي ولهذا اعتبرنا ذلك فهو تاريخ جديد الى انكلا تيره
لانها استمرت على أصوله وزادت مراتها الى الابد وان اعتمدت في الايام توفقات
ومعارضات تارة تخضع شوكة القانون وتارة تزييلها لكن على كل حال قد نشبت أصوله
وأدركتها العقلاء ومترمتهم الى غيرهم الهوية اشأن الاصلاح في كل شيء (وحاصل
هذا البناء) ان الملك يوحنا وباقتهم جان ساثيرما تصرفات أضرت بالمملكة
والدولة تعصب اعيان المملكة وفرضوا قانونا وهو بانشر الملك كبير وأزموا الملك بقبوله
وامضائه والعمل به وذلك في سنة ١٣١٥ فلم يسمه الا العمل بذلك ولم يخص هذا الشرط
الكبير هو ان الملك التزم في حق نفسه وحق من يأتي بعده بنجح البحرية الى جميع الانكليز
وان فرض الضرائب على الامة لا يكون الا برضا مجلس مركب من الاساقفة ورؤسائهم

وأهل

وأهل المخطط المدينية والأعيان من الامة أصحاب العقاب البارون والكنية والمتوظفين في الدولة وان ذلك يجري أيضا فيما اذا اقتضى الحال جعل امانة مالية على مدينة اندره مع بقاء حريتها القديمة وان مجلس المحكم العام لا يلزم انتقاله الى حيث ينتقل الملك وان المكترين للأراضي لا يلزمهم العقاب المالي لاجل هفواتهم وانما يكون العقاب على الجناية ولا يؤخذ لاجلها الا بما يزيد على القدر الضروري للجاني وهكذا الباعة والسوقة لاتمس رؤس أموالهم ولا تعطل حركاتهم التجارية ولو بجناية وكذلك الغلاخون الذين تحت ساط الملك أو أصحاب الاملاك لا قوض عليهم ضمانت العقاب عند الذنب الا بقدر الطاقه بحيث لا تعطل أشغالهم وان جنائياتهم المرزومة لذلك لا تثبت الا بشهادة اثني عشر نفوسا ممن يرضون للشهادة مع العيدين وان يبطل عمل التفسير بأخذ ذميوانات الاهالي وجنالاتهم لمحل انتقال الملك وان يتخذ عيار السكيل والوزن والقياس في سائر الاماكن على عيار لندره وان لا يمس حق الانسان مطلقا في كل ما يرجع لذاته وماله وعرضه ولوهن الملك الا بقتضى القانون وحكم المجلس به وان لا يمنع أحد من السفر الى أي مكان اراده برا وبحرا ولا يمنع من الرجوع متى اراد مع التزام الطاعة على مقتضى القانون (الخ) فن تأهل ما يخصناه من ذلك الشرط يعلم ما كانت عليه الحال سابقا بقاها بما نقض الشرط والمشار اليه انتم حاف ذلك الملك ابنة هينري الثالث ودام في الملك خمساً وخمسين سنة مع كونه غير جدير بالانصراف وانما أعضاء بقائه العمل بذلك الشرط وزاد تأكيده بالقانون المسمى بتقرير اسكفور دنس. بة الى البلاد المنعقد بها او لخصه ان مجلس البارلمان أي مجتمعة البارونات هو الذي يعين المتوظفين والحكام الذين يتبدلون في كل سنة ويجرس قصور الملك ويجمع ثلاث مرار في السنة ويبقى في بقية السنة لجنة منه مركبة من اثني عشر عضواً يتفاوضون دائماً مع مجلس الملك ويوافقون في كل مقاطعة أربعة أعضاء لقبول الشكاية من الأعيان والمتوظفين ويعرضونها على البارلمان عند أول اجتماع (الخ) ثم ولي ادورد الاول المقلب بذي الساقين سنة ١٢٧٢ ودخلت في مدته اباله والس تحت انكلا تيره وولد ابنة بها ولهذا صار لقب ولي العهد برنس والس ورنس دي قال نسبة الى الى المكان المولود به من الاسمين المذكورين ثم ولي ابنة ادوارد الثاني سنة ١٣٠٧ بعد حروب طويلة في مدة الملكين أفضت بالثاني الى الموت في السجن واستولى بعد ابيه ادوارد الثالث سنة ١٣٢٧ وهو ابن اثني عشر سنة وهو المبتدى لحروب المائة سنة مع فرانس بدعوى استحقاقه تاجها لانه من ذرية البنات الاقرب من فليب غاروا ملكها

(٢٨)

واسم تولى على كالى وبردو وبايون مع مستبعماتهما من فرانسابعده حروبها دولة وفي مدته
 ظهر مذهب البريتسمات الذى انتشر فى انكلا تيره من رجل فاسقى متدين بالنصرانية
 ولازال يتقوى فيه - ثم ذلك المذهب والحروب مستمرة نارة للديانة ونارة لجور المولى الى
 أن استولى الملك هنرى الرابع سنة ١٤٠٠ وهو أول العائلة المسماة لانكسترسية
 الى ذلك ولاية تسمى بذلك الاسم ودامت الحرب فى أيامه الى أن خلفه ابنه هنرى الخامس
 سنة ١٤١٣ الذى جمع تاج انكلا تيره وفرانسافتحاه للأنانية وعند موته تنوج
 ابنه فى حضن مرضته بمدينة باريس بالتساجين معالانه ابن تسعة أشهر و لقب به هنرى
 السادس غير انه ضيف أمره بانقياده لامر زجته عنده دشمو بيته فاقسمت انكلا تيره الى
 قسمين أحدهما تابع لهذا الملك والآخر لماثر من العائلة السابقة واتخذ الأهالى شعارا
 دالا على التبعية فأتبع الملك شعارهم وردة جراه والآخرون شعارهم وردة بيضاء ولهذا
 تسمى حروبهم تلك التى دامت ثلاثين سنة بحروب الورد وخرجت فى مدتها فرانساف
 واستقلت وكشفت الحرب عن رجوع الملك الى العائلة السابقة فكاندو فقطاع من الملك
 ادور الرابع الذى تسبب فى ذلك ولم يطل الملك فى عقبه عند وفاته سنة ١٤٨٣ وغايته
 انقراضه من ابنه الصغير الذى نحت وصاية عمه فاغتتم العم الامر الى نفسه بقتل الموصى
 عليه وأخيه معا واستمدده سنة ١٤٨٥ متلقيا بهنرى السابع وأشهر ما أثره تأسيس
 ادخال أواسط القوم فى ادارة المملكة بان ينتخب الأهالى منهم ثم نوابا فى مجالس للمفاوضة
 فى مصالحهم وأن لا تشمرو حرب الا بعد تعذر اطفاؤها ولو بتوسط أجنبي وسلم لفرانساف فيما
 بقى لانكلا تيره بها من اياالة برنيضايا بعوض قدره أربع مائة الف ليره واغتتم من الاموال
 خزائن عظيمة حتى قيل انه خالف فى خزائنه الخاصة عشرة ملايين ليره وارثى الى ملكه
 بعده ابنه هنرى الثامن سنة ١٥٠٩ وكان شديد البطش لكنه نفع المملكة
 بالاصلاحات التى اجراها وهو أول من مذهب بالمذهب البريتسمات وتعمص له حتى
 أمر بقتل كل من لا يقبله وفى مدته دخلت ارلانده تحت انكلا تيره وصارت مملكة واحدة
 وعلى عكسه ابنته المتولية بعد أخيها وهى مريم حتى لقبت بالدمويه لقتلها أهل ذلك
 المذهب بل حرقتمهم ايضا وخصدت شوكة القوانين ومجالس البارلمان بعزلها من
 طرحتها وتولية من يوافقها او خربت مدينة كالى من فرانسالحار بتم اياها انتصارا
 لزوجها ملك اسبانيا ثم لما خلتها أختها سنة ١٥٥٨ رفعت الاضطهاد الدينى وزاد
 مذهب البريتسمات انتشارا المسائل الاهالى من الحورية فى سائر اطوارهم وحصلوا على

درجات

(٣٩)

درجات من التقدم بالصنائع والمعارف من هاجرايهم من المائيا و فرانسوا وغيرهما من أهالي المذهب البرتيسمانت لما وجدوا هناك حريتهم من القتل لهم في أوطانهم وفي مدتها عرف الشاي عندهم وعرفت الساعات وفي سنة ١٦٠٠ تشكيات لجنة الهند التي تقدم بيان أعمالها في المقدمة وحيث لم يكن لها وارث عهدت إلى أحد قرايتها وهو ملك اسكوتسيا الملقب بحس استوارد وبه اتحدت الحكا وهو اول طائفة استوارد استولى سنة ١٦٠٣ وكانت أيامه على نوع من التقدم لانفقته من المحروب وكادى مدته أن يحرق مجاس البارلمان من فيه بدسائس السابا فوضع تحتها لغم ليكنهم تنظروا له وولي بعده سنة ١٦٢٥ ابنه كارلوس الاول وتفاقم الخلاف بينه وبين الأمة في حدود سلطته اذ أراد أن يبقى مجاس الندوة المسمى بالبارلمان صوريا وهو يتصرف كيف يشاء ويحمل المسؤولية على الجاس لاختضاع الأمة وتبرئة نفسه فلما عارضه الجاس عزل أعضائه وانتخب آخريين لكنه كان كلما انتخب اناسا كانوا على غمط سلفهم في معارضته حتى تفاقم الخلاف واشتد الحرب بين الأمة والملك وكان من خزيه أغلب الاعيان وكبراء البيوتات لما بهم من الخبط من اطلاق الملك لانه كلما اطلقت يده اطلقت أيديهم أيضا فاحفظ بقية من يبل يكون لهم منه القسط الا وفر حيث ان كلا منهم يجتهد في خصوص مرضات الملك وحواشيه بتي من التماق والتعظيم الباطل الذي يسخر منه العاقل ويضيف الى ذلك جزء من الاموال التي يذهبها رشاء لأولئك الافراد ثم يطلق عنان شهواته في ملايين من الناس على حساب ارادته يستعوض منهم كلما دفعه من المال والاعمال بل ورعبا أنفذ اغراضه في أقرانه لما وقع بينهم من القحاسد والتشاحن فها هو الا ان يرضى تلك الشرذمة وينتقم من ضده بالقتل على أوجه لا تخصي منها الجمهورى بدعوى من الزور وحكم بحال صورية تلحق ما تقول من الليل ومنها السرى بالقسم وغيره من أنواع الغدر او يحصل التنكيل بدون القتل كالتهريب والسجن مع ائمة المال كل ذلك باحتيالات صورية على ظاهر الاعيان ليقال انهم لم ينتقضوا القوانين حتى لا تثار العامة وأما متولى كبريخوب الأمة فهو والبعض من الاعيان والكبراء وجهورا لوساطة الرعايا فاما الباعث لهذا الجمهورى على ذلك فهو واضح لانهم هم موضوع الاغتيال الواقع فيه المنافسة وقد كانوا علموا من السابق ما كانت عليه حالهم ثم ما آلت اليه بعد تأسيس القوانين والاحتماس بعلمها وأما الباعث لبعض الاعيان والكبراء فربما اشكل مع ما قررناه في حق اغابهم لكنه في الواقع بين وهو ان هذا القسم

(٤٠)

ها قبل ينظر في العواقب ولا يستعنى بالعاجل عن الآجل فعمل ان الزنقات التي تحصل
 بالتسلط لا تدوم لانها ما تسلمت الى انقراض الامة وضعفها فتتهم عليهم امة اخرى قوية
 وتصيروا تلك الاعيان كالسوقة (كما قال تعالى) وجعلوا امة اهلها اذلة وكذلك يفعلون
 وزعموا ضد السوقه وهم الجهور ذلك المهاجم للاستراحة مما هم فيه وايضا فان تلك
 الزنقة التي يحصلونها اى الاعيان بتسلطهم مع قلة مدتها هي في نفس الامر غلبة برهنية
 لعدم الامن معها وعدم الاطمئنان عليهم الما اشرفنا اليه من كونها موقوفة على رضا
 شخص تتلاعب به اهووا حاشيته والمقر بين اليه لمجرد اغراض شهوانية وبضحوامعها
 عرضة للاضحية متى ما اراد الملك فلا يامن بالمقرب من طبيعة الملك المفسدة للاخلاق
 فربما غضب عنه مقربه اليوم لشيء كان يرضى به عنه بالامس وايضا الايمان ديب
 سميات اقرانه وحساده الغافلين عن كونها تجرى عليهم مثلما جرت على صاحبهم كما قيل
 (من حلفت بحبة جازله فليسكب الماء على محبته) ولهذا انضم القسم حتى عقلاء حاشية
 الملك والبعض من رجال الدولة اذ يتقنوا انه لا خير لهم في نعيم لا امن معه لاعلى الدم ولا
 العرض ولا المال ولا الحرم ولا الذريرة فإى نعيم يحصل لهم وهم على شفا جرف هار وكان
 مقدم هذا الخبر رجلا من اعيان الميتونات اسمه اوليفر كروم ويل ذابطة في المال
 والعقل والشجاعة ووجرت حروب هائلة كشفت عن خلع الملك وحبسها ثم قتله بحكم
 مجلس على انه خائن للامة واستولى اوليفر رياسة الدولة بعد ان تاقب بجنرال وكان يوم
 دخوله بالعسكر منتصرا الى لندره تلقاه الجم الغفير بالهناء والترحيب فقيل له ألم تر هذا
 الاحتفال من العامة بك ايها المحامي عن انك لا تيره وجعل ذلك لقبه فقال ان هؤلاء
 الرعاع لا يلتفت لالى تعظيمهم ولا الى تحقيرهم فهم تبع للغالب اذ لو كان هذا اليوم
 اخرجت فيه الى القتل لكانوا خرجوا الى النفرج على مثلما خرجوا الى لقاءى السن وبه
 يعلم ان تلك الخلة جارية في سائر الامم على السواء اذ هاته امة الانغيز التي قيل في المثل فيها
 يجب ان تكون حرة مثل افكارها قد قال فيها زعمها المذكور ما سمعت ببقية الدولة
 الانغيزية جمهورية بضع سنين الى وفاة الجنرال المذكور واستيلاء ابنه من بعده
 واستتمه في مدة قليلة فأرجعوا ابن الملك السابق سنة ١٦٦٠م لقبوه بكارلوس الثاني
 وعارض على نحو ما كان يريد ابوه ونوق سباج القانون باستمداده على البرلمان متمسكا
 باقامة خمسة من اكابر الاعيان لندبير الامور وانفاذها بدون مراجعة الندوة وحارب
 هلا يندو وأخذ منهم مدينة نيورك من امر يكاشم عقد معها ومع السويد بمحالفته على

فرانسا

(٤١)

فرائسهم اتحد مع فرانس على هالاند ثم خضع للندوة وبقى مضطربا الى ان مات وخلفه
 اخو جيمس سنة ١٦٨٥ فزاد الامراتيا كان ايشارد لاند ذهب الكاتوليكي الى ان خلع
 وتودى باحد امراء هولانده لتزوجه بابنة ملك انسكلا تيره الاسيقي ولقب بويلم الثالث سنة
 ١٦٨٩ فاحيا اجراء القوانين وتبع اشارة الندوة وارتاح في نفسه حتى لقب بالصيد
 لاشتهاله براحته وحميه الا نفرد بما هنئت به السياسة وذاته والمهاتكة وزادت الندوة
 احكاما في شروط القوانين منها ان لا يتولى الملك الامن كان على مذهب البروتستانت
 واحتاجت الدولة الى اموال لاصلاح داخلتها في ايامه فاستقرضت من الاهالي رهراول
 دين على الدولة وتشكل لاجله بنك انسكلا تيره اى محل اجتماع الاموال من اناس كثيرين
 لاجل التمركة في التجارة بذلك المال او لاجل ان يقرض المال على شروط وذلك البنك هو
 المعروف الى الآن وذلك سنة ١٦٩٤ وهو ليل على اجراء القوانين بعدم غصب الاموال
 من الرعية وترقت المملكة في ايامه بالصنائع والمعارف بزيادة من هاجر اليها من فرانس
 لمثل ما وقع سابقا من الاضطهاد المذهبي ثم خافه المملكة يوحنا سنة ١٧٠٢ وفي مدتها
 استوات انسكلا تيره على جبل طارق من اسبانيا واشتدت الحرب مع فرانس وكان معاضد
 الفرانسايين ورواسبانيا ولا انسكلا تيره النمسا وهولانده ثم انقضت العائلة بموت تلك
 المملكة اذ لم يكن فيها من تتوفر فيه الشروط فنادى الاهالي باحد قرابة العائلة وهو امير
 الهانوفر من المانيا ولقبه جورج الاول سنة ١٧١٤ وهو اصل العائلة الموجودة الآن
 واستقر امره بعد حروب مع فرانس الارادتها اتمليك ابن من العائلة السابقة كاتوليكي
 وبعدها ستقرار جورج المذكور لم يسكن في انسكلا تيره وانما لازم بلاده والتصرف
 بيد الوزراء والندوة ثم خافه ابنه جورج الثاني سنة ١٧٢٧ ونشأت في مدته عدة حروب
 منها الداخية لاجل الملك من بقايا العائلة السابقة ولم ينجحوا (ومنها) الخارجية واعطها
 مع فرانس حيث كانت الحرب قائمة بين ابروسيا والروسيا وانما لاجل الاستيلاء على
 بولونيا وكانت فرانس اضداد ابروسيا معاضدة لخصمها فالتقت انسكلا تيره بروسيا لاجل
 زيادة اشغال فرانس فاحتاجت فرانس لاجاب قوتها من مساعدها ابا مار بكا لتقوية
 نفسها في اوروبا وعند ذلك هجعت انسكلا تيره على مال فرانس من امريكا وضعتته الى
 تملكها حتى صار لها اذ ذلك جميع مالها الا ان في اماريكام جميع المال المتحد
 الا ان ذلك بعد حروبها عائلة ثم خلفه ابنه جورج الثالث سنة ١٧٦٠ واستقلت في
 مدته امريكا اعنى الدول المتحدة وذلك لان دولة الانكرايز لما امتدت اولا كم هناك

(٤٢)

وتكاثر في الخلق المهاجرون اليها رغبة في الغنى لما فيها من المنصب واتساع الاراضى الجديدة فتبنت الدولة تلك المماكلة الى ولايات وجعلت عليهم - مولاة انكايير بينهم احق باهم مستبدين في التصرف ففحش ظلمهم للاهالى فاشتكروا منهم الى الدولة وبيدوا لها اعمالهم فمزلتهم واولت ولاية من الاهالى بانتخابهم غير ان الانتخاب لم يكن حقيقيا بالرضى ولذلك اقتفى هؤلاء الولاية اثراسه لافهم فتمكن الحقد على الدولة ثم انها زادت عليهم الضرائب لمساوات من غناهم فنفروا منها حتى منعوا بالجبر مع اظهار الالاسه ترطام ان تجرى فيهم ضريبة الورق المحتوم في صكوك الحج فساعدتهم الدولة لتركها اجاثهم غيرها فمقدوا جمعية سرية واعلنوا الحرب بالاستقلال تحت راية الجمهورية سنة ١٧٧٦ واعانتهم مفرانسا واسبانيا وهولندا لمساعدتهم على انكلا تيريه من الضغث المحررية ودامت الحرب الى سنة ١٧٨٣ التي عقد فيها الصلح بباريس على ان ترجع انكلا تيريه الى فرانساراضى سانيفال بافريقيقا وترجع الى اسبانيا اقليم فلوريداني امرىكا وعلى ان تسقط الاملاك المتقدمة بامريكا الشمالية وتكاثرت المحروب في مدة جورج الثالث المذكور مع فرانسوا وغبرها سيماس مع نابليون الاول واشتهرت اذذاك انكلا تيريه بالقوة البحرية والمهارة في حروبها البحرية لما اظهره الاميرال نيلسون من البراعة والشجاعة في مواعيد المتجاوزة على المائة ونيف واقعة واشتهر بها هجومه على حصون كوفينك قاعدت الدانيفيرك مع ان القسم الكبير من الاسطول لم يدخل معه الى المضائق وانفرد بعين تحت امرته من الاسطول وعند ما رآه الاميرال الكبير قد فقد الربع من سفنه اشار اليه بالرجوع وكان هو اعور فلما اخبير بالاشارة جعل النظارة على عينه العوراء وقال انى لم ار شيئا مما تقولون وزاد في الهجوم الى ان غاب عدوه وأجرى شروطا من انصاره ومع هذا الانتصار حكم عليه المجلس الحربى بالعقاب لفخا القنة الامرو قد مات ذلك الاميرال في حرب سنة ١٨٠٥ ضد فرانسوا واسبانيا وكانت سفنهما الاربعة وسفنه سبعة وعشرين فاقتربت من سفينة سفينة فرانسوا وبقوا قبوا فخصه الى ان اصابوه برصاصه نر منها للفتزع وكان ينتظر البشارة بالانتصار وريدع ونائبه قبل الموت فسادخل تاليه الاربعة قريب من ساعة مبشرا بالنصر فقال كم غنمنا من السفن قال اظن اربع عشرة وخمس عشرة لاني لم اتمالك عن القدم اليك عند موت النصر قبل عدوها فقال لا لكنى كنت اشترط على نفسي ان تكون عشرين ثم قضى نحبته وقد دام الملك جورج الثالث في الملك ستين سنة لكن كان في اغاها لا يتصرف في شئ بل لا يدرك شيئا من مصالح الملك لا اختلال في

عقله ولذلك جعل له ابنه ولي عهد نائباً عنه في حدود سنة ١٨٠٤ ثم توفي ذلك الملك سنة ١٨٢٠ ومع ما حصل في مدته من خروج الممالك والحروب فان انكلا تيره تعدت فيها خطوة وسيرة في التمدن والاعتبار والقوة حتى وصلت الى الذروة القصوى فاجتهدت في ظرف أربعين سنة مائة وخمسة وستين ترعة وتكاثر فيها معامل القطن والصوف الفاخرة حتى راجت ساعاتها على سائر ما في غيرها الرخاء واتقانها واكتشفت واستمكت اوسراليا وغيرها وتقدمت فيها المعارف والتأليف الى نحو ما هي عليه الآن واستفادت حكمها السياسية علمتها كيف تدير مستعمراتها الواسعة في سائر أقطار العالم وحصلت على نجر النصر على نابليون وغيره واستتبت الادارة القانونية بغير نزاع ولادسائس ولذلك صار يضرب المثل عندهم بان حرية الانكليز انما هتفوا بها في مدة ملكهم المجنون وخلفه ابنه جورج الرابع وفي أيامه وقع الغدر في اسطول الدولة العثمانية من اسطول انكلا تيره المنترس على اساطيل الدول في تظاهرها على طلب تسليم الدولة العثمانية للدونان بالاسـ تقلال فن غيرا عن الان بالحرب لها تخلفت الاساطيل ما بين اسـ طولها المركب من سفنها وسفن مصر وطرابلس وتونس والمجزائر وهم على اطعمته ان السلم والامن وأطلقت عليهم الذيران دفعة واحدة بحيث لم يبق منهم باقية قدر او شعاع لا تنجى ومرة لا تزال على خصوص الانكليز لانهم هم الذين يدهم امرة جميع الاساطيل الدولية وعندما سمعت الندوة الانكليزية بقضاء الواقعة هاجوا وما جوا وطالبوا محكمة رئيس الاساطيل وحكم عليه بحبس جزئي بالقتل مع دفاع وزير البحرية بكل ما يمكن من الاعتذار وتغيبق دعوى بان احدى السفن العثمانية اطلقت النار عليهم ولم يجد كل ذلك شيئا وعندما تحقق الرئيس المحكم عليه بالقتل اسرالى وزير البحر بان التـ ذكره التي بغطه في الامر بحراق الاسطول العثماني قد نسي أن يحرقها معه مثل ما أمر (وحينئذ) تحول المجلس الى جلسة سرية ثم اطلق الرئيس وسيأتي في الكلام على الدولة العثمانية الباعث على ذلك التحامل على المسلمين وما آله الدباغة وان سياسة الدول الكبيرة في الخارج ليست كسياساتهم في الداخلية ثم ورت الملك ويليم الرابع سنة ١٨٣٠ وزاد القانون في أيامه تخصيصا ونفوذاً وأول سكة حديدية أنشئت في اول سنة من ولايته وألزمته الدولة عتق العبيد في الهند وعوضت اصحابهم بأثمانهم وكانت نحو عشرين مليوناً ليرة واحدة بدت انكلا تيره على عتق العبيد في سائر الاقطار ترغيباً وترهيباً لاهلها ولا زالت على ذلك الى الآن ثم

(٤٤)

ورثته المملكة فيكتور يانسن ١٨٣٧ وهي المملكة الحالية وأعانت الدولة العثمانية على إخضاع مصر واسترجاع الشام منها وعلى حرب القرم فخاربت روسيا وآلت الحرب الى معاهدة باريس وحاربت الصين بالاتحاد مع فرنسا وأخضعت الهند من الثورة الهائلة بمعاوضة أفغانستان وخرج الهندين وقتئذ من تحت الشركة التجارية الى الحكومة السياسية كما مر في المقدمة وتبعت بامبراطورة الهند ثم استولت على الافغانستان ثم جعلتها مستقلة تحت نظارتها بعد أخذ أجزاء منها وحاربت الزولس من بلاد الكافر بأفريقية ثم صارت تلك المملكة تحت نظارتها وتدخلت في حرب الروسيات مع الدولة العثمانية عند عقد الصلح الى أن أفضى الى معاهدة برلين مع زيادة التقدم والغنى في داخلية المملكة الانكليزية

* (مطلب في السياسة الداخلية بانكلا تيره) * (اعلم) أن السياسة المستقرة الآن كان استنباطها سنة ١٨٣٢ وأما أصولها فقد عديت حسبما أشرنا اليه في التاريخ وهاته السياسة مبنية على اعتبار تسلط الملك ونفوذ الاعيان واحتساب الاواسط من الناس فكل من الساطات الثلاثة مرتبطة ببعضها وينتج منها ادارة المملكة مما يرضى الجميع ولا يتجاوز كل منهم حدوده مما يضر بغيره ولهذا كانت قوانين الانكليزية على نوع متغير لبقية ادارات الاروبارين من حيث الاشتراك في السلطة وعدم التساوي بين طبقات الرعية في الاعتبار ونيل الرتب مع انالة الرعية غاية الحرية والامن وتفصيل هاته الادارة ومحل ارتباطها وانفرادها قد تكفل به كتاب اقوم المسالك في معرفة احوال الملوك الخبير الدين باشا التونسي بما يفيد عجائب أطوارهم واصطلاحهم فليرجع اليه من أراد البيان وانما تقتصر هنا على الامام بكليات الادارة (فئة قول أما القسم الاول) من ذوى الساطة فهو الملك وله حدود مضبوطة بقوانين من أهمها ان الملك وارث في ذرية الملك الذي هو من عائلة الها نوفر من البكر الى بكره والا نسي تستحق ذلك على شرط أن لا يوجد لها أخ ذكر ولا فهو أحق بالتقديم وان كان أصغر منها (ومنها) التزام مذهب البرتيسمانت (ومنها) اذا اقتضى هذا التورات ان حاز التاج الانكليزي من له ملك أو أرض بمملكة أخرى فان الامة لا يلزمها الدفاع عن ذلك مثل ما يلزمها عما يرجع الى انكلا تيره ما لم ترض بذلك الندوة (ومنها) ان رياسة الديانة للملك بحيث يوظف مناصبها مثل ما يوظف المناصب السياسية (ومنها) رياسة سائر القوات والصلح والحرب الى غير ذلك مما مر في ملك ايطاليا (ومنها) تاقبه بملك برنيطانيا العظمى وامبراطور الهند حتى يقول في

طالعة

طالعة مكاتبيه الرسمية ماصورته فلان بنعمة الله ملك المملكة المتحدة من برنيطانيا العظمى وارلانده وامبراطور الهند محاميا عن العقيدة المخ والنقيب بامبراطور الهند حدث سنة ٢٩٢٢ بالتفاق المجلس وقوله محاميا عن العقيدة إشارة الى رياسته الدينية (ومنها) ان اجراء كل حق للملك في التصرف انما يكون بواسطة رؤساء متوظيفيه وهـ م رؤساء الاساقفة والوزراء (وأما القسم الثاني) وهو سلطة الاعيان فهو لواء الاعيان هم الملقبون باللوردات وبالقرناء وسيأتي في مبحث العوائد خصصياتهم وامتيازاتهم والذي يتعاقب بهم هنا انه يتركب منهم م مجلس اللوردات المشتمل (على) رؤساء الديانة (وعلى) عائلة الملك (وعلى) سائر لوردات انكلا تير (وعلى) سبعة عشر لورد من لوردات اسكوتسيا (وعلى) أربعة لوردات من لوردات ارلانده ولوردات المملكة المتحدة الاخيرتين ينتخبان من أمثالهم م في أقاليمهم لذلك المجلس لمدة حياتهم ويناط به هذا المجلس سائر الاحتمساب على التصرفات وانشاء القوانين وتغيير العادات والحكم في المتوظفين بحيث لا يصدر عن الدولة شئ الا برضائه وليس لاعضائه هذا المجلس مرتب وعدهم غير محض وراسم قديما لغون زهاء خمسة مائة ولاعضائه اعطاء الرأي فيه بالمباشرة أو بارساله مع أحد أمثالهم كتابة والوزراء ينتخبون من هـ هذا المجلس ومن النواب والملك انما ينتخب رئيسهم فقط وهو ينتخب بقية الوزراء كما في بقية أوروبا وعدد الوزراء تسعة الرئيس وهـ ووزير المال في الاغلب ووزير الخارجية ووزير الداخلية ووزير الهند ووزير المستعمرات ووزير رياة المجلس الخاص ووزير الحرب ولورد قاضي القضاة وهو رئيس مجلس اللوردات وموظف المحاكم القانونية ولورد المحاسبات وهو لواء الوزراء هم المباشرون اسائر أعمال الدولة بعد اذن الملك وليس له مخالفتهم الا اذا واقفته أغلبية الندوة فحينئذ يستبدلهم بغيرهم م وهو لواء الوزراء يضم اليهم الملك أعضاء من بقية اللوردات فيتمش كل منهم مجلس الملك الخاص ورؤساء ادارات الوزارات ولا يزيد مرتب الوزير عن مائتين وخمسين ألفا فرنكا في السنة (ومتهم) من له شمس ذلك فقط ووظيفة هـ هذا المجلس الخاص التدبير في اجراءات الاعمال كما ان من حقوق الاعيان ان يكونوا هم محكام الولايات كل ولاية حاكمة من لورداتهما وليس للملك عزل أحد منهم من مرتبته اللردوية (ومتهم) أيضا أعضاء المجلس العلياني في الولايات التي لها التصرف السلكي

وَأما القسم الثالث وهو سلطة الاواسط فـ فهي بانتخاب الاهالي منهم نوابا عنهم

(٤٦)

لمجلس النواب للاحتساب على تصرفات الدولة وحماية حقوق السكان وما يـ تقرر عليه رأيهم - م يجرى اذا وافقهم مجلس اللوردات كما انه يسوغ للملك أن ينتخب من هذا المجلس رئيس الوزراء وله هذا انتخاب بعض الوزراء من بقية أعضاء هذا المجلس ومدة انتخابهم لأعضاء المجلس سبع - سنين وشروط العضوان يكون وجهها غير محكوم عليه بما يشين العرض ذ ادخل من أملاك في المملكة غير منقولة يبلغ مائتين وخمسين فرنكا أو صاحب معارف له اجازة فيهما من المدارس العلمية واه - ذا اختص هذا الاحتساب بأواسط الناس ولم يكن للأسافل فيه حظ وعدد أعضاء هذا المجلس بحساب واحد على العشرين ألف نسمة من السكان فكان عددهم - م يتردد في زهاء سبعمائة ومجموع هذا المجلس مع مجلس الاعيان هو المسمى بالقمة مرة أى الندوة وعلمها مدارس الأعمال في الداخلية والخارجية ومن أصر لها أن ميزان المال ليس بمحدود على حالة واحدة دائما بمعنى أنه اذا كان الدخل الموضوع يوفى بمصاريفها للسنة ويفضل منه ببقى الفاضل في الخزينة أو يشتري به من ديون الدولة واذا كان لا يوفى يتراد في الضرائب إلى أن يقع التسديد كما هو جار في الدبل الاخرى بل ان قاعدة الانكنايز هي جعل الميزان في كل عام بحسبه فينظر إلى مقدار اللازم من المصاريف وعلى مقتضاه يجعل الدخل بحيث لا يكون للدولة فاضلا ومن الاصول أيضا اعطاء الحرية لكل فرد وجماعة في ملكيتهم بأن يتكلموا في السياسة العامة والخاصة وتصرفات المتوطنين مطلقا وعلان آرائهم بالقدرح أو بالمدح في الصحف وفي مجامع الناس ولهم الاستدعاء إلى الاجتماع ولو اجتمع ملايين من الخلق من غير أن يتعرض لهم أحد بشئ ومن الاصول أيضا التي استقرت الآن أنها تنشأ في الأمة حزبان (أحدهما) يسمى حزب المحافظين يعني أنه يريد التحفظ على القوانين الموجودة والمجرى عليها في الداخلية والمساعدة على كل ما يساعدها في الخارجية وأن لا يتغير شئ الا ما تدعو اليه الضرورة (والحزب الثاني) يسمى بحزب الحرية يعني أنه يريد زيادة اطلاق الحرية في الداخلية وفي كل الممالك ويساعد على قطاع عوائق الحرية في أى جهة كانت بما تقتضيه حال الانكنايز ولكل من الحزبين زعماء مشهورون بما يقولون ويكتبون للاشتهار وتشتمل عليهم الندوة ومهمامالت أكثر يتها لا فكار أحد الحزبين وجب أن تكون الوزارة مركبة من أعضاء ذلك الحزب فلا تزال تتداول الدولة بينهم ومن لازمه أنه كلما تغيرت الوزارة يتغير معها اسائر المأمورين الذين عليهم مدار الأعمال ولهم من علائق ذات الملك فان كاتب

سرور حواشيه الذين يخدومونه فيما يتعلق بتصرفات الدولة يلزم تبديلهم أيضا مع
 الوزارة خشية من افشاء أسرارها الضدها ومن الوشاية أو التراخي من جهة ما يتعلق بالملك
 مما يضر بالأجراء ونشأ عن هذا عدم ثبات السياسة الخارجية على طريق واحد أعني
 في الأجراء لتبديل المنهج بتبديل الوزارة وان كانت كل وزارة تواتر على أصل ما أسسته
 سابقته ولكنها انصهر به معنى لا يلائمها فلا يحسن الاعتماد عليه من الخارج ومن الأصول
 أيضا أن الخدمة العسكرية لا يدخل اليها بالانصب أو بالقرعة وانما هي بالاختيار لمن
 يرغب فيه ولهذا تجد في مساكر الانسكيز في الحرب كثير من الجانبين في
 المال الذي يبذل اليهم هذا اذا كانت الحرب خارج المملكة أما اذا هاجم العدو المملكة
 فيجب على كل الأهالي الدخول في سلك العسكرية على قانون لهم في ذلك حتى ان النساء
 أراد بهن الدخول في ذلك والفرن فرقا للتعلم وكذلك العساكر اللازمة لحراسة المملكة
 يدخل اليها بالاختيار وهي عدا الضابطيه التي تلزم أهالي كل جهة ومن أهم أصولها
 أن لا ينتخب اليها الا العفيف المرضي الشهادة حتى يكون كلامه حجة على الجانبين وذلك
 من الأصول العامة في أوروبا وبها تيسر استقرار الراحة لان حراسة الضابطيه وفودهم
 من أهم الوسائل الفعالة فهي أهم ما يعتنى به من أصول الانسكيز أن لا يتولى
 الراتب السامية في الدولة الا من كان على مذهب الكنيسة البرتستانت فتأمل في هذا
 مع ما أتى ان شاء الله في أحوال تدانحهم في بلاد الاسلام بدعوى الحرية ومن عاداتهم
 قبول جاء العلية منهم والاعيان في توظيف معارفهم وأقربائهم اذا كان فيهم شيء من
 الأهلية مع أنهم حال غيره وان كان أحق من المقدم ومثل ذلك الرتب العسكرية لا تنال
 الا للاعيان والعالية والافراد العسكرية لا يستحقون ذلك مهما فعلوا غير انه قد دخل
 منذ سنة ١٢٨٩ هـ ١٧٧١ م ابطال اشتراء الرتب العسكرية من ملازم الى أميرالاي
 بامر من المملكة حيث أن أصل انشاء ذلك كان بامر من الملك لا بقانون وانما كان لذلك
 كثير من فترتهم لكن المصلحة قامت فصارت الرتب العسكرية مكتسبة بمطابقة التنال
 الا بالاستحقاق في المعرفة وبها هذا التغيير العسكري يعلم بالملك من الساطة وان خالفه
 الذموة بنسائه على حق قدسهم له مع مواثمة الوزارة اليه
 بمجتمعات ادارة الولايات قد تقدم في صفة برنيطانيا أيضا أنها تنقسم الى تسعة ومساكين ولا يه
 فه انه الولايات فيها مدن ذات خصصية بالامتياز بالشرق حسب عوائد قديما ومدن
 كبيرة استعقت بكثرة سكانها ان تسمى عضوا او أكثر في الذموة ومدن يسكنها ملوان

(٤٨)

من كبراهديانتهم ومـدن وقوى خالصة عن الامتيازات المذكورة (فاما) الانواع الثلاثة
الاول فان لها ادارة خاصة لا تدخل في عموم الولايات التي هي بها (وأما) النوع
الرابع فهو مشمول بادارة عموم الولاية (والحاصل) في ادارة عموم الولاية هو انهارا جمعية
الى الوالى العام على الولاية وهو احد لورداتها المحصل على عضوية النـدوة ينتخبه الملك
لذلك وليس له مرتب على هاته الوظيفة وهو ينتخب اثنين من اهل ولاية لـتـه الاعيان
ايضا لعاتته ويوظفهم له الوزير الملقب بقاضى القضاة وليس لهم مرتب ايضاً ومـدار
أعمالهم حفظ الراحة ورياسة العساكـر المحافظة والنظر فى الاعمال العسكرية
ولهم ايضاً مرجع الاحكام الشخصية والنظر فى مصالح الولاية الادارية وحفظ
الطرق وانشائها الى غير ذلك من المصالح كما تفرد البلاد المتأخرة من الاصناف الثلاثة
المشار اليها سابقا (ومنها) مدينة لندن بان يكون لها شيخ وهو ورئيس المجلس
البلدى الذى اعضاءه من الاهالى المنتخبين منهم والمجلس ينتخب رئيسه من أحد
اعضائه كل سنة ولا مرتب له ولهاته المجلس البلدى يرفع جميع المصالح المتعلقة
بالبلد ومنها ادارة الضابطة ولا تدخل للدولة فيها شئ وعلى رؤساء هاته المجلس ايضاً
الاحساب على كفية انتخاب اعضاء مجلس النواب فيما تحت نظرهم لىكى يكون
الانتخاب موافقا للاصول وهو الذى يرأس جمعية الانتخاب ويتصرف فى الاحكام
الشخصية كتصرف قضاة الصلح الا تـتى بيانهم ويوم تولية رئيس هذا المجلس
المسمى بشيخ البلدى يكون فى لندن موكب حافل من أعظم المواكب وله من الاحترام
والتوقير كما لا حد للملوك ثم ان متوظفى الديانة فى كل الجهات هم مرجع عدد من يزداد
أوجوت وهم المكلفون بحفظ الكنائس والمقابر والفقراء والطرفات ايضاً واما
الضابطة عند الحاجة هذا (وأما) الاحكام الشخصية فان لها ادارة مخصوصة
رئيسها اللورد قاضى القضاة الذى هو رئيس ندوة اللوردات ثم نائبه ثم اللوردات قضاة
المجالس العليا فى الجهات الكبرى ثم حكام مجالس الولايات ومجالس الضابطة وكل
هؤلاء لهم مرتب وهناك حكام الصلح لكنهم لا مرتب لهم وكذلك حكام الجورى على نحو
المالك التى تقدم ذكرها غير ان الامر الذى انفردت به انكالاته بـه هو ان احكامها
لا تستند الى قانون خاص فتم يعتمداً اصعب المراتح لانها تستند الى مجموع أشـياء وهى
ما يوجد من القوانين فى بعض أمور وما يوجد فى احكام سابقة صدرت من مجالس
الاحكام القديمة وما فى احكام الرومان وما يقع عليه اجتهاد اصحاب الاجتهاد وهم

اللوردات

اللوردات أهل المجالس العليا وقاضى القضاة وقرنازه وعلماء الاحكام وهم المسمون
 بالابوكاتية فلذلك كان علماء الاحكام من أشهر الناس وأوجههم ومن غريب عادات
 المملوكه انه اذا وجد نازلة ووجد حكمها فى احدى تلك الاصول لكن أصحاب
 اجتهادهم ظهر لهم ان المصلحة الوقتية قضت بخلاف تلك الاحكام لاختلاف الزمان
 فانهم يجرون اجتهادهم لكنهم لا يجملون ناسخا لسابق بل يبقى السابق ويبقى المحدث
 حتى تكون الاصول متنافضة ويبقى لاهل الاختيار عنددهم الخيار وبذلك يعلم مقدار
 النفوذ والسطوة للطبقة العليما من الناس عندهم لانهم هم الذين يكون منهم أهل
 الاختيار كما يعلم به فساد اعتراض بعضهم على احكام المسلمين بانها مشتة باختلاف
 الاقوال فى كتب الفقه مع خيار القاضى فى القضايا ما يوجب لهم التجرؤ من
 الدخول تحتها لانها غير معلومة للمحكوم عليه لان ذلك الاعتراض على فرض
 تسايه كما هو فهو عنددهم أعظم مما يعترضون به عليهم فانهم ان الاحكام المذكورة
 لم ترتب فى تحقيقها من مجالس وراء مجالس الحكم باعتبار الخفيف منها والثقل وما
 يرجع الى المعاملات وما يرجع الى الجنائيات فالخفيف لا يستحق التحقيق الا اذا حصل
 ظلم فيقع فيه الاحتساب العام وأما الثقل فينتقل الى مجالس تحقيقه الى ان ينتهى
 الى المجلس الاعلى بالخت رحيم كانت الحرية مناقرة والاحتساب فى رفع الظلم تنبع الى
 كل احد يرفعه الى مجالس الاحتساب ولو كان فى حق غيره مع اباحة نشر النوازل
 والافكار فى الصحف الخيرية وفى اعلانات ومطبوعات تنشر متى ما اراد الناشر وفى مجامع
 عمومية علنية كان التعدى على الحقوق من أصعب الامور عندهم

بموجب ادارة مستعمرات الاندكيز كما علم ان الاندكيز انما تيسر لهم اتساع مستعمراتهم
 فى مشارق الارض وغاربها بشيئين (أحدهما) نفس انتظامهم فى داخليةهم المنفر للفتى
 المشير للقوة المحربية (وثانيهما) حسن الادارة السياسية لكونه عليه بالنسبة لغيرهم
 من الدول سيما بعد خروج امريكا عنهم واستفادتهم من ذلك للاسباب والبواعث
 الموجبة للانفرد منهم فاستقر امرهم انهم فى كل جهة من المستعمرات يجعلون مركز
 الوجود قوة مركزية لهم ويجعلون فيها نائبان ثقات اعيانهم مقيد التصرف بالشورى
 مع اعضاء منهم ومن أهالى المستعمرو يرجع الى هذا النائب الذى هو الحاكم فى تلك
 الجهة الامور الكمية من الادارة السياسية وأما بقية الجزئيات والاحكام والسيرة فانها
 تفوض للاهالى يجرون على حسب عقائدهم وعاداتهم واحكامهم وكذلك الاداء المرتب

(٥٠)

للحكومة وكيفية استخلاصه وتوزيعه الى غير ذلك من غير تدخل الانكليز معهم في شئ سوى انهم يشترطون عليهم ابطال المظالم والتعدي على بعضهم وابطال بعض العوائد القبيحة بالعقل الراجعة الى ظلم الغير كحرق الاحياء تبعاً لمن يموت من قرابتهم أو رؤسائهم وكنفريق الناس مثل ذلك أو ذبحهم - مما يحرم - الخلاص منه - جمهور الالهالي ويبنى الحاكم الانكليزي بمجاسه مراقبة تلك الحكايات ولما نفع الانكليز والالهالي حتى ان اعظم مستعمراتهم الاسن وهو الهند له حكومة مخصوصة كما تقدم في المقدمة واعظم الوظائف فيه هو الحاكم العام وهو انكليزي لكن ثانياً رتبة منه وهو قاضي القضاة هو مسلم من العلماء الاعيان وجميع أحكام الهند راجعة اليه ومرتبه سنوياً أربعة وعشرون الف ليرة انكليزية وعلى ذلك المذوال بقية الاله ورودخل تلك الحكومة خاص بها الا تأخذ منه الدولة الانكليزية شيئاً ومصاريفها كلها راجعة الى حكومة الهند وربما اذا حدث حرب جوار الهند مع حكومته اعانتها الدولة الانكليزية على مصروف الحرب لعود النفع اليها بواسطة بل ربما جعل أكثر المصروف عليها كما وقع منذ قريب في حرب الافغانستان كما ان تلكا تيرة تستفيد من عساكر الهند بدخولهم في امرها عند الحاجة اذا عادت حرباً مع دولة أخرى وكثيراً ما تبقى الممالك على حالتها بلو كها وامراتها وانما لها عليهم مجرد المراقبة والحماية وتلزم المملوك باجراء الاله - بل في محال كهم واجراء الشورى وبذلك يحصل ميل العموم اليها (فان قيل) اذا كان الامر كما ذكرنا في فائدة الانكليز في هاته المستعمرات سوى تشويش الببال ونسائث الاموال في الحماية او الثورات (فالجواب) ان فائدتهم عظيمة من وجوه (اولها) وهو لاهم رواج التجارة الانكليزية فان ما نفي مليون من الخلق لا يجولون الا في الساع والبضائع الانكليزية له من الاهمية ما لا يخفى و بضعائع بقية الممالك امان تمنع بما يوظفها من عظيم القهرق في تلك المستعمرات أو يدخل منها مالاً وجود له عند الانكليز مما هو حاجي فاما البضائع الانكليزية فتدخل معفاة من الاداء فان تبور لهم بضاعة ولا تقبل لهم معامل فأن يتجبه ثلاثون مليوناً من الانكليز من الصنائع يكونون مطمئنين على رواجه في مستعمراتهم كل على قدر احتياجه از يادة عن المعالك الاجنبية وكفي بذلك غنى للامة الانكليزية وأي فائد اعظم لها من ذلك ودونك مثلاً لهذا فان مستعمر الهند وحده كانت قيمة التجارة الصادرة والواردة اليه في سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م ثلاثة آلاف وخمسة مائة مليون فرنك يخص الانكليز وحدهم منها الفان اثنان مائوناً والباقي مع سائر الممالك واعلمها

الصين

الصين فهذا مستعمرو الهند وخدمه راجت تجارتهم فيه بذلك المقدار وليتس على غيره
(وثاني الفوائد) أشغال معلمهم في الفنون والصنائع في تلك المستعمرات الواسعة
الكثيرة السكان بما يحدثونه للاهالي على وجه الارشاد والتمهيم والتمهيد عن طيب
نفس منهم من المكاتب والمعاهد ليرطرق الحديد وغير ذلك (وثالث الفوائد) حوز
الاراضي الخالية عن المالك والتعمير بها باهالي ان كلاً تبهه الذي ضاقت بهم جزائرهم
فصاروا مهاجرون منها الى كل الاقاف التي تقيس لهم بها المعيشة والعمل فيم اجرون الى
مستعمراتهم اولي لهم حتى تنمشي منهم دولة جديدة كما وقع بالفعل في دول امريكا المقهدة
اذ غالب اهاها اصاهم انكليز وكذلك ما هو حاصل الاكن في اسـ تراليا (ومن اعابهم
فوائدهم) القوة الحربية التي تفر فيها ان كلاً تبهه من عساكر ذلك المستعمر مع ان
المصاريف على العساكر من دخل المستعمر فاعظم بذلك من قوة الانكـ ينحى ان
عساكر الهند الذين تحت امرها اضعاف عساكرها المستديمة فهاته الفوائد
اعظم وانجح لامة الانكليز من اخذهم مضمرة على سكان المستعمرات فتوجههم الى
الحقد والثورة عليهم كما وقع في امريكا وافيد لهم ايضا من جهة السياسة فان النفوذ
والرهبة والوقار الحاصل للانكليز في جميع جهات المسكونة ليس بحاصل لاي دولة
كانت اوروبانية وذلك افيد للانكليز ان يفيدوا الفوا وعشرة آلاف منهم بما طلاق
التصرف في احد المستعمرات فيكون اهاها تحت قبضتهم ويديرون فيهم م قانون
الانكليز باندره ويوظفون فيهم من قضاتهم ويغيرون عواندهم وشرائعهم بما يلزم
لذلك من مصاريف تكثير القوات وكون الحق في المستعبدين حتى ينتهزوا الفرصة لتلك
قيودهم متى ما سبحت الفرصة وبمثل هاته السياسة وبجسارة الاهالي في مصاددهم
وعاداتهم واحكامهم وكبرائهم وديانهم تيسر لها امتداد المستعمرات واتساعها واطول
بقائها هانية بدون كثرة مصاريف فان الهند الذي هو اعظم المستعمرات وفيه من
السكان ما يزيد عن مائة وستين مليوناً انما تضبطه دولة الانكليز بعشرين ألف
عسكري انكليزي فقط وان كانت حكومة الهند لها نحو ثلاثمائة ألف من العساكر
تحت السلاح لكنهم كاهم من الاهالي ما عدا العشرين الفا المذكورة وذلك ما خلا
ماللوك والامراء المستقلين بالادارة في الهند من العساكر والقوات وما ذالك الا بجمارة
الاهالي بما لا يفرهم مع اجراء العدل فيهم والزام امرائهم وملوكهم بذلك وحررتهم في سائر
اطوارهم حتى انها اعظم لهم شعائرهم الدينية كما يظهرون في انفسهم فاسلمون مثلاً

(٥٢)

تطابق لهم المدافع في أعينهم - ثم وتعميم - ثم من الأشغال في المواسم وتعزف الموسيقى العسكرية في أعيادهم وكذلك تفعل مع الجوس ونصرف على الجميع أموالا باهظة في المبادى وأهل الديانة من دخل الهند وفي عيد القاء جوزال الكوكوفى شهر الهند يحضر أهل الامر والحكم من الإنكليز ويأخذون ذلك الجوز من أيدى الكوكوفى بلونه في النهر بجراة لاهالى (وحينئذ) تنشر الرايات وتطلق المدافع من الابراج والسفن هذا فالبلاد التى تحت ادارتها بافضل عن البلاد المستقلة بالادارة فالاهالى يوازنون بينهما قائم - ثم من حالة الاستقلال وماهم عليه من المنافع التى لم تكن حاصله اليهم مع موازنة المشقات والاهوال الخاصة من اعلان الثورة لان الإنكليز أيضا قساة وقلوبهم قظة غليظة عند الثورة يجازون بالفظائع التى تقسمهم من اجلود السامعين ويقول القائل ابن القطن ورجة الانسانية والشفقة التى تمتلى مصحفهم بالتنويه بها وماهى الاسود على يياض يأمرونهم اغبرهم ولا يبرون منها شيئا سيما بما يستعملونه من القدر بأغراء اقسام الاهالى للانقسام وبذل الاموال العظيمة فى ذلك فاذا حصل الانقسام وقع الانتقام من السكل على التدرج وربما حصل من بعض الانقسام لبعض اشياء مما يحصل من نفس الإنكليز فلذلك أثرت أهالى المستعمرات السكون والرضى بها وعاليهم مستغنى عمرة ذلك بقدر الامكان بل ان بعضهم حكمتهم دولة الإنكليز من الاستقلال وأعلنت لهم بذلك ورفضوا هم قبوله خوفا من تسلط غيرها عليهم ايضا فنهم وربما يعاملهم المتسلط بما لم يعاملهم به الإنكليز يون مثل ما وقع فى جهة من استراليا منذ نحو من خمس سنين ومع ما مر فقل ما يخلو وقت عن حدوث ثورة فى احدى الجهات من المستعمرات المذكورة وفى الاغلب بعد حصول الراحة بالقوة أو باللين وهو الاغلب تزيج الدولة الموعات على الثورة حتى تعود المصا فادع الاهالى على وجه كانه راسخ وانما قلنا ان اللين هو الاغلب لان اربابها لا تستعمل القوة لانهما داند انقلال حدود اللين حتى انها فى نفس حروبها مع الاثرين لا توجه عليهم - ثم قوة كبيرة من أول وهلة بل ترسل مقدار اذ غير كاف لاختداد النار اذا كانت مستعمرة بهيجان قوى وكثيرا ما تنكسر قوتها أولا وثانيا وثالثا لكانم الا تنكص على عقبها الا بعد بلوغ اربها ما يجد اومة المحرب على النحو السابق مع تزيد القوة شيئا فشيئا الى أن تغلب أو يوتوع الصلح على ما يرضيها وترضى به الاثر على نوع ما كان ذلك لعدم وجود قوة عسكرية تحت السلاح ولا حاضرة للعدوى متى أرادت الدولة لها من نال الإنكليز لا يدخلون العساكر البارضى وليس لهم الامتداد لحفظ الراحة فاذا ثارت

جهة

(٥٣)

جهة لزم الدولة احضار العساكر برضاهم وذلك لا يتأتى عاجلا مثل ما يأتى للدول المرتبة
العساكر وايضا بعد حضورهم تلزمهم بقدرة التدبير ثم ان العساكر عندهم تلزمهم
المصاريف اكثر من عساكر بقية الدول لان من قانونهم ان العسكري لا يخدم شيئا سوى
الحركات الحربية فيلزمهم من الخدمة وحمل الاثقال ما هو اضعاف عددهم ولا يتخفى ما في
ذلك من المصاريف والكلفة الموجهة الى الوقت حتى ان عساكرها الذين وجهتهم على
الحجشة منذ نحو عشرين سنة لزمها ان تجعل لهم طريقا حديدية وقنوات لجر المياه كلها
موقفة وكان خادموا العسكريين في عدد العساكر وهو كذلك اذ اطلبها في حروبها وبناء على
اتساع المستعمرات واقترافها وبعدها عن مركز الدولة وكون الطرق اليها بحرية مع ان
نفس مركز المملكة بخير لزم ان تكون دولة الانكليزية هي اقوى دولة في البحر من حيث
السفن الحربية ومن حيث كثرة السفن التجارية ووجود البواخر والعارفين بفن البحر
مطاب في السياسة الخارجية للانكليزية اعلم ان ما تقدم ذكره من الاحوال العامة
في الخارجية للدول العظيمة مما تقدم ذكره في ايطاليا وفرنسا وهو ايضا ساجار
في انكلا تيره مثل وجود السفراء والمراقبة لجهات المنافع الخ فالذي يخص انكلا تيره
هنا هو بيان محلات اهتمامها في الخارج وحيث قد تقدم ان لها مستعمرات في جميع
اقسام الكرة المعروفة كانت عنايتها في الخارج اوسع من غيرها من بقية دول اوروبا
لكن ليست الجهات كلها سواء في الرتبة بل هي تتدرج في اوروبا ليس لها من النفوذ
في داخلة دولها شيء سواء كانت الدول كبيرة او صغيرة لا يتناء ادارتهم على قواعد
راسخة مسلمة بين جميعهم مقرر بجمهاهـ مات فلن ترى حاكما انكليزيا داساطة في برلين
قاعدة المانيا ولا في موسكو التي هي دولة مستقلة في بلادة محاطة بايطاليا بعدد سكانها نحو
اربعة آلاف نسمة والكل في الدخول تحت احكامهم من رعية الانكليزية سواء وانما
نواب الدولة يراقبون الاحوال السياسية للاحكام الشخصية نعم لدولة الانكليزية زيادة
اعتبار في خصوص مملكة البلجيك الساقتضيه معاهدة سنة ١٨١٥ من استقلال
هاته المملكة عند سقوط نابليون الاول وجهها تحت حماية كبار الدول غير ان المراقب
لذلك النجسية هي دولة الانكليزية فهذا هو وجه زيادة اعتبارها هناك ومن ذلك حاصل
في دولة البرتغال ما تسبب عن حروبها مع اسبانيا وفرنسا (واما بقية الدول فلا
فضل عندهم لانكلا تيره على موسكو في احوالهم سوى ما تجر اليه السياسة الاتي
ايضاها (واما امريكا فهي ايضا على ذلك المنوال (واما آسيا وفرنسية فعلى وجه

(٥٤)

انبتع دولها من حيثيتين (الاولى) - وهما المعاهدات القديمة معهم التي لم يراع فيها
 إلا الحالة الراهنه اذ ذلك مع عدم تقييد المعاهدات بمدة محدودة فتغير الزمان وتغيرت
 الحالات وبقيت أحكام المعاهدات على ما هي عليه فلزم منها ان تكون لدولة الانكليز
 شبه دولة مستقلة في كل من هاتك الممالك بحيث ان رعاياها غير داخلين تحت الاحكام
 مثل الاهالي بل يحكم في الشخصيات قاساهم ووجدتهم أو بحضورهم أو حضور أحد
 من سفارتهم مع حاكم البلد وله الاعتراض على الحاكم في الحكم وفي بعض الممالك اذ كان
 الحكم في جنابة فانما ينفذ في احدى ممالك الانكليز الى غير ذلك مما يتسرع به للاهالي الوصول
 الى الحق ويحصل منه شبه حكومة مستقلة في وسط المملكة وليس ذلك بخصاص بالانكليز
 بل عام في جميع دول أوروبا مع تلك الممالك وغاية الخلاف هو زيادة التظاهر والتعظم من
 أحكام البلاد من الدول القوية ذات الغرض في النفوذ في تلك المملكة وفقه ذلك فمن
 ليس له قوة أو ليس له غرض (وثانية) الحيثية هو أن مستعمرات الانكليز في مدبران
 أهمها هو الهند فكانت منقطة خاصة من كل ما يوهن قوتها فيه اما بواسطة أو قصد اذ
 صارت تحافظ على الطرق الموصلة اليه فكانت قبل فتح خليج السويس تتوصل اليه
 من المحيط الجنوبي وراه افريقية فاستقامت عدة مراكز في افريقية الغربية
 والجنوبية والشرقية مع عدن في آسيا كل ذلك لتكون لها اقوات ومرآ كرتلج اليها عند
 الحاجة وبه يعلم ان ثمرة المستعمرات ليست خاصة بالوجه التي أنشأ اليها بل منها أيضا
 أهمية المستعمر من جهة كونه مركزا زراييا فقط وذلك مثل جبل الطارق ومثل مالطة
 وغير ذلك فبناء على ما شرحناه صارت سياستها الخارجية مع كل الدول القريبة من الهند
 والتي هي في طريقه والتي لها مصالح أو مطمح نظر اليه على نوع آخر من المشاحنة مع
 القوى والنفوذ مع الضعيف وتستعمل لذلك كلاما من الترغيب والترهيب فالدول التي
 لها هموم دائمة زيادة محاورات سياسية هي دولة روسيا من حيث انها امتدت في دوائر
 آسيا حتى اقتربت من الافغانستان الذي هو في حدود الهند ومن حيث طموح نظرها
 الى الاستيلاء على الممالك العثمانية التي يطمعها باقواها كما يأتى ايضا حده والدولة الثانية
 التي لها معازير زيادة عن اية سياسية هي الدولة العثمانية وذلك من وجهين (اولهما) انها
 لا تريد زيادة نفوذها وقوتها خوفا من امتدادها الى المشرق وارتباط المسلمين هناك
 بها حتى يلتحم بهم مسلمو الهند و يعود الهند لما كان عليه من اللحاق بالخلافة
 الاسلامية (وثانيهما) الخوف على ايمان الضعف المفرط حتى تنقمها الدول المجاورة لها

فيمكن

(٥٥)

فيكون ان يجوز وقوعها الجغرافي النفوذ والسطوة التي تخشى منها انكلا تير، على فقد قوتها واعتبارها المادي والمعنوي وبناء على هذا صار لها تدخل كلي في سياسة الدولة العثمانية الخارجية وجاهها على ذلك التدخل مع بقية الدول الكبيرة الستة لسالهم من المساس بتلك السياسة سواء كانت قصداً أو بواسطة واضطر ذلك انكلا تير الى جلب ملايين فرانك الانقاذ دولة بحرية قوية في المشرق ومولاتها أولى لها بمقاصدها سيما مع ابتداء سياستها على مجانبية الحرب معها امكن كما تقدم ذلك تستعمله حتى في الحرب مع الخارج حتى تستعين بكل الوسائل لقطع اسبابه مع التمسك على حقوقها كما وقع منها اخيراً سنة ١٢٩٤ من التوسل بالسلطان العثماني لأمير افغانستان برسالة له رسولا اليكي يلاين انكلا تير ويقطع معها المشاحنة الداعية للعرب من عدم قبوله لسفير مقيم عنده في كابل وغير ذلك مما يثبت عليه اغراء الروسي ولم يقبل التوسط حتى وقع في الحرب كما تقدمت الاشارة اليه في محله فذلك المباحث دعاها الى ملايين فرانك كما تقدم في سياستها الخارجية طمعه في التسليم لها في السطوة على مصر اذ في الاقل على تماضرها مما على ازيد ان نفوذها في مصر حتى تسخ الفرصة لانكلا تير في الحاقها بما حيث كانت الآن هي اقرب الطرق الى الهند بعد فتح خليج السويس مع ما في ذات مصر من الاهمية الكبرى فتمين (حينئذ) وجه زيادة اشتغال انكلا تير باحوال الدولة العثمانية وعلى الخصوص احوال مصر وما يجربها من ذلك الى بقية الدول الكبيرة ومع بقية الدول التي تتجاوز مسعها وانها على حسبها في القوة والضعف ثم اعلم ان سياسة الانكليز لما كانت مهيبة في النصر على مذهب الحزبين اللذين مر ذكرهما في السياسة الداخلية وهما حزب المحافظين وحزب اطلاق الحرية كانت تخاف في الخارج على حسب مقاصد الحرب الذي يتولى ادارة المملكة فيؤثر ذلك في السياسة الخارجية أيضاً تأثيراً ينفذ ترى تغير السياسة يتعاقب على قواي الحزبين حتى يكادان لا تثق دولة بالاعتماد على سياسة الانكليز في مولاتها لانه ينبغي ان يكون حزب المحافظة جاثليق الاحتراس على ملكة مهم بقاؤها وثمة دهي على معاصدهم واذا بهزب الاطلاق قد جلب افكار العامة اليه فبصعد الى قضاة الادارة وينقض عزل سابقه ويخذل من اعتمد عليه وسياسة كل من الحزبين وان لم تكن مياينة دفعة واحدة لسياسة الاخر حتى لا يتسرله ابطال حرب مودة أو نقض صلح ابرم لكنه يسمى بقدر الطاقة في انهاء كل ما وجده وعدم اثماره حتى يبرهن الخراج على فساد ما سعى فيه

سأفهم من غير أن يثبت عايبه أنه هو الذي كان سببا في الفساد ولهذا صار كل من الحزبين
 يجهدهم استطاعة في عدم المدخول في حرب مهيمة لكي لا يجد ضده بابا لا تشنيد مع به عايبه لأن
 عاقبة الحرب مع الدول الكبيرة مجهولة وانبى على هذا وهم دولة الانكاييز من سائر الامم
 المستقلة أم سادرة تجارية انما تبحث على زيادة غنى أهاليها من غير بحث عن الشرف
 والجاه لدى الامم الكبيرة القوية وعند دخولي الى انكالا تيره وجد مت رئيس الوزارة
 هو رئيس حزب المحافظين وهو اللورد بكنسفيلد وانما ساد ذلك اللقب عند ما هدمه براين
 سنة ١٢٩٥ حيث نهب سبعه في تغيبه من عامه مدصان استيفانوس بتلك المعاهد
 واستوات انكالا تيره على قبرس وكان هذا الرجل من نسل اليهود لما ترقى في السياسة
 غير دينيه لدين الدولة حتى يمكن له الترقى للناسب العالمية واشتهر بتأليفه وأفكاره
 وخطبه حتى سلمت له رياسته حزب المحافظين وولي الوزارة مرارا (وأما رئيس حزب
 الاطلاق) حينئذ فهو مسترا كالدستون وليس له لقب شرف لكنه باتساع معارفه
 حاز تلك الرتبة واستولى الوزارة مرارا

فصل في بعض عوائد الانكاييز وصفاتهم * اعلم أن كتاب كشف الخبايا عن فنون أوروبا
 للابن المغيرة قد اشتمل على تفاصيل في عوائد القوم بعز وجودها في غيره فن
 رام الاطلاع على جزئياتهم فليرجع اليه وانما لم هنا بشئ كاف في التعريف بذلك
 (وحاصله) أن أصل الاهالي كما تقدم من قبيلة من قدماء الفرانسييس اختلطت مع قوم
 قدماء في الشمال وتماثل منهم هذا الجيل وهم أقوياء يبيض نصح حمر من الدم يغلب
 فيهم الطول وشقورة الشعر نسأؤهم جميلات الجماعهم رزينة فمع الملاق الحرة فيهم
 لا يطيشون عن حدود الاستقامة والانقياد الى الحكم حتى اذا اتجمع منهم الحجم الغفير البالغ
 لعدة مئات من الالوف وتكلموا في السياسة وهاجوا واضطربوا ووقع بينهم خلاف
 في تلك الجماع أحوجت الى الخروج من القول الى الفعل فها هو الآن يصعد حاكم ذلك
 الصقع على مكان مرتفع ويقول سيدنا وحاكنا الملك بأمر كل فرد منكم أيها المجتمعون
 بالتفرق حالا وأن يدخل كل منكم مسكنه أو يحمل صناعته تحت قيد المحكم الصادر في أول
 سنة في دولة الملك جورج في قطع المروج والغواص والله يجرمس الملك في سنة ذلك يتفرق
 الجمع الاماندري يحتاج الى اعمال القوة من الضابطية والحرس والعساكر بل وعلى كل مار
 اعانة الحرس الا أصحاب رتبة اللورد فانهم غير مكافين بذلك ومن النادر القليل وجود
 حالة من تلك بل الافراد المجداة يخضعون للحكم ويتقادون الى أمر أعوان الحكم بمجرد

القول

(٥٧)

- القول وعلى فرض الامتناع فيخرج له العون عصبية على رأسها صورة تاج الملك فيطالبي رأسه ونية فنادوان لم يفلد ووجب على كل من رآه اعانة العون على جبهه فاعانت هاتيك الخلة على اطلاق الحرية واطمئنان الدولة من المخرج وقد تقدم أن عدد السكان نحو اثنين وثلاثين مليوناً وياتهم الغالبة بزديستانت وقليل من السكان أولئك ثم اليهود ثم الدهرية ثم الموحدين أى الذين يوحون الله ويعترفون بالرسالة والعبودية والبشرية لعيسى ويصدقون بالكتب فهم أقرب إلى الاسلام ولازال يكثرون بهم في آسيا وأما ريكا كما يوجد الفناد من المسلمين ثم ان عوائد الاهالى لا يمكن اطلاقها على الجميع
- سواء بل بين طبقاتهم البون البعيد فهم على خمسة اصناف (الاولى) العلية ولهم امتيازات تقدم بعضها في السياسة ومن خاصيتهم أن لا يدخلوا في الاعمال البدنية التي تجب على العموم ويتميزون عن مخالطة غيرهم بحيث يكون كل منهم في داره عنده سائر ما يحتاج اليه ولا يحتاج في الخارج الا مجرد المشى في الطريق لا يمكن تزيته أو اصحابه الذي هو من نوعه وعلى نحوهم نساؤهم وهؤلاء هم اصحاب لقب الورد وغيره من القاب الشرف كالمركيز والبر وغيره من القاب الوراثية والتي يعطيها الملك بموافقة مجلسه الخاص ومثل هؤلاء الامراء والوزراء واصحاب المناصب السامية والاساقفة الكبار (الثانية) هم الاعيان الذين لهم املاك تغنيهم عن معاشات شغل أو حرفة مع تنعم العيش والرفاهية والاسراف لكنهم ليس لهم لقب مثل الاولى (الثالثة) العلماء والمشرعون والقسوس والتجار والكتاب (الرابعة) التجار واصحاب العمل النبية مثل الكتبة (الخامسة) بقية الناس المتعيشين من كد ابدانهم فالاولى والاخيرة يدينهم بالتبائن والثلاثة الباقية لكل منها جهة تناسب بها من فوقها وجهة تناسب بها من تحتها ويمكن على حسب التقريب ان يقال ان الثلاثة الوسطى في عاداتهم واطوارهم على نحو ما تقدم في فرنسا ويطالبا وأما الطبقة العليا فليس لها مثيل في تينك الامم الكثرين ومحصل حالهم انهم على نوع من صفات ملوك الاسستبداد في العظمة والكبرياء والفخر والمباهاة باللعب واللهو والتكاثر في الاموال والاراد والقناطر والمقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرف فترى للواحد من ملك الارض ميرة يوم للراجل ويملك الفرس باربع مائة الف فرنك ويعد دخله بالدقيقة فيكون له في الدقيقة الف ايرة أوليرة أو نحو ذلك ويفرش بيته بصنائع أهل المشرق والمغرب والمنسوجات التي قيمة ذراعها يحمسه مائة فرنك ونحوها الى غير ذلك من الاطوار التي لا يعجبها الا هو وعائلته ومن

(٥٨)

كان من طبقة ويديهم مودة أو من يتفضلون عليه بالمعرفة وهي انما تحصل للغريب
 اذا كانت له وصاية من أحد قرابة أو وليك لعلية قد تعرف به في أحد الأقاليم
 * وحينئذ يرى من اكرامهم وتبجيلهم له باشتهراهم معهم فيمأهم عليه ما يقربه
 عينهم القنص والتهو واللعب والمراب والمسا كل والمشارب والمنازة حتى يكون
 لبعض هؤلاء العلية مراكب خاصة في طريق الحديد محتوية على سائر اللوازم يسرون
 بها الى حيث أرادوا ويولونه أى الضيف من ملاطفة نسايتهم واكرامهم له باعطاء قدح
 الشاي من يد كبيرتهم ما يكون به على يقين من الصداقة لان ذلك من غاية الاكرام
 وان لزم الضيف من العناء ما هو عنه في غناه من المحافظة على الآداب والقواعد المعروفة
 لديهم كعدم التهور ولا حكة من يده ولا التدخين ومن عجيب أطوارهم فيه
 التناقض التام فبعض نسايتهم يكرهون شم أثره على الثياب وبعضهم يدخن كالرجال
 وان ترمى من واحد من هؤلاء ذوى الملايين أو آلاف الملايين يتكرم بشئ ذى قيمة
 ونهاية النوادر بالهدية هي صورته أو ماشاء كالمما قيمة اذا تناهت تبلغ ألف فرنك
 بل كاد ان لا يوجد من يتصدق منهم على الفقراء الا أن يكون لربا أو سنة فلو مر أحدهم
 على فقير يتسوع جوعا لما رأى له من داع الى مرحته حيث انه يعلم انه يعطى سنويا
 * الى ديار الفقراء مقدار من المال فلا يجهل ان يكون ذلك الفقير الذى يراه في حالة النزح
 من البرد أو الحر أو الجوع انه لا يمكن له الوصول الى تلك الدار أو انما لم يكن فيها سعة
 لقبوله وأقول ان هاته الخلة كادت ان تكون عامة في أوروبا لاقبالهم فانهم يجرون
 على حسب مكارم الاخلاق وأما أطوار الطبقة السفلى فهي أشنع مما مر ذكره في هيج
 * الفرنسيس سواء كان من جهة الاعتقاد أو من جهة السيرة والحركات في تطهرون
 من أشياء كادت ان لا تخصى وينقادون الى السخرة والدجالين بما يخرج عن
 حد المعقول وكذا تعلم ان يكون عندهم مجهول لاسم فضلا عن المسمى سوى ما يربط
 لهم القيسوس في الكنائس ومن هذا القبيل اعتقاد عامة أهل ايرلاند ان اقطاع
 الحيات من خيرتهم بسبب قسيس مع انها فقدوا الثلج والبرد مع عدم الاتصال بالقرارة
 حتى يخافها غيرة وهم في ذلك خرافات والحاصل ان صفة الانكسار على الأجمال هي
 السكون والرزانة والتجاني عن الغريب الا بواسطة في التعرف حتى لو بقي بين أظهرهم
 سنين لا يكاد ان يقول له واحد أسعد الله صباحك كما ان من طبقتهم الاقبال على الشغل
 والجد فيه وعدم الايمان بالقدر حتى اذا يئس أحدهم من المال قتل نفسه فكثيرا

- ما نسمع بذلك وبقتل الاباء لاولادهم وكذلك الامهات والعكس وما يحصل عندهم من الوقاحة أحيانا مضاجعة الاب ابنته والاخ أخته لكنه لم يسمع بمضاجعة الابن امه ومنها أيضا بيع الزوج زوجته لمن يحبها ويمضي لهم الحكم ذلك فأعجب لقوم يحتسبون على بيع الرقيق في الاتفاق ويحكمون بعهته يبيع الزوجه بفاس أو فاسين لأن الطلاق عندهم له شروط وهي ثبوت الفاحشة من الزوجه لدى الحكم ومن غريب الوقائع في هذا الصدد ما وقع منذ عهد قريب ونشر في سائر صحفهم وغيرها من أن زوجه أحد مد اللوردات ولدت وعند ما بشرت بانها ولدت ذكرا قالت من لفرح هو ابن ولي العهد وكانت قرابة روجه ايسر من ذلك فتأرجح الاج النازلة الى أن رفعت لدى مجلس الحكم لكي يستطبع الرجل طلاقها وادعى وكيداه انها اعتراها جنون من النفاس حتى صارت تقول ما لا أصل له وادعى وكيد الزوج ان الحياطة حاصلة من قبله مع ولي العهد وكانوا يتزاورون ويتنزهون معا ففضى الحال بالاسم دعاه الشهود ورومهم ولي العهد وعند حضورهم في المجلس الذي هو عاني وحاضر فيه كتاب الاخبار وروغهم قال القاضي علينا ينبغي ان لا يسئل الانسان بما يستهجن أو يشين العرض وينبغي للشاهد ان لا يجيب اذا سئل عما يشين عرضه ثم دعى بولي العهد فسأله عن معرفة المرأة فأجاب بمعرفة قائمهم ثم عن اجتهادهم فأجاب الى ان قال انه ما اجتهاد في منزل من المنتزهات للطعام فشر بارأ كلاله وبقيا حصه بعد الاكل في محل خاص ثم رجع كل منهما الى محله بعد قضاء التنزه فقال له القاضي الذي تبه بما سمعته أسألك هل وقعت هاته المرأة عند الخلوه فرفع ولي العهد صوته قائلا لا فضح المجلس له بالتصفيق وحكم القاضي ببراءة المرأة وبقاء الزوجية وانما الاعيان يتحاشون عن بيع الزوجات لكنه شاف في السوقه وسمعهم تنضم منه شيئا كثيرا ومن عاداتهم اللكم وهو انه كلما عرض لاحدهم حرق على صاحبه الاتبادر بضرب جمع الكف وعند ما يغلب أحدهما كثيرا ما يصافح صاحبه ويتراضيا ولا يحكم في ذلك ولا يحصل هذا بين الاعيان وانما يتعاوضون عنه بالمقاتلة كما هو جار في الممالك الأخرى من أوروبا وهي انه اذا اشتد الغضب بين اثنين على شرط التكافؤ في العرض يرمى أحدهما لصاحبه بقذازية أو شيء من متاعه ثم يرسل له شاهدين يطالب منه التقاتل فيعين الآخر شاهدين ويتفق الشهود على آلة التقاتل ومكانه وزمانه بعد أعماله ووجوهه للتراضي واستقاط الطالبان لم يجدا أحضرا طبييا أو حضرا المتقاتلان والشهود والطبيب وتقاتلوا على الصفة المتفق بها فاما ان يموت أحدهما أو يسلم أو يحصل عطب فيعالجها الطبيب

وينفصل الامرفان لم يجب احدهما لاقتال صار ذليلا امام الناس وصحبه وقد رصا حبه
 مهمم الاقاه ان يمينه بجابده وهذا التقابل وان لم يكن مباحا بالاحكام لكن الحكومات
 خاصة النظر عنه بمعنى انها لا تحسب عليه وان اضاع واحد شرفه بالشكاية فيه حكم له
 لكنه يهان فهو وان كان فيه ما يذم عن علو الهمة والشجاعة غير انه من أعمال الهجج
 لان الحكومات انما اقيمت لدفع التبعات والعيال والاعراض الشخصية المضرة بالغير
 فبها يقام هاته العادة في اوروبا بل والهجج من ازديادها تدريجا ومن عادة الانكاز
 التطير بأشياء كثيرة منها صياح المرأة الحولا مالم تتكلم ومن الجهل العام لاسيما في
 عامتهم الى اقوال المتكبرين واصحاب الحدثنان وانزعاجهم من اخبارهم حتى يقتلون
 انفسهم وكثيرا ما يقتلون انفسهم واولادهم خشية الاملاق وكثيرا ما تلد المرأة اربعة اولاد
 في بطن واحد وتكثر الخلق عندهم في ازدياد حتى لا يجدون شغلا في بلادهم فتزرى مئات
 الالف مهاجرون سنويا الى الآفاق لتحصيل الكسب ومع ذلك فقد دهمهم في مماكتهم
 لازل يزداد ودونك برهانا على ذلك في اقرب وقت وهو ان عدد اهل انكلا تيره اى
 المملكة الاصلية من الجزيرة الكبيرة وحدها كان في سنة ١٨٥١ لا يصل الى سبعة
 عشر مليون ونصف والآن هو سنة ١٨٨٢ أعنى في ثلاثين سنة صار عددهم يناهز
 ثلاثة وعشرين مليوناً فازدادوا خمسة ملايين أو تزيد مع كثرة من هاجر منهم الى ممالك
 أخرى ما يقرب من ذلك العدد ولجموعهم تغال في عقائدهم فمن ذلك محافضتهم على يوم
 الاحد بحيث لا يفتح فيه محل عمل سوى الاكل والشرب ومن فتح حافونه وقب ولو لم يكن
 من مذهبهم وهو غاية التناقض مع ما يطلقونه من الحرية ولما كتهم الحسالية زيادة توغل
 في ذلك حتى حكى عنها الشيخ أحمـد فارس انها عرض عليها احدث وزرائها أوراقا مهمة
 للامضاء في ليلة الاحد لكنه تلاف لها بما كان تأخيرها لاصباح فقالت كيف وهو
 يوم الاحد فقال هي مهمة للعجم فقالت اذا بعد الكنيسة فقالت نعم وما رجعت من
 الكنيسة وكان الوزير مصاحبا لها اهلته بأن الخطبة التي أعجبتته هي يا ربها الى
 القديس في المحافظة على يوم الاحد وبناء على ذلك فلما أتت بصبيحة يوم الاثنين ولوفى
 الساعة الثالثة قبل الظهر لم ترضى له أوراقه وتلك الساعة عندهم من العجيب مباشرة
 الاشغال فيها لانها مبكرة جدا حسب عوائدهم ومن عادتهم التزحاق على الجليد ولهم
 مهارة في ذلك وقادهم الفرنسيين وكثيرا ما يحصل العطب بانفسار الجليد وتفرق
 من عليه في النهر أو البركة أو البحيرة والحاصل ان اخلاق الانكاز عروسه ولا يتحتمون

بالاجنبي مثل ما يقع من الفرنسيين غير انهم اذا واد احداهم احد اسما من عيالتهم فانه يحافظ عهد و يدوم على ولائه ويحمون ذماره ولهم ولوع بالخيل وتريدتها وتسيماها وغناهم بالنسبة لاطلين والفرنسيين ردى لتقطع اصواتهم وحصرها وبقية الصفات هم فيها مثل من تقدم ذكره من الممالك ثم يوجد في انكلا تيره نوع من البشر يسعون عند اهل تونس بالزمازية وفي الاسنانة جيدة كاله وبالفراساوى بالبوهمية وهم في الحقيقة موجودون في اغلب الاقطار شرانم وفي كل جهة محافظون على عوائدهم وأهمها الجول وعدم مخالطة الذلل وتعاطى علم القيب وسكنى الخيام وتساطى الصنائع البسيطة الرذيلة مع الفقر ولهم لغة تخصهم ومن عادات أواسط الانكليز وعليتهم حسن تربية الام لاولادها بحيث ينشئون على التثديب والتعطن الى التعليم من غير تعب حتى انهم كثيرا ما يتعلمون الاحرف ومبادئ القراءة لجرد التريبة فيها تدبجه الام والمرية للصغير مع النظافة والاباعد عن الاخلاق الذميمة وكل ارباعى هذا النوع والمهم في النساء من التعليم الحسن

بمطلب في التجارة بانكلا تيره اعلم ان الاصول المتجربة التي مر ذكرها في الممالك السابقة هي جارية كذلك في انكلا تيره امكن لهؤلاء زيادة بسطة ونفى على سائر الممالك بما بروج من تجارتهم في مستعمراتهم وغيرها حتى اصبحت سنة ١٢٩٨ ١٨٨١ م ملك الانكليز من المنقولات التي لها دخل مثل اسهام سكك الحديد وديون الدول وغيرها فسكان سبعة وثمانين مليار فرنك والمبارد الف مليون ودخل ذلك في السنة اربعة مليارات فلوقسم على نسبة عدد انفسهم اصبح لكل انكليزى (١٠) فرنك منها ٥٠ من خارج المملكته وذلك كاف في بيان مقدار غنى هؤلاء القوم وحركة تجارتهم فان بريدهم يصل الى جميع جهات السكوفية ويواجرهم مائة للبحر واعظم النضائع الخارجة من مملكتهم هو الفحم الجبرى فقد اخرج من مقاطعة سنة ١٨٦٦ ما يزيد على الفى مليون قنطارا والمقاطع الموجودة في انكلا تيره من هذا الفحم ثلاثة آلاف ومائتان واحد وثلثون مقطعا وهو سبب عظيم اثر وثمن من حيث البيع منه للخارج واستعماله في الداخل ومن حيث توقف الاشغال الصناعية عليه لكثرة المعامل التجارية ولدان اشتدت عنايتهم به حتى انه كان كثير من علماء الاقتصاد عندهم يبحث عن احوال فراغ ذلك المعدن وما يتسبب عنه من الزيادة للانكليز وفي سنة ١٢٨٨ ١٨٧١ م اشتد البحث في هذا الامر وعينت الدولة لجنة للتحقيق الامر وبهدمته وأبحاث استقر رأيهم على

(٦٢)

انه يمكن بقائه هذا المعدن عندهم الى مدة ثلاثمائة وخمسين سنة ثم يفرغ نظر السكينة
ما يستخرج منه سبونيا ونظر الصعوبة استخراجها فيما سفل من طبقات الارض وكثرة
المصاريف عليه حينئذ من تلك السنة ارتفع ثمنه نظر الالات تصادف استخراجها ولا زال
البحث عما يهوضهم عنه من القوت او وجوده يروى مستعمراتهم ومن موارد تجارتهم
الواسعة أيضا ما يخرج منهم من الحديد وأغاب المجلوب لهم من الحبوب لان ما يخرج منها
عندهم غير كاف لهم وتجدي في أفراد الانكليز الغنى الذى لا يوجد في غيرهم كما يوجد فيهم
الفقر المدقع بكثيره وقد انهقدت في خصوص لمدرد شركت للتجارة وازارعة ٢١٢٥
شركة أوفاس منها ٤١٢ شركة رأس مالها ٥٠٠ مليون فربك وذلك في خصوص سنة
واحدة وهى سنة ١٨٨١

مطلب في الاحكام بانكلا نيره قد مرت اصول الاحكام الشخصية عندهم في مهج
السياسة الداخمية وانما نقول هنا أن قضاة الانكليز يضرب بهم المثل في ارباب العفة
وندم الميل الى الاغراض ووفى متعلقات دولتهم وهناك مدن يقيم فيها القاضى ومدن
تذهب اليها القضاة في أوقات معلومة من السنة فتمرض دايهم النوازل المهيات لهم من
حكام الجهات والاحكام الثقيلة انما تصدر من القضاة بحضور الجورى وقد تقدم
الكلام عليه غير أن جورى الانكليز يختص بانه على قسامين فالاحكام الخطيرة جوريا
يتألف من قضاة شهم وأعيانهم وكل منهم ليرة على كل نازلة والاحكام الخفيفة جوريا
من السوق وأصحاب الحرف مثل فرانسوا ويزيد جورى الانكليز يجور عظيم على نفس
الجورى فان للقاضى توقيفهم في محفل منفرد بكان الحكم حتى يقع اجماعهم على رأى
واحد من غيرا كل ولا شرب واذا وجد مع أحدهم شيئا من مواد المعاش غرمه ما لا وهذا
من مخائب الاحكام اذ كيف يلزم اتفاق آراء عديدة على قول واحد انما أو يعصبون
على ذلك فموضيا أن يكون ذلك وسيلة للمعدل ربما كان واسطة للجور كما أنهم صاروا
يستحسنون تعويض الحكم بالاعمال الشاقة عن القتل مهما أمكن وذلك جالب لزيادة
الشرك كما صرحت به صنفهم المنصفه وكذلك صاروا لا يحكمون بحبس المدين وانما على
المدائن اثبات مال له والحكم بوجه له به ومن أحكامهم المدنية على العادات القديمة
تفريقهم للوطى في وعاء من العذرة الى أن يموت وهو من أشد الشناعات عندهم ومع
ذلك فهو وكاش في كثير منهم سرا سيمالها كرا البحرية وقد وقع عندهم منذ عهد قريب
أن أحدا الملاهى وجد فيه لاعبات جيلات جدا فدعاهن مترفوهن واختلوا بهن وبعد

مدة

مدة مديدة اكتشفت الحرس على أنهم في الواقع غلمان، بشدة البحث عن حالهم
فوجدوا محكم الأطباء أنهم مفعول بهم كثير، لكن حكم فيهم أشد حكم ولم تتبع الجزئيات
لكي لا يقع الافتضاح لبعض العلية وقد اتفنى على عدم حصر أحكامهم في مرجع واحد
طول مدة الحكم وكثرة المصاريف عليها أزيد مما يوجد من الطول في محاكم أوربا التي
تطول فيها النوازل جدا ومن أحكامهم باحة لذي بالتراضي مثل ما في غيرهم، لكن يمكن
أن يخال نساء عليهم أعف من غيرهن في الممالك الأخرى ونساء أواسط الفرانسييس على
ذلك النور وما عدا هؤلاء فلا ترد أحداهن تعريضا لا ما قبل بل وربما فالتحت هي
الرجل

مطلب في المعارف بانكلا تيره كالأخفاء أن امتداد الثروة مبنية على كل من العدل
والعلم فعلى قدر ارتقاء ذلك نمو الثروة وما تقدم من اجمال حال ثروتهم م دال على حالة
المعارف عندهم وأصول المعارف هي الموجودة بغيرها من الممالك السابقة وتقدم
تعاليمها الى التقاسيم الموجودة في فرنسا وأعظم المدن التي توجد اليها من حيايات الارتال
لإقامة التلامذة بمدارسها هي مدينة كبريج واكسفورد وكذا أبناء الاغنياء
يقدمون بهاته المدارس ولهذا كان كل من البلدين غالى الاسعار اذا غلب التلامذة يرضون
أوقاتهم في التلهي والتفاخر والوسيلة لهم التعلم وقل ما يبرع أبناء الاغنياء في العلوم
لكن على كل حال لا يوجد فيهم الجهل المطبق ومما اختلفت به انكلا تيره وجود
جمعية دينية لنشر مذهبهم البريتية اتقى وانفاق النفقات الباهظة على ارسال الرسل
لتنصير الناس في أقسام الارض وحمايتهم وراهم فيغرون الناس بالمال وبالبحاثات
الدينية ويقع المدارس لتعليم العلوم ودرس العقائد فيها وقد نواستطاءهم في الهند
لتعديل عقائد أهلها وحصلت مع المسلمين مباحثات شهيرة وكان الانتصار فيها والله الحمد
للمسلمين حتى انه أسلم بسببها كثير من الجهوس بل في هاته المدة أسلم أربعة قسوس من
الذين تصدوا للترزع والتجدد بسبب صدق الديانة الاسلامية ورسوخ العلماء هناك
وتجربهم في العلوم ثم ان أسباب تيسير المعارف في انكلا تيره كثيرة سهلة المناولة
فقد جرى في سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م انه يوجد بلندره وحدها ٨٧١ مطبعة
و ١٦ معمل لصنع المكابس التي تشغلها الايدي فضلا عن معامل مكابس البضار
(وتسعة) معامل لآلات اعطاء الحبر للروف و ٢٣ معمل لصنع مكابس المطابع
المجربة و ٢٢ معمل لاسبك الاحرف ولوانها وكل مدينة في امن المطابع والمكاتب

ما يناسبها وعدد المكتبات التي بائنا كلاتيره ٢٠٠ مكتبة فيها من الكتب المطبوعة
 ٢٨٧١٤٨٣ ومن الكتب التي بالخط ٢٦٠٠٠ وأعظم هاته المكتبة مكتبة لندرة
 الكبرى وهي ثمانية مكتبة الامة في باريس ومن أهم وسائل المعارف والتجارة والحربية
 * عندهم الصحف الخبيرة وهي على أنواع في الموضوع عن فنون الخياص يهمن فنون علمية
 كالتبارة والكيمياء وغيرها والبرهان من عام في الفنون والعلوم لاسيما الفنون
 * والتجارة وأهم صحيفة من هذا النوع صحيفة التيمس وكان أول انتشارها سنة ١٧٨٨ م
 وكانت لرجل خاص ثم صارت ذات أهم للشركيين ولم
 يزل حفيدهم ينسبها له حصص منها وصارت لها آلة تطبع منها ستين ألف نسخة في الساعة
 الواحدة مع طبع المساء على نحو كتاب ذي ثمان صفحات أو ستة عشر صفحة والورق
 الذي تطبع عليه يرقى به المنفعة على نحو اسطوانة فتتقدم الآلة وتخرج مطبوعا مطويا
 ويأول كل قطعة من الكاغذ قدره ثلاثة أميال انكليزية ويوضع لها من تلك
 القطع من الثلاثة الى الاربعين قطعة بحيث لو وصلت به مضمة مدة تبلغ مسافة
 مائة وعشرين ميلا هذا في طبعة الصباح وحدها وتارة تطبع ثانيا وثالثا ورابعا اذا كانت
 الاخبار ولها نسخة تطبع والانشاء وغيرها مائة عامل نصفهم مخدومة النهار
 والنصف مخدومة الليل ورئيس المنشئين مرتبه مائة ألف فرنك في السنة وزيادته على
 المنشئين الرسميين بالمرتبات كل من أتى بمقالة في أي موضوع كان وحسنت عند المدير
 فانه يعطى صاحبها اجرا عليها يبلغ الى الالف فرنك على المغالة الواحدة وله في سائر
 الاقطار كاتبون جريبات واقرة ولهم أعوان وكاتب وادارة مثل سفارة لدولة من الدول
 ولهم اذن في صرف كل ما يلزمهم لاخذ الاخبار واصالها للادارة زيادة على مصاريفهم
 الخاصة فيصرفون احيانا على مجرد خبر واحد يسلك اليه مائة ألف فرنك وازيد
 بل ويرشون من يرتضى من متوظفي الدليل لاعطائهم الاخبار السريية وقد حصلوا في
 بعض الدول المهمة على لوائح رسمية قبل وصولها الى السفارة برشوة آلاف من الفرنك
 وهؤلاء المكتاتبون يتقبلهم الوزراء والامراء مثل متوظفين ويجاورونهم في المواد السياسية
 * وعند وقوع حرب فلادارة الصحفية مكاتبون حاضرون ترسلهم الى ميادين الحرب في
 المسكرين حتى يخبروا بما يكون وتقبلهم رؤساء الحرب بالرحب غير انهم يشترطون
 عليهم ان لا يخبروا الا بما وافقهم فيحصل من الاخبار من الشقين ما يستنتج منه جهة الخبر
 وينال هؤلاء المكاتبين من الاخطار ما هو معلوم في الحرب غير انهم يتبعوا عدون عن مواقع

(٦٥)

الرحى وكثيرا ما يكونون بقرب رئيس المعسكر ومن المعلوم ان لا يخاطر احد بهم بذلك الا
 لسك - فرة المال فادارة التيسر لهما من الدخل والمخرج السنوي ما يضا هي دولة من
 الدول الثانوية مع ان كل نسخة منه لا تباع الا بثلاثين صانتيما أي ثلاثين من مائة من
 الفرنك الواحد ولو اشترى الورق وحده أيضا لسكان أغلى من ذلك لان ورقه هو من
 معمول خاص به فالريخ العظيم انما هو من كثرة المخرج مع كثرة الاعلافات وعدد نسخ كل
 دفعة نحو من السبعين ألف نسخة وعلى نحو منه في أصول الادارة صحف اربوا الشهيرة
 كلها

مطلب في الصنائع في انكلا تيره اما الفلاحة فهي متقدمة للغاية وأكثر ما استعملت
 هو القمح والشعير والبطاطس وشجرة الدينار التي تستعمل منها السكر ككافة أى البيرة وكل
 المستنبتات لانك في حاجة الالهالي فيجلبون من المخرج كثير الاشجرة الدينار وقيمة
 الصنائع فاعظمها عمل آلات الحديد بنواعها والسفن والمنسوجات القطنية وله فيها
 مهارة على سائر الممالك حتى صارت أرخص عندهم من غيرهم ثم المنسوجات الصوفية
 لا سيما المستخرجة من صوفهم الرقيق المشابهة للحرير وقيمة الصنائع هي دون ما في
 فرنسا في الحسن والرواق لسكن جميع مصنوعاتهم متينة

مطلب في هيئة المساكن في انكلا تيره المساكن في انكلا تيره على خلاف الممالك
 المتقدم ذكرها فان هيئة البناء من خارج على نحو ما في الاسنانة من خروج جهات من
 الدار ودخول أخرى وكذلك الطوافي تنفتح أبوابها بالرفع الى فوق مع كوتها غير كبرية
 مثل ما في بقية اربوا وكذلك الديار كل منها لا يسكن الا عائلة واحدة ولا تزيد طبقا لها
 على ثلاث والبناء كما من الاجر والسقوف والدرج من خشب متين الصنعة والاصاق
 بيضاء ومن أحسن ما عندهم هيئة الكنف واتساعها وانظافتها وان كانوا يحسبون
 على اجلها لو سافرا تقدم في الابنية هو الغالب والقليل مثل بقية انبسية الممالك السابقة تم
 ان منازل المسافرين هي ايضا مثل الممالك السابقة غير ان أكثر الواردين انما يسكنون
 في ديار منفردة يجدها الانسان حاضرة بجميع لوازمها وينفق في أكله على حسب
 ارادته والذي يقوم له بلوازمه هو صاحب المحل فيسأله عن مقدار ما يريد بصرف يوميا
 وعن اجال رقت أكله وما هو مشتاه منه فيصرف له على نحو ما يريد وتقدمه خوادم
 المحل الذين هم في الغالب من البنات الجميلات ومن أراد كراه بيت واحدة له ذلك وهذا
 الطريق أرقي بكثير من السكنى في منازل المسافرين لانها في انكلا تيره غاية جدا كانتها

نظافة وشكلا وان كان على نحو واحد وما كانت الا بخره والدخان والضباب في انكلا تيره ينكائر جدا كانت الثباب البيض كالفحصان تحتساج الى التغيير بكثرة تحفظ على النظافة فاحتاجوا الى جعل رقبة القميص ورؤس يديه وصدره مفصولا عن القميص وتسلك به بواسطة زرر حتى لا يلزم تبه - ير جميع القميص لمجرد وسخ ما يظهر منه عدة حرار في اليوم وهذ اوان كان موجودا في سائر ارباع على السواء عن ادواسط الناس ليدن الذي خصت به انكلا تيره هو جعل تلك القطع من ورق فحين ابيض حيث وجدوا منه وان كان لا يصلح لازيد من البسة واحدة ارفق من ثمن السكان مع دوامه لما يحتاج اليه من كثرة غسل الصابون والنشام والتمايس بالمحيد المهي

✱

مطلب في الاكل في انكلا تيره الانكليزا كثيرا كلات من غيرهم حتى ان المقل منهم لم يعد هابا كل اربع مرات في اليوم صبا وحا وقبل الظهر وفي الساعة السادسة بعد الظهر وقبل النوم والاخرة هي الخسالية عن المطبوخ ومنهم من يأكل ثمان مرات في اليوم وكلهم على العموم بسيط اذ هو شوربة وحم خالص مقلى او مشوي او مسلق و بطاطس مسلوقة في الماء ليس الا ولا يضعون في الطعام شيئا من التوابل بل يأتون به في اواني امام الاكل يأخذونها غضة بدون طبخ بل حتى الملح كذلك عند بعضهم ومن هاته التوابل الحريفة كثيرا كالفلفل وغيره مما يستعمله الهنود ويأتون الى مواثد هم بقطع كبيرة من الجبن وهو الذي جبن رايته كما ان اللحم ايضا يأتون به قطع كبيرة جدا بحيث يأتون بفخذ بقرة صغيرة كله قطعة واحدة كما انه م أكثرا كلالا للتعزيز من غيرهم من رايته والمترفون منهم والمطاعم الشهيرة العامة يأتون بطباخين فرانسوايين وقد رايته باحدى المطاعم بانه مدره (قسما) لا كل الانكليزا (وقسما) لا كل المشرقيين (وقسما) لا كل الفرانسوايين فيختار الاكل الجهة التي يريدوا وكان الداعي بساطة اكلهم ولوعند الاغنياء كثرة الفس في الماء كولات بحيث لاة كاد نجد خبز من دقيق المحتطة حقيقة بل هو فيه انواع شتى تركب باتقان حتى لا يفرق بينها وبين الاصل الا بعليات كيميائية وكذلك الزبدة فهاهي الاشحم حيوانات تركب مع اجزاء بأعمال كيميائية حتى تصير مثل الزبدة (وهكذا) سائر الاشياء الا اللحم وقد ذكر في كشف الخبا ما يتعجب منه من خلط الماء كولات وغشها وجرول العموم بانواع الطبخ وهم كثير والشرب للاكرات الروحية وكذلك السكر كذا أى البيرة لشدة البرد وقلة الخمر وغالته حيث لا ينبت بأرضهم العنب ويخلطون البيرة بورق التبغ حتى تصير شديدة التامير ويكثرون

✱

(٦٨)

منها حتى يعفى عليهم بل ان ايام الاحد ترمى النساء والرجال سكرى على الطرق فانهم
ويتفوهون بالفحش وبعضهم - ماحيانا يموت من كثرة السكر وأهل اليسار يشربون
الشاي بكثرة سيما في السمريل بلا ويدعو الاحبة بعضهم اليه ويختلفون اشربه ويجعلون
في أقداح الشرب قطعا من الليمون الحامض أو يخلطونه بشئ من اللبن ويأكلون معه
شيشام من الخبز والزبدة وغير ذلك من المماثل الخفيفة لكنهم لا يضعون فيه العنبر وغيره
عما تصنعه المغاربة والمشاركة أكثر طبعهم في الاواني من الحديد لا النحاس لانه اذا لم
يبض دائما ينشأ منه الصدأ القاتل ولذا صار أغلب أروبا انما يطبخ في اواني الحديد
أو النحاس التي يجعل داخلها مطليا بنوع من الخنزف بحيث لا يمس النحاس الطعام ومن
عادتهم في الاكل أكل اللحم النتن سيما في بعض الطيور حتى يصير الطير يكاد يتحرك
من الدود الذي نشأ فيه واذا أدخل الى بيت الاكل زكت أنوف حتى الكلاب من قبح
نتن رائحته وهم يستأذونه على ذلك مثل سودان افرريقية ومن القواعد الجارية في عموم
أروبا ان لحم البقر لا يؤكل الا بعد يوم من ذبحه في الاقل ومثله الطيور وأخرى ان هذا
لحم من جهة تلبين اللحم وقابليته للطبخ واللذة سيما في البلاد الباردة لكن لا يصل
الحديد الى حدوث أدنى رائحة به فان هذا مضر بالصحة فضلا عن استنقاده (أما لحم الغنم)
وما شاكله فيؤكل في يومه وهو لذيذ لكنهم ممنوعون من لذة أكل الخروف الصغير
اذا لحكم يمنع ذبح الشاة دون سن العامين لاجل الاقتصاد بكثرة اللحم لان الشاة اذا كبر
جسمها كفت أضعاف أضعافها وهي صغيرة نعم من أراد ذلك فله ذبح خروف مخصوصه
ويؤدى عليه اداء زائد للحكومة بحيث لا يوجد الا بالاعتناء

مطلب في المواكب في انكالاته - **المواكب** عند الانكالاته هي رأس السنة
والاعباد الدينية واجتماع الهامة - ل ما تقدم في غيرهم غير انهم عند ذبحهم للائمة يلبس
الكبراء ذلك الشعر الابيض العارية ويقبلون يدها على طهر الكف ومنهم من يعمد
عند ذلك على ركبة ورجل وتقبل يدا المالكات جار عند ذبحهم أيضا فزوجة المالك
تعامل معاملة المالك في ذلك بل وبعض الممالك مثل المانيا المسا كرفها يقبلون يد
المالك أيضا ومن المواكب الشهيرة في لشده يوم دخول صاحب الملك المدينة رسميا
متوجهة الكنيسة ماربولس وتشكره على ظفر أول اقتتاح بناء مهم طام فحينئذ
يأتي راجعا الى البلاط ولا يدخل الامن باب تنبل باروهو في أول طريق السبتي الشهير
فيطاق الباب في وجه شيخ المدينة فيقدم الملك الى أن يصل للباب فينفتح أحد كبراء
أتباعه

(٦٩)

أبناءه في بوق ويدق آخر البواب وتقع محطاطبة بينه وبين شيخ المدينة ثم يفتح الشيخ الباب ويقدم للآل سيف البلاد فيأخذهم منه ثم يرجعهم عليه ثم يسير الشيخ في ركابه إلى أن يصل إلى مقصده مع الاحتفال التمام وكال الأزد حام ومن المواقب المشهورة يوم تولية شيخ المدينة في كل سنة في شهر رجب من ثاني فإنه يجعل في الطرق حواجز منع مرور الجمالات وتنعس الطرق بالحق فيخرج راج الشيخ من قصر كدهال في موكب حافل ويركب بحملة مؤنفة ذات قيمة بلبعة تجرها أفراس ويركب معه قاضي القضاة والكل باللباس الرسمي وتوضع أمامه آلات الحرب على بحملة مزينة بما تنبتة الأرض وعلى بحملة أخرى سفينة ذات شراع تجرها ستمة أفراس أيضا وتتشرف في الطرق الثمرط وتشمى أمامه وتقف حول طريقه فرق عديدة منهم بعضها يعزف بالآلات الطرب وبعضها ينفخ في ابواق وبعضها يحمل رايات مختلفة الألوان وبعضهم متدرع بالدرع العتيقة وفي موكبه جميع أصحاب الرتب العالية وشيخ المدينة المعزول ويلاقيه في الطريق وزراء الدولة وأعضاء المجالس والدولة وسفراء الدول وعند استقراره بالقصر الخاص به يدعو جميع الأعيان لوليمة فاخرة تشمل على ٢٦٣٧ صحن مع زينة المائدة باواني الذهب والفضة ويجعل أمامه صحن به ستمة صغبر من ستمة نهر التمس ويكون ذلك اليوم يوما مشهودا وذلك الشيخ من أعظم رجال الدولة مع أنه يمكن أن يكون سوقيا أو فراعسا كرويا على حسب ما ينتخبه المجلس البلدى وبقاؤه سنة فقط ومرتبته نحو عشرة آلاف ليرة لا يستغنى عنها لذاته بشئ إذ كلها تصرف في أهبة المنصب وولائه

مطالب في اللغة في إنكلاد تيره اللغة الانكليزية مستحدثة متولدة من اللسان التودسكى القديم وهي لغة ضيقة سهلة التعلم يؤدون المعاني كلها بها بالتركيب وقد اشتهرت جدا في أمريكا والهند حتى صار عدد من يتكلمها ثمانون مليوناً من سكانها يعرفها وليس يستعمل لها اللغة وكانها لغة حلقية لان أغاب أحرفها حاق ولان ساعد على انشاد الشعر والغناء بالكلمة كبيرة

(٧٠)

﴿معالج في القوة البحرية والبحرية والمالية والتجارية﴾

فـ رنك

دخل الدولة الانكليزية عدا حكومة الهند والمخرج معمله سنة ١٨٨١ فحو	٢ ٧٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠
دخل حكومة الهند والمخرج معمله	١ ٦٣٠ ٠٠٠ ٠٠
عسا كبرية تحت السلاح	٠ ١٦٠ ٠٠٠
عسا كرا الهند تحت السلاح	٠ ٣٥٠ ٠٠٠
عسا كبرية وليس له من مائتي	٠ ٠٦ ٠٦٥ ٠٠٠
في وقت الحرب في المخرج فحضر بالاجرة كلما تر يدوعند المجهوم عليها فاهلها كلهم محاربون	
قوة التجارة المالية نحووا	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
عدد السفن الشراعية الحاملة للراية الانكليزية	٠٢٠ ٠٢٨
عدد البواخر الحاملة للراية الانكليزية	٠٠٥ ٠٢٧
عدد الاموال ذوات الاكالات المصنوعات في بريطانيا	٠٠٧ ٢٩٤
امتداد مسلك الحديد ايام الاجات من الركاب في سنة واحدة ستة ملايين	٠١٨ ٠٠٠
عدد البواخر المدرعة العاملة والاحتياطية	٠٠٠ ٠٦١
جواتها طونولاته وكل طونولاته عشرة ون قنطارا ومدافعها على حساب المعدل الواحد طونولاته ٣٧	٣٦٠ ٠٠٠

ال باب ال س ا ب ع ﴿في جزى رة م ال طه﴾

﴿الفصل الاول في سفرى اليها﴾

لما رجعت من فرانس الى تونس في اواسط رمضان سنة ١٢٩٦ ووجدت انقلاب الاحوال فيها باستيلاء فرانساعليهم اقدنهم ولم تقم دناصحي الى وزير تونس مصطفى بن امماعيل بل رأيتهم اضر على الثمر حتى اوعز الى بعض الصادقين بعزمه على البطش بي ولوافضى الى القتل معتضدا برستان فقتل فرانس اذ كان خشية من فشو ما طلعت عليه من عزمهم وحصول التعطيل لهم حسب ما سبق في الاشارة الى طرف منه في ذيل تساط فرانساعلى تونس وفي اسباب سفرى ولم نجد مخلص الا الاخص برأسى وطابت من ذلك

الوزير

(٧١)

الوزير كتابة اعفاني من الويلف من البلاحة التي بدني فاجابني كتابية بالمنع فطابت الاذن
 بالتوجه الى الحج فنعني اولاف استجرت اليه عن لم يسعه الا قبول جاهه فاذن لي فانهما
 بالاسه تراحة مني وشافني الوالي عنه وداعه بما يشف عن غيظه الذي ملاه به وزيره
 صدره فانه ذني الله من شرهم واخذت ورقة المحجوز وسافرت واسطه شوال من تلك
 السنة الى الحج على طريق مالطة بحرا فوصلت اليها بعد سير بالباخرة البريدية نحو ان يوم
 فاذا هي جبال تعجلى ترى فيها حيطان من الحجر مرصوفه فانه شجرة على تلك الجبال ومرساها
 من اعظم مرامى البحر الابيض اذ قانا وصناعة وتحصينا واقعة على الجهة الشرقية من
 شاطئ بلاد فاليتا التي هي قاعدة الجزيرة فصعد الى الباخرة السمسرة لمنزل المسافرين
 واقفقت مع سارسار المنزل المسمى اوتيل دي باريس على ان يكون سعر اليوم واليلة فيه
 عشرة فرنكات سكتاوا كلالى ولتايبى والسكنى في حجرتين والاكل مرتين لانهم يسألون عن
 كمية الاكلات لما تأسوا به من كثرة الاكلات الانكليزية فدخلنا الى البلاد ولم يطلب الكرك
 الا الاداء على الماء كولات وذلك لان السفر الى المرمين يلزم فيه قطع برارى ايس فيها مرافق
 فاحضرت معى من الماء كولات التي تدعى بالانجده في البلدان التي غر عليها ومع ذلك
 كنت خففت بما استطعت ولم نعمل باشارة بعض الاحباء من جل كثير من اللوازم فانه منى
 انى اجدها في البلدان التبرية ههناك وكان الامر على ما قالوا كما سياتى في عمله ان شاء الله
 ولما كانت مالطة مرمسى حرة لم يأتى في سياستها لم يكن فيها اداء على شئ سوى الماء كولات
 التي تؤدى الى المجلس البلدى لمصالح البلاد وحيث كنت لا احتاج الى تلك الاشياء فى مالطة
 اذ قيتهم ومونة فى الكرك واخذت فيها حجة لكي لا تؤدى عليهم اشياء وبعد الاستراحة
 بالمنزل نظرت فاذا بالطبقة السفلى ملائمة بصناديق مكسوة بالجملاد الجميل ومساير النحاس
 ومعها بعض خدم وحشم والطبقة العليا فيها طائفة من المسلمين ومعهم رجال ممن اتخذ
 السخرية صناعة له فقدم الى وحدته فى بكلمات بعضها عربى وبعضها تركى ولم اكن
 اذ ذلك افهم التركى فاعلمت به بانى لم افهمه فمدل الى اللعربى واهمنى انه من حاشية احد
 الكتبة بطراباس الغرب من متوظفى الترك وانه ارسل الى الايمان باثانته من الاستانة
 فجمعها ومع بقية الخدم وذكرك فى حديثه مقدار مرتبة متبوعه فظننت انه هازل ففقتلى
 المقصد اذ فاذا هولاء يباغ ما نتمنى فورتك فى الشهر فتهب من الامر كيف يكون صاحب تلك
 اليندية كتحية بذلك المرتبة ويتعب لاجله من الاستانة الى طراباس الغرب مع شدة
 التباين فى الهوايا بحرو البرد مع حلول الوظيفة عن مقام حال حتى يجعل لصاحبها برقيته فى

(٧٢)

الصيت فدل على وجود ربح آخر على غير الوجه الرسمي مما يضرب المصلحة والله لطيف
 حفيظ (وهاته) البلاد أعنى فالتي بقاعدة مالطة متصاعدة في جبل حتى ان أغاب طرفها
 يصعد فيها بدرج وبها طرق رحيبة للجهلات أحسنها واحد يمر من الشمال الى الجنوب
 خارج البلاد الى طرفها وبعضه مباط بالخشب لمجرد تقليد بلاد لندره والافلابا عت عليه
 لان جهة الوسخ المتسبب عن عدم انقطاع الامطار ولا من جهة قرقعة الجهلات
 المتسكثرة ولا من جهة رخص الاخشاب اذا مالطة على خلاف ذلك كله وهى على نوع
 البلاد الاروپاوية المتوسطة فى الكبر والحسن غير انها متقنة نظافة الطرقات وان كان
 آهاها يبولون ليلالى الطرقات لكنهم يفسلون محلات البول كل يوم وبها قصر الحاكم
 وفيه آثار عتيقة على قدر حالة البلاد وليس منها ما يذكرا الامدافع من أول نوع اختراع
 وهى ورقات من نحاس معصبة بحبال ثم ملقوف عليها جلد غليظ مطلى بالقطران طول
 كل مدفع ثمانية أشبار وقبار داخله سميع عقود وبقية ما فى البلاد ليس منه ما يفرد بالذكور
 غير انها حاوية لا نموذج ما فى المدن الحسنة مما يرجع الى التحسين على نحو ما فى أوروبا
 فلا تامل بل باعادته (أما فى التحسين) فهى من أول أقسام المراسى والبلادان الحصينة
 بحاويلها من الحصون المعمرة بالمدافع الضخام جدا مع الكثيره وجهها طبةقة فوق
 أخرى لما ساعد على ذلك من الجبل فهى حصون منحوتة فيه لا تخربها القنابر ولون
 أعظم المدافع بحيث يصح أن يقال انها لا يمكن لها حياجم اقتحامها أو أخذها الا بالحصار
 لاحتياجها الى القوت من خارج نعم يلزم طول مدة الحصار لانها ركز متوسطة فى البحر
 الابيض فتجئى اليها التجارة من البحر الاسود وغيره ويخزن فيها من الحبوب وغيرها ما يكفى
 آهاها عدة سنين كما انها تشتمل مرساها على معمل مهم للسفن واصلاحها مخبئية خزائنه
 على كل المواد اللازمة لها وبها مرسى أخرى تسمى مرسى موشيطوكتها معرفة عن مرسى
 الشط وهى مرسى الكرنيتينة أى مكان اقامة الواردين من البلاد المصابة بالامراض
 المستويية وهى دون الاولى وحوطها مساكن مقسومة على أقسام على وجهه يمكن به
 الاحتراس من مخالطة السكان بعضهم ببعض وهى مساكن لياسها كما يوجد خارج
 البلاد مقبرة اسلامية محوطة بسور ولها باب مغلق مفتاحه عند امام الجامع وهو جامع
 ظريف والامام يقيم هناك والاقامى بجميع الدولة العثمانية لكثرة ورود المسلمين الى
 هناك حجاجا وتجارا من المشرق والمغرب فاقم ذلك الامام للصلاة بالجامع وعلى من يموت
 لركنه عوذا عن سلوكه مسلك الديانة كان مقبلا على الخنا والجامع معطل والله عافية

الامور

(٧٣)

الامور وعند مروري على حوائذتها وجدت بها أسرة من حديد صغارا خفيفة - تفاق حتى يصير الواحد في طول ذراع وخط سبع - دو ياف في المكان المخزن الذي يفرش على ظهره للنوم عليه - فاخذت منها اثنين للرحلة في الحجاز وفنشت على معمل صغير يمكن حمله بسهولة للبلح فلم أجده هناك ولا وجدت شيئا يحتمل أني لأجد دة في غيرها فاكتفيت بذلك وسافرت منها بعد الاقامة بها ثلاثة ايام راكبا باخرة تجارية انكليزية متوجها الى اسكندرية

الفصل الثاني

في التعريف بمالطة

مسمى هذا الاسم ثلاث جزر واقعة في البحر الابيض على دقبة ٤٥ درجة ٢٥ من العرض الشمالي دقيقة ٤٤ درجة ٢٢ من الطول الشرقي الجزيرة الاولى تسمى فاليتا وهي الخامسة عشر قرية أكبرها فاليتا التي هي القاعد والجزيرة الثانية تسمى (أدوج) بها ستة عشر قرية والجزيرة الثالثة تسمى كوفية ويقربها أخرى تسمى فالغلة صغرى - يرتان ليس بها سكان وانما يقدم اليها أهل الجزيرة بين الآخرين للفلاحة فيها واختلاف الجغرافيون في الحاق مالطة بهم من جهة انهم أفريقية ومنهم من جعلها من أرو بالقرب بها الكمل منها (وكل هاتئ) الجزائر جبال صخرية غيران جورها ليس سهل النعت فاذا جف بالشمس تصاب نوحا ما فاضها غير جيدة لكن اشدة العمل والمعالجة صارت صالحه لزراعة كل النباتات التي بالبلاد الحارة (وأما جبالها) فليست بمرتفعة وليس بها السكان وليس بها نخل الا ما يحدث عن المطر من السمول وليس بها بحيرة (وأما عينها) فتوجد بها عينان ضعيفتان (احدهما) بالجزيرة الاولى (والثانية) بالثانية ما زهما عذب وشوب بشئ يسير من الملوحة وأكثر شرب أهلها من ماء المطر الخزون في دها اليزوجرار (وأما هواؤها) فهو أميل للحر اقربها من المنطقة الحارة وتحدث فيها الاسحبة فجأة بمطار كافوا القرب مع رعود وبروق هائلة ترتد كشمس بسرعة ويحدث ذلك بها ولو صيفا الا انه بقله فيه وأما في الخريف والشتاء فهو كثير الهواء حريف مضر بالصدر كثير الندی حتى يفسد الماء كولات وغيرها المنزوفة في أماكن قليلة تنير الهواء (وأما نباتها) فينبت بها اثر البقول وهي حبيبة والقمح والشعير وخرها من الحبوب ويحصل فيها خصب متوسط كما يندب بها القطن والعنب والرمان والأيون وغير

(٧٤)

ذلك من الاشجار التي تتحمل الحر ولا تحتاج الى كثرة الماء ولذلك لم يكن بها غابات وما
ينبت فيهما من الشجر لا يرتفع على وجه الارض الا يسيرا فترى الخرنوب الذي يكون في
تونس الواحدة منه مثل قبضة شاهقة هوفى مالطة لاصق بالارض لا يكاد يبين
(وهكذا) سائر الاشجار ويعظم بها الصبار جدا (واما حيواناتها) ففيها المعز المحسن كثير
ال حلب وبقية النعم يجاب لها من خارج ويعلف علفا قليلا من الرعي لعدم المرعى وبها
الحجر بكثرة والبغال والحيل بقلة (أما الحيوانات الوحشية فليس بها الا الارانب ومنها
نوع انسى يعظم ويربى والسباع منقطعة والطيور الانسية كلها امر باعة عندهم ويوجد
بكثرة العصفور الاصفر الحسن الصوت المسمى بالكنا لوال البرية قليلة الابعض الرحالة
كالسمان (واما المعادن) فليس بها الا الحجر ويصنعون الملح عند شاطئ البحر بمحطة
صناعية (واما مدنها) فهي قاعدتها المسماة بغاليتا وبقية قرى مجموعها احدى
وثلاثون قرية اهم ما فيها الكناثس (واما مراسيها) فقد تقدم ان بها مرتين عظيمتين
جدا وما عداها فانها مراسي طبيعية حول القرى للقوارب وما شاكلها (واما اهلها)
فعدددهم مائة وخمسون الفا كلهم مالطيون وبيتهم قليل من اطلين تجارا
ومن الانه كباين عسكريا وبعض منوة فبين ومن العرب افراد تجارا أو محترفين وأصل
الاهالى على غالب الظن من بربر تونس وديانتهم نصرانية على مذهب الكاثوليك ولهم
غلو شديد وانهم لا في امة اذ نرافات

الفصل * الثالث

﴿ في تاريخ مالطة ﴾

﴿ طلب في التاريخ القديم ﴾ أول من سكنها جزيرة الفينيقيون وسماها اجاجية
ثم عمرها الينا فيون وسماها مالينة واشتهرت بذلك من قبل التاريخ المسيحي سنة ٨٢٢
ولم تزل ولايات المسـتولين على ايطاليا تتوالى عليها ثم سلوها للقرطاجنيين ثم رجعت
للا رومان ثم اُلحقت بالدولة الشرقية رما ظلموا الاهالى واشتدت وطأهم استغاثوا
بالمسلمين فافتتحها المسلمون بهورهم البصر من تونس اليها والى صقلية في المائة الثالثة
هجرية ولاقوا من اهلها احبسا نا ثورات شديدة الى ان تم الاستيلاء عليها ونقلوا اسمها
الى مالطة المعروف الآن وكانه مصحف من الاسم اليوناني السابق وبقيت بأيدى
المسلمين نجا ومائتي سنة ثم اُلحقت بصقلية تحت تلك عائلة النورمان ثم التحقت بمملكة

النمسا

(٧٥)

الذم - الملقبة اذذاك امبراطورية جرمانيا ثم الحقت بفرنسا ثم بنا الى ثم اسسوا على علمها
نابليون الاول واخيرا بفرنسا ثم عند حرب الدولة العثمانية لفرنسا في مصر وتحترب
انكلادير لدولة العثمانية استولت انكلادير على مالطة

مطلب في تاريخ مالطة الجديدة * لما اساء الفرنسيون الى اهل الجزيرة بانتهك
عوائدهم وكنائسهم ناروا عليهم ثم ثورة شديدة واستنجدوا الى انكلادير فاعانوهم وساموا
الحكم اليهم وكان ذلك في سنة ١٨٠٠ ولم تنزل حكومة الانكلادير متقرة هناك واغاب
الاهالي ماثلون اليهم عن طيب نفس

مطلب في سياسة مالطة الداخلية * الحكومة انكلاديرية بمعنى ان الحصون والقشل
يديرها انكلادير والمحاكم العام انكلاديري مراعاة للاهالي وعوائدهم حتى انه يتحري
لهم احيانا ويرسل لهم حاكما على مذهب الكاثوليك من اهالي ارلانند، وقد وقع ذلك مرة
عندما تعرض احد الحكام البريتسنتات لمادة لم - م في احد اعيادهم - م فاشتهروا منه
وعزلته دولة انكلادير حاز وعوضته بكاثوليكى ولا تزال تراعى له - م ذلك وهو عنددها
احدى الكبرياء من قبلهم وعوائدهم حتى في التعصب لمذهب البريتسنتات
وذلك المحاكم تبقى في وظيفته خمس سنين ثم يبدل بغيره الا ان تطلب الاهالي ابقائه ثم ان
تصرفه مقيد بشروط عشرة من اعيان المالطين في كل ما يعود على مصالحهم وحالة بلادهم
وكل الموظفين في السياسة والاحكام هم من اهل مالطة الا ان الكاثوليك الاوّل للمحاكم العام
وجميع دخل الحكومة لا تأخذ منه دولة الانكلادير ولادانقا واحدا بل كله يصرف في
مصالح الاهالي وعساكر الدولة تصرف عليهم من خزينة الامن دخل مالطة والاحكام
الجزائية هي اصول القانون الانكلاديري متمزجا بما يصلح بالاهالي ومطابقا لعاداتهم حتى
ان احترام يوم الاحد الذي يلزم في انكلادير غاق جميع الدكاكين فيه لا ترى منه
في مالطة شيئا فتلخص ان الحكومة تشورية قانونية والاحكام الشخصية منفردة عن
الادارة العرفية واسم الحكومة انكلاديرية وحقيقتها أهلية غير ان أكثر الواردين من
الانكلادير سواء كانوا موظفين أو غيرهم - م يتكبرون كبراعطية اعلى الاهالي لا - م تخقار
عاداتهم وبلادهم فأورث لك كره رطاع الاهالي لهم وان لم يقدر واحد من الانكلادير على
ظلم احقر الاهالي

مطلب في السياسة الخارجية بمالطة * ليس في مالطة من سياسة خارجية تعتبر
اذهي لاحقة بانكلادير وانما في قاعدتها فاسل لكل الدول الكبريرة مراعاة له كونه

(٧٦)

ماوى متوسط بين المشرق والمغرب فتأوى اليها السفن المارة لكلا الطرفين وليس
 لاؤلئك القناسل من شئ سوى قضاء ما يحتاج اليه اتباع دولهم اذا حكم في البلاد جار على
 الجميع سواء من دون دخول لقنسل فالقنسل أشبه بوكلاء تجارية نعم فائدة في الاعلام
 بالحوادث السياسية ان حصلت هناك ولذلك كانت أغلب القنسلات هناك أصحاب
 وظائف شرف لاوظائف عمل فكثيرهم لا مرتب له وإنما يكون من ذوى الثروة يفتنع
 برسم اشارة الحكومة المنسوب اليها على باب داره لمجرد الفخر اذا لا فرنج مطافس واه كانوا
 من أهل ماظة أم من غيرهم لهم ولوع زائد يجب الفخر فتراهم يتهافتم على نياشين
 الافتخار وعلامات الامتياز ولون دوله صان مارنيو التي هي عبارة عن أربعة آلاف
 نسمة ليزينو اصاص دورهم في المواقب أو يثبتوا في ستراتيم غرات على شكل الوردة
 ذات ألوان مشيرة الى ماعندهم من علامات الامتياز فاذا دخل الزائر مقلمة تلك الوردة
 قال من المزور زيادة المراجعة ولومن جبهة لندره وطغاة باريس ومن سخافة عقول
 بعضهم أن يتخذ تلك الاشارات وسيلة للتدجيل على النساء حتى تعشقه للزواج أو غيره
 بناء على انه من عليه الناس وقد نشأ عن هاته الرغبة في النياشين ان بعض الدول صار
 لايعطيها الاثمن لذات النيشان الذي هو أزيد من قيمته وزيادة على ذلك صار بعض
 الدول يعين لسفراته في الخارج عددا مخصوصا من كل طبقة من النيشان ليبيعه
 ويستعوض بثمنه عن أخذ مرتب له من دولته وكذلك مرتب اتباع السفارة مع ما يحصل
 له من رعيته اذا كان مقيما في مملكة يسوغ فيها ادخال السفراء والقنسل في الاحكام
 مطالب في بقية عادات المسالطين وأحوالهم ~~لما تقدم لنا الكلام في الممالك~~
 السابقة على بيان أطوار الاروپا وبين وعاداتهم فلاداعي الى الاطالة بالاعادة على غير
 فائدة لان ما لطة قطعة من ملحقات أروبا واجمال أطوار أهلها على العموم مثل أطوار
 سفلة الطاميان والاعيان منهم مثل اعيان أروبا سوى انهم يزيدون عليها ~~بكثر~~ بلبس
 الخواتيم في الاصابع ونسأؤهم جميعا اذا خرجن في الطرق يجمعان على رؤسهن
 رداء أسود مدلى جهة اليسار ويمسكن طرفه الايمن بايديهن
 وكذلك لغتهم مخالفة لغيرها لانهم اعربية محرفة
 جدا مدخول فيها كثير من الالفاظ
 والاصطلاحات
 الالمانية

الباب الثالث من في الاقطار الى مصرى

الفصل الاول في سفرى المراكب

✽

بعد ان اقامت بالطه ثلاثة ايام نذتظر سفر باخرة توالى الاسكندرية حيث لم يكن بينهم
بواخر بريديتوا وانما البريديسافر الى ايطاليا وغيرها من جهات المشرق ثم يذهب
الى الاسكندرية ويلزم طول مدة السفر فلذلك اتيت باخرة تجارية من بواخر الانكليز
التي تتوجه الى هنالك بكثرة فوجدنا واحدة مشهورة بالفحم الحجري انزلت منه ما انزلت
في مالطه وجات الباقي الى الاسكندرية والكرايه فيها وفي امثالها اربعة من بواخر
البريد لانها راجع الى السمن حيث ان اصحابها ليس لهم الاممحوالات التجارة التي هي
موضوع تشغيل السفينة فلم يكن بها الا الطبقة العليا والاخيرة للركاب وليس بها
المتوسطة وهما مثل طبقات البريد فركبنا في اللان الباخرة عند تمام افرانغ شحنتها تسافر
من غير تأخير ولكنها تسافر الاصباحا بعد الشروق واسقت من ركوبها المساريت بها
من الوسخ سوى داخل البيت الكبير برفاهة نظيف ومثله حجرات النوم ومن المعلوم ان
الجلوس به دائما مقلق لكنهم ماضى من وقت السفر اربع ساعات الا وقد غسل ظاهرا
الباخرة غسلا محكما ونشف فصاريت من انظف البواخر والمحق ان يقال ان بواخر الانكليز
مطلقا أشد نظافة مما هي اناها من غيرها اعنى كل نوع بالنسبة الى نوعه وذلك انى كنت
رايت باواخرهم الحربية محجة مع غيرها من البواخر الحربية للدرل الكبيرة عند قدومها
الى تونس سنة ١٢٨٠ في الثورة العامة فاذا بواخر الانكليز اتقنها نظافة وكذلك
البريدية والتجارية ويلهم في ذلك الفرائسايون ثم اسمة والسير والبحر في غاية السكون
وكان معنهم الركاب في الطبقة الاولى انسان انكليزيان لهما معرفة بالتصوير فكنا
ان لا نمر بشئ الا وصوراهم من طير او سحاب او سفينة بل وكل من في الباخرة حتى كان فيها
في الطبقة الاخيرة على ظهر السفينة اناس من المغرب وآخرون من صفاقس كلهم
متوجهون الى الحج وفي كل يوم عند ارادة غسل ظاهرا الباخرة يؤمرون بالانتقال من مكان
الى آخر مع جل رحالهم فيكونون في أشد التعب مع الدوار والحاصل لبعضهم بمرض
البحر فصورهم على تلك المشقة والجهد الجهد ولما نظرت الى حالة هؤلاء الحجاج
شاهدت مصداق قول الفقهاء بعدم وجوب الحج على تلك الصورة لانهم لا يصلون وصلوة
واحدة مثل فريضة الحج وتركهم للصلاة يأتي من نجاسة ابدانهم من تعوطهم بلا

✽

استنجاه ومن المياه المتقاء عليهم بقبل السفينة ومن عدم وجود مكان للصلاة لانهم يمنعون
 من تجاوز مكان جلوسهم ومع ذلك يمايلون بهام لمة الحيوانات الجهم من الخريتين
 بالاهانة والسب الى غير ذلك وايضا يعترى بعضهم الدوار البحري فيتقاي في مكانه بل
 منهم من تنغوط ويبول فيه وتصل نجاسته لمن يجنبه فلما رأيتهم في سوء تلك الحالة
 ذهبت اليهم وأعلمتهم بالحكم الشرعي في وجوب الحج وشروط الاستطاعة فيه وسألتهم
 لما ذابوا عن ركوب الطبقة الوسطى في بواخر البريد أوفي العايات هل سمعتم أنها ليست
 بغالية وبعضهم تظهر عليه آثار الثروة فأجابوا بان ذلك العذاب لا يصير فيه لانه مدخول
 عليه في السفر الى بيت الله بل مهمما ازيد كان ثوابه أكثر وأصر واعلى ذلك منهم من
 على قولي فعدلت عن ذلك ولا طقتهم في المحافظة على الصلاة فقالوا كيف نصلى ونحن على
 هساته الحالة وأين نصلى فقلت لهم انكم مالكم كعبه ومذبحكم يرى صحة الصلاة ولو على ما أنتم
 عليه لان ازالة النجاسة تجب وقيل تستحب فقط مع القدرة والتذكري فقال لي واحد منهم
 اني أصلى كما رأيتني قلت نعم رأيتك تصلى والآخرون قالوا لو نجد مكانا ويتركوننا تطهر
 فانهما نصلى فتأطقت لرئيس البانحة الى أن أذن لهم في التمسح واستعمال الماء في
 المرحاض فقط لئلا يكون أغابهم مع ذلك لم يصل وقد سألتهم أيضا عن موجب كثرة رحلهم
 حتى ان بعضهم رافع حرة كبرى ما فوفة بشرط ان الحلقاء للماء وقريبة من الالادام والتديد
 الى غير ذلك فقالوا ذلك لقوتنا فقات انكم متوجهون الى مدن ان لم تكن أكرم من
 مدنكم فهي فجوها ولا بد ان يكون لهاها ما يكفيهم فهلا وسعكم ما وسعهم وزاد الطريق
 في البراري يؤخذ من أقرب مدينة اليه فقالوا يلزم لذلك الثمن وهذا الذي عندنا غامو
 من ييوتنا فقات لو بعتم هذا أو أضفتم عليه كراهة له بحرا وبرالكان أرخص عليكم من
 شراء الزاد من الاماكن اللازمة فقالوا تلك بلاد لا نعرف أحوالها والاولى التزود من
 أما كنا وهاكذا اجرت العادة فعلمت ان تأخير العوائد أمر صعب جدا وفي غروب اليوم الرابع
 وصلنا الى الاسكندرية ولم يظهر لنا منها شيء لان أرضها منخفضة ولا جبال بها حتى يمكن
 رقبتهما من بعد وحيث كان وصولنا بعد الغروب ومن الرسوم ان لا تدخل السفن اليها
 الا بعد اهديها الطريق حيث كان قرب مرصاها اصغرات لا تبين من البحر وتضر بالسفن
 اذا صادتها الزم حضور أولئك الهداة ليدلوا السفن على الطريق ولهم على ذلك أداء
 معين فلزم البانحة ان تكون طول الليل غادية راجحة في نحوها من ولم يظهر لنا من البلد
 سوى منارة هداية السفن وقرب الشروق ظهر الهادي في قارب قادم للبانحة فاعرض

(٧٩)

عنه السفن محنقراله وابتدأت مشاهدتي لنعاطم الافرنج على المصريين وتبين ان السفن
 كان عالما بالاط- ربق لكنه انما توقع عن الدخول لمجرد الرسم فدخلنا المرسى فاذا هي
 ذات مأمون ودات حرسى صناعية فيهما من بواخر الحكومة المنحازة الى جهة خاصة ثم اذينة
 بواخر كبار كلها خشب وفيها من البواخر التجارية الاجنبية ازيد من عشرين وفيها
 باخرة حربية اجنبية وبعد تمام الارساء واخذ الاجازة للباخرة من مأمورى المحطة في
 انزال سلعها وركابها للركاب بالنزول وذلك لان من القوانين العامة ان كل سفينة
 تسافر من مكان يلزمها ان تأخذ من مأمورى المحطة به الذين لهم ديوان خاص صكها
 منصوصا به حالة البلاد التي سافرت منها من جهة الامراض العامة ومقادير ما في السفينة
 من الركاب وأنواع البضاعة التي بها فاذا وصلت الى مرسى مقصودة لها اول ما يتلاقها
 مأموروا المحطة فيمطالعون ذلك الصك ويحتمون عن صحة الركاب وعدد دهم فان لم يوجد
 بها شئ مضر اذنت بافرغ ما تريد في تلك المرسى فاحاطت بالباخرة القوارب الغضبية وثار
 عجاج الصياح من اصحاب المختلطين من اهالي وافرنج في النزاع على حمل الاثقال
 والركاب ولما رأيت الامر متعاقما ضم لي خريتي والباخرة صندقات رحلي وبعثت
 حارسا لها في زاوية لان اصحاب القوارب كادوا يخطفون ارحال شاء صاحبهم ام ابي
 من غير مسارمة للاجور ذلك خلة فيهم في اى بلد كانوا ثم بعد الوصول يطلبون الاجراضا
 فاضاعة ولما نزل جميع الركاب مع رحالهم لم يبق حول الباخرة الا قوارب السلم التي
 عهدتها على القموق دعوت قاريه او اتفقت معه على اجرة بين واعانني على ذلك ابن
 وكيل حكومة تونس الحاج على الفيزاني رحمه الله حيث تلقاني في الباخرة بعد ان ورد
 تابعه سائلا عنى وظننته احد اولئك القاريين فلقط خبري لان حركته لا تغير عنهم ثم
 لما وصلنا الى القموق طلبوا ورقة الجواز وكادت ان تحصل لنا التعاب بمنع الدخول الى
 الاسكندرية حيث كانوا ينعون دخول من يريد الحج وانما جاءه لولاهم خارج البلاد مكانا
 محاطا بالعساكر بحيث لا يسوغ للوارد الا الى كوبرى البحر او طريق الحد يد تو الى
 السويس وكان سبب ذلك كثرة من كان يرد من الاقطار الغربية للحج بالمال ولا زاد
 فيه كانوا يصرحون حكومتها وانما اهلها اعيانهم لئلا يمدحوا على الله لاشرعنا
 ولا عقلا لان اصل فرض الحج معلق على الاستطاعة بنص القرآن الكريم فلا يسوغ
 الاقدام على السفر بدون شروطه نعم اذا وقع لعارض فقدم المسافر سال يقوم به في
 الرجوع لو اعانه او لمحل ماله او اقامته ففي بيت مال المسلمين قسم معين بنص الكتاب لابناء

(٨٠)

السيد بل فيعطون حاجتهم الى بلوغ مكانهم ولو كان ابن السيد بل غنيا لكانه في ذلك الطريق لا مال له فتداركنا الله باطفه واذننا لكاف بالدخول للملذونظروا الى رحالنا * وأرادوا التشديد في تفتيشها قلب عالها على ساقها مة طلبين الاحسان اليهم فلم يعني الا التخلص من الظلم بدفع شيء من المال اذ تكا بالاحف الضمر من الخوف من تشيت رحلي والسرقة منه مع التعب ثم قصدت منزل المسافرين الا فرنجي المسمى أو قبل دى روب في أكبر طحاء البلاد بعد مشقة في التخلص من النزول عند وكيل تونس الذي لاداعي اليه سوى تحجيلة الكافة بالضيف والمصرف عليه مع تكا في بلزوم مراعاة احواله وعاداته معاهه لا يوافق حالتي وعاداتي اذ لم تكن لي معرفة به قط مع ما ناعا عليه من المرض الملازم الذي اشتد منذ جوعي الى تونس بسبب الانفعالات النفسانية فيلزمني المساعدة المزاجي في الاكل والنوم وغير ذلك مما يحمل مضي في مشقات أو يضربني تركه فاكترت في ذلك المنزل بيتا واسترحت به على ما ساعدني وافقتات في جامه وأكلت * وعن ثم أكثرت بحلة وقصدت أخي في الله الصفة الخيرية على الاخلاق والاعراق سيدى ابراهيم السنوسي الحسيني وهو المحدث البليغ المتفنن في علوم المقول والمقول والسياسة صاحب الاخلاق المطابقة لانتسابه العالي لشأمن بيته الاصيل بعديفة فاس البيضاء قاعدة ملكة المغرب وحصل من العلوم ما استكمل به سفره ثم رحل الى تونس وأقام بها بضع سنين وامتزجت به أفاصاه وأعيانها متأسنين بعلمه وأدبه وكاد أن يتخذها قرانا لولا المحنة التي وقعت بها من سنة ١٢٨٠ الى سنة ١٢٨٦ فارتحل عنها على ما دعته اليه مقتضيات الاحوال من فساد الحكومة واستقرارها بالاسكندرية مشتملا على كماله وفضله وعفافه واتسعت نعم الله عليه لازال أهلالا لكل فضيلة فلاقيته في الطريق والزمني بالاستقرار في مقره وحيث كانت الاسباب المشار اليها آذنا في التخلص من الضيافة مفقودة مع أخي الفاضل الموصى بالله لامن جهتي ولا جهة ساعدت مراده وأقدت عنده * سبعة أيام ولاقيت أيضا أخي في الله التقي النقي الكامل رستم باشا التونسي وهو الفاضل العفيف النصف وح المؤمن نشأ في بلاد الجراكسة من جبال القوقاس ووفد على تونس دون سن العشر فأدخل الى مكتب الحرب وحصل على القرآن العظيم ونصيب كافي من العقائد والعبادات والتجويد والنحو والحساب والهندسة وفضه يرها من الفنون الرياضية والحربية مع تحصيل اللغة الفرنسية ومعرفتها التركية وناظر علم التصوف ثم تقلد الوظائف السامية في حكومة تونس فولى أمير لواحراسة الامير ثم مستشارا لادخالية

تم

(٨١)

ثم وزير اقليم وعضوا في المجلس الخاص والمجلس الاكبر وكان من أشد المحاميين عن العدل والشورى وما وقعت الذكبة العامة لتونس سنة ١٢٨٠ وما نشأ عليهم من المظالم سافر المشار اليه الى أوروبا ثم رحع الى تونس سنة ١٢٨٦ باستدعاء الحكومة وقد وزارة الحرب مع توظيفه في كل من المدينين بولايته عاملا على أعمال نيديه بجزيرة ولاء اعراض وغيرها وسافر مرارا اميرا على المعسكرات لاقرار الراحة والامن في الولاية وفي كل ما تقدم به كان مستقيم السيرة والسيرة مثنى عاينه بالنسبة الخاص والعام ولما ابتدأت الذكبة الكبرى الاخيرة لتونس ورأى مبادئها ترخص من الوالي السفر للعداوى فأقام في أوروبا مدة ثم أقام بالاسكندرية فلاقته به في إحدى المنازة الكائنة بالرملة وانهم مات من السبل الدموع لما توقعناه للوطن العزيز ولا حول ولا قوة الا بالله وهاته البلاد أعنى اسكندرية هي ثاني مدينة في القطر المصري وهي مناخ تجارته مع سائر الممالك التي على البحر الابيض والمحيط الغربي وبها حصون حصينة وقشلات للعساكر ومكاتب عديدة لسائر الفنون وقصر للخدمى بقرب المرسى اذيق فاخر ومنزه عام خارجها بالمكان المسمى بالحمام ودية وهو منزه تزييه جدا تلتابه الموسيقى الرسمية في الشامية واكثر من يرد اليه انما هم الاجانب وفي المهمة ودية طريق وسبع صناعات حوله الاشجار العظيمة يتماشى فيه المتفرجون بجمالاتهم وبقر به فرح من النيل وعليه آلات بخارية لرفع الماء وتصفيته وتقسيمه صافيا على البلاد في قنوات وأغاب طرق البلاد بمطاطة بالحجارة حسنة المنظر سيما حارات الافرنج التي يوسطها البطحاء الكبرى ذات الجنيشة والقنوات وحولها القصور الشاهقة ومن تحتها الحوانيت المنزوفة وبوسطها مصورة محجدة على باشا بحجمه ضخمه كانه راكب جواده وأغاب طرق البلاد في حارات المسكين ضيق وماعداها فهو متسع وبها من الجوامع الشهيرة جامع الامام البصري رجه الله وهاته المدينة بناها السكندر المقدوني وهو الرومي اليوناني الذي نشأ في مقدونية المعروفة الآن باروميا في بلاد فيليبس وهو تلميذ أرسطو الذي أشار عليه بتفريق ممالك الفرس عند تغلبه عليها سنة ٩٣٥ قبل الهجرة وقال له الحكمة الماثورة الى الآن وهي اقسام تتحكم قال في الاقياسون وليس اسكندر هذا في سديا جوج فان ذلك من الملوك المعروفين بالاذوان قبائل حير ببلاد اليمن واسمه الصعب ولقبه ذو القرنين ولقي ابراهيم الخليل وعانقه كافي الشيخين وأطال في ذلك فليرجع اليه من أراده وهذا مما يؤيد ما قلناه في الكلام على سور الصين في المقدمة والله

ع

صفحة

١١

٦ « صفوة الاعتبار

(٨٢)

الحمد وقد سماها الاسكندرية بالاسكندرية باسمه وكانت هي قاعدة الاقطار
 المصرية الى الفتح الاسلامي وكان تحياها جزيرة يقال لها جزيرة فارس فانصابت بالبر
 بصيف بناديبطليموس وهي الآن جهة رأس التين وفي الشمال الشرقي منها بنى المذكور
 منارة الاسكندرية الشهيرة وكان ارتفاعها أكثر من ١٥٠ قامة وأحد جوانبها يزيد
 عن ٥٠ ذراعاً وكان أنشأ عليها أعمدة من طولون قبة من خشب فأخذتها الرياح ثم
 أصلح المنارة لتداع بها الملك الظاهر بيبرس وبنى عليها مسجد الهندم بزلزلة ثم جدد ثم
 انهدم الجميع وبنى بجعلها الفناير الموجودة الآن من آثارهم على باشا وقد كان أسس
 بها بطليموس الاول خزنة كتب بعد اذ ذلك من عجائب الزمان تحتوي على ٧٠٠ ٠٠٠
 مجلد وزعم بعض المفترين من المؤرخين ان أمير المزمين سيدنا عمر أمر بحرقها مع انها
 احترقت قبل الاسلام بمدة مديدة لان الذي أحرقها هو بولس قيصر الرومان عندما كان
 محاصراً بالاسكندرية ورامت أعمدته الاستيلاء على سفنه فأضرم فيها النار وكانت
 بقرب من النصر الملكي المحتوى على الخزانة المذكورة فاحترق الجميع كذلك في جغرافية
 مصر لكرمي قال ومن المحقق انه بعد مائة من الزمن كان انطوان الروماني أهدي
 الى الملكة كيبوطرة من كتب خزانة بروجام ٣٠٠ ألف او ٤٠٠ ألف كتاب فوجدت
 بذلك خزنة كتب عظيمة وان كانت دون الاولى فأصابها الحريق مرتين ثم دمرت
 بالتمام بواسطة المتعصبين للديانة النصرانية لازالة أبقارهم مدة الاوثان في مدة حكم
 تيودوس قبل الاسلام اه باختصار يسكن هاته المدينة الآن نحو من ٣٠٠ ألف نسمة
 وبها أزيد من ٣٠ ألف محل ما بين كبير وصغير وتشتمل على مهل فاجر للسفن واصلاحها
 ومن غرائب البادية المسئلة الواقعة قرب محطة سكة الحديد الموصلة للبرية وهاته
 المسئلة على نحو المسئلة التي ذكرناها في باريس ولندره اذا تجتمع نقل من ملكة مصر ولم
 يبق بها الا هاته فقط وطولها ٦٤ قدماً في قطعة واحدة من حجرها كتابة قديمة
 سميت مدة الملك موريس المتلك سنة ١٧٣٦ قبل الميلاد ومثلها غرابية عمود السواري
 الشهير الواقع جهة مينة البصل وهو عمود على قاعدة عظيمة فوق تل عال ارتفاعه مع
 تاجه أكثر من ٣٠ ميتر ويحيطه نحو ٢٨ قدماً يقال انه عمل مدة قباصرة الروم وبعد
 اقامته بهاته البلدة سبعة أيام وتردى منها ما يلزم لطريق الحجاز غير الحجياوم والقرب فاني
 أخذتها من مصر لانها هاتك أرخص ثمناً وارسلت الى جميع ذلك الى السويس وتوامع الطباخ
 والخدام الذين استأجرتهم من الاسكندرية توجهت حينئذ الى مصر القاهرة را كحافلة

طريق

(٨٣)

طريق الحديد ولم نجد بها مخدعا خاصا إذ فرش ومرافق مثل ما يوجد في أوروبا وكان ركوبي بعد العصر في سائر التل سيراً وطولم يقف الا ببعض بلدان كبيرة كان منظر الارض قرب اسكندرية ليس بهيجا وانما توجد براحات واسعة بها المسار كدار مزروع بها الازلي. لكن تغير المنظر بحسن النبات والزراعة بعد حصة ولم يطل بنا ذلك المنظر الجميل لارخاء الظلام سهـ دوله فوصانا الى القاهرة بعد سير أربع ساعات ونصف فتلقاني في الموقف النجيب الوجيه الحاج على الشماعى وكيل تونس واعتذرت اليه عن الإقامة بـ منزله بجمام ونزلت في منزل المسافرين المسمى الخمارة الكبيرة مواجه للوضحة الازليكية وأسعارها تارة المنازل نحو من أسعار أوروبا

الفصل * الثاني

﴿ في صفة مدينة مصر القاهرة ﴾

هاته المدينة هي قاعدة الاقاليم المصرية منذ الفتح الاسلامي غير انها اختلفت اسمها وبقاعها على حسب اختلاف الدول والاعصار وان كان مركز جميعها واحدا فبعضها محاذ لبعض فاول ما اختطه الصحابة رضوان الله عليهم مدينة الفسطاط حيث ضرب سيدنا عمرو بن العاص فسطاطه في الفتح وعند ارادته للتقدم جهة الاسكندرية التي هي القاعدة اذ ذلك وجد ساما قد فرخ عـ الى عمود فسطاطه فاجاره وأبقى الفسطاط الى أن رجع الجيش بعد الفتح واخطت المدينة حول الفسطاط فسميت به ثم لما تقابل المنزلة الفاظ عـ الى مصر عـ الى يدقائده جو هو واخطت القاهرة وصارت هي دار الامارة وهي مدينة رحيمة يمر النيل مجازاتها وعليه آلات بخارية لرفع الماء وتصفيته وارساله في قنوات تفرق على جميع المدينة وعاليه جسر حـ ليد طوله ميمتر ٥٠٠ وعرضه يمر عليه ستة عجالات وعلى حافته طريقان للمشاة وقد صنع سنة ١٢٧١ رهلى حدودها جميل شاهق عليه قلعة حصنها وكانت مستقر الامراء وهي ذات حصون مقيمة صناعية مشحونة بالمدافع من الطرز الجديد الضخم زبادة عـ الى تحصينها الطبيعي وتعلم منها سائر المدينة وأربانها فترى عظم اتساعها و بها القلعة جامع ضخم ذو قبة شاهقة جـ داومنا رجيحة مرتفعة وبه اسطوانات من المرمر الملون ذات بهجة وارتفاع عظيم وبه حبيب متوضا أنيق جميل وبني هذا الجامع محمد على باشا كما أنه اتقن قصر الحكم بها وهو ذو بيوت واسعة وأواوين رحيمة مشتمل على جميع الفرش ولا زال هو القصر الرسمي للواكب المهمة

(٨٤)

وان لم يكن فاخر امثل القصور المحدثه التي يقيم بها الخديوي وبالقاعة ايضا معسكر وديوان
 نظارة الحرب وبها بئر عتيق جدا يدعى الجهال انه جب يوسف عليه السلام وكن الحامل
 لهم على ذلك غرابه وجود بئر في ذلك الارتفاع فعدوه معجزة وبالقاهرة أسواق
 كثيرة جدا بل اني لم أربدا أكثر منها احوالنا في سائر الجهات وأهم طرقها القديمة
 هو الطريق الموصل من الاز بكية الى جامع سيدنا الحسين ويسمى بالموسكى فهو متسع في
 بعض جهاته نحو عثمانية أو دشمة أمتار وفي بعضها فتح والخمسة أمتار وأما بقية الطرق
 القديمة فأكثرها الأثر به الجهلان وبعضها أثر به محلة واحدة نعم ان الطرق الجديدة
 التي افتتحها اسماعيل باشا في عشرة الثمانين والمائتين وألف في الحارة المنسوبة اليه
 المسماة بالاسماعيلية هي على نحو الطرق الأورباوية اتساعا واستقامة وهساته الحارة
 كلها محدثة ملحقة بمصر ومن محاسن القاهرة حديثة الاز بكية الجميلة الابنية المحاطة
 بسياح من قضبان الحديد الجميلة وبها أبواب من ككل الجهات على الطرقات المحاطة
 بها وهي ذات عماش ورياض وأشجار وانوار وقعا عدد وقها وهي تنانها الموسيقى
 الرسمية كل يوم عشية لكنها لا يحضرها غالبا الا الافرنج وقصور الخديوي وأقاربه
 وحواسبه مائة الحارات الجديدة مبهجة لها برونقها وأهمها قصر عابدين أما القصور
 التي له حول القاهرة فهي كثيرة مضاهاية أو فائقة على قصور ملوك أوروبا وجمعت بين
 مال الاروبا وبين من التحسين والملاشرفين من النزويق والاسراف لكل منها حدائق
 وعيون وحيوانات غريبة ومن هاته استان شويبة وقصر ذوالبركة الرحيمية الذي
 أنشأه محمد علي بعد اذن القاهرة نحو ثلاثة أميال وله طريق جميل هو مقته لدى أهل
 التمشي والنزوح لاجلهم وخيلهم من البهجة بالاشجار العظيمة من ورائها
 البساتين والقصور الموثقة لاهل الترف والمذخعة من الاروبا وبين الامراء والوزراء وعلى
 جانب ترعة من النيل وهكذا حارات الافرنج والحارات الجديدة في تانيق البناء والقصور
 وبمخرجها من الظاهر فضلاء عن الداخل لكن ديار الالهالي ليس منظرها من الخارج
 ما يسر النظر أما ما اشتملت عليه القاهرة من المقامات والاماكن العظيمة فالهامة مقام سيدنا
 الحسين رضي الله عنه وارضاه وذلك انه بعد الشيعة الشنعا بكر بلاه أيام يزيد سنة ٦١
 حمل الرأس الشريف المكرم ويقال انه دفن بعسقلان الى ان نقله الملك الصالح طلائع بن
 رزك وزير القاه سنة ٥٤٨هـ الى القاهرة في موكب عظيم ودفن بالمقام المشار اليه ثم
 عمات عليه المقصورة من الفخاس الموجودة الآن سنة ١١٧٥ وبني حوله المسجون

الرحيب

- الرحيب وقد تشرفت بزيارة هذا المقام الشريف واصلت الجمعة وغيرها في مسجدته ولله الحمد وقد صلي الخديوي محمد نوفيق تلك الجمعة هناك فلم يكن له من الاجتهاد والخصامة الكبريائية ما يذكر وانما معه بعض خدم واعوان ومن المشاهد ايضا مشهد سيدتنا زينب شقيقة السبطين رضي الله تعالى عنهم ومشهد سيدتنا رقية ابنة سيدنا علي بن ابي طالب ومشهد سيدتنا سكينه بذت الحسين السبط ومشهد سيدتنا نفيسة الطاهرة من ذرية سيدنا الحسن الشهيرة بالزهد والصلاح المناقب الماثورة ومشهد الامام الشافعي خارج القاهرة في القرافة وغير ذلك من المشاهد والمقامات التي لا تكاد تحصى رضي الله تعالى عنهم اجمعين وذلك لان مصر محط رحال الصحابة والتابعين والعلماء والمصنفين رحمهم الله اجمعين وكذلك الجوامع التي بها تكاد تفوق العدو اول مسجد بني بها هو الجامع العتيق ويسمى الآن جامع عمر وأسس سنة ٢١٤ عند الفتح الاسلامي ثم زاد فيه مسجلة بن محمد الانصاري سنة ٥٣٠ وروقه وقيل انه بنى به اربع منائر باركانه الاربع بامر سيدنا معاوية وهو اول اختراع في ذلك وفيها يقول عابدين هشام الازدي
- وكم لك من مناقب صالحات * واجسد ربالصوامع للاذان
كان تجاوب الاصوات فيها * اذا ما الليل القى بالجران
كصوت الرعد خالطه دوى * وأرعب كل محططف الجنان
- ثم الجامع الازهر وهو اول جامع أسس بالقاهرة بعد الفسطاط أسسه جوهرة القاضية سنة ٣٦١ وجدد اتساعه مرارا وهو ينقسم الى بيت وسبع ذى تقاسيم مرفوع سقفه على أعمدة والى صحن وسبع محاط به اروقة يقيم بها اجاعات من الطلبة الجاورين لاخذ العلم وهذا الجامع هو مدرسة العلم الجامعة في الاقطار الشرقية وفي القاهرة جوامع أخرى عديدة ذات بناآت ضخمة أشهرها عتبة اليمامة وضخامته وارتفاعه واتقانه جامع السلطان حسن بن قلاوون ابتداء في عمارته سنة ٧٥٧ وأتمه في ثلاث سنين ومقدار ما صرف عليه بسكة الوقت نحو ثلاثة عشر مليونا فرسكافهذه هي أشهر الاماكن بقاهرة مصر ومنها مدارس العلوم الرياضية وقد جمعها خراش الكتب التي كانت متفرقة وتشتمل على نحو مائة الف مجلد منها اثنان الف مجلد بخط اليد وفيها من نفائس الكتب تأليفها وخطها ما لا يوجد غيرها ومنها مصحف كريم يقال انه بخط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ومصاحف أخرى عديدة عظيمة الحجم مزوقة بالذهب الى غير ذلك من الكتب العتيقة والنفيسة وذلك بقية ما فات الفرنسيين من الكتب التي نقلها الى باريس عند استيلائه

(٨٦)

على مصر مدة نابلون بونا بارتى وكذلك المارسانات أى المعتشفيات الجامعة للتداوى
وتعاليم فنون الطب وقد شاهدت أحدها فإزاهو جامع اسائر أدوات الكيمياء والطب يعيات
والاجسام المصبرة والمشرحة من بنى آدم وغيره غيرانى كانت مشاهدتى لها انه الاثاروهى
على شفاجرى من الاضجلال المساس ائى خبره مما اشترى مصر أو اخره مدة تحديويها
اسماعيل باشا ومن مهمات ما يذكر فى القاهرة الالهرا م انتى بقرها فى المكان المسمى
بالجزيرة وقد ذهبت اليها را كبا جارا لان الجهلات لاتصل اليها الا بكلفة حيث ان الارض
حولها مرمله ولم تتصل الطرق الصناعيه بها والاهرام بارض مصر كثيرة جدا منها ما هو باقى
الى الآن وعددها بعضهم فقتال انها ٢٧ هرام ومنها ما اندثر بالهدم وصروف الايام
وأكبرها وجودها أهرام الجزيرة المذكورة وهى ثلاثة أهرام أكبرها أو سطها و يعرف
بابى هر ميس وأشهر الاقوال فى بانيه هو فرعون كيموس أحد فرعا ئة العائلة الرابعة
من فرعا ئة مصر وعلى ما حزره المؤرخون ان تلك العائلة لها الا ان نحو ستة آلاف سنة
وكانت مدة ذلك الملك فى الملك ٥٠ سنة وتم بناه هر مة فى ٢٠ سنة وكان المشتغلون
فى بنائه ٣٦٦ الف نفس كل تلك المدة كانه جعل بحساب كل يوم من السنة الف نسمة
للشغل وسلك فى بنائه طريقا عجيبا حتى صبه على تقالبات الزمن فقد وضع على شكل
مخروط قاعدته مربعة وينتهى بقطعة ومن خواصه أنه يتساوى على نفسه اذ مركزه فى
وسطه ويحتمل على نفسه وليس له ما يتساوى عليه وقويات زواياه بجهاب الرياح
لا تؤثر فيه لانها تنكسر سورتها بصدمة الزاوية بخلاف ما لو لاقط السطح وفى داخل هذا
الهرم عدة محلات يدخل اليها المتفرجون وان كنت فى نفسى لم أستطع الدخول اليه
لان المدخل ضيق مظلم يدخله الانسان حبوا ويدخل امامه أحد البسا كان هناك
بنور شمة وأنا قائم فى ذلك المرض الذى يصعبه ضيق الصدر فلم أدخله ونقلت الكلام
فيه من جغرافية مصر للفاضل محمد أمين فكرى وكذلك نقلت منها اجلة مهمات تتعلق
بالا قطارا المصرية فلم يرى انه كتاب جامع افوائد قاما تو جد بغيره مجموعا مع حسن
السيمك والافادة والاختصار ومما قال فى هذا الهرم ان بوسعه جرة تسمى جرة الملك فيها
حوض يدعى الصنة من قطعة واحدة وأخرى تعرف بجرة الملك ويمرى الناظر فى
داخله ما يبهر العقل من كمال احكام تركيب تلك الاجسام الهائلة حتى قيل ان مقدر
الواحدة منها ما ثلثا قدم مكعب وجميعها يرى كأنه قطعة واحدة وينتهى أعلاه من داخل
بسطح نحو وعشرة أمتار يقال انه سقطت منه جرة وارتفع أعلى الهرم على سطح أرضه

(٨٧)

١٤٦ أما طول سطح أحد جهاته فهو ١٨٤ وطول كل ضلع من قاعدته ٢٣٠ ميتر
والاهرام الانر أصغر من هـ. هذا وقد اختلفت الاقوال في الغرض من بناء الاهرام
حتى قال عسرة اليمنى

تفرغ طرفي في بديع بنائها * ولم يتفرغ في المراد منها مكرى
اه باقتصار وأطهر الاقوال انها قوز لاجسامها وبقرب هاته الاهرام صورة أسد جاتم
فحتافى الحجارة رأسه رأس آدمى مسدول الشعر وهي أضخم ما يكون من الصور وأصله
من أعمال الفراعنة الاقدمين يسمى ابان الهول وبقربها اطلال بنايات هائلة
سطاعها الرمل ثم كشفت منها بيوت حائط كل بيت منها في قطعة واحدة من الحجر
وسقفها كذلك حجرة واحدة ينذهل الرائي منها وكيف أمكن نقلها ووضعها
بمحلها وحول هاته الجهات أناس سكان كأنهم لا صناعة لهم سوى النفتيش على الاشياء
العتيقة من تحت الارض وبيعها للسواح والتطوف بهم لاراءتهم غرائب تلك الآثار
القديمة مع ان الحكومة المصرية اعتذت كثير بجمع الآثار العتيقة التي يمكن نقلها وحفظها
في محل خاص بها هو من أهم أمثاله في الدنيا مباح لكل قاصد دسما ان يتركه
وفي سائر الجهات المصرية عجائب من صنائع الاقدمين مما يدل على تقدمهم
التسام في المعارف والصنائع ومنها ما اندثر علمه الا ان مثل الاقتمدار على جر
الانقال وحفظ اجسام الاموات على حالها المنسما بالمومية المصرية التي نقل منها
لسائر اقطار التمدن ونسج المنسوجات من مواد حجرية لمسهما
وغير ذلك وأغاب ما يوجد من أمثال هاته الاشياء في اقاليم الصعيد حيث كانت مقر
تخوت مما لك الفراعنة وبعض اليونان والحاصل انه يوجد بصرون غرائب الآلام
القديمة ما لا يوجد غيرها وكل ما يمكن أن ينقل ولم تعتمد عليه أيدي الدول الاجنبية
فقد جمع في القاهرة في ديوان الآثار والغرائب حتى ذكر ان بعض دول اوروبا رضيت
بشراء جميع ما في ذلك الديوان بما على الحكومة المصرية من الديون وعلى تقدير عدم
صحة ذلك القول فانه ينبغي عمال تلك الآثار من الغرابة والعناية حتى صح أن يقال فيها
مثل ما ذكر وقد اجتمعت في القاهرة باجلاء من فضلائها وأعيانها فقد زرت العلامة
النصرير شيخ المشايخ الشيخ ابراهيم السقا وهو طريح الفراش بمرض الفالج الذي لم
يبق له من حرك سوى الكلام والنظر وثبات العقل وهو على جلالته علماء وفضل له
واله كدر من ألمه على جانب عظيم من التواضع واين الجانب وحسن الاخلاق فاخبرني

انه من تلامذة الشيخ سيدي ابراهيم الياحي التونسي وأنه أخذ عليه واجازة عند
اجتياز بصرة للبحر وسأني عن ذريته ودعاهم بخير وأعجبه الذوق من التبغ التونسي
ودعاه الى بلادهم بماترجومن الله قبوله وأظن ان سنة نحو الثمانين سنة وكذلك
* حضرت تهر كابدس الملامة النخري الشيخ محمد عايش صاحب التكاليف الشهيرة
ووجدته يقرأ في شرحه على مختصر خيال في الفقه المالكي اثناء كتاب العتاق بمسجد
قرب جامع سيدنا الحسين رضي الله عنه لانه لم يتطع الاقراء بالجامع حيث تكثرت فيه
الاصوات من المدرسين وهو اكبر سنة البائع نحو الثمانين وضعف بدنه كان يخفض
الصوت حتى اني لم أتمكن من سماع تقريره كما ينبغي لانخفاض صوته مع مزيد
السكون في المسجد ومع ذلك قد أطال الدرس حسب معتاد المصريين فكانت فيه
ساعة ونصف وانصرفت وهو لا زال بصدد الاقراء وعاليه من مهابة العلم والصلاح
* ما يؤيد صيته الشهير وكذلك اجتمعت بالفاضل الصفة الخيرة سيدي عمر السنوسي
أخي صديق سيدي ابراهيم السنوسي المتقدم ذكره في الاسكندرية وهو
ذو اخلاق مطابقة لماله من مجد الاعراق وغير هؤلاء من بعض الاعيان من الاهالي
والمستوطنين من اهالي الاقاليم الاسلامية كالفاضل الحبيب محمد الاحبابي من اعيان
* تجار اهل المغرب ذوي الثروة وكاشمهم الهمام الزبير باشا الذي كان ما كان على قسم من مملكة
دارفور من السودان ودخل طوعاً تحت الخديوية المصرية بترغبة في اتحاد كلمة الاسلام
ثم عزله اسماعيل باشا وبقى مقيماً بالقاهرة وهو رجل ذو فضائل جمة يتعجب بحاله من
كالاته مع انه من اهالي السودان وان كان أصله من نسل العرب الكرام فهو ومهذب
الاخلاق عارف بالسياسة والحروب وبتجغرافة دواخل افر بقة وشطوطها الشمالية
غيبور على الملة كثر الله من أمثاله وقد دعت المقتضيات الى الاجتماع بحضرة الخديوي
* محمد توفيق باشا توجهت اليه وأحضرت أبحاثاً تضمنت تاريخ ولايته اذ كان اذ ذلك قد
ولي منذ بضعة أشهر وتلقاها مني بسرور فبیت التاريخ الهجري هو قولي

في عام الملك ارنخ * لاح توفيق الخديوي

١٢٩٦

وبیت التاريخ الميلادي هو قولي

فانشد التاريخ صاح * قرنة ويوح الخديوي

١٨٧٩

والصاحب مدد تسعين لان ذلك هو حساب المشاركة فيما وأما المغاربة فهي عندهم بستين

وذلك

(٩٠)

الايض ويبتدى الحد الشرقى منه مارا على خط موهوم بين الشام ومصر ثم على شاطئ البحر الاجر الغربى شامل بلاد النوبة الى أن يصل لملك الحبش التى يفصل بينهما جبال هناك فينعطف الحد معها مشرقا محيطا بها مارا للجنوب مارا مع البحر الاجر فيمر ايضا معه الى أن يجاوز باب المندب وملك الحبش حيث يدخله في الحد لكانها لا تصل للبحر لانه مكنه مصر من شطوطه ثم يمد مع البحر ويشمل ملكا عادلا للمدحاة بزبلع فيمر على شاطئ افرى بقية الشرقى على المحيط الشرقى الى أن يصل الى حدود ملكة زنجبار ثم يبتدى الحد الجنوبى فيمر من الشاطئ مغربا الى دواخل افرى بقية السودانى وينعطف الى الجنوب حتى يصل الى حد الدرجة الثالثة جنوبا وراى خط الاستواء ويشمل ملكة دارفور ويصل الى حدود ملكة وداى ويمتد الحد الغربى مع ملكة وداى الى أن يصل الى الصحراء الكبيرة فينعطف معها ذاهبا الى الشمال من غير تعيين لخط معين حيث ان الامر هو من فلا حصر فيه وهو ذاقى الجهات السودانية الى أن يصل الى طرابلس ويمر معها الى أن يصل الى البحر الابيض حيث ابتداء الحدديد وحيث كانت على ما علمت من الانساع والكبر لاجرم كانت صفة أرضها مختلفة جدا (فأما مصر) الاصلية فالمعهور منها هو عبارة عن وهجين سلسلتين من الجبال مارة من الجنوب الى الشمال يضيق نارة الى ثلاثة أميال ويتسع اخرى الى ثيف وعشرين ميلا كلها يصبها نهر النيل وذلك كله فى غاية الخصب والخصارة تتحدد أرضه سنويا بفيضان النيل ويخرج الله منها بركتها ما جعل به مصر غنية عامرة وما عدا هذا الوادى فهو عبارة عن جبال تحلة لانبات بها أو أراضى يابسة مرملة لا ترى فيها الا المحصا (وأما بلاد النوبة الداخلة فى ملكة مصر وهى المحادة لها من الجنوب فهى ذات صحارى وجمال خصبة وأراضى خصبة وبقية المال وهى وداى ودارفور وزبلع وغيرها فكلها ذات جبال وآجام وخصب (وأما جبال) ممالك مصر فهى كثيرة ليس منها جبل بركانى ولا منها الزائد فى الارتفاع وأعلاها هو الفاصل بينها وبين الحبشة (وأما أنهرها) فأولها نهر النيل وما أدراك ما النيل وهو نهر يحمل السفن الصغيرة الى أول شلالته به عند الخرطوم وهو عندهم ينقسم الى ثلاثة أقسام (أحدها) يسمى نيل السودان وذلك من منبعه الى الخرطوم (الثانى) منها الى قبيلة وهى خيرية فى وسطه قرب مدينته اسوان (الثالث) منها الى البحر الابيض فالقسم الاول يتكون من نهرين يسمى أحدهما البحر الابيض والاخر البحر الازرق عبارة عن عظمها حتى الحقا بالبحر والبحر الابيض كانه هو الاصل للنيل وهو مجتمع من عدة أنهر فى اواسط افرى بقية

وهو

وهو أعظمها وأبعدها منبعا لانه منبعت من بحيرة أو كبير يفي المعروفه بغيره كمنوريا
 على ظن آخر الجغرافيين الا ان كان التحقيق انه مجهول حيث تبين ان تلك البحيرة
 تستمد من بحيرة أخرى ولا يمكن الوصول الى اكتشافها صعب ولعله تحدث أسباب
 لذلك وطوله الى حيث يجتمع بأخيمه قرب الخرطوم ٢٣٠٠ كيلومتر أو أى نحو
 ألفي ميل (وأما الأزرق فجعله نحو الثالث من السابق ومنبعه من بحيرة دميعة في بلاد
 الحبشة ويمر على عدة شلالات ثم يجتمع بأخيمه ويصير حينئذ القسم الاوسط فنصب
 فيه عدة أنهار غير معتبرة وذلك في بلاد النوبة فاذا وصل الى أصوان حدثت منه الشلالة
 الاخيرة التي تمنع زيادة صعود السفن عنها لانها مكنونة من ارتفاع الارض في المجرى
 الاعلى وانخفاضها في المجرى الاسفل مع صخور مرتفعة فيكون له تحرير كالرعد القاصف
 يسمع من بعد بعيد فاذا وصل النيل الى أسفل القاهرة انقسم الى فرعين شرقي وغربي
 فالشرقي يصب في البحر الابيض عند دمياط والغربي يصب في البحر المذكور وعند
 رشيد واحد ثم من النيل فرع عديدة حتى صار يصب في البحر الاجر وخليج
 السويس والاسكندرية وغير ذلك وصنعة الترع في مصر كانت معروفة في مصر باحسن
 مما هي عليه الآن حتى كانت تروى سائر بياضها وجمالها أيضا ويرشد الى ذلك
 قوله تعالى حكاية عن فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي فكانت ارض مصر كلها
 عامرة بالانهار وهاته الترع تحمل القوارب وتقع بها المواصلات وتبين مما مر ان في مصر
 أنهار عديدة عظيمة سيماني السودان ويجتمع الجميع في النيل ولولا عظمة المياه
 لتلاشت في البحارى التي ترع عليها ومن غرائب النيل انه يفيض في وقت معين من كل
 سنة وهو وقت الانقلاب الصيفي ويستمر على ذلك الى الاعتدال الخريفي فيأخذ في
 النقصان الى الانقلاب الشتوي فيتحمد في مجراه الى السنة القابلة ويخفف فيضانه
 بالزيادة والنقصان واعتداله المطلوب للسكان هو ان يرتفع على المجرى الاعتيادي شبعة
 أمتار فان زاد اهلك بالفرق وان نقص أخفق الناس بالقحط ولهذا الفيضان كانت
 مصر الاصلية لها مناظر عجيبه ففي الربيع الذي هو شباب الزمان في سائر البقاع
 تكون مصر عموما أقل يوحه من نفسها في وقت آخر وفي الصيف الذي تحف فيه المياه
 في المعروف تكون مصر بحر من الماء العذب راسبه فيه قرى ومدن وأصهار يسلك
 من بعضها البعض في القوارب وفي الخريف الذي يتبدى فيه في غير هذا قبول النباتات
 تكون هي قد شب نباتها وازدخرت وربت وفي الشتاء تنثمر أزهارها وتفرط أطيارها

(٩٢)

ويحصد زرعها وتدنر أقواشها وتفويض على العالم محصولاتها فانفردت بذلك عن غيرها
وليس هناك ما يشبهها الا نهر السند المار على بلوچستان فانه يقرب من ذلك من حيث
فيضانه في الصيف واما أحداث الآلات البخارية لرفع المساهن النيل زمن نزوله قل
ضرره من القهط اذ لم يهدأ نه جف ماؤه الاسنة ١٢٧٨ وكان كرهها شديدا (أما ضرر) تنفقم
فيضانه فقد اعان على تخفيفه الاخبار بالسلاك الكهرو بائية حيث يأتي الخبر بتفاقمه
سريعاً من السودان ومصر العليا فتفتح له أفواه الخجان وترتفع الناس عن الاراضي
المنخفضة ومع ذلك يحصل منه ضرر عظيم أحيانا وقد اختلفت الأقوال في أسباب فيضانه
وأظهرها انه مترسك من شيدتين أحدهما ذوبان الثلج المتراكم على جبال
الجبسة الشاهقة وعلى جبال أواسط افريقية بجمر أو انحرال يبيع فتسيل مياهها ويطها
به النهر الأزرق وغيره واطول امتداد النهر ما يصل ماؤها الى مصر الا في الانقلاب الصيفي
(وثانيتها) ان جنوب خط الاستواء فصله على عكس فصول شماله فالربيع عندنا هو
الخريف عندهم والصيف عندنا هو الشتاء عندهم وقد علمنا ان النهر الابيض منبعث من
جنوب خط الاستواء بعدة درجات وان الامطار في الاقاليم المحيطة تتراكم دفعية سيما
وقت الخريف والخريف في الجنوب هو ربيع في الشمال فيا يصل ماؤه الا في الصيف
في الشمال فيجمد من ذلك طهو النهر الابيض أيضا وياتقى باخيه وهما طاميان
فيجمد فيضان النيل زمن الصيف في مصر (أما) بقية الأنهر في مالكة مصر وفي النوبة
والسودان كثير من الانهار والجداول منها ما يصب في النيل ومنها ما يصب في الصحارى
وليس منها ما يمس سوى النهر الابيض والأزرق المتقدم الذي ذكره في أرض مصر من
صعيدة الى بحريه الا يوجد نهر أصلي سوى النيل لكن أحداث منه أنهار عديدة عظيمة
تسمى بالترع حتى صارت أغلب الاراضي المصرية مخرقة بترك الآنهر الصناعية ومنها
الكبير الذي يحمل السفن النهريه ومنها الصغير ومنها الدائم الامتلاء بالمياه ومنها ما يجف
عند انتهاء انخفاض النيل والموجود الآن من هاته الترع يزيد عن السهائة وأحد
فمنها أطولها الابراهيمية فانها تقرب من مائتي ميل ولا زال الاعتناء به كثير الترع
المتلزم لكثير أراضي الزراعة حتى بلغت الآن الى ما يقرب من خمسة ملايين فدانا
مستوية مزروعة والقدان عبارة عن مساحة ٥٩٢٩ ميتر مربع وههذالمقدار وان
كان كثير في ذاته لكنه لم يبلغ الى ما كانت عليه الترع في مصر فديما حيث كانت زمن
الفراعة تصعد مياه النيل الى أعلى رباها وجبالها وتسقي جميع أراضيها حسب ما نص

عليه

(٩٣)

عابه في التاريخ ويشهد له قوله تعالى حكايته عن فرعون الذي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي فجمع الأنهار والافتخار بما بل والتعظيم الى حد دعوى الالوهية قاض بانها كثيرة جدا وبالغة الى حد خارج عن المعتاد في الكيفية كصعودها الى الاعالي * والواسطة في ذلك اما ان تكون بواسطة آلات تحمل الماء من أسفل الى أعلى بكثير حتى يجري في الأنهار ثم من ههنا يحمل كذلك الى ما فوقها الى أن تجري ومن ههنا أيضا الى ما فوقها وهكذا الى نهاية الارتفاع والالآت اما ان يديرها الماء نفسه أو قوة أخرى جهات الآن فيما اندثر من علوم القدمين أو تكون الوساطة هي تفرسح الترع من أعالي النيل قبل الوصول الى الشلالات بان يوثق لاول شلاله قبل ان يحدار الماء منها فتفتح له فروع ذاهبة مع ارتفاع الاراضي بكيفية هندسية وبناء قناطر وحنايا للمرور الماء من الاعالي الى الاعالي ثم من شلاله الأخرى يفعل هكذا وح تجري الأنهار في الارتفاعات كما تجري في الانخفاضات ويحصل منها النباتات الجبلية ومنها نظرها البهيمجة (وأما) بحيرات مصر فهي عشرة أربعة كبيرة وأكبرها بحيرة المنزلة ومحيطها نحو من مائتين وخمسين ميلا وتسير بها السفن الصغيرة وبها السمك دائما وموقعها شرقي مدينة دمياط ويحترقها الحليج السويس والبقية أغلبها أيضا مع الحليج وليس لها فائدة معتبرة سوى استخراج الملح من بعضها عند جفاف حافظه صيفا وبعضها يصف تماما مما ملك السودان ففيها بحيرات مهمة مثل بحيرات منبع النيل وغيرها ولكنها اقباله الجدوى بالنسبة لأنها تقع مثل بقية ذخائر السودان (وأما) هوام مصر ذما يقبها فهو على العموم حار وغاية الفرق ان الجهات الشمالية على شاطئ البحر الأبيض يلطف حرها صيفا سيما عند ازيد ايد النيل (وأما) الجنوب وسائر السودان فهو حار جدا حتى اني كنت في مدينة مصر في شهر رجب بعد فيضان النيل ولم أكن أستطيع النوم بالغطاء بالعاف السكان ولكني لا أستطيع أيضا فتح الطبقان لكثرة الندى المضر ورأيت مثل ذلك في اسكندرية أيضا التي هي مهرب السحابة كان من الحر مع اني كنت بها في ذلك الشهر وأيضا (أما) السويس والصعيد فلا تسأل عن شدة حرها نعم هي بعد الانقلاب الشتوي يحصل بها البرد الى درجة طاب التذثر والتدفق فيكون الهواء عموما معتدلا مع احتياج الارض بالنبات (وأما) نباتاتها مع سودانها وجباله فيصح أن يقال ان فيها كلما يوجد من نبات الدنيا الاماندر حتى الأشجار التي تكون في الاراضي الباردة فانها توجد في الجبال الشاهقة في دواخل السودان ذات الثلج الدائم وفي السودان غابات عظيمة صالحة

أخشام البناء لسفن والديار وللأعمال الجيدة أيضاً مثل الابدوس وغيره ولكن أرض
 مصر الأصلية ليس بها من غابات طبيعية وخاصة ماله بها من غابات هو الخليل فالخام
 ان عمال الكه ما شتلة على كل ما يحتاج اليه من المزروعات الحبوبية والاشجار ذات الثمار
 وغيرها (وأما حيواناتها) ففيها الخيل بقله بالنسبة لذاتها لكن يوجد في السودان نوع
 منها جليل يعرف بالكعيل والبقال قليلة والحجر كثيرة ويركبا حتى الاعيان ولها اعتبار
 ويحلقون شعرها وتصبر بالترية تفهم قسدا صاحبها حتى اذا قال الممارح به صخرة
 ظلمت وصارت تمشي على ثلاث اقدام الشرطى ينظر اليها خوفاً من قنصها للحكومة
 بلاجر والابل كثيرة جداً ومنها نوع الهجن وهو نوعان في السمر أحداهما متعب
 زاكبه وهو الذى اذا سار رفع رأسه وعنقه والثاني لين لراكبه وهو الذى اذا سار دلى
 رأسه الى الارض ومد عنقه الى امامه وكلاهما من الابل المعتادة غير ان أصحابها يهتارون
 الجيد الاطراف الخفيفى الحركة ثم يرمونه من الصغر على مداومة سرعة السير في تربى
 عليها ويبقى ناحل فيه يكون عدة لا يحسب له الا الوصول الى الامد البعيد في الزمن القريب
 وكان عند القدماء من عرضا عن طريق الحميد الا ان غيرانه لا يحتمل الاتقال الكثرة
 ولقد رأيت من مجربات نينا صلى الله عليه وسلم ما يزيد القلب ايماناً وذلك في الحديث
 الذى رواه الامام مسلم في صحيحه في الكلام على سيدنا عيسى عليه السلام وانه يترك
 القلاص أى الابل بمعنى انه لا يستعملها واخاضت الثمراخ في تطبيق ذلك والحق ما بينته
 المشاهدة من الاستغناء عنها بالزل وطريق الحميد والله أعلم انه سيمع جزيرة العرب
 ويصل الى مكة والمدينة حيث ان سيدنا عيسى عليه السلام ينزل هناك والله اعلم والبقرة
 قليل وهو نوع ضخم والجاموس كثير والفلاح من العامة الذى له بقرة منه تغنيه عن كثير
 من الاشياء فيشرب ويبيع من لبنها وياتقدم ويبيع من سمها ويحرق عليها ويوقد
 بختائها ويستفتح اولادها ولذلك صارت البقرة عنده أعز ثمنى عليه في الدنيا (وأما) الغنم
 فهى كثيرة في السودان والحيوانات الوحشية يوجد منها في السودان كل الانواع التى
 تألف البلاد الحارة كالاسد والنمر والفيل والزرافة وغيرها (وأما) الطيور فيوجد سائر
 الطيور الاليفة (وأما) الوحشية فأنما يوجد منها بعض الرحالة كالاسمان والخطاف
 والمداة كثيرة وكذلك الغراب ولقد شاهدت منه نوعاً غريباً لان لونه ابلق وعاليه
 فيكون الصفرة في قوله تعالى وغرابا ييب سودهى صفرة كاشفة لأموكدة حيث يوجد في
 الغراب الاسود والابلق بعضه اسود وبعضه ابيض كما يوجد في السودان أنواع شتى من

الطيور

(٩٥)

الطير والغريبة كالبغايات الالوان البهية المذهبة والمفضضة وغير ذلك من أنواع الطيور
(وأما) معادن مضر ففها أكثر أنواع المعادن المعروفة فالذهب يوجد بكثرة في عدة أماكن
من السودان فذمه ما هو في مدينه ومنه التبر الذي يوجد في الرمال من سيول المياه وأهم
معادنه في سنار حتى يعرف بالذهب السناري وكذلك يوجد الفهم الحجري الغني في بلاد
النوبة ويوجد أنواع المرمر والرخام الابيض والازرق في جهات من الصعيد وكذلك
المخ في عدة سماخ والجص والسيمان والرصاص في موضعين حوالي شط البحر الاحمر
والنحاس في عدة أماكن والحديد بكثرة في عدة جهات والكبريت حتى انه يوجد جمل
يسمى به (وأما) الفضة فهي قليلة وتوجد أجمار ثمينة وأهمها الزمرد لكنه قليل يوجد
الفيروزج والعقيق والذي يحق به الاعتناء هو حجر البلور اذ هو كثير ونقى يضاهي ماني
بوهيمية النمساوية كثيرة وصفاء وأكثرها من المعادن متروك اما لمدم العناية به
أولصوبة نقله حتى رأيتهم يأتون بالمحارة لبلاط الطرق في الاسكندرية من بالتريست
في حماكة النمسا مع ماني البلاد من المحارة التي صنع منها القديما تلك الاهرام والهياكل
والعماميد التي تنقل ذخائر في قواعده الدنيا ولا شك ان العناية لتوجهت الى استخراج
مناجم السودان لسهل نقل تلك المحارة وسائر المعادن بأخذ الفهم الحجري للطرق
الحديدية التي تسمى لايصال الاتصال ومواصله الاقطار اذ في السودان كنوز لا يحصى
الاخالة او اعطسهم بكنوز غاباتها وأخشابها المرغوبة كالشعشير والابنوس وغيرها حتى
لا يجتمعون لجلب أخشاب البناء وغيرها من خارج المحارة فانهم يأتون حتى يحطب الوقود
وفهمه من الخارج وذلك ضعف البلاد (وأما) مدن مصر ففي مصر من القرى والمدن
ما يتجاوز الثلاثة آلاف بلدة وأشهرها قاعدتها وقديتة قدمت صفتها من الاسكندرية
ومر ذكرها ثم طنطا ورشيد ودسوق وأشمون والايض على وزن مجد قاعة كدفان
وأبو حاز وتند التي قاعة دارفور سابقا وتسمى فاشم وغير ذلك وقد كانت بها مدن هائلة
في الصعيد ممتدة على بناآت عجيبة وصفائح غريبة وقد دثرت تلك المدن ولم يبق لها
من اعتبار سوى ان بعضها صار مجمله قريات ليدت بذات أهمية وتلك الهياكل القديمة
قد اكتشف عنها وتسمى بالبرابي وتقصدها السواح للاطلاع على ما تحت
عليه من الاعاجيب والصنائع المنسوبة ومن هاته البرابي واحدة في بلاد افوا التابعة
لمديرية اسني أخبرني الرحالة محمد برادة أنه رأى به اوانا كبيرا متعوشا في الصخر على
حيطانه صور جميع المصنوعات المألوفة اذ ذلك وأنه رأى فيه بهين رأسه صورة طريق

(٩٦)

الحديد بقضبان عمدة وعليها حوافل ذات عجلات لكيتم ابدون مزجبة أعنى الآلة التجارة
 كما رأى فيه صورة السلك الكهربي يعنى صورة أعمدة عليهم أسلاك عمدة منتهى الى
 آلة ورأى صورة سفينة ذات عجلات وصاعده من مدخنتها صورة الدخان وسعت
 من ذيره أنه يوجد في جملة البرابي بيتان عظيمان أحدهما يحتوي على صور جميع
 الحيوانات والآخرة على صور جميع المصنوعات وان منها ما تقدم وكاه نقش في الحجر
 ورأيت في جغرافية فكري ذكر تلك البرابي واحتوائها على النقوش والصور
 امكنه لم يذ كر خصوص ما تقدم ذكره (وأما) حراسى مصر فاولها الاسكندرية ثم
 برتسيه ودمياط ورشيد في البحر الابيض والاسماعيلية والسويس في الخليج
 ومصوع والقصر وسواكن في البحر الاحمر ويلع وغيرها في المحيط الشرقى وأما اهاليها
 فهم على قسمين الاول أهالى مصر وهم نحو ستة ملايين بعضهم من ذرية القبط أبناء
 المصريين القدماء وبعضهم أبناء العرب الفاتحين واختلط نسل من أسلم من القدماء
 بالثاني وصاروا جميعا مصريين وسكان عددهم في هذا القرن أعنى حيث كانوا في
 أول دولة محمد على باشا لا يبلغون الا أربعة ملايين وسامتة فيهم التهميد والتحفظ
 على الصحة بتحسين الهواء والعلاج عافاهم الله من مصيبة الوباء والجدرى اللذين
 كانا دأبين فيهم فبلغ عددهم الآن الى ما ذكرنا والنقسم الثاني منهم هم السردان وهم
 أبيضاء على قسمين الاول أهالى النوبة وكانت قاعدتهم سنار وهم من الزنخ وذرية
 الكوش من العرب ثم تساطت عليهم من قبيلة الفنج ودخلت في الاسلام وبقيت هي
 المحاكمه الى أن افتتحها محمد على سنة ١٢٣٦ وثاني أقسامها هو قسم دارفور وعدد
 سكانه خمسة ملايين وهم من نوع سوداني يسمى فوروسيت البلادهم وديانتهم الاسلام
 ومعهم نوع يسمى المسبات واكثره اختلاط الجميع بالعرب ودخول قبائل منهم فيهم
 حتى كانت عائلة الملك العربية صار الجميع بتكاملهم بالعربية وتلخص مما مر أن الأهالى
 على العموم أكثرهم عرب واللغة الغالبة والرسمية عربية وتوجد لغات أخرى سودانية
 وعدد الجميع بالمضافات ستة عشر مليوناً والديانة الغالبة هي الاسلام وتوجد النصرانية
 على مذاهب شتى ومنها الختاطة بشئ من شعاراها ودوشئ من شعار الوثنيين كما يوجد كل
 من ذيك الدينين (وأما) صفتهم على العموم فأهالى المدن الكبيرة يكثر فيهم النباه
 والعارفون بالمصالح العامة المشتركة والباقى على الاطلاق هم على السذاجة والجهل
 بالمنافع الخاصة فضلا عن المشتركة واللون الغالب أسمر أو أسود وأهل السودان والعرب

من

(٩٧)

من أصل المصريين شجعان (وأما) فلاحوم مصر فلما طال عليهم الاستيلاء الاستبدادي
ضعفت فيهم الشجاعة بالمرّة وكادوا أن يفقدوا الغيرة كما حكاها المقرئ بزي

الفصل * الرابع

﴿ في اجمال تاريخ مصر ولحققاتها ﴾

﴿ مطالب في تاريخها القديم ﴾ اعلم أن مصر أشهر بقاع العالم بمعرفة أصول تاريخها
القديم لكونه في الواقع غير محرر ولا موثوق به وقد أظن العلماء الاسلاميون وغيرهم
في تواريخ مصر وعلومها وتقدمها فغاية ما نستطيع هنا التماسها والالمام بإشارات الى
أنموذج ذلك معرضين عما لبعضهم من المبالغات والمخرفات ويدعي بعض المتأخرين
ان المحقق عندهم في علم مبدأ التاريخ فيها المحقق هو قبل الميلاد بالفي ومائتي سنة والحق
أنه غير محرر لان استنادهم في ذلك انما هو لآراء التي بين أيديهم وهي كما علمت سابقا
غير صحيحة سيما في محل التاريخ وقد أقر بعض متديبينهم بالقاط الفاحش في ذلك المحل
سيما فيما يرجع الى التاريخ العام وانه مخالف لما وجود من الكتابات المنقوشة على
الاحجار العتيقة جدا وغيرها من القرائن الواضحة وتعال في تصحيح التوراة بان موسى
عليه السلام لم يقصد تاريخا وميا للخليفة وانما قصده ذكر عمود نبيه ولا يخفى
ان هذا غير معقول اذ كيف يذكر عمود نبيه في تواريخ مخالفة لنفس الامر لانه يلزم
ان يكون قائما لابان فلان انما لا بعد الطوفان بكذا ثم فلان بعده بكذا وفي زمن
الملك الفلاني المتسطن في تاريخ كذا مع ان ذلك الوقت ليس مطابقا لذلك التاريخ
فما هو الا عين الكذب أو القاط المتزه عنه كلام الباري تعالى والمعصوم منه الرسول
فلا يحيص عن القول بالتحريف في التوراة التي بين أيديهم واذا أضفت الى ذلك
الميزان المعقول في حساب العمران وكمية التناسل من البشر بعد الطوفان ولو على
القول بعدم عومه في سائر الكورة ونظرت الى المدة التي ذكر ان ابراهيم عليه السلام
أرسل فيها وما كان عامرا من الجهات التي لا نزاع ان الطوفان عمها وهي محل إقامة
ابراهيم عليه السلام وقومه ومن كان معاصرا له من الامم الذين طغوا في البلاد وتجبروا
بمالهم من القوة والعدد والعلوم لاشك انه يستحيل عندك انهم كلهم نشؤوا
في مدة مائتي سنة من نسل أربعة من أولاد نوح عليه السلام وايضا يستحيل ان تنسى
وتنسى دثر مجزة الطوفان الهائلة من عقول أمّة في قرنين اذ يمكن ان يكون بعض من

(٩٨)

أدرك من أدركها الميزل بقيد الحياة فكيف مع ذلك ينسى توحيد الله ويعبداله
غيره ولا يتأق ذلك الا بطول الزمان ونسبان المبهزات وانقراض العمام ومن عاصمهم
في مدة مديدة ولذلك لانعمد حيتئذ على تعيين أوقات مائه عرض له من الدول القديمة
* وانما نقول ان مصر قبل بعثة موسى عليه السلام كانت قامت فيها دول عظيمة ذات
شان وقوة وعمران وملوكها يسمون بالفراعنة تجميع فرعون وهى عبارة مصرية
معناها نورا الشمس وأول من يعرف الآن من فراعنتها هو منتر (أو) مصر ايم الذى
حول مجرى النيل و بنى مدينة من قديس ثم زادها خلفاؤه بهجة واتقان حتى كانت أعظم
مدن الدنيا واتخذتها الفراعنة تختا لهم ولو بعد انقراض عائلة فرعون المذكور
وفي مدة أحقاد المشار اليه نشأت دول اخرى صغيرة فى أراضى مصر وانقسمت على ثلاثة
أقسام بقى أحدها تحت العائلة المذكورة والاخرى تحت عائلتين أخريين الى
ان تغلبت على الجميع العائلة الرابعة من الفراعنة ومنها فرعون البانى للهرم الكبير
الذى بالجيزة ومركزه ثم انقسمت الى عدة أقسام كان منها العائلة الخامسة وتولى
منها عدة ملوك أحدهم بانى الهرم الثانى بالجيزة أيضا وكذلك العائلة السادسة
وغيرها الى الثانية عشر كلهم متفرقون على جهات من مصر الى ان قهر الجميع تحت
حكم فرعون أوس- برطاسن (أو) سيزوستريس ثالث ملوك العائلة الثانية عشر
وضم الى مملكته بلاد الحبشة وغيرها من السودان وانقرضت عائلته بعده بقايل وغاية
ما يعلم انه تداول مصر بعد ذلك عائلتان وهما الثالثة عشر والرابعة عشر وكان حواريهما
ليست مهجة فلم يوجد لهما وقائع شهيرة (وأما) الخامسة عشر والسادسة عشر فلهما
انجبار من جهة قوة الملك والترقى فى الصنائع والمعارف وفى آخر الاخير ابتداء تسلط الملوك
الرعاة على مصر وتم استيلاؤهم على قسم عظيم منها وأعلمها كلها لكن بقى للاهاليين
* جهة من أعلى الصعيد ملكها وأعلمها العائلة السابعة عشر من الفراعنة ولم يكن لها
اهمية فى جنب مملكة الرعاة وهؤلاء الرعاة يغلب على ظن محققى المؤرخين انهم من
العرب اجتازوا الى مصر وبقوا فيها مدة طويلة ذوى شأن وساطان مهيب قوى وقال
بعض الاخباريين ان دخول يوسف الى مصر كان فى دولة هؤلاء الرعاة ولما قضى على
تلك الدولة بالانقراض كان الذى باشر قهرها فرعون أمويسس وانتشأت العائلة
الثامنة عشر ولما ساعد آثارها بقاءه الى الآن من المباني والصور والدالة على قوة الملك
والتمدن كالسنتين الموجودتين بالاسكندرية والقسطنطينية وكذلك الموجودة برومه

وقال

وقال بعض المؤرخين ان دخول يوسف عليه السلام انما كان في هاته الدولة ويستدل
من الآثاران عبادة الالهة نام تفاحشت في مدة تلك العائلة ثم استولت العائلة
التاسعة عشر من الفراعنة وكان منها فرعون سيزوستريس المشهور وعند اليونان
بذلك الاسم وامتدت ممالكه من نهر الطونفة في اوروبا الى نهر الكنك في الهند
وانشأ في كل مملكة افتتحها آثارا تدل عليه وارتقت مصر في مسدته الى غاية
كبرى من المعارف والغنى حتى قيل انه اول من رسم خريطة لصورة ممالكه الواسعة
وزادت ارتقا ونفرا وانتهت في معارف الطبيعيات والهندسة والسحر في مدة حكمه
فرعون زهن موسى عليه السلام حتى ادعى بملكه ومعرفته الالهية وكان من قصته
ما هو مذكور في القرآن العظيم ومن غريب ما يستحق الذكر ان مؤرخي مصر القدماء
لم يذكروا واحدة غرق فرعون ونجاة موسى عليه السلام ببني اسرائيل بانفلاق البحر
مع انها حادثة كبرى وبناء على اهم الملمات ذكرها من لادين له من عمشدي هذا العصر
وأضافوا الى ذلك في الاستدلال ان قبر فرعون المذكور واسمه منقطا الثاني موجود
بين قبور الفراعنة في الصعيد بالمكان المعروف بباب الملوك فلو كان غرق لما كان له
قبر وأجاب عن هذا بعض النصارى بان وجود القبر لا يدل على وجود المقبر كما ان وجوده
يمكن ان يكون قبل موت فرعون على عادة أسلافه من احضار قبورهم منخضة منخرقة
وهو قد هيا ذلك وان لم يدفن فيه ويحتمل ان يكون ايجاد القبر تبصا من المصريين وعنادا
في اخفاء الامر الذي احاط بهم دفعا للمعارضة في الاجيال المستقبلة واستبدال الجيب
المذكور على ان فرعون موسى هو منقطا المذكور بان الذي ولي الملك بعده ابنته
وتصرف بالنيابة عنها زوجها الا انه لم يكن له ولد سواها وابن صغرى قاصر فدل ذلك على
حدوث أمر عظيم انقرضت به عائلة الملك حتى سلوه الى امرأة وزوجها مع ان جدهم
القريب سيزوستريس المار ذكره قد ترك من الاولاد نحو عشرين فهذا الحادث
الذي انقرضت به العائلة ليس هو الا ذلك الفرق لفرعون وملائه اه ولا يخفى ان كلا
من الجواب والاستدلال غير مسلم (اما) الجواب فان وجود القبر الاصل فيه ان يكون فيه
مقبور سيعا اذا كانت عليه كتابا اسمه التي بها عرف انه قبره وتاريخ موته فانها لا تروى
الابعد وضع صاحبه فيه واحتمال ان المصري بين أقاموا ذلك القبر على تلك الكيفية
قصدا لاختفاء الواقعة في الاجيال القادمة احتمال بعيد كما بقوله لا يؤثر مع الباحث سيما
واقعة غرق فرعون مع ملائه ونجاة موسى ببني اسرائيل بانفلاق البحر من المعجزات

(١٠٠)

الباهرة التي لا يبق معها المصيرين عناد بعده شاهداً وتمازها هو - لالك ما كهمم الذي كانوا
يعبدونه فلا تبقى فيهم بقية يفكرون بها عن الاجيال المستقبلة وأين هم من هذا مع
أفتضاحهم لانفسهم ولجميع معاصريهم ومن هو تحت حمايتهم من الامم المسالمة لسا بين
الطونة والكنة فهم أشغل بانفسهم والا نقياد الى الحق أو الى تدارك أمرهم الذي باوى فقط
في الاقل بين أعين الامم الذين ينظرون الى هلاك مدعى اللوهية مع امرائه ووزرائه
وجيوشه فكيف يخطر لهم في تلك الحالة التعمية على أجيالهم مستقبله مع ان سائر
معاصريهم ينقلون خلاف ذلك (وأما الاستدلال فهو غير منتج اذ لا يلزم من قولية البنت
انقراض عائلة الملك كيف ذلك ونحن نرى في التاريخ بل وفي خصوص تاريخ
المصريين عدة نسوة صرن ملكات مع وجود العائلة بل ولم يزل ذلك جارياً في جهات عن
الارض الى الآن فلم لا تكون ولاية البنت لان قاعدتهم كانت وراثية الملك لا كبر اولاد
الملك الاناث والذي كورسوا وتصرف في زوجها حينئذ نيابة عنهم باختيارها الا لانقراض
العائلة وكانى أرى هاتيك التعصبات في الجواب مبنية على اهمال علم السنند والرواية أما
لو كانوا يعرفون ذلك وجرت عليه اعمال ديانتهم لما استحقوا المثل ذلك ولتخلصوا من
مهاومها لملكه مع ان علم السنند والرواية أمر ضروري بل طبعي لاخذ الاخبار الغائبة
عن المشاهدة واذا ثبت عليه الاحكام استقام الامر وخلص من الغلط والغش والكذب
وبناء على اعتبار ذلك فعن المسلمون نقول ان الذي نقطع بوجوده هو غرق فرعون
مصر مع ملأته ونجاة موسى عليه السلام بيني امرائيل بانغلاق البحر مجزة له أما كون
فرعون المذكور اسمه منقطاً أو غيره وكون مدته الى الآن كم هي فلا علم لنا بها ولا دليل
لنا عليها وذلك العلم حصل لنا بالنقل المتواتر في القرآن من نبينا سيدنا محمد عليه الصلاة
والسلام الذي ثبت نبوته وصدقته بالمعجزات المتكاثرة فاخباره لا شك في صدقه
ويوافقنا على ذلك النقل المتواتر من أمة بنى اسرائيل منذ حصول الحادثة ممن شاهدوا
منهم وهم أمة عديدة يستحيل تواطؤهم على الكذب الى من بعدهم منهم ومن غيرهم فعلا
منهم جيل بعد جيل على تلك الصفة الى الآن وعدم ذكر الواقعة في تواريخ علماء ذلك
المصر لا ينفى وقوعها لان السكوت عن الشيء ليس بنفي له وهناك حامل على عدم الذكر
لان المؤرخ انما يكون من علماءهم الذين هم أشد مضادة للديانة واذا شاهدوا شيئاً مثل
ذلك ولم يجربوا وجهه الا قدح فيه وتخرجه على ما يلائم منه فهم يسكتون عنه على انه
مندمج في زمره ما نسبوه الى اعمال القادحين فيه التي يفسونها الى نوع من الباطل عناداً

(١٠١)

أوجهه والعبا ذب الله واني لا أعجب من انكار ذلك من غير ذوى الديانات من أهل العصر
وانما أعجب من انكار النصارى واليهود الا سن مهجزة لنبينا محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهى انشقاق القمر مستدلين على انكارهم بمثل ما سـتدل عليهم في انكار
واقعة الغرق من عدم ذكرها في التواريخ مع انهم يجيبون بمثل ما تقدم ونحن نقول ان
مهجزة انشقاق القمر ثبوتها بين وأمرها أوضح وذلك انها وقعت لبلبل بعد مضى حصاة منه
لان القمر كان ليلة البدر أى الرابعة عشر وهو في كبد السماء كما تشهد به روايات
البخارى من ان نصفه بقى ظاهراً فوق الجبل ونصفه غاب وراءه والروايات وان اختلاف
لفظها فـذمادار معناه ثم ان الحصاة في انشقاقه لم تطل وعاد ما كان عليه ولا ريب ان
حوادث السماء لا يستعمل بها العموم دائماً الا اذا حدث العلم من قبل بها فالتفت اليها
الانظار أو تقع بحسب الصدفة سيما الامر الذى لا يطول زمانه مثل بعض الشهب المؤثرة
للضوء القوي أو غيرهما مما لا يطلع عليه الا افراد صدفة ولا يعلم بخبره في جميع الجهات
والاسفاق وان ذكره بعض الناس فلا يثبت عند علماءهم المؤرخين لعدم ثبوتهم عندهم
لعدم ثقتهم باخبار الافراد القليبين فلا يكون سكوتهم دليل على عدم الوجود على ان
وراء ذلك ما هو أوضح وهو ان الممالك المتعددة اذ ذاك المحاورة للعلماء المؤرخين الذين
يمكن لهم رؤية القمر عند استقامته في كبد السماء في مكة المكرمة انما هم سكان ما بين
شطوط المغرب الى مبادى جبال هملاى أما أهالى أوروبا فلم يكونوا اذ ذاك من أهل المعارف
والتدوين سوى جهاتها الجنوبية من بقايا الرومان (وأما) الصين وشمال آسيا الشرقية
فلا يرون القمر اذ ذاك لغروبها عنهم أو قرب غروبها عنهم في ضوء النهار فهم وان كانوا
اذ ذاك متمدنين وعلماء لكن ذلك غير مرئى لديهم ثم ان الممالك المذكورة التى يمكن لهم
رؤية القمر اذ ذاك هم في أنفسهم مختلفون في الوقت فيكون الوقت اذ ذاك عند
المنوع بعد نصف الليل وعند المغرب بين عند غروب الشمس أو ما قارب ذلك في كل
من المكاين وبها تيك الاقطار ما مضى عليها من وقت انشقاق القمر نيف وعشرون سنة
الا وقد ادخل خالد بن سـثمان قائد جيش المسلمين في المغرب قواهم فرسه في المحيط الغربى
وقال ليس لي وراهـذما أفتحه وقد بلغت فتوح الجيوش الاسلامية في الشرق الى
بخارى ومصر قندوأفغانستان وسائر تلك الجهات فبعلماءها تـ الاقطار عند الفتح الذى
كان يقرب انشقاق القمر لان الانشقاق كان في السنة الخامسة قبل الهجرة والفتح تم
في مبدأ خلافة سيدنا عثمان كانوا على قسمين منهم من آمن وهو الاغلب ومنهم من

(١٠٢)

بقي على دينه (فأما) من آمن وألف فقد روى مثل سائر المسلمين الانشقاق امارؤيته
أول رؤية أحد من يثق به من أهل وطنه مع التأنيب وبالرواية المستفيضه والتواتر
القطعي من الصحابة الذين شاهدهوا ذلك وعلوه ونقلوه بالكلام الذي يتبعه دون
بثلاوته ولا يرتابون في حرف منه وكذلك صار نقل كل من آمن من سائر تلك الاقطار
ولهذا تواتر النقل بغير ذكره مندواقتصر ذكره على كيفية الوقوع وهو أيضا بالغ مبالغ
التواتر مع ان الاصل ثابت بغير احتياج للسند كما في سائر التواترات لانه اذا قال قائل
ان الكعبة في مكة المشرفة فلا يقال له عن ترويه - بل لانه قطعي مع اجماع بالضرورة
وكذلك نقل الانشقاق لانه موثر بالقرآن في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمع (وأما) القسم الثاني من علماء تلك الاقطار الذين لم يؤمنوا فانهم لما تحقق عندهم
ما تقدم عند المسلمين فن ثبت ذلك عندهم منهم من قبل لاشك انه يضر بغيره عن ذكره في
تاريخه لانه يكون حجة عليه وهو يتأول في وقوعه بما نشهه الاية الكريمة فهو
حريص على عدم ايمانه بالمره لكنه لما عارضه النقل القطعي سكنت عنه ولم يتعرض له
بنفي ولا اثبات والافساح لهم لم يذكروا احد منهم ان ذلك الزمان قد كان في فلان وفلان
يرصدون القمر أو السماء ولم يروا ذلك الحادث مع انهم حريصون على ذكر كل قادم
في الدين فكان سكوتهم في الحقيقة هو نفس الاقرار بالوقوع ولا يتحيل مع ما ذكرناه
ان مجرد السكوت عنه حجة في عدم الوقوع والحال ما ذكرناه ويتأيد هذا بما لا ملك
التي بقيت لم تنفخ وكان فيها بقية من التمدن وهي يمكن منها رؤية الانشقاق مثل بقية
مملكة الرومان الشرقية والغربية فانهم لما تقلص ظلمهم في تلك المدة القريبة بدولة
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان من مبعزاته انشقاق القمر وهم على دين
الانصرانية وثبت ذلك عندهم قطعيا من فتحوا اقطارهم وعلموا ان ذلك الانشقاق
حجة تخص ما بينهم فعلى تقدير ان يكونوا رأوه وانبتوه في بعض نواحيهم عند وقوعه
فلا يبعد ان اضر بواعنه بعد بلوغ قصته اليهم لكي لا يكون حجة عليهم ولا باماد اثباته
عندهم من يأتي من قومهم سبيها والملوك اذ لا نحت التقيد للقصور وكبراء الديانة
فربما انهم منعوا من ذكره كما يمنعون سائر ما يضر بدياناتهم فها هنا يأتي مثل هذا
التعليل الذي مر ذكره عن بعض النصاري في شأن غرق فرعون وهو هنا على نحو
ما اوضحناه ابين وأمكن فذلك قلنا باشهادنا من انكارهم له ولا يقال لهم
انكروه واستندوا الى عدم ذكره في التواريخ من حيث وقوع الخلاف في وقوعه حتى

(١٠٣)

عند المسلمين لان رواية أحاديثه لا تخرج عن الافراد والالية المارة قد قال بعض
المفسرين فيما ان الفعل الماضي وضع موضع المسئلة قبل تحقيق المسئلة فلا يكون هناك
النقل بالة وتواتر لوقوع بالفعل والوجه في سقوط ذلك بديمى عند من تضاع بالفنون
الشرعية وبيانه انا قدمنا ان الاحاديث المروية في الصحاح انما هي في بيان الكيفية
والاسباب اما اصل ثبوت الواقعة فانه منقول تواترا عن قتالان مدار جميع الروايات
البالغة حد التواتر على اثبات الوقوع فليس هي من الاتحاد وكذلك صرح القرآن
قطبي فيه وما ذكره بعض المفسرين ليس هو من كلام أحد من الامة الا خلافا عندنا
في ذلك وانما هو من كلام بعض المحدثة والمريدين لادخال الشبهة كيفية كما كان الحال
على المسلمين وان نسب القول بذلك لاحد الامة فانما هو من التزوير والهتان حيث
لم يثبت بطريق الرواية الصحيحة عن الثقة نسبة قول ذلك لاحد علماء الامة ولذلك لا ترى
كل من نقل ذلك من المفسرين الا وقال انه يرويه ويرده قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر الاية فانه اذا كان المعنى
سيئسقى القمر لا يكون لقوله يعرضوا الخ من معنى لان ذلك الزمن الا آتى ليس فيه
من مدح لمهزة حتى ينسبوها الى السهر وايضا قوله تعالى وكذبوا ناصح صريح في
تكذيبهم بان انشقاق القمر مهزة وانما ينسبوه الى السهر وقد جاءت قراءة وقد انشق
القمر بزيادة التاء كيدلما ضى ولهذا نقل الاجماع غير واحد على ان الانشقاق قد وقع
وانه لا خلاف بين المفسرين في ذلك وكذلك الروايات في الوقوع قد قال الواقدي انها
متواترة بالقطع وبه صرح القاضي عياض وغيره من ممارسي الرواية والحديث وقال
القاضي عياض أيضا ما معناه ان من يدعى عدم التواتر في ذلك انما هو الجاهل بل كمن
ينعص بصره ويقول مالي لا ارى الضوء وكذلك هو اذا فان المعرضين عن الاطلاع على
الحديث والسيرهم الذين لا يعرفون تواتر الرواية في ذلك زيادة مما قدمنا من صراحة
القرآن فيه واجماع الامة على تفسيره بما لا يحتمل تأويلا ولا شبهة ولم يقل أحد خلافا
سوى دسيسة المحدثة المذكورة مما لا يروج على عالم وكان نقل كثير من المفسرين لها
لردعها هو الذي صير لها ذكر والحق ان كثير من المتأخرين الذين ذمروا لم يراعوا حق
القرآن في تنزيهه تفسيره عن سفاسف الاقوال مما هو مردود بالبداهة واصول العقائد
والاجماع كما وقع في هاته الآيات مما جعله للقول ذكر وان لم يكن له من اساس ولا سند
ولا عجب لالمسألة المبهمة من دسائسهم في المعاني بما استطاعوا بل انهم طمعو حتى في

(١٠٤)

* الالفاظ وأرادوا أن يدخلوا عليها الشك والتعريف مع العلم القطعي بتواتر كل حرف من القرآن في محله ومرور ألف وثلاثمائة سنة وعشرون سنة عليه ولم يقع الشك فيه ولا راج التشكيك على أحد من الأمة من عامتها فضلا عن علمائها ومن هذا القبيل ما رأيت عند كني لهذا المحل في تأليف جديد للغوى أحمد فارس - سماه بالجاسوس على القاموس فهو وإن كان في بابه من جهة اللغة حسن الموضوع ولكن لما كان صاحبه غير متضلع بالعلوم الشرعية افتروا راج عليه ما يذكر في بعض كتب أدبية لذوى عيون متمخرفين بذكر ما يرونه من الطرف والظرائف لتفضية الوقت والتزلف لدى جهال الامراء حتى قالوا إن بعض كلمات القرآن الكريم وقع فيها التعريف واختلاف الرواية في القراءة بسبب عدم وجود الشكل والنقط في الحرف العربية في الزمن القديم وعدم ذلك جملة الالفاظ حتى قال إن منها انا نانا قري اونا نانا وقضى قري وصى ويئس قري يتبين وعماد الرحمن قري عند الخ ولولا التحامل المقصود لهؤلاء لم يصح لهم ذكر ذلك والافأى ذى عقل يقول إن أحرف الكلمات المذكورة يشبه بعضها ببعض حتى يقرأ على ما ذكر فن أين أتت الواو في انا نانا حتى صارت اونا نانا وكيف يشبهه القاف بالواو في وصى ومن أين أتت الالف في عند حتى صارت عماد وهذا كلف في بيان التمشدق والافأى حقيقة ان القراءات السبع كلها متواترة باجتماع أهل اللغة والدين كما نص على ذلك علماء أصول الفقه وأصول الدين وسائر القراء واذ قال أحد مدعي العلم في عصرنا ان التواتر يحصل به العلم العام فما لم يحصل لى حتى الظن بذلك فضع العلم فنقول ان ذلك من الجهل المركب وذلك لأن المراد بالتواتر هو العلم انما هو عند من علم التواتر وعند أهله أى أهل موضوع التواتر لا عند جميع الخلق ومثاله سهل جدا فانك اذا سألت أحد أهل السياسة وعلماء الجغرافيا عن وجود بلد تسمى استمكة لم اجابك حالابانها موجودة قطعا وانما تحت مملكة السويد وانه لا يرتاب في ذلك مثل ما يرتاب في وجود نفسه فاذا أتيت لجمهور علماء الجماع الأزهر وعلماء جامع الزيتونة وعلماء جامع القرويين وغيرهم من علماء الدين وسألتهم عن تلك البلاد لا تجد عند أحد منهم شعورا بها ولا يوجبك الاباني لأعلم لهذا الاسم من موضوع فهل يكون عدم معرفة الجمهور العظيم من علماء الشريعة قادحا في وجود تلك البلاد أو في نحو وجهها عن كونها تحت تلك المملكة بشبوت التواتر لمن لم يشاهد هان أهل العلم بذلك كذا ذلك لا يكون جهل جميع الجاهلين قادحا في وجود التواتر بالقراءات السبع بل قال جمع من الاصوليين

ان

(١٠٠)

ان القراآت العشرة متواترة فضلا عن السبع. واذا كان كذلك فلم يبق محل لدعوى
التحريف أو التحريف في تلك الكلامات واشباهها مما ثبتت به القراءه وانما جاء
ذلك من التشديد في الذي لا اعتبار له سوى التسويد في الكتب ليقبل عنه من يرى ان
العلم كاف فيه وجوده في كتاب مسود وسيأتى لهذا الموضوع مزيد بيان في الخاتمة
ان شاء الله تعالى ولترجع الى تاريخ مصر فنقول انه من عهد دم منغلا وابنته لم يوجد في
التاريخ شيء معتبر من احوال مصر سوى اسبقه لاهاليات أخرى اللالك الى ان بلغت الى
العائلة الثانية والعشرين فكان منها فرعون شيشق الاول الذي حارب ملك الشام
وهو ابن سيدنا سليمان عليه السلام وفتح مملكة وبقية تحت حكمه وصور فتوحه
على هيكل الكبريت وكتب عليه بالنقش بحروفهم مملكة يه وذا في قبضتي ثم خرجت
عليه الشام وحاربها ابنته وانكسر ثم لم يكن نوقائع مصر من أهمية الى ان استولت
عليها العائلة الخامسة والعشرون وهي من ملوك الحبشة وأولها فرعون سباقون
وصارت من هاته العائلة عدة ملوك وحاربوا ملوك آشور التي كانت مملكة بين
الفرس والشام وعظمت مملكة مصر في أيام تلك العائلة حتى اتحدت بالحبشة وغالب
أفريقية وصار فيها تمدن عظيم حسب ما دللت عليه الآثار ثم انقضت الدولة واتسعت
المملكة المصرية الى اثني عشر مائة ثم اتحدت تحت العائلة السادسة والعشرين
وأولها فرعون أساميس وترقت المملكة في أيامه وكان فيها ابتداء استعمال الحروف
الابجدية في الكتابة عوضا عن الكتابة بالصو التي كانت مستعملة سابقا كل صورة
علامة على كلمة ومن مده ابتداء التثنية في التاريخ المصري وانجلى حاله نوعا ما عما
كان من قبل في ائمة الزمن فكانت ولاية المذكور سنة ٦٦٤ قبل الميلاد وكان
خاطب معارفهم معارف اليونان وكثرت بيدهم الخاطبة ثم استولى ابنه وفتح به من آسيا ومنها
بابل وأراد وصل النيل بالبحر الاحمر ولم يمه ونخرج عنه أيضا بعض ما فتحه في آسيا
كذلك الشام ثم استولى عدة من ذريته الى أن فتح مصر بخصت نصر وقتل فرعونها وأولى
عليها أحد أعيانها فخالف عليه في مملكة فارس وتغلبت على جميع البلاد
وصارت مصر ولاية فارسية حدثت فيها عدة ثورات من الاهالي لانقاذ أنفسهم
من الفرس ولم تغن شيئا ونهاية خروج مصر من يد اهاليها كان في حدود سنة ٣٥٨
قبل الميلاد ولم يتولاها احد منهم الى الآن بل كانت ساثر دولها من المتسلطين من
خارج ثم بقي بعد تلك الثورات استقرار ملك فارس الى ان ظهر اسكندر المقدوني اليوناني

(١٠٦)

وشمرع في الفتوح فافتتح مصر وجعل قاعدتها الاسكندرية كما هو وكان فتوحه
 سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ثم استولى عليها بطليموس الاول من اليونان أحد قراد
 الاسكندر عند اقتسام ممالكه بعد موته وانتشأت الدولة البطلمية وسيرة التي تحفظت
 على ما أمكن لها معرفة من علوم قدماء المصريين وزادت بعسارف اليونان وقد فتح
 بطليموس المذكور الشام وجعله ولاية مصر بته وأهلك من اليهود ما أباه بنحت نصر
 حتى لم يبق منهم الا القليل النادر من الرعا ع ثم لما تولى ابنه أعتق من وجده منهم وردهم
 الى بيت المقدس مكرمين وهو الذي أمر بترجمة التوراة من سبعين رجلا من اليهود
 العبارين باللغة اليونانية فترجمها كل منهم بانفراده وقوبت الترجم مع بعضها
 واستخرج من الجميع نسخة واحدة وهي المعروفة الآن بالسبعينية ومع ذلك فهي مخالفة
 الآن للعبرانية والسامرية وكان السبعينية أقل تحريفا للاتفاق عليها اذ ذاك وكان
 تحت مصر اذ ذاك تونس وطرابلس وكثير من جزيرة العرب والشام وكثير من جزائر
 اليونان ثم تولى بطليموس الثالث وزاد في الفتوح الى ان دخل واسط آسيا ثم تولى
 الرابع وقتل اليهود في سائر ممالكه شرقة وكان بطشا وتولى بعده ذريته واكثرهم لم يكن
 لهم من تقدم اجدادهم سوى اسم الملك أما الاعمال فهي قهوية استبدادية شهوية سنة
 الله في انقراض الدول حتى استولت منهم امرأة ذات جمال فائق وأسماها كايو باترفعانت
 في البلاد والعباد وضعف مملكها فقصدها امبراطور الرومان بالحرب وارسل لها جيشا
 وليكنها الما اجتمعت برئيس جيوشه شهقة حبا حتى تزوجها بعد ان كانت تزوجت
 اخويها واحد بعد آخر ثم أقام معها رندس الجيوش الى ان أرسل اليه جيش آخر
 وقتل في المعركة ولما آيت المأساة من النجاة مكنت حية قتالة من يديه فنهشتها
 وماتت وقد رأيت صورته في عدة أماكن من أوروبا والحبية في يديها وكان بذلك
 انقراض دولة اليونان من مصر وانتهى استيلاء الرومان عليها فلم تزل ولاية رومانية
 ياغب واليم بالقوقس له الا في النصر في ان جاءت البعثة وخاطب النبي صلى الله
 عليه وسلم الملوك بالدعوة الى الاسلام فكان من الملوك المخاطبين منه عليه الصلاة والسلام
 القوقس ونص الكتاب الذي بعثه إليه باسم الله الرحمن الرحيم من (محمد) عبد الله ورسوله
 الى القوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى (أما بعد) فاني أدعوك بدعاية
 الاسلام أسلم تسلم يؤتلك الله أجرك مرتين فان توليت فمليك اثم القبط يا أهل الكتاب
 تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا

بعضنا

(١٠٧)

بعضاً رباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اه فاجابه بالعزبية
 بمناصحه بهم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما
 بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت ان نبياً قد بقي
 وكنت أظن ان يخرج من الشام وقد أكرمت رسولك وبعثته اليك بجزاريين لهما مكان
 من القبط عظيم وكسوة وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام فلم يكن فيه اجابة ولا انكار
 وانما هو يوصي الى قرب الاجابة ثم فتحت مصر في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه سنة ٢٠ *
 على يد عامله سيدنا عمر بن العاص في جيش عدده ثمانية آلاف وأمه الخليفة باربعة من
 أسود الصحابة قال ان الواحد منهم في مقام ألف فتلك اثنا عشر الفا وان يقابل اثنا عشر
 ألفاً من قلة وتماذى الفتح منها بقية أفر بقية وحيث كانت أخبارها الى العائلة الحميرية
 العموية مبسوطة في التواريخ لا يمكن استيعابها بقية صهرها على ذكر الدول وسنة نبيها
 وملاحظات في صفته في جدول خاص هذا وأما بقية المحققات السودانية وهي القسم
 الجنوبي من النوبة وما يليه جنوباً من بقية السودان وقاعدة ملكهم تسمى سنار باسم
 المملكة فناية ما يعلم من أحوالها انها قبل الهجرة بنحو ٣٧٣٥ سنة كان يسكنها
 قوم من الزنج لا تعرف أحوالهم ثم وردت عليهم طائفة الكوش من العرب وحضات
 بينهم وبين المصريين وقائع اضطرت المصريين الى اقامة قلاع في الحدود وتقلص ظلمهم
 عما كان لهم في النوبة من النفوذ ثم تسلط أهل سنار العرب على مصر وهم الرعاة ثم
 خرجت عنهم كما سبق ذكره ثم دخلت في أهل سنار وغيرهم الديانة النصرانية في القرن
 الرابع من الميلاد ثم في القرن الاول الهجري افتتح العرب هاتيك الجهات وبقيت على
 الاستقلال بادارتها سوى التبعية الدينية للخلافة الى سنة ٨٨٩ فاقبالت قبيلة تسمى
 القنج (أو) الفون ولا يعرف من أين أنت فتغلبت على تلك الجهات وتماكتها وكانت *
 على الديانة الوثنية ثم أسلمت وصار منها علماء اجلة في عدة مدن وارتحل منها طوائف
 الى قواعد الاسلام لاخذ العلوم فبرعت منهم فحول وكان ملكهم من أقوم ملوك الاسلام
 الى أن حدث فيهم التنافر الداخلي والانقسام وتصاروا فيما بينهم فملوا بذلك وسيلة
 لجارهم في التسلط عليهم فاقبالتهم على باشا فرصة واستولى على جميع سنار
 بعد استيلائه على النوبة سنة ١٢٣٦ أما شطوط النوبة الشرقية أعني ما كان منها *
 على البحر الاحمر فانه كان في أغلب الاوقات تابعاً لمصر حتى بعد الفتح الاسلامي وعند
 ما اقتضت الدولة العثمانية مصر بقيت هاته الجهة تحت اداره خاصة بتناحية للدولة

(١٠٨)

الى سنة ١٢٤٣ ففوضت ادارته الى محمد علي وجعلت جزأ من الممالك المصرية والحققت
 بها أيضاً بلدة أنصبا ولحققاتها التي كانت تابعة للعبدة فأسست ولت عليهم مصر شيئاً
 فشيئاً (وأما) دارفور فبقاية ما علمت من تاريخها أنها كانت من الممالك الاسلامية القديمة
 وأهلها من اخلاط السودان والعرب وانزعائلة من ملوكها عربية سودانية يسمى أولهم
 السلطان عبدالرحمن توفي سنة ١٢١٨ وانتقل الملك في أبنائه الى ان تغلب على المملكة
 اسماعيل باشا سنة ١٢٩١ (وأما) زيباغ وغيرها من بقية جهات السودان على شطوط
 أفريقيا الشرقية فواصل ما بلغت اليه انهم قوم من العرب اجتازوا الى هناك من قبل
 الاسلام ثم أسلموا في صدر الاسلام واما استتوات الدولة العثمانية على اليمن وغيره من
 جزيرة العرب وأفريقية فدخات تلك الممالك أيضاً وطوعا في طاعة الدولة ولم تنزل بحرية لهم
 عواندهم رها للحكم السياسي الى أن ألحقت ذلك بمصر بمقتضى فرمان منحة الى اسماعيل
 باشا وورثته وذلك سنة ١٢٩٢ (وأما) بلاد النوبة فكانت قديما مشحولة بمساذكرناه
 في سنار الى أن استقر الاسلام بمصر فبقى أهل النوبة على الشرك حتى انه في زمن
 المأمون لما قدم الى مصر اشتكى اليه ملك النوبة من غارة اسوان وأهلها بانهم ما كروا
 أراضى في بلاده بالشراء من أناس والحال انهم أمى البساتين عبيده فأحال فصلهم على
 قاضى اسوان ولم يقر الباتون بالرق فضعن عليهم ملك النوبة وبطش بهم ثم صار التعدى
 متواليا من النوبيين على أهالى مصر وكما أثاروا وجه لهم حاكم مصر راد الشذوذون
 ثم يعو دون الى زمن صلاح الدين بن أيوب فالتجأ اليه ابن أخ ملك النوبة من مصر اعلى
 عمه فأعانه وأولاه ملك النوبة وضرب عليه خراجا وألحق بمصر فحوال ربع من النوبة ثم
 لما ملكت الدولة العثمانية استقلت النوبة وكانت جدودها عند مصر ماوى للامراء
 أصحاب الفتن فيلجئون اليها الى أن استولى محمد علي فاستولى على جميع النوبة وغلبها
 وصار أغلب أهلها مسلمين ودونك جدول بحكومات مصر منذ الفتح الاسلامي

(١٠٩)

﴿ جدول حكومات مصر ﴾

التاريخ من الهجرة	أسماء الحكومات	ملاحظات
٢٠	سيدنا عمرو بن العاص وخلفائه	عمال للخليفة من الخلفاء الراشدين
٢٦٤	أحمد بن طولون وذريته	ثم الامويين ثم العباسيين سلطان مستقل بالادارة خاضع الى الخليفة العباسي قدينا
٢٩٢	عمال العباسيين	مثل سائر العمال
٢٩٣	الدولة لآخشيديه ومنها كافور الاخشيدي	سلطان مستقل يدين بالاتبعية للخلافة العباسية
٣٥٨	الدولة الفاطمية اولها المعز بن المهدي	خلافة مستقلة على مصر وسائر المغرب
٥٦٧	الدولة الايوبية واولهم استقلا لصلاح الدين و آخرهم شجرة الدر	مستقلين وتماكروا الشام وغيره وصلاح الدين هو فاتح بيت المقدس من أيدي الافرنج و صاحب الوقائع الشهيرة في حرب الصليب وفي مدتهم انتقل الخليفة العباسي الى مصر سنة ٦٥٩ وهو صوري فقط
٧٨٤	دولة المجر اكسه اولهم المعز ابيك زوج شجرة الدر المذكورة	مستقلين خاضعين للخليفة العباسي بالاسم
٩٢٢	الدولة العثمانية وعمالها ومنهم المهاليك	عمال لآل عثمان لهم ادارة مختارة فوضى
١٢١٣	الفرنساويون	تغلب نابليون الاول وبقى الى أن أخرج بسيف الدولة العثمانية واعانة الانكليز

(١١٠)

* مطالب في تاريخ مصر الجديد بما استولى الفرنسيين على مصر وكان قاصدا للتوصل
 من هناك الى افنيك كاله المندمن الانكليز ما كان بينهم من الحروب والعداوة بل وكانت
 سائر أوروبا اذ ذلك ضد الافرنساوين حسب ما تقدم ذلك في عمله في سنة ١٢١٦ وبعد استقرار امرها
 * للدولة العثمانية على حرب افرنسا وانحازها من مصر ١٢١٦ وبعد استقرار امرها
 للدولة استولى امارتها على يد علي باشا الذي اصب له من الارناؤوط وقدمه كرياضة
 عساكر الترك لاخذ مصر من الفرنسيين وكان كامل الاوصاف للرياسة فتقدم اليها
 بنفسه على بني جنسه واتقدها له الجميع وقررت ولايته الدولة على دفع نواجع معلوم سنويا
 وذلك سنة ١٢١٩ فوجد مصر في نهاية درجة الفقر والبربرية والجهل بل حتى ان
 الامراض الوبائية من الطاعون قدمت ككثرت فيها واصارت عادية تقضى من الناس سنويا
 خلقا كثيرا حتى قل الهرمان ولم يبق من ما آثر تقدم المصريين سوى الاسم في التواريخ
 نعم وجد للعلوم الشرعية بقية آثار في الجامع الازهر من العلماء وذلك كله ما سر عليها
 من تقلبات الدهر والظلم والجور والاستبداد والحروب في الايام الخالية فشمع عن
 ساعد الجدد ووافقه البحث وفتح مصر عصر اجديديا فنظم فيها جيشا نظاميا من اهلها
 ورتب الاداء على الاهالي على قانون غير محجف والزمهم بتعمير الارض وفتح الترع وانشا
 المدارس العلمية للعلوم الرياضية والحربية واحضر المعلمين من اوروبا واحيى الممارسات
 والزم الاهالي بالنظافة وتوسيع الطرقات والبنات وارسل التلاميذ الى اوروبا تعلم
 الفنون واحيى نوا العلوم الشرعية وسهل ابواب التجارة وانشاء معامل السلاح والسفن
 وترجت ح السكتب النافعة في فنون شتى من لغات شتى الى العربية فنشأ في مصر جيل
 جديد وعصر جديد بسطت فيه طرقت الهرمان والقدن والقوة في مدة يسيرة فافتتح النوبة
 * وسنار واستولى على الشام والحجاز وافتتحة من الوهابي بل امتد بالاسـ تيلاء الى قرب
 الاسناتة في الاناطولى وخشيت شوكة من عصبياته على الدولة العثمانية فتعصب
 الانكليز الى الدولة في الظاهر لتوطيد اركانها وفي الباطن خشية من انتشار دولة
 اسلامية تشابه ذات قوة مثل تلك ومرکزها مصر فتخشي ان تتقدم هناك الى الهند الذي
 هو روح قوة الانكليز سيما اذا عضدته احدى الدول الاوروبية مثل فرانسافلذلك
 حاربتهم مع الدولة العثمانية التي هي اذ ذلك على ضعف شديد من حرب الروس بما
 والثورات الداخلية واستقلال اليونان وغير ذلك فقهر واحمد على ولكن لاتمام مقصد
 انكلا تيره لم تسعح للدولة بالاستيلاء التام على مصر مراعاة المقاصد المشار اليها ايضا

فكان الاوفق لها ابتقاء مصر على شبه استقلال يضيف كل من الجهتين وبقي محمد على واليا على مصر على أن تكون الولاية في ذريته من أكبر إلى أكبر ويؤدى خراجا سنويا للدولة ويعينها عند وقوع حروب معها بالعساكر الذين يبالغ عددهم الاربعة من الغا وكذلك يعينها بالسفن وان الرتب العالية في مصر يعينها أصحاب اوتواهم - م الدولة والسكة والخطبة - تكون باسم السلطان العثماني والعلم عثمانى أيضا وخرج المجازعته الى الدولة وكذلك الشام وبقي على ذلك الى أن ضعف بالنسبة فتنازل عن الولاية لابنه الاكبر وهو رويس جوشه وحور به ابراهيم باشا سنة ١٢٦٥ وكان على قدم أبيه وتوفي تلك السنة فتولى بعده ابن أخيه عباس باشا بن طوسون بن محمد على سنة ١٢٦٥ * فاحذتة فوان القدن في شئ من الانحطاط لصر المدا خيل في الثموات لكنه أحدث شيئا من المنافع كبعض طرق الحديد والسلك الكهربي وأحكم الصلة مع الدولة العثمانية ثم توفي سنة ١٢٧١ وولى بعده سعيد بن محمد على فزاد انحطاط القدن واتسع حرق الاسراف ومنع جمعية السبس الفرنسية ففتح خليج السويس وكثرت الدين على الحكومة ثم توفي سنة ١٢٨٠ وولى اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا فاعاد عصر القدن والمعارف واتسع القنوات البرية والبحرية وشدد الاتحاف بفرانسوا انكلا تيره بما جعل له اتخاذ طريق الاستقلال بالبرية عن الدولة العثمانية وصادف ان كان في أيام ولايته حصلت حروب أمريكا المتحدة في بعض مفاها فقطع منها جانب القطن الى انكلا تيره واشتد طلبه من مصر وحصلت فيها ثورة لم تعهد مع امتداد طرق الحديد الى جهات شتى والى السودان ثم فتح خليج السويس في مدته ودعى له ملوك أوروبا فحضر له كثير منهم كإمبراطور أوسستريا وإمبراطور فرنسا والسيد زوجه الامبراطور نابليون الثالث من غير توسط الدولة العثمانية مما زاد الشهرة في دعوى الاستقلال لكنه كانه تحقق من زائريه ان المقصود لا يتم له فتغيرت سيرته من وقتئذ وعاد لمصافة الدولة العثمانية وقد قدم اليه السلطان عبد العزيز بنفسه الى مصر والى مقره في الاستانة وحصل منه على فرمان امتياز بانحصار الوراثة في نفسه وبنيه من أكبرهم الى ابنيه الاكبر وهكذا وزاد في الخراج للدولة وأخذتها ملكة زيلع وفتح دارفور وكردان وغيرها * من السودان وزادت المعارف كلها شعبة في أيامه وانشأ المحاكم الختاطة بمصر منع حكم القنائل وانشأ مجلس النواب عن الامة لكنه صوري وكذلك مجلس الوزراء الا ان الشكل قمت امره وحده لكنه ازداد الدين على الحكومة بكثرته المصاريف

الداخية في انشاء التصور وغيرها كالترع والطرق وبكثرة المصاريف للدول لتحصيل
 مطلوبه منهم مما ذكرناه وابتقر الالهالي من الظلم وأخذ أموالهم بالضرب وغيره
 لحد غير معلوم ومع ذلك لم تقدر الحكومة على الوفاء بقائض الديون الأوروبية
 وجمعت تزيد في القرض الى أن توقف المقرضون عنها فتد اخات الدول في حافة
 أموال رعاباهم وأنشأوا وزارة فيها وزيران كالميزي للسال ووزير فرانسواي
 للاشغال العامة وتحرش الوزراء غير الاجنبيين حينئذ في عدم الاذعان لجرد
 ارادة اسماعيل باشا وتقلب مرارتي تغيير الوزراء فلم يفده الى أن ثار الجديش بالافواه
 منفتح مع مجلس النواب وأهانوا الوزارة المتلعة كلها بدعوى انها نقصت من مصاريف
 الجديش وعدده ليكن المعاملة مع الوزير الفرانسواي كانت ائمة وهو معض عنهم حتى كان
 لسان الحال يدل على ان لفرانسواي باطناف مع اتفاق مع الجديوي يوافق قصده في التماهد
 من انكلا تيره حتى تفتنت لذلك وأرسلت له رسولا خاصا اليه لانه أصبحته شديدة ما لها
 ان النافع لذاته هو الرفق بالرعية والكف عن الاسراف وان ركونه الى غيرها لا يفيد
 عند تحميص الحق فأجاب بالخاص مرامي به واشتد حنة من التداخل الاجنبي الى أن
 حصلت تلك الامور من العسا كرفوزل الجديوي الوزارة فثار غيظ فرانسواي انكلا تيره
 وطلبوا من الجديوي أن ينزل عن المنحيدوية فأبى والجوا الى أن كادوا أن يباشروه
 بالحرب وكانت الدولة العثمانية اذ ذلك أترنر وجهان من حرب روسيا التي قسمت بها
 كثيران من ممالك الدولة فارادت الدولة أولا أن تحمي الجديوي لئلا يسهل ان
 لامناص من عزله جمعياتها كما قيل بيدي لا ييدع روحفظا لناموسها واساطرتها فجهت برسال
 أمر بسلك الكهري بالالى اسماعيل باشا تعينه بعزله وأمر آخر الى ابنه الجديوي الخالي محمد
 توفيق تأمره بالولاية وتسلم زمام الامر وذلك سنة ١٢٩٦ ثم سافر اسماعيل الى ايطاليا بجمعه
 وأبنائه وبقي ساكنا في نابلي بقصر الحكومة ايطاليا وتصرف الجديوي توفيق في مصر
 بواسطة الوزراء وجمع ل رئيس الوزارة مصطفى رياض باشا وجعل لكل من انكلا تيره
 وفرانسواي قساما ليا يحضر مجلس الوزراء وله صوت فيه بحيث لا يفضي شئ الا ما وافق
 عليه المراقبان وسميت مداخيل الحكومة على تسفين أحدهما الفائض الديون وقدر
 تلك الديون نحو ألفي مليون فرنك ومقدار ما عين لفائضها واستهلاك أصلها نحو مائة
 وستين مليون فرنك اسنوينا والباقى من مداخيل الحكومة يدفع منه مخارج الدولة
 العثمانية وبقيت مصاريف الحكومة وجرى التصرف للوزارة بدون مجلس النواب

(١١٣)

مع وعد الخديوى عند ولايته بفتحها واجراء مقتضاها الى أن ظهر للوزارة ان تحدث قانونا في رتب العسكر كان من مقتضاها ان أبناء مصر العارفين بالكتابة والقراءة لا يتجاوزون رتبة رئيس الالف أى بين باشى والذي لا يعرف ذلك لا يستولى الاربعة رتبة عشرة وبقية الرتب يتولاها الدخيلون في مصر كالترك والافرنج فامتنع من الامضاء على القوانين في وزارة الحرب عدة من أمراء الالايات معانين بان ذلك خلاف الانصاف فاستجبتهم وزير الحرب فتارت العساكروا نوجوهم من السجن وأحاطوا بقصر الخديوى طالبين عزل وزير الحرب فمزل وحصات (حينئذ) طنطنة لاتحاد العساكر وانصافهم وحياء المصريين ونشأ في الامة حزب يسمى الحزب الوطنى زعيمه فى الكلام رجل يسمى عبد الله نديم فصيح اللسان عارف بطرق الكلام وكثرت منه الخطب فى المجمع والمواكب ومن غيره أيضا فى الحث على الاتحاد وأخذ الاشتغال لابناء الوطن وكذلك الوظائف والخروج من ولاية الاجانب الذين اشتد احتقارهم للاهالى واستبدادهم عليهم بالرتبات الباهظة حتى انى لما مرت بمصر كنت اسمع دوى غيلان الاهالى من التشكى من كثرة توظيف الاجانب الذين بلغ عددهم نحو ألف ومائتى متوظف يأخذون سنويا نحو أحد عشر مليوناً فرنكاً مع اقتدار الاهالى على الوفاء بتلك الوظائف ونقصان مرتبهم عن ذلك بكثير ثم بدا للوزارة لزوم التنقيص من عدد العساكر فتمار الجند وأحد قوا بقصر الخديوى متسلحين حتى بالمنازع بعد ان أرسلوا الى نواب الدول بالامن عليهم وعلى رعاياهم والاعلام بمقاصدهم وكان رئيس ذلك الاتحاد رجل من أهل مصر فى رتبة أمير الأى فصيح اللسان ثبت الجنان اسمه أحمد عربى فطاب هو ورؤساء الجيش الاجتباع بالخديوى فلما تبين الخديوى جد طابهم بواسطه خطاب ففصل الالكبير معهم تلقاهم فأعلموه بأن مطالبهم هو عزل الوزارة وولاية رئاستها لشرىف باشا وجمع مجلس النواب واجراء قراره حقيقة وان تكون له الحرية اللازمة لئله وان لا يمس حقوق الاجانب وتعهدات الحكومة معهم فلم يسع المجال الا لقبول جميع المطالب واجرائها فعملوا وازداد عربى نفوذا وانطلقت الاسن بالحرية فلما اجتمع مجلس النواب ألف قانونه الذى تبنتى عليه أعماله وكان من جلته انه لى الحق فى الاطلاع على حساب الحكومة فى الحال وله الرأى فيه مع ان ذلك من خواص مأمورية المراقبة الفرنسية الا انكليزية فامتنعت وزارة شرىف باشا من قول ذلك لما تملم من تداخل الدولتين فى الامتناع حتى يفضى الى التداخل فى السياسة فأصر المجلس دلى طلبه وأظهرت العساكر التعصب الى المجلس فاستعفى شرىف ووزارته

ومن هنا خرجت الأعمال عن القصد الجليل لما يوقعها في الزوال لان العاقل يفتخر بجمع مقتنيات المال ونسبة قوة الدول فبقية اعد من موجبات الفساد ولا تطاب التهيئات في البدايات كما هو القاعده الشهيرة القائلة من طالب الثرى قبل اوانه عوقب بحرمانه وما بالعهـم من قدم قدراً واقداحـل الدولتين في عزل الخديوي السابق حتى تم مرادهم فكيف يفتح لهم باب التداخل وهم بالمرصاد منهم لم يكن سبق القدر فلم يتدبروا واستعجلوا فاصروا على طلبهم ففوض الخديوي انتخاب الوزارة الى المجلس مع انه من حقوقه تطيب بالخطر الاهالي فاستولى رئاسة الوزارة محمود سامي واستولى وزارة الحرب عرابي وابتداه ايضا من هذا الاعتراض عاينه من العقلاء في قبول الوزارة لان مقامه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب بتلك الولاية ويصير له عرض خاص به من الارتقاء الى المناصب العالية سيما بعد ان رقي من كان معه من رؤساء العساكر الى رتبة اللواء وقبل هو من الخديوي تلك الرتبة بعد الالحاح عليه فوافقت هاته الوزارة رأى المجلس وكانت اذ ذلك السن الاهالي وصحفهم مبدية مطاعة بالهدح في الاروبابيين والتبجح بما هم عليه مما أسف منه عقلاء المسلمين فهاجرت ضدهم صحف أروباجية واشدهم الفرانساويون والانكليزيون حتى أبرقت وأرعدت دولناهم متهددين بالحرب طالبين نفي عرابي وبعضهم رؤساء العساكر الذين رفقوا الى رتبة اللواء وارجاع وزارة شريف ودخض مطلب مجلس النواب في التداخل في أمر المراقبة فوقع اضطراب وهيجان ظهرت فيه دعوى على بعض من العساكر الجراكسة بانهم قصدهوا قتل عرابي باغرا آت سرية منها المنسوب الى طلعت باشا أحد علائق اسماعيل باشا فنتي أولئك الجراكسة الى الاستئانة وبقوا فيها تحت الحفظ مكرمين في أحد المباني السلطانية الى أن رجعوا بعد الحرب الا التي ذكرها فلما أصرت الدولتان على ذلك أعان الخديوي بعزل الوزارة فنارت الاهالي والعساكر والزمو الخديوي بارجاع عرابي الى وزارته وقدم اذ ذلك مرخص عثمانى وهو المشير درويش باشا معه عدة رجال لاقرار الراحة في مصر بالوجه السياسي لان الاهالي ايضا اكثر وان التنويه بانتمائهم للدولة العثمانية ووردت منها افراد على الوجه المخصوص من قبل لراحة الاهالي وكان الخلاف بين عرابي والخديوي عمدة قدوم درويش باشا مشددا حتى ظهر الخببر بأن الاهالي قدموا مضبطة بطلب عزل الخديوي بل جرى الطمع حتى الى انجراج الخديوية عن عايله حتى عدلى بالمرطاب أن تكون مصر مثل الباغار في امتيازاتها التي منها الاختيار الوالي وأن لا تتداخل فيهم الدولة

العثمانية

العثمانية بشئ في ادارتهم بل ربما تحرشت بمفهوم بانها لو ترسل عساكر ضد هـ - م فانهم
 يقابلونهم كما يقابلون سائر الدول وحينئذ أعلنت كل من فرانسوا ونيكولا تيريه بلزوم ابقاءه
 الخديوي ونفوذه وقطع مضاديه بالقوة الحربية غير ان فرانسوا تطلب ان تكون قوتها
 وقوة انيكا تيريه هي الفعالة ولا تسمح للدولة العثمانية بذلك وانه كالاتيريه على ضدها
 فتطلب مبادرة عساكر الدولة العثمانية لذلك فرأت الدولة العثمانية ان فصل النزاة
 يتم بدون احتياج الى قوة وأرسات دزويش باشا ومن معه لذلك وحصل من قدومه
 ما أعاظ كثيرا من الارو باو بين لانتقاد العساكر المصرية والاهالي للسلاطان
 وامثال امره وابتدأ السكون والتوافق والرضى بالحصول شيئا فشيئا السكنه حدث في
 اسكندرية التي كانت اذئذ المراساها غاصصة بأساطيل الدول الارو باوية حادثة شنيعة
 وهي قتال بين المسلمين والنصارى السكان بسبب مشاجرة عادية فطلب الارو باويون
 بذلك وزمروا حتى توجه اليه الخديوي ودرويش باشا وعرابي الى الاسكندرية لاقرار
 الراحة وأقر الدول ان الرقعة عادية لا تدخل لها في السياسة غير ان أصل المسئلة من
 اصرار الدولتين على مطالبهم وامتناع اهالي مصر لانزال على ما كان وفرانسوا أشد اذاما
 وتهديدا باعلان الحرب وعالمت انيكا تيريه عقده وتقر في الاستماتة لما يجب من العمل
 فامتعت الدولة العثمانية من التداخل فيه لما لها من حق السيادة وخذها على مصر
 فرأت ان ذلك من باب تداخل الدول في داخلتها لكنهم عقده ودخلت فيه الدولة
 العثمانية أخيرا ويدها هو في التفاوض كانت العساكر المصرية تصلح في حصون
 الاسكندرية حيث انها خربة ولا استعداد فيها لان الدولة العثمانية كانت حجرت على
 اسماعيل باشا تحصينها عند ما أحكم حصن أبو قير جوار الاسكندرية وحصون دمياط
 وغيرها لما سبقته الاشارة اليه في أخبار اسماعيل باشا ولما رأت أساطيل الدولتين
 ذلك التحصين ادعوا انه تهديد لهم وطلبوا الاقلاع عنه فاهرت الدولة العثمانية بالمكف
 عن التحصين وادعى المصريون الامتثال وادعى رئيس أسطول الانكليز عدمه وطلب
 دخول عساكره الى الحصون فنتفاقم الخلاف وأطلقت النيران من الاسطول الانكليزي
 على الاسكندرية فخربتها في نحو عشر ساعات وتضررت بعض مدراعاته وانحازت
 العساكر المصرية الى مكان يسمى كفر الدوار وجيشوا هنالك واستولت العساكر الانكليزية
 على الاسكندرية وبقى الخديوي فيها وانكشف الغطاء على مخالفة العساكر للخديوي
 وكان معه درويش باشا المذكور فرجع الى الاستماتة وبقى مع الخديوي الكاتب الثاني

للسلطان واشتد المحاسن. كلاً تهر على الدولة في ارسال العسكر ولم ترسل الدولة الى أن
 وقت عدة محاربات يرية كان النصر فيها للمصريين واستولت انكلا تهر على برت
 سه. دوساثر خلع العويس وكان أكبر المعسكرات المصرية في النيل الكبير بين
 القاهرة والاسماعيلية وتضايق الانكليز في لزوم قوة كبيرة لهم لاتمام قصدهم لان
 فرانسما فتح مجالس نواها الاستشارية في حرب مصر. انكر ذلك أشد الانكار فسمحت
 أسطولها وبقيت على الجهادة الدولة العثمانية وان وافقت أخيراً على ارسال عسكرها
 لكن تشدد الانكليز في جعله تحت أمرهم وأن لا يتصرف الاعلى فحواسنهم وأن يخرج
 متى ما أمره بالخروج ألزم تأخر ارساله وكان تصرف العساكر المصرية بغاية الاحتراس من
 الافعال البربرية سوى ما صدر من افراد من العربان والغلاحين في جهات قليلة ويدينها
 الامر على ذلك واذا بالدولة العثمانية نضرت اعلا لانا حسب طلب انكلا تهر بان عرابي
 وكل من انحاز الى حربه عصاة فلم يرض على ذلك بضع أيام الاوقدا نخلت عرى التعصب
 المصري ودخلت العساكر الانكليزية الى القاهرة راكبة في الرتل بدون أدنى حرب
 ولا معارضة مع ان الجيش المصري ومن انضم اليه من العربان وغيرهم المتجاوزون المسائة
 ألف والمجسبن ألف محارب باتم قوات الاستعداد فتقر قوا جميعا أيدي سباني بضع ساعات
 وسلم عرابي نفسه أسيراً الى الانكليز فرجع الخديوي الى مصر وأقيم وكيل مدافع
 انكليزي عن رؤساء العساكر المصرية وآل الامر حسب ارادة انكلا تهر ان حكم
 بعتاب عرابي لكن الخديوي عفا عنه لانه لم يفعل شيئاً الا عن وفاق من يتبعه وأدق له مرتباً
 للقيام بنفسه ونفى هو وكبراء رؤساءه الى جزيرة سيلان في الهند وذلك هو التعديل
 الباطني مع ان خزبا عظيماً من الانكليزيرون ان جنابة أولئك العساكر السياسية
 لا توجب القتل فلذلك حكم عليهم المجلس المحربي بالقتل لكن الخديوي عفا عنهم
 وأبدل القتل بالنفي ولم تنزل العساكر الانكليزية بمقيمة بمصر وحالهم السياسيون هم
 مرجع الامر والنهي والوزارة تحت رئاسة فخر يفا باشا وناظر الداخلية الذي له كمال
 النفوذ يا ضباشا وانكلا تهر بصدد ترتيب حالة جديدة للسياسة الداخلية
 وخارجية لمصر مع اعلا نهابان مصر تحت سيادة الدولة العثمانية على امتيازاتها المقررة
 بالفراغات السلطانية وان التراب التي هي بصدد الاتمس شيئاً من حقوق الدولة
 ولا معاهدات الدول الأجنبية وتفاصيل نفوذ فرانسما في مصر ولم تنزل غير مساهمة
 لانكلا تهر برادها ولروسيا ميل الى معاضدة فرانسما هذا ما وقع الى الاسن وهو المحرم

(١١٧)

سنة ١٣٠٠ وبه يعلم صحة ما كنا ذكرناه في استيلاء فرانس على تونس وكتبناه سنة
 ١٢٩٨ والله يفعل ما يشاء ويختار وله طاعة الامور
 بمطالب في السياسة الداخلية المصرية بم اعلم ان مصر ملكة عثمانية لها امتيازات
 خاصة بينها الفرمان الصادر في ولاية الخديوي محمد توفيق باشا وهذا نصه
 الدستور الاكرم العظم الخديوي الانظم المحترم نظام العالم ونظم مناظم الامم مدير امور
 الجمهور بالفكر الثاقب متم مهام الانام بالرأى الصائب مهمه تدبير الشأن الدولية والاقبال
 مشيد اركان السعادة والاجلال مرتب مراتب الخلافة الكبري مكل ناموس السلطنة
 العظمى المحفوف بصنوف عوطف الملك الاعلى خديوي مصر المحاضر لثروة الصدارة
 الجليله فعلا والمحمل لنيشانتنا الهمايوني المرصع العثماني ولنيشانتنا المرصع الجيبيدي
 وزيرى سميراء الى توفيق باشا ادام الله تعالى اجلاله وضاعف بالتأييد اقداره واقباله
 انه لدى وصول توفيقنا الهمايوني الرفيع يكون معلوما لكم انه بناء على انفصال اسماعيل
 باشا خديوي مصر في اليوم السادس من شهر رجب سنة ١٢٩٦ وحسن خدمتكم
 وصداقتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ولذاتنا العلمية واساهوم معلوم لدينا بان
 لكم وقوفنا مع اولومات تامة في خصوص الاحوال المصرية وانتم كنفؤ لسوية بعض
 الاحوال الغير المرضية التي ظهرت بصر منكم مدة ولاصلاحها وجهنا الى عهدتكم
 الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المعلومة مع الاراضى المنضمة اليها المعطاة
 الى ادارة مصر توفيقا للقاعدة المتخذة بالفرمان العالى الصادر في ١٣ محرم سنة ١٢٨٣
 المنضمين توجيه الخديوية المصرية الى كبر الاولاد وحيث انكم اكبر اولاد الباشا
 المشار اليه وجهت الى عهدتكم الخديوية المصرية ولما كان تزايد عمران الخديوية
 المصرية وسعادتها وتأمين راحة اهلها وسكانها ورظايتهم هي من المواد المهمة
 لدينا ومن اجل مرغوبنا ومطلوبنا وقد ظهر ان بعض احكام الفرمان العالى الشأن
 المبني على تسهيل هذه المقاصد الخيرية المبين فيه الامتيازات الحائزة لنا الخديوية
 المصرية قديما نشأ منه الاحوال المشككة الحاضرة المعلومة صارت تبييت المواد التي لا
 يلزم تعديلها من هذه الامتيازات وتما كبدها وصارت تعديل المواد المقتضى تعديلها
 وتعديلها واصلاحها لتقرر اجراءه الا ان هو المواد الاولية وهي ان كافة واردات
 الخطة المذكورة يكون تصميلها واستيفائها باسمنا الشاهاني وحيث ان اهل مصر
 ايضا من تبعه دولتنا العلمية والخديوية المصرية ملزمة بادارة امور المملكة الملكية

(١١٨)

والمساوية والعداية بشرط ان لا يقع في حقهم أدنى ظلم ولا تعدد في وقت من الاوقات
 تخديوي مصر يكون مأذونا بوضع النظمات اللازمة للداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها
 بصورة عادلة وأيضاً يكون مأذونا بعقد وتجهيد المشاركات مع مأموري الدول الاجنبية
 في خصوص المراكم والتجارة وكافة أمور الملكية الداخلية لاجل ترقى الحرف والصناعات
 والتجارة وتباعها ولاجل تسوية المعاملات السائرة التي بين الحكومة والاجانب أو
 الاهالي والاجانب مع أمور ضبطة الاجانب بشرط عدم وقوع خذل في معاهدات
 دولتنا العلية السياسية وفي حقوق متبوعية مصر اليها وانما قبل اعلان الخديوية
 المشاركات التي تعقد مع الاجانب بهذه الصورة يصير تقديمها الى بابنا العالى وأيضاً يكون
 حائزاً لانصرافات الحكامة في أمور المساوية لكنه لا يكون مأذونا بعقد اسس تقراض من
 الآن فصاعداً بوجه من الوجوه وانما يكون مأذونا بعقد اسس تقراض بالاتفاق مع
 المدايين الحاضرين أو وكلاتهم الذين يعينون رسمياً وهذا الاستقراض يكون منحصراً
 في تسوية احوال المساوية الحاضرة ومخصوصاً ما وحيث ان الامتيازات التي أعطيت الى
 مصر هي جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التي خصت بها الخديوية وأودعت
 لديهم لا يجوز لاي سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة
 أرض من الاراضي المصرية الى الغير مطلقاً ويلزم تأديته بمبلغ ٧٥٠ ألف ليرة عثمانية
 الذي هو الويركو المقرردفعه في كل سنة في أوانه كذلك جميع النقود التي تضرب في مصر
 تكون باسمنا الشاهاني ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ١٨ ألفاً وهذا القدر
 كافٍ للحفاظة أمانة اباقة مصر الداخلية في وقت الصلح وانما حيث ان قوة مصر البرية
 والبحرية هي مرتبة من أجل دولتنا العلية يجوز ان يزداد مقدار عساكر بالصورة التي
 تستدب حالة كرون دولتنا العلية بحاربه وتكون رايات العساكر البحرية والبرية
 والعلامة المميزة تبضاطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونباشيدهم ويباح تخديوي
 مصر ان يعطى الضباط البحرية والبحرية مرتبة الى غاية مرتبة أمير الآلى والملكية الى
 الرتبة الثانية ولا يترخص تخديوي مصر ان ينشئ سفناً مدرعة الا بعد الاذن وحصول
 رخصة مصر بجهة قطعية اليه من دولتنا العلية ومن اللزوم وقاية كافة الشروط السالفة
 الذكر والاجتناب من وقوع حركة تخالفها وحيث صدرت ارادتنا السنية باجراء المواد
 السابق ذكرها فإذ أصدرنا أمرنا هذا جليل القدر الموشح أعلاه بخطنا الهمايوني وهو
 مرسل صعبة افتخار الاعلى والاعاظم ومختار الاكابر والافاخم على فؤادك باشكاتب
 الماين الهمايوني ومن أعاظم رجال دولتنا العلية المحائز والحامل للنباشين العثمانية
 والحجيدية

والجديدة ذات الشأن والشرف حرر في تاسع عشر شهر شعبان المعظم سنة ١٢٩٦ من

هجرة صاحب العز والشرف

وبهذا تعلم أصول الحالة التي عليها حكومة مصر (أما) كيفية الادارة فلما قدمنا في التاريخ لا يتيسر لنا التصريح بالحقيقة التي يرسي عليها الحال لانها غير مستقرة كما علمت وانما نقول انها الآن لها خديوى يتصرف بواسطة الوزراء على نحو القاعدة الاروبانية وما عداها هذا فهو موقوف الى الآن وهو سنة ١٣٠٠ ومن العجب ان بقى الحال هكذا على غير استقرار وكل حين يسمع انهم يريدون ان ينشؤا اساسات للادارة ولم تظهر للوجود مع شدة المشككى من الاهالى من الحالة الراهنه التي ما لم يسهل العلم بمرجع الامر وعدم تعيين المتصرف رسميا وانه لان القوة الحربية تبيد الانكيز وهم اصحاب النفوذ انكيزهم مصر حون بانهم لا يتصرفون في الادارة وانما راجعته الى الخديوى وحكومته وهؤلاء ايديهم قصيرة اذ كل شئ مرجعه صاحب القوة لاسيما بعد ان استعفت وزارة شريف باشا وتولية وزارة نوبار باشا الذي علم ان لامناص من مجازاة القوى مع تقاقم الثورة في السودان التي كانت ابنتها وانخرمده اسمعيل باشا بسبب تعدى الامورين على رجل منسوب للصلاح يسمى محمد احمد كان شج طريفة وله اتباع فغارت منهم اتباع طريفة اخرى فاغروا بهم طاول تلك الجهة وهي دارفور فارسل اليهم بعض اتباعه فخالفوهم وقهروهم وتكرروا ذلك وكما ارسل اليهم قوة كسر وها فصل لمحمد احمد مشهورة الى ان ادعى المهدي ودية وكانت الاعيان والامراء من السودان في حرج من ادارة المصريين فانضموا اليه بتدبيرهم واموالهم الى ان استوزر اعلى اغلب السودان المصري وكسر والمصرعة مدة جيوش عظام احدثها اسمعيل ازيد من عشرة آلاف قتلوهم عن آخرهم واسد تولوا على مهماتهم وفي انهاء ذلك دخل عسكر الانكيز الى مصر فاعانت انكلا تيره بفصل السودان عن مصر وادعتهم لالههم بامرهم متعالمه بانهم لا نفع فيهم للحكومة مع ضيق مالها عن الوفاء بجههم وكان ذلك سبب استعفاء وزارة شريف باشا فمستكبان ذلك لا يصح بدون امر لدولة العثمانيه انما لم لها السيادة وانصره بصر ايضا يمكن انكلا تيره اصرت على رايها واورت نوبار باشا وفانذتها من ذلك هي تضعيف مصر واسمالة السودان بوافقتهم اليها انكيزهم كانوا اتشد عليها كما كانوا امع المصريين فاورسات اليهم انكيزيا كان معاشهم يسمي غردون كان متوليا كما عاها عليهم مدة اسمعيل باشا فاول تسكين ثورتهم فلم يقبلوا منه صرفا

(١٢٠)

ولا عدلا فتخص ببلاد الخرطوم ومطاب القذة من دولته وكانت الوزارة اذ ذاك يبدخوب
 الحربية فاظهر وان التناقض في القول والاهل ما يتوجب منه في ارسال القذة وأمرها
 بالقدم تارة وبالنأخر أخرى الى أن فتح السودان الخرطوم وتم لهم جميع أمر السودان
 وحصل من مجموع الامور والحالة الراهنة في تخضرم الامور وكثرة التشكي من الادارة
 التي هي على غير أساس فعقدت اتفاقية التي زمامها حينئذ يبدخوب المحافظين
 اتساقا مع الدولة العثمانية - ذاتص تعريبه (أولا) ترسل كل من الدولة
 العثمانية وان كاتر من دوبا عاليا الى مصر (ثانيا) يتدبر المندوب العالى العثماني
 متفقاً مع جناب الخديوى أو مع من يعينه هو له - ذال الغرض المبدى في الوسائط النافعة
 لتسكين السودان وبتفاوض المأموران والخديوى في جميع التدبيرات التي يمكن بها
 تعديل الاحوال المصرية عموما ويكون اجزاؤها برضاء الجميع (ثالثا) يباشر المندوبان
 العاليان ومعهم الخديوى اصلاح وترتيب العساكر المصرية (رابعا) ينظر المندوبان
 العاليان مع الخديوى في جميع فروع الحكومة المصرية ويمكن لهم أن يدخلوا
 التعديلات التي يرونها لازمة في كل ما هو داخل في دائرة الفرائض السلطانية (خامسا)
 يقع الاعتراف من طرف السلطنة العثمانية بجميع المعاهدات العمومية الاجنبية التي
 عقدت مع الحضرة الخديوية وذلك اذ لم تكن مخالفة للامتيازات المضمنة في الفرائض
 السلطانية (سادسا) عند ما يرى المندوبان العاليان ان هناك مصلحة ودواستقر
 وصارت سيرة الحكومة المصرية مستحسنة وأمرها راضية بما تقريرا الى
 دولته لعقد الاتفاق باخلاء العساكر الانكليزية بالبلاد المصرية في وقت مرضى
 (سابعا) يقع امضاءهات المعاهدة في ظرف خمسة عشر يوما وتكون مبادلتها مضمية
 في القسطنطينية اه وقدم المرخصان المشار اليهما في الاتفاق وعند وصول المرخص
 العثماني وه - ومختار باشا احتفلات به الحكومة ازيد من احتفالهسا بالمرخص
 الانكليزي الذي كان سبق صاحبه (وأما) الاهالي فاحتفلوا بالانتي فقط وعند ملاقاتي
 معه لاسلام مع جمع من الاعيان أشدته هذين التاريخين أولهما

الى الخليفة نتهى دام منتصرا * قد احتفلنا هنا أرخ بمختار كم
 وثانيهما بشرى الهنا موم أهل المصر اذ * اصلاحها أرخ بمختار بنجر
 وبق المرخصان مصر وهما مياشران الا لالنظر في الاصلاح وتأسيس الادارة على
 اصول راضية فهذا ما وقع الى تاريخ طبع هذا المل وهو ربيع الثاني سنة ١٣٠٣

* مطلب

(١٢١)

مطلب في السياسة الخارجية \otimes الأسباب التي بينها في إهمام الدخاية هي بعينها
 جارية في الخارجية والاهور بيد الانكليز وجميع الدول مسجلة بذلك الا فرانس
 فصرحة بالاعتراض وبمقتضى ما ذكرنا في ساطة فرانس على تونس يظهر ان رجحان الانكليز
 يتم في مصر سعيها وهم متخذون طريقهم في جانب الاهالي اليهم قبا وقالوا بما عاينهم
 تحريتهم وسائر عوائدهم وأصولهم كاهود يدتهم في الممالك التي لهم فيها النفوذ ولكن
 الاهالي مصريون على النفور لان التصرف الانكليزي كان في مصر على صورة لم تعهد
 من أحد قط لانهم في الرسم معانين بانهم لا يأخذون مصر ولا يجعلونها تحت حيايتهم وفي
 نفس الامر القويديدهم ولا يصدرشي الا عن ارادتهم الى أن حصلوا على الاتفاق المذكور
 في المطالب السابق مع الدولة العلية فيمنذ صار لهم حق المداخلة برضا صاحب الحق
 اقتناعا للدول لان بعضهم وهي المانيا أشارت بالتهريض سرا على انكساره بتصريحها
 بالاستيلاء على مصر والنظام موافقة لها وايضا كذا مع مزيد التحام بانكساره في
 المساعدة حتى أدخات عساكرها الى مرسى مصوع وأعانته بالاستيلاء على سالكنها
 لاتمس حقوق الدولة العثمانية وهو كلام لا يعقل ولا مفهوم له الا عدم التصريح
 بالاستخفاف وأغرب من ذلك ان الدول أجابو الدولة العثمانية لمسا طبت منهم التداخل
 مع ايطاليا في حقوق الدول بانهم لم لا يتدخلون حيث صرحت ايطاليا بمراعاة
 حقوق الدولة (وأما) الروسية فلم تبد عناية ولا موافقة (وأما) فرانس فكانت عمانية
 للانكليز لانكسارها منذرأت الدول الكبيرة موافقة على نحو ما رأيت وقد تكفلوا بان
 تكون عليهم جميعا كفاية قرض الى مصر قدره تسعة ملايين ومعه ذلك كله فان
 الانكليز اذمتهم وامن الاستيلاء الرسمي أو وضع الحماية كذلك بل حتى من كفاية القرض
 المذكور وحدهم بخوفهم من كونهم اذا فعلوا ذلك فتحوا بابا للدول في اضرار بالدولة
 العثمانية ويرجع ذلك الى عدم معرفة ما تأخذ كل دولة ويرجع به ميزانها فربما رجوا
 على انكساره ولذلك مالت الى ذلك الوجه من التراضي مع صاحب البلاد وكان لها
 وحدها حق برضاها لعلمها بتخلص من اضرار الدول بالدولة العثمانية الا سبل عليها بالضرر
 أيضا لكن الاساغنة الى الطليان في الاستيلاء على مصوع مع تلك الدعوى التي أقرت
 الدول بانها كافية في اقتناع الدولة العثمانية هل يبقى معه الدواء الذي ارادته انكساره
 وهو ان تدانها اليكن الابالرضي الظاهري فان كل دولة يسوغ لها ان تستولي على بلاد
 الأخرى وتقول لها انها لاتمس حقوقها والكلام وحده سهل فالحاصل ان السياسة التي

(١٢٢)

وقعت من الدول في مصر وبالخصوص من الانكليز أمرها عجيب واخذت اعها غرب

ولله فيهم علم غيب هم صائرون اليه

﴿مطلب في بعض صفات وعوائد المصريين﴾ أما أهل مصر الاصلية فهم مختلطون من

العرب الفاتحين وبناء القدماء المعروفين بالقبط وبنساء الروم الذين امنوا كروا مصر نحو

الست مائة سنة ولون الجميع اسمر الا قليلا من بنساء الترك والمغاربة وغيرهم من الوافدين

الى هناك ولهم حسن اخلاق وظرافة وبشاشة في الخطاب واذا احتدت نفوس الرعاع

للخصام تراهم يذبي اللسان لهم مهارة في اصناف السب حتى اذا بلغوا الى حد التعضاب

قال احدهما لصاحبه (ماعلي شى) فتسامحوا عادا الى المصافاة ومن اخلاقهم سب

السماع لكنهم اختصوا بكثرة اظهار استحسانه بالتأوه ورفع الصوت ولا يتحاشون من

ذلك حتى بعض اعيانهم بل انهم يستأجرون اناسا معدين لذلك لكي يصرخوا بالتأوه حتى

تجذب اصواتهم صوت الموبسقى والمغنين وتقتضى الحصة كلها هكذا ومن عاداتهم

احضار قراء القرآن في بيوتهم ليلا للتلاوة بالانغام ويعطونهم اجورا على ذلك بل من

الغرب ان بعض القبط ايضا يفعلون ذلك ومن عاداتهم في السلام انه اذا دخل الداخل

يقف له جميع الحاضرين فيشير بيده للسلام هاويا بها نحو الارض ويرفعها الى رأسه

فيجيبونه بنحو ذلك ولا يقع منهم التقليل الا ليد العالم على ظهرها او القادم من سفر يقبل

في كنفه وسلامهم مع الامراء والكبراء هو بالاشارة ايضا لكنه فيه تعظيم كبير بان يدخل

الدخل قابض يديه الى صدره ويقرب خطاه من كسار رأسه ويجلب بالخطا حتى اذا لصق

بالرئيس هوى الى الارض كأنه يريد تقبيل رجليه او ذيل سترته ويمسك الذيل ثم يجعل

يده على فيه ثم جبينه والمتواضع من الكبراء المسلم عاينهم يضم ذيله اليه كأنه يمنع من

ذلك ويقول استغفر الله استغفر الله وغيرهم لا يفعل ذلك لكن أكثرهم متواضع وكلامهم

يقفون للدخل كبيرا كان اوصه غير الا الحقة ببارة مع العظيم جدا ويتكرر الوقوف

الى الدخل مهمات تكرر دخوله الا اذا كان خادما اوص صاحب شغل وأكثر كواب

المصريين على الحبر الا العرب فالحنيل وتوجد في المدن العجالات لار كواب على أنواع شتى

وسائقوها اسوأ اخلاقا من انما لهم في سائر البلاد وان كانوا في الجميع غير متقنين واذا

ركب احد الاعيان عجلته جعل امامه رجلا يركض وهو لا يس لاسا مزر كشاوية يده

عصا طويلة وهو خافي الرجل ويصيح بالمارين ليستيقظوا للجملة وما اصبهم على الجرى

وما اجرهم حتى اذا خرجوا من البلاد وقفوا وذهبت الجملة فاذا رجعت الى البلد ادرج

جاريا

جاري امامها والمصريون أهل جد وكفى شغلهم لا يميلون الى البطالة بل يقبلون على
 أشغالهم من غير قنور ويوجد عندهم السؤال المخون المخفون حتى أنهم اذا راوا من
 أعطى سائلا يكادون أن يساموه نسيابه غضبهم من اللجاج بل ربما أضروه في بدنه
 فالاصح بالإنسان ان لا يعطى الاسر ان يعلم حقيقة محتاجا اذا السؤال صار صناعة لتلك
 الفرقة ولهم رؤساء وعامهم أداء مقدر ولهم وقائع عجيبية في الغنى وكنمانه فقد ذكر لي
 ثقة انه في حدود عشرة السبعين من القرن الثالث عشر كان أحد الشخا من مارا في الطريق
 فسقط منه كديس وكان جمرأى من أحد الضابطة فاقطعه لذلك فلما علم به أنه ضابطى انكر
 ان يكون الكديس له فالج عليه بالضابطى وآل الامرا الى المشاجمة حتى بانخ الى رئيس
 الضابطية فامر الشحات باخذ كديسه الذى وجد به عدد كثير من الايرات الذهب فامتنع
 وانكر ان يكون له حتى جالده رئيس الضابطية جالدا وجيعا وهو مصر على انكاره فاطاق
 سبيله ووجهه شيخ الشحاتين وداواه من ضربته وشكر صنعه كل بنى جذسه وأداله جميع
 ما خسره في الكديس وزيادة لأنه لم يظهر عليه م اثر الغنى لكي لا يحصل عليه م ضرر
 ولكي لا تقسى عليهم القلوب ولهم وقائع كثيرة من هذا القبيل مع انا وصنوف في اللجاج
 والنضج تقمت القلوب ولم أر في البلاد مثلها قط ويغلب على الجميع الوسخ في الثياب وفي
 البيوت والديار الابعض الايمان ومن نحو النحو الا فرنجي واكثر ذلك في الفلاحين وأصحاب
 القرى بل ان هؤلاء لا يستحيون من كشف العورة نساء ورجالا (وأما) أهل النوبة وبقية
 السودان والعرب فقد تقدم في التاريخ أصلهم وأما عاداتهم فالسودان وان كانوا قريبي
 الطبع من الهنج لم يكنهم أحدق أنواع السودان وأقربهم للتمدن سيما من خالطوا العرب
 فكانوا مثلهم وأما العرب فهم على نحو الصفات التي ذكرناها في عرب تونس ومن عادات
 الجميع ان يبدأ توقيت الساعات عند الغروب فيجب ان اذ ذلك عقارب الساعات في
 الساعة الثانية عشرة وهي مبدأ الحساب عندهم وما يقابلها من الاثني عشر ليس لها
 وقت معين بل هي على حسب ما يصادف وهذا أول رؤيتي لذلك وعليه عمل جميع الجهات
 الشرقية (أما) جميع الاقطار التي مر ذكرها كلها فانها تعدل على الزوال أى الزوال هو
 الساعة الثانية عشرة وتنتهى الى نصف الليل فتبتدى الساعات الاثنا عشرة التي هي تمام
 الاربعة والعشرين ساعة المقسم على الليل والنهار ولاشك ان اعتبار الزوال اصح في
 الناقية لأنه لا يخفق عن زمنه سواء طال النهار او قصر بخلاف الغروب وذلك لان
 الزوال عبارة عن توسط الشمس في قوس النهار ونحو نصف النهار يقسم جميع اقواس

(١٢٤)

النهار بالسواء أعنى أقواس طولها وقصره فلا يختلف الزوال عن وقتها بخلاف الشروق والغروب لان الشمس تنقل عن محلاتها كل يوم وبذلك يكبر قوس النهار أو يصغر فتجد الغروب دائماً امام تقدم ما عن زمنه بالامس أو متأخر عنه حسب سير الشمس في طول النهار وقصره بحيث أنك اذا حورت الحساب تجد من زوال يومك الى زوال غده أربعة وعشرين ساعة تامة واذا حورته من الغروب الى الغروب القادم تجدها أربعة وعشرين ساعة الا دقائق في أوقات زيادة النهار في القصر أو أربعة وعشرين ساعة ودقائق زائدة في وقت زيادة طولها - لكن كان عدول المشرقين عن التوقيت الذي لا يختلف هو مع زيادة الشرع في اعتبار مبداء اليوم من الغروب وان لم يكن بينهما اتلازم بمطاب في الاحكام بمصر **✳** الاحكام بها الآن على ثلاثة أنواع (النوع) الاول الشرعي الاسلامي وهو في كل ما يرجع الى الزواج والطلاق والوقف وغيره مما يرجع الى احوال الديانة في المعاملات وهذالة قضاة ومفتون على المنهاج الشرعي وان احدث فيه مصاريف يأخذها القاضى على الدعاوى مع بعض عوائد تجحف بالخصوص مما أوجب التشكى من ذلك والنوع الثانى بقية المعاملات بين سائر الالهالى ولها مجالس سياسية (ومنها) الضابطة بحكم بحسب قوانين سياسية موافقة للشرع غالباً وتارة بحكم المحاكم باجتهاده كما في سائر الاقطار السودانية والنوع الثالث المعاملات التي بين الالهالى والاجانب فلها مجالس مختلطة من سائر الاجانب يحكمون بقانون عقلى ملائم لاعادات القطر وعلى الاجمال فاهل مصر لهم الحرية الشخصية فيمسير رجوع الى الديانة وشعائرها حتى صارت المنكرات جهراً ولا يقدر الاب على منع ابنته من مثل ذلك بالحكم اذا بلغت سنهم - لوماً ما بقية الحرية الشخصية وهى أمن الانسان على نفسه وماله وعرضه الا بحق فهذا كله موجود في العموم لكن اذا اراد المحاكم المخالفة فالحيل ممكنة وأما الحرية السياسية وهى مشاركة العامة للحكومة في الرأى فالتحقيق انه غير موجود وان كانت الصحف تتكلم في السياسة - لكنّها مخصوصة بالسياسة الاجنبية أما القدر في تصرفات الحكومة فهو ممنوع نعم لبعض الصحف المستند أصحابها على خصوصيات عينية القدر في سيرة بعض افراد المنفعة خاصة والامر موقوف على ما يستقر عليه الحال من الترتيب السابق ذكره في احوال السياسة

✳ مطلب في تجارة مصر **✳** التجارة باهم ما تمسح جودا في السلع الوطنية والهندية والسودانية والاروبارية وأغلب الاروبارية في يد الاجانب (فاما) غيرها فقيمة الالهالى

ولهم

(١٢٥)

ولهم براءة في الاكتساب ولاكتنهم فلبوا الاسفار فلا تكتاد تجد منهم - ثم خارج ما لكتهم
 الا النادر وكل من أقام بمصر من الغربا ربح الربح الحسن من التجارة لان محصولات
 الاقطار كثيرة فيخرج منها أنواع كالقمح والشعير والبقول والنمر والعدس والذرة والارز
 والسكر وهو جيد كثير اوقصمه والصمغ وفيه أنواع شتى والنطرون والصوف والافيون
 والعصفر والجلود والمحصر والقطن وهو الغالب وفيه أنواع جيدة وبزره وكذلك
 سن الفيل وریش النعام والمذسوجات الكمانية وغيرها وهذا كله يصدر منها أما الداخل
 اليها فأهمه الجوخ أى المائف والحريير والشاشية والزرايى على أنواع والاشخاش للبناء
 والوقد والعنبر والنقل كالفرزدق والجوز والاشربة والبن والصابون والدخان والورق
 والشمع والزجاج والنحاس وغيره من المعادن مصنوع وغير مصنوع والفرش الصوفية
 وغيرها بحيث ان مصر مسابقة لاروبا في الغنى بالتجارة وأنواعها مختلفة منها ما هو على
 النحو الاروباوى كالتجارة فى الرقاق الدولية والتجارية وهما مع عظيم فى الاسكندرية
 وكذلك البريد فيها على غاية الانتظام برا وبحرا خاص بالجمهورية وتأتى
 اليها أيضا براد اجنبية بحيث لا يخلو يوم من ورود بريد اليها من الاقطار مع السفن التجارية
 الكبيرة ومنها ما هو على النحو البربرى من التجارة فى القوافل الى داخل السودان
 والصحرى واهما القوافل السنوية وهى قافلة دارفور وقافلة الحبش وقافلة فزان
 ولا يكل منها عند وروده يوم حافل وكل منها تأتى بتجارة ما والاها من داخل اقرية
 ولوزاد تسهيل الطرق والاعتناء بما فى السودان لاستغنت عن الخسارج وزادت ثروتها
 للنهائية فان فى السودان كنوزا كثيرة ودونك قيمة قوة التجارة مع الممالك الخارجية
 لتعلم منه ما يفضل سنويا من المال فى المملكت

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٦٠ قيمة الساع الخارجة فيها

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٦٠ قيمة الساع الداخلة سنة ١٢٨٩ مخوفرنك

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٣٠٠ القاضل

فلولا فائض الدين الاجنبى الذى يخرج سنويا الى اوروبا حيث كان اظلمه بيد الاجانب
 لكان يبقى سنويا فى مصر ما ثمان مليون فرنكا ولا يكن مع ذلك أيضا فلا أقل أن يبقى
 فيها خسون مليون كل سنة هذا فضلا عن حركة التجارة فى داخل المملكت وبين اقسامها
 * مطب فى الصناع بمصر * عنصر الصناع مخط بها نسبة لتقدمها وان كان بها بعض
 المذسوجات الحربية والقطنية وغيرها كالنخار والتجارة حتى فى السودان لكتهم متأثرة

(١٢٦)

عما يجب لها نعم ان الفلاحة من الصعيد الى نهاية بحر الروم هي في غاية التقدم
 ولل فلاحين معرفة جيدة بكيفية رى الارض حتى بالآلات البخارية الرافعة للساه من
 النيل والترع و بكيفية اثاره الارض وتعميرها فلهم اليد الطولى في ذلك وترى الفلاح
 ينسائه وبنائه يشغل آناه الليل وأطراف النهار وأصحاب الفلاحة من الاعيان لهم
 منازل في أراضهم بما اشترتهم الاعمال ولهم ثروة عظيمة من ذلك أما أنواع الفلاحة
 فهي زراعة القمح والشعير والقول والعدس والحص والترمس الذى يتخذ منه الاشنان
 والبيكتان وخس الزيت والسلمج لسافيه مامن الزيت والبرسيم والجبلان والبله
 والحلبة والقرطم وهو حب العصفر والخشخاش والخردل وغير ذلك من الخضروات
 والمحبوب والقطن على أنواع لذاته ولبزره ليخرج منه الزيت للصابون والتسريح
 وكذلك قصب السكر الرفيع ويزرع أيضا التبغ المستعمل للتدخين والقول السنارى
 في كل من السودان و مصر وهو صالح للاكل ويستخرج منه زيت جيد لذيد لا رائحة
 له ولا طعم واذ اشعل ليس له دخان مثل غيره (وأما) الاشجار فلا يكترع عندهم الا النخل
 في جميع الجهات والزيتون استنبت لكنه ردى الزيت لكنهم يحبون أخرى
 زيتية كاسمسم والخروع غنية جدا (وأما) البردقان والايون فهو قليل والموز كثير
 غير لذيد وعندهم شجر الدوم الشبيه بالنخل وكذلك الالهليج ويزرعون الزهور الطيبة
 مثل الورد والياسمين وغيرها والاشجار الغير المثمرة قليلة كما تقدم تفصيله في التعريف
 بصروا أيضا قد وجدنا أنواع من الصنائع سميما التى تمس اليها حاجة الحكومة
 فتقدم فيها الاهالى كصناعة الاسلحة والبواخر وتوجد معامل للحكومة منها نحو عشرين
 للسكركم مقيمة ومعمل آخر لسبك الحرف الطبع وتجليد الكتب ومعمل للسلاح وأخر
 للمغن وحوض لها وآخول للجرخ وآخول للديغ وآخول للورق وكلها على النحو الاروباوى
 المتقن ويمكن أن تقوم بنفسيها من الاهالى حتى في صنع المدافع والبنادق من الطرز
 الجديد وللا هالى أيضا عدة معامل في صنوف شتى (وأما) الجهات السودانية فكثير من
 أراضها وان كانت صالحة للزراعة لكنهم باهلون بها فلا يوجد منها الا القليل حول
 المدن واشتغلهم انما هو برعى الغنم والحيل والابل وصيد الوحوش النافعة للتجارة
 كسن الفيل و ريش النعام وجلد الاسد والنمر وتحصيل الذهب من معدنه الملقى
 بالطبع كالتبر من سنار والحصراء وغيرها

مطلب في المعارف مصر العلوم الشرعية كلها نافعة في القاهرة وكفى بالجامع الزهر

مدرسة للعلوم عامه فقد دخلت اليه ووجدته يزار ويؤج بالدروس والتلامذة ولهم طريقة حسنة في سرعة ختم الكتب اقراء بحيث ان كل كتاب لهم فيه مهده معينة لا يسوغ مجاوزتها ولا يخرجون في التقرير عن الشارح والحاشية المعينة للقراءة ووجدت عندهم اعتناء في الاقراء بالحواشي بحيث لا يقرأ كتاب بلا طاشية معينة يتفق عليها الشيخ والطابة ولهم اصطلاح في الاوقات للعلوم مثلاً الصبح كانه الى الزوال للعلوم النقلية كاللغة والحديث الخ والمساء للعلوم العقلية كالنحو والبيان الخ ويقراء فقه المذاهب الاربعة وللأزهري شيخ هو مثل شيخ الاسلام له النظر على سائر العلماء وتوظيفهم وكثير من التلامذة يقيمون بالأزهري في رواقات خاصة وتجد عن المجدولان بالتلامذة المطالعين والمحافظين للمتون وغيرها وفي كل من الاسكندرية ودمياط وطنطا جوامع حافلة بالعلوم الشرعية وفي بعض مدن السودان أيضاً مثل سقار وهرر كذلك ومن عادتهم جميعاً في الدروس التطويل حتى يبالغ الدرس الى ثلاث ساعات ولا أقل من ساعة ولذلك كان للتلامذة الاطلاق في هيئته الجلوس بل حتى يتكئون على جفهم ووجوههم ويأكلون وينامون وهم في الدرس (وأما العلوم الرياضية فاهام مدارس عديدة منها الابتدائية ومنها للانتمائين جامعة لتعلم اللغات كالتركية والفارسية والالتيكيزية والفرنساوية ولتعلم الطبيعيات والفلاحة والهندسة والحساب والجبر والهيئة والفلك والطب والتشريح العلمي والعلم الكيمياء وتركيب الادوية وسائر العلوم ومعلومهم من الاجانب والاهالي وفي المدارس سائر الآلات والكتب المحتاج اليها ومنها ما هو مجتانا ومنها ما هو بالاجمن التلاميذ منهم المقسم ومنهم المتعلم فقط وكذلك المدارس الحربية وهذا كله خاص بالقاهرة وتلميذ الاسكندرية (أما بقيمة البلدان فلا يوجد بها الا المدارس الابتدائية في بعض مدن والبقية انما يوجد بها مكاتب للقرآن والخط وبعض من العلوم الشرعية في بعض من الجوامع امكن لا توجد بالدة ولوقرية صغيرة بدون مكتبة وقد أخذت هاته المكاتب الابتدائية في التحسين حتى شملت تعلم مبادئ الحساب والعبادات والمقائد ورايت في جغرافية فكرى احصاء في سنة ١٢٩٢ لحوال المعارف دونك خلاصته

تلامذة	مكاتب ومدارس	معلمين
١٤٠٩٧٧	٤٨١٧	٦٠٤٦

ولاشك ان العدد تزايد من ذلك التاريخ فلا شك انها في غنى عظيم بالمعارف والعلوم

(١٢٨)

النهائية الرياضية يكون تحصيها في الممالك الأروباوية ورأيت من تلامذتهم في باريس ولندره وجنيف وغيرها ورأيت في مصر وبواخرها سائر العالمين والرؤساء من الأهالي والجنبيين وموظفون للضمرودة بل لدواع أخر ولهذا وقع التشكى المشار إليه في بحث التاريخ وقد كثرت المطابع وطبعت فيها الكتب بما جعل سائر المسلمين ممنونين لهم وكذلك كثرت الصحف الخبرية يومية وأسبوعية لكنها في الحرية على حسب حالة الحكومة

هو مطاب في هيئة المساكن البناء الجديد كله على النحو الأروباوي ظاهره وباطنه سيمسحلات الحكومة ورجالها (وأما) الأبنية القديمة والمعتمدة للأهالي فليست بجميلة الظاهر بل انه لما كان الطين الذي يبنون به مسودا من أصل لون التراب ولا يضعون فيه الحجر الا قليلا حيث كان غاليا لا حاجة اليه لقلة المطر وانعدامها عنه دهم ثم انهم لا يطولون ظاهر البناء على الطرق ولا يبيضونه فصار منظره بشعا وان كانوا يتأثرون في الرواشن الخشب بالنقش والهيئة لكنهم أيضا لا يصغونه فيكون لونه مكدرًا وصورة عموم الديار ان يكون فيها دهايز ووسط غير مستوفى يتخوى على بعض بيوت الجوس الرجال والصيوق ووضع بعض المرافق ومحل لغسل الثياب والطبخ محجوز للنساء كل ذلك في الطبقة السفلية ثم باب ودرج في الغالب غير حسنة يتوصل منها للطبقة العليا فتجد فيها عدة بيوت أغلبها مائل الى التربع وبكل منها طواقي للضوء والنظر ونحوه بل أيضا كنيها بالوعته مكشوفة وغالب تحصل منه راحة كريمة وغالب تكون البيوت والدرج غير مبطنة ويسبب تعرضون عن ذلك بفرش الحصر والزراحي في البيوت ويجعلون عليها للجلوس امامها مطب من خشب أو تبن وعليها مقاعد محشوة قطنًا وعلى الأبواب ستائر ليست بانيقة وانما هي من منسوجات القطن وحول المقاعد مكثات يابس محشوة تبنًا وعليها أخضر يفة من القطن ولا يزيد البناء على طبعتين غالبًا وأما الاعيان فتمكون ديارهم على ذلك النحو لكنها أكبر وأنظم وأنظف وربما زادت طبقة ثالثة الى السابعة في القديم والقروشات تمكون حيرية وصوفية جميلة مع تزيين البيوت بالمراميات والساعات والادوات الصدفية والذهبية والفضية على حسب الرفاهية ويكون في الطبقة السفلى التي لرجال دواوين كبرى وفي أطرافها دكة من البناء عريضة للجلوس عليها والجميع مبط بخوض الرخام والكندال وعند الجميع فرش النوم عدة فرش محشوة قطنًا أو صوفًا خفيفة يوضع بعضها فوق بعض من اثنين الى ثلاثة توضع ليدلاء النوم وتسوى بالوسادات واللعف

وتارة

(١٢٩)

ونارة يوضع عليهم انا موسم - ية ثم يرفع جميع ذلك صباحا ويوضع في خزان في البيت مع - مدة
لذلك ويبقى البيت للجلوس فليس لهم فرش دائمة ولا مكان خاص بالنوم وخدمتهم - من
ذلك في تعب كبير وتلك العادة جارية عند جميع المشركين في مارات من البلدان لكن
من انخذ - لثقل يد الاروبيا وبين صارت بيوتهم وديارهم ومفروشاتهم ونومهم كلاء على فحور
ما ذكرنا في بلاد اوروبيا وما تجببت منه في مصر رؤيتي للزراعي مفروشة وغير ذلك مما
ذكرناه مما يزيد في الحر مع ان قطرها - حار وكان الاولي به الرخام والزليز وغير ذلك مما يزيد
المكان ويروق هو الهواء لكني لما تذكرت قاعدة الناس على - مذهب امرائهم زال عنى
التجيب وذلك ان امراء مصر منذ - مدة طويلة وهم من الترك وهو بلادهم باردة فحروا
في مفروشاتهم على ما اعتادوه في بلادهم وقادتهم الاهالي وحتى العائلة الخديوية الان
لم تنزل ناهجة منهج - إشارة الترك واصطلاحهم - بحيث لا يشك الراي انها قسم من الدولة
التركية لاسيرى من اسلوب جميع حكومتهم وهيتهم هذا (واما) الطرقات فالجديد منها *
تسع عتريه - الهجلات والقديم في ضيق عظيم لا يكاد يتخلله الهواء وكلها غير مطبقة الا
اسكندرية لان المطر قبل - التزل عندهم - اومة تقود الا في اسم كندرية وفي كل
بلاد نظارة لنظافة الطرق والتنوير - لا ولتحسين البلاد على حسب التيسر - اذ لم ينزل
العمل متعاديا في توسيع الطرق ومصيبة ضيق الطريق عامة في سائر بلدان المشرق
التي رايتها وكان ذلك في الاقاليم الحارة لمدة الحر فاذا ضاق الطريق لا تنزل الشمس
الى الارض لارتفاع الابدية فيقل الحر فوعاما - لكن ذلك مضر بالهجرة الصعبة تتخلل الهواء
وكثرة الندى ومخالف للشمع أيضا لان المشرق في الطرق ان يكون عرض المعتاد
منها سبعة اذرع والطريق العام اثني عشر ذراعا والبطعمات التي من المشرق أيضا
ان تكون امام المسجد تكون ستين في ستين كما نص على ذلك في الفقه والسير وصرح
به مکتوب الخليفة الثاني سيدنا عمر رضي الله عنه الا سمر بسم الكوفة وما ذكره ان لا تزيد *
طبقات دورها عن طبقتين والوجه في ذلك هو ان الدار اذا اشتمت على أكثر من طبقتين
سكن بها ازيد من يسكن في طبقتين فمصغر البلاد مع انها بلاد اسلامية منشأة في وجه
العدو فالاصح تكبيرها وايضا فساد الهواء من كثرة الاجتماع في محل واحد - في
المساحة اذا كان ذات طبقات كثيرة وايضا تعب الساكن بكثرة الصعود وايضا كثرة التعب
والاصراف في مصروف البناء اذا علمت الطبقات لان المصروف في الطبقات العليا ازيد
بكثير من الطبقة السفلى لما يحتاج اليه من كثرة العمالة وايضا فيه نوع من الكبرياء

(١٣٠)

والتجبر المنهى عنه شرعا وعلى هذا فاضيق الطريق قبيح شرعا وحقلا وحر الشمس يدفع بها
 يجعل من المظلات والسقوف كإهوا واقع في عدة جهات من مصر في الأسواق بل وفي
 الطرقات أيضا من سقوف خشبية بعضها محسنة وبعضها ليس فيه إلا دفع اذابة
 الشمس والطرقات في القاهرة ترش بالماء عدة مرات في اليوم حتى يحصل فيها نوع طين
 والطرق الجديدة العامية كلها محسنة الأرض وحواليها الأشجار المظلة والقابل من
 الديار بها جنينات وبها ماء النيل جار في القنوات والغالب ان يأتي السقاؤون بقرب أو
 يرامل من ماء النيل غير المصفى ويخزن في الديار في جرات كبيرة وكل دار لها عدة معلوم يأتي
 لها من السقاوية من معين

مطاب في اللبس بمصر (أما) لابس رجال الحكومة العادي والرسمي فهو على النحو
 الأفرنجي غير ان الشارات والعلامات هي تركيبة صرفة حتى الشاشية والسترة والنياشين
 هي ذات العثمانية باسمائها (وأما) لابس الرجال فاهل المدن الاعيان يلبسون قميصا
 وسراويل واسعة يربطونها تحت القميص ويسدلون القميص على ما هو وطويل الى نحو
 نصف الساق ويلبسون عليه صدرية مقفولة الوسط بعقد وفوقها قفطان طويل الى
 الكعبين ويدها تصل الى أصابع اليدين وطبقونه على صدرهم ثم يتخزموه عليه بحزام
 ويلبسون فوق جميع ذلك جبة طويلة أيضا الى حد القفطان ومقدمها مفتوح الى الأسفل
 ويدها ضيقة تمان الى أسفل المرفق والجميع من الحرير من منسوجات رفيعة وعلى رؤسهم
 شاشية تونسية وعمامة قليلة الطول المقفولة على نحو العمامة التونسية وهو لباس العلماء
 وكبارهم يربدون فوق الكل جبة واسعة جدا واسعة الاكمام أيضا وبعضهم
 يلبس العمامة عوضا عن الجوخه والقفطان (وأما) الاواسط وبعض التجار
 فيلبسون القميص من أسفل وفوقه صدرية مثل السابقة وفوقها أي صدرية غير مقفولة
 ومفتحة يصل الى الخزام ومر والواسع جدا طويل الالامة الى الأرض أسود اللون
 ويتخزموه به فوق القميص وعليه خزام والجميع من المنسوجات الرفيعة المخيطة والمزينة
 بضيوط من الحرير حتى تصير كلها مزينة وفي الشتاء يلبسون فوق ذلك كبطامن الجوخ
 يصل الى الركبة وعلى رؤسهم شواشي تركية وحدها أو معها شام هندية مطرزة
 بالحمر (وأما) الاسافل والخدمة فيلبسون من الشبكل الاول الى القفطان وفي الاكثر
 يكون من قطن أبيض وعليه بنطلون أفرنجي وشاشية تركية أو تونسية والفلاحون
 وأهل القرى يلبسون قمصا زرقا وعراقية ليس الا ولا يلبسون في أرجلهم شيئا
 (وأما) بقية الاصناف فيلبسون الاحذية على أنواع شتى من الأنواع الأفرنجية أنواع

من

من الحداء أجزء بلا قدم حال ومن جهة الاصابع يكون مخروطاً منحنياً مخروطه الى أعلى
 (وأما) النساء فالنصف الاسفل يقتصر على القمص ولا يتستر في الطريق بل رأيتن
 يتخذن في آلات البناء ويناولن الحجر والطين وغير ذلك مثل الرجال وهن مشوهات الوجوه
 (وأما) الاواسط والاغالي فبعضهن صرن يابسن مثل نساء الافرنج نساءوا غير انهن اذا
 خرجن في الطريق يلبسن رداء من حرير ويتنقبن بصفيق من الحرير أو القطن على
 أنوفهن فسادونها في الحقيقة وجههن كله مكشوف واذا ركن في الجهلات تكون
 طواقها مفتوحة غير انهن يلبسن ستاراتها نحو النصف من الطاقة والبعض الآخر
 الذي تبرز على العادة القديمة فيلبسن على القمص فرملة مزر كشة بالفضة وعلمها
 عباءة رقيقة وعلى رؤسهن نحو طاسة من ذهب أو فضة أو نسج رفيع وكل ثيابهن يصل
 الى السكب واذا خرجن التحفن في رداء ثخين وعلى وجوههن نقاب ثخين ويجعان على
 الانف شيئاً مثل الاصابع ممسوكاً في النقاب ليهب من النقاب عن العين والانف للنظر
 والتنفس والنساء لمن صولة على الرجال في البيوت

مطلب في الاكل بصبر (أما) الخبز فالعام عنه الجميع هو نوع مستدير في ارضه ارتفاع
 أصبع قابل النضج قطره أزيد من شبر ويوجد بقمية أنواع الخبز الافرنجى (وأما) الاطعمة
 فلها أنواع عديدة والغالب في الاسواق نوع من الفول مطبوخ في الماء وعليه شئ من
 السمك وكذلك نوع من السمك مدد عن الرابحة وسائر طعامهم فيه الا دام بكثرة
 وادامهم السمك (وأما) الزيت فلا استعمال له الا في السلطة وزيتهم ردي لانه محبوب من
 اكريد والشام وكل لا يحسنون عصر الزيتون والحسن عندهم هو والمحبوب من ايطاليا
 ولا يستعمل الا فيما ذكرناه كما انهم لا يأكلون من النعم الا الفهم ولحم البقر لا يأكله الا
 الفقراء وهو معيب كما انه في نفسه ردي والافرنج يأكلونه والفقراء يأكلون الجماموس
 والابل وفي القرى والعرب والسودان يكثر أكل الابل وكذلك الذرة والدخن أى الدرغ
 أما هيئة الاكل فهي على نحو الانواع التي ذكرناها في تونس (وأما) وقته فهم يأكلون
 مرتين غالباً احدهما صباحاً بعد الشروق ويخرجون الى أشغالهم ثم يعودون الى ديارهم
 قرب الغروب فيتعشون

مطلب في المواكب (أما) المواكب الرسمية فهي في العيدين أى الفطر والاضحى
 فبحسب الخديوى في ايوان كبير يقصر به من الاعلان من قبل بوقت المعايدة ويكون
 لأبسا لباسه المزركش الرسمى متقاداً بدياشينه فيدخل عليه رجال دولته
 والعلماء الاعيان واحداً اثر الاخر مسلمين عليه بتقبيل ذيله ويقف هو ولا يكبره

(١٣٢)

ثم ينصرفون ويكثرت زواجر الناس فيما بينهم (وأما الاعراس والمختان فيجئ فتلون
 لها بزينة الدار ويدعون طباطخين معدين لذلك فيأتي الطباخ بسائر أدوات الطعام
 والموائد والمناديل والخدمة ويطبخ كقفاية كل المدعوين الذين يعين لهم
 الوقت للدعوة من بعد الظهر إلى قرب الغروب وهم يحضرون ثمان أو أزيد أدخلوا
 إلى بيت كبير يتقدم لهم مائدة على قدرهم فيها أنواع شتى من الطعام المطبوخ والحلو
 ويكثرون من الاصناف إلى نحو العشرين لونا والمترفون يزيدون إلى نحو الأربعين لونا
 وهكذا بكل جماعة بحيث يأكلون أكل شبع ولا يوضع اناء يظهر عليه انه به أثر أكل
 سابق وعادة تكثير الطعام موجودة حتى للضيوف بل حتى في الأكل العادي يوميا
 بحيث إن أواسط الناس لا يكون في مائدتهم أقل من ستة ألوان فطورا وعشاءا ولهم
 عادة التطوف بالخمتون على نحو ما ذكرنا في تونس بل ويزيدون بالتطوف به إلى
 الشموع والناسير موقودة والمغمون رافعة ون أصواتهم بالشعر والمدائح وكذلك
 الاعراس يطوفون بالعروسة ومعها الموكب والظبول والمزامير تعزف ولهم أيام لبعض
 المنتسبين للصالحين يخرجون فيها تلامذتهم باللبسة الرفيعة والاعلام والمباخر وغيرها
 وينبطح بعض الناس على الأرض في الطريق ويأتي شيخهم راكفا فرسه ويمر فوق أولئك
 الملقون ولا يضرهم بوطئ أرجل فرسه يدعون ذلك كرامة وأعظم المواكب يوم خروج
 ركب الحجاج وكسوة الكعبة فيحضره الخديوي والعساكر وخلائق لا تحصى وتعمل
 الكسوة في محل على جبل مزين ويحاذيهم الخديوي وكبار الدولة بل قد فعل ذلك أمراء
 الإنجليز مع الخديوي بغاية التوقير والمدافع تطلق إلى أن يخرج الركب عن البلاد
 وينزل هناك حتى يجتمع المسافرون ويتوجه برالبحار ويجعل ذلك الركب أيضا
 أموالا عديدة لمرتبات وعوائد لاهل الحرمين مع صدقات ومحصول وقف المحرمين ومن
 المواكب مولد السيد البدوي في بلاد طنطاو يعقد فيها سوق عظيم تأوى إليه التجار من
 سائر أطراف القطر المصري ولهم حكايات في كراماته رضى الله عنه في نفاق السباع لكل
 قادم غير أن ذلك السوق يشمل من مميزات الزنى ما يستعجب ذكره وشهرته (وأما الجنائز
 عندهم ففيها من عادات الجاهلية أمر فظيع جدا وذلك انه اذا مات الميت تأتي النائمات
 الصائمات وتبقى تنوح أسابيع ليلاتها راجعا يرحم أهل الحارة بحيث أتى سميت الممكث
 بدارصديقي في الاسكندرية موت جاره ولم أسـ تطع النوم ليلاتها ولا نهارا وأتبع من ذلك
 ان النائمات والنسوة يخرجن مع الجنائز في الطريق إلى أن تدفن ويرجعن هكذا

نائمات

(١٣٣)

ناجحات واغريب ان ذلك يقع ولو في محلات العلماء مع انه من كثر شرط وافية وغيره شديد
وكذلك انكاره عقلا وعادة ولهم اتباع السنة عند دفن الميت في مطاب قائل الشهادته فيه
من الحاضرين فيه بدون فيه بالخبر عملا بحديث من انتم عليه شرا وجبت له النار ومن
انتم عليه خيرا وجبت له الجنة او كما قال صلى الله عليه وسلم

﴿مطلب في اللغة بمصر﴾ اللغة هي العربية ولو في السودان غير ان بعض جهات تعلم لغات
أخرى بربرية لكن اللغة العربية حرفة هناك كثير اسواء في تغيير الحروف أو في ذات
الكلمات فان الجهم لا يكادون ينطقون به وكذلك الذال يبدلون ازايا الى غير ذلك واذا
سألك أحد عما تريد قال (تعوزايه) وأشبهه ذلك بل ان ذلك جرى حتى عند بعض
أصحاب الصحف فيكتبون كتابة مختلطة بين أصل العربية والاعتقادية مع ان الأصل
في الكتابة هو الرجوع الى حقيقة العربية وهو الجارية عند العلماء والكتاب نعم ان
الكتاب الرسميين صاروا يستعملون بعض الفساذ اصطلاحية أو فرائس اوية وكذلك
نفس اصطلاح الكتابة كد بعضهم ان يخرجوا عن الاصطلاح والاسلوب العربي غير ان
هذا ليس بعلم بل المهرة تسحر الالباب بلاغتهم في الصحف وغيرها من الكتابات ومع
ما ذكرنا من صعوبة النطق عندهم ببعض الحروف تجددهم اتقن خالق الله أداء القراءة
القرآن وتجويده ولهم فحلة فيه تخشع لها القلوب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
﴿مطلب في الاحصائيات بمصر﴾

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠٥ عدد أهالي مصر

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠٥ عدد أهالي دارفور

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠٦ عدد أهالي النوبة وزياد وغيرها

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٦

٠١١٠٠ طول سلك الحديد أميال

١١٤٧٣ طول اسلاك التلغراف أميال

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٦٠ قيمة التجارة الداخلة فرنك

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٣٦٠ المخرجة

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٣٤٣ دخل الحكومة فرنكا وكان دخلها في ولاية سيدينا غروب

العاص من خصوص الدخل الشرعي مائة وثمانين مليونا فرنكا خصص منها الثلث

لتسكير الترع والزراعة حتى أوصل ترعة تدير فيها السفن من القسطاط الى مرابي المبحر

(١٣٤)

٠٠٠ ر ٠٠٠ ٢١٦ ر خرجها
 ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٢٠٠٠ الدين الذي اعياها الفامليون فرنكا
 ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠١٦٢ فائضه
 ٠٠٠ ر ٦٠٠ ر ٠٠١٧ خراج الدولة العثمانية
 ٠٠٠ ر ٠١٨ ر ٠٠٠ عدد العساكر وقت السلم
 ٠١٣ ر ٠٠٠ ر ٠٠٠ عدد السفن ليس منها مدرعة وهذا عدا بواخر البريد والنهر

الباب ال س اب ع ف ي ال ح ج ج ا ز

الفصل الاول في سفرى اليه

بعد ان اقامت في السويدس بعض ايام منتظرا السفر بانقرة الى جدة وجدت عدة بواخر اجنبية ومصرية فاشترت المصرية وكان رئيسها مسطاسا و سائر متوظفها ايضا مسلمون ولا يركب احد الا بعد ان اخذ اذن مرسوم على ورقة جواز من محافظ الولاية وبودى على ذلك اذ ان نسبت قدره واظنه نحو سبعة فرنانكات وعند ركوبى في الباخرة وجدت الازدحام من الركاب والمشيعين فوق الحد فالتزمت ان اضم الى اقباعى ورحلى الى اسس متقرار الحال في السفر وجاسنا في حجرى بالطبقة الاولى لان بيتها صعبة ليس بها الا بهران احدها - ما سكنها احد المصريين بعينها والاخرى سكنتها انا ورايت من ازدحام الركاب وتراكمهم على بعضهم مع الوسخ وسوء الحالة وعدم احترامهم للطبقة الاولى وكثرة السكان على سطحها من النساء والرجال بحيث لا يجد الانسان ملاقيا يريح به ما اسفت منه على الركوب هنالك واما كفى تسليت بما رايت من انشراح جميع الركاب وعدم اكرامهم بما هم فيه من المشقة والكدر كما تسليت برفقة الحال منى محل البنوة اجد ظافرا الفجيب النسب وبحسن اخلاق رئيس الباخرة والركاب على السطح من الطبقة الاولى وهم من اعيان قري المصريين وعربانها وبعضهم له اطلاع على مسائل الفقه وكان ايضا راجعا معنا ناظر بواخر البوسطة الخديوية في الحجاز وهو محب لدموسى اعنى رتبته العسكرية بين بائى وهو كامل الاخلاق والمعارف وله مشاركة حسنة في العقائد والفقه والعربية مع محافظته على شعائر الدين من الصلاة وغيرها وله اطلاع كامل على احوال فن البحر لانه كان رئيسا للباخرة التى نحن بها المسماة بالزقازيق ورايته يشير على رئيسها بعدة امور وهو بمقاد اليه وله اطلاع ايضا على الجغرافية والعلوم الرياضية وبعض الاسن مع

تقطن

(١٣٥)

تفطن الاحوال السياسية فاستنى رفقته مع بقية الركاب وكثيرا ما يقضى الوقت في
مداميات مع بعض العربان الموسومين بالشخ وكنت أجد البانحة كانوا بالاسلامى باقامة
الاذان في الاوقات كلها والصلوة جماعة في عدة جهات لكن الكثير لم يصل ولا يستطيع
الصلوة سيما عند اضطراب البحر وان كان لم يقع منه شيء شديد لكن حصل في البانحة بعض
الرايحة سيما في اليوم الاخير لان اكثر الركاب لا يغسل يديه من الطعام مع كثرة اذاهه فضلا
عن غير ذلك حتى كانت بيت الطبقة الاولى عفة لازدحام خدمة سكانها وكثرة اذاهه فضلا
المؤدم وعدم توفيقهم الوسخ لكنهم يقضون اغلب الاوقات بالنسالة الحسنة وانشاد
الشعر وقد وجدوا عند تقدمهم الركاب وراق ركوبهم ان احدهم ركب في الازدحام
بدون اذاه الكراه وهو فقيروا حجت اصحابه عن الاداء عليه فسجن في هجن البانحة
وبعد عدة ساعات انتدب احد اصحاب الخير الى ان طارفة ذلك المسجون خبروا اذنه
بالتطوف على جميع الركاب البالغين ستمائة شخص واعلامهم بحالة رفيعه وطلب
اعانتهم له في اجرال كواب فصل له مقعدا ذلك وزيادة وعنده حضور المسال احضر
المسجون واطلقة نائب البوسطة محمد لطفي المشار اليه بجهانا ودفعت له الدراهم والدنانير
الجمعة له ليستعين بها في حجه ورايت من بعض الاغنياء الشخ المطاع في هاته الواقعة
ومن بعضهم الاقصاد ومن بعضهم الكرم ولما بلغنا سمعت رايع اعلم الرئيس الحجاج
بذلك ليعرمو افاغته لحوار حرموا بنزع ثيابهم والله اعلم بكيفية غسالمهم وادائهم فرض
الاحرام لان حالة الضيق والوسخ فوق ما قد دران اعبه عنه ولا يعلم مقدار ذلك التعب الا
من شاهدده واضف الى ذلك ان البانحة لا تعطى الاكل ولولا اصحاب الطبقة الاولى فلزم
كل ان يطبخ لنفسه واغلب الركاب كان معهم زادهم مما يصبر من الطعام من لحم وغيره
وكنت اخذت زادنا من السويس محاسدا جابجا وخبرا وغيره فكان طاباخي يطبخ لي ولين
معي في مطبخ البانحة وفي ذلك من المشقة ان لم يمتد البحر الا ينفخ في مكان ذلك من عجيب
امر البانحة مع انها بريدية وذلك لخلاف معهود صفتها ولما سالت نائب البوسطة عن
سبب ذلك قال ان الركاب الى جهات البحر الاجر لا يوجد منهم من يأكل من البانحة
فرايتا ترتيب ذلك عبثا ولهذا تجد دبواخر البريدي في البحر الابيض على نحو غيرها واما هنا
فلا تهم عند غروب اليوم الثالث من ركوبنا اقل سير البانحة واعلم الرئيس بذلك لانها
ان دامت في سيرها نصل الى جدة لا ولا يتيسر الدخول اليها الا انها في مكان تقبل السير
اولى من الوقوف قربها وبعد شروق اليوم الرابع وصلنا الى جدة فتاقتنا دليل المرسي

(١٣٦)

وهو اعرابي لا بس فمبصا أزرق وعلى رأسه عمامة جراء راكب قاربا فصد الى الباخرة
وصار يأمر بالسير يمينا وشمالا لبعثرة شهاب الحجـر المغطاة بالماء حتى
دخلنا حوض المرسى فاذا هو حوض وسيع أمـين طبيعي بمساحوله من الاجار الخلقية
وفيه عدة بواخر اجنبية وباخرة حربية صغيرة للدولة العثمانية وعدة سفن شراعية صغيرة
وبعد الارساء وأخذنا الاذن في النزول من مأموري الصحة ونزل اغلب الركاب نزلت
مع رفقاتي ودفعت على كل واحد منا نحو أربعة فرنكات لاختذورقة على أن المدفوع
لنظافة اماكن الحجـر فكان ثمرة ورقتي ٧٦ ألف ونيّف من المئات والاحاد ونسبت الاكـن
تعود بكل الاعـداد ولقيت احد مطوفي التونسيين وهو جميل الاخلاق على خلاف
غيره فادينا سارحانا للتمرقق ونصف المأمورون الى أن أخذنا عشرة فرنكات وأقبل
مكرهم بن لا يعطينهم تركهم لحوائجهم اياما بدعوى كثرة شغلهم فـهم من أخس
المأمورين وأكثرهم سرفة كما علمت ذلك من التجار وغيرهم ثم داني المطوف على دار
الكثريت احـمدى طبقاتها واقمت هناك ثلاثة ايام وجمدة بادة على ساحل البحر هي
مرسى الحجاز العظيمة للحجاج والتجارة من سائر الجهات وسكانها اغلبهم من العرب
والهنود ثم المغاربة والافاقيون حتى الافرنج ولها أسواق رحبية مسقفة وتكاد تسالط
وترش يوميات وتوريلابلازيت النفط وبها جوامع حسنة وما شربا يوثق به من بعد
في قرب من مصانع وفساقي وهو اؤها حار جدا ردي لان أرضها مسجحة وبها بعض ديار
جيلة المنظر لنواب الدول وبعض التجار وأغاب المماني الكبيرة للكرام فيها املاك للاشراف
وبعد ان أتممت فيم الوازم السفر من الفرش والبسط وأحمت منها حيث كنت قاصدا لها
لما ركب لي فيها غير اني لم أنزع ثيابي وفديت عن لبسها ابدم اكثريت جالالي ولا صهابي
فركبت الهودج الذي اشتريته من هنالك وهو مثل مهدين من عيدان مسهرة ومشدودة في
بعضها على نصفين كل نصف طوله نحو ذراعين وعرضه ذراع أسفله الذي هو محل الجلوس
حصب من عزف النخل مشدود في تلك العيدان وفي زواياها الاربع عيدان صاعدة نحو
ذراعين ونصف ثم تقوس الى أن تتصل ببعضها فيحصل منها شـكل أربعة أقواس متقابلة
ويشبهك على نحو الارباع الاسفل منها شبهك من حبال جيدة من الخلقاء لتحمي ازاكـب
من السقوط وذلك في جهة واحدة وهي جهة الجنب المقابل لظهور الجمل ثم يوصل كل من
النصفين بصاحبه فيتألف من ذلك مهدان متلاصقان مسوكان مع بعضهم ما يجعل متينة
واكل منهما أربعة أرجل تستند بها على الارض اذا برك الجمل ثم يوضع على الجبييع من فوق

زربية

(١٣٧)

زربية أو كليم أو منسوج قطني على حسب ارادة صاحبه ويدلى ذلك مع الجنبين الخارجين
ويخاط على تلك الاعواد ثم يجعل من فوق جلد بقر أو جمل ويخاط أيضا ليمنع نزول
المطران وقع ثم يفرش كل من الشقين بزربية على عدة طبقات ومعها الخاف محشوقطنا
ثم توضع عليه ستة أو ثمانية وسادات محشوة قطننا أيضا من جهاته الاربع ويشق
بالقطع في الغطاء الشامل من الجهة الخارجه نحو طاقه لها ستارة من ذاتها ترفع وتنزل
وتمسك بخيوط ويربط في قوائم الاقواس عدة جيوب من سعف النخل لوضع انا الماء
وغيره مما يخف من ضروريات المسافر وزاده بحيث يصير كل من القمحين فراشا
مريحاً يضطجع به الراكب ويكون أمامه وخلفه مفتوحا وجنبه الذي من جهة رفقته
مفتوحا أيضا وجنبه الاخر به طاقه ان أراد فتحها والاطاقه اتم يوضع الجيب على الجمل
ويربط به ربطا محكما يوضع سلم من خشب رقيق في مقدم المودج المسمى بالشدة في يصعد
منه الراكب الى شقة ويمسك الجمل الشق الاخر الى ان يصعد اليه صاحبه أيضا ويهدلان
في الثقل ويسير بهما الجمل ويلزم ان يكون جملامونسا بذلك وكان ركوبه ابد
صلاة العصر خارج البادومع كون ذلك المركب متوسط الراحة وجدت في نفسى
تعبا من سير الجمل المهيئ حتى حصل لي نوع من الدوار امكن اذا تأنس به الانسان يومين
ينزل عنه ذلك ويصير مرتاحا سوى الفرق بين قسوة الجمل وسهولة فان الضعيف والغبر
المؤنس يتعب وشبه التعب الزائد وكان عددي احدى اربعين وبعيتهم ركبا على جمال
الرجال وبعدان سمرنا عشيتنا وليتنا واصباحنا ولم ننزل لسوى الصلاة في أوقاتها وصلنا
عند الضحاه قرية تسمى حدة في صحراء مفرقة بها بعض هيون عذبة عايناهم من النخل
وعلى الطريق قهاري من اعواد الخطب والحصير كثيرة العدد أكثرها فارغان يريد
الغزول فنزلنا بها واكثرت اثنان منها ففرش لنا ساجصرا والى لنا بما فاكلنا
من زادنا وأطعمنا الجمالين والقهوجي واسدترحنا الى بعد الظهر فركبنا ووصلنا مكة
المشرفة بعد نصف الليل ولم نرفى الطريق الا افرادا يكثرا المشي لاسيما على الحجير
لان كثير منهم من مركب من حدة الى مكة على الحجير هي سياره فوصلوا في نحو تسع
ساعات الى احدى عشرة ساعة لكن ذلك وان كان فيه قلة الحصه ليكنه متعب فلما
آثرت الجمل وعند الوصول الى خارج مكة المشرفة سألت هل يوجد حمام هناك فأب
بانه لا يوجد الا الماء البارد ولم نستطع الاغتسال به فلذلك اكنفيت بالوضوء ثم تأقنا
المطرف وطابت منه ان يكتبني باعلامي بالامكان والاعلامها المشاهر كأن يقول لي هذا

(١٣٨)

باب السلام والكعبة - فمقابلته اليك أو عن يمينك الى غير ذلك حيث كنت علمت
انهم لم يزيدن وينقصون ويدعون ويأقون بما لم يرد به الشرع وكنت استصعبت
عدة كتب في الفقه وفي خصوص المناسك وأخذت منها ما يسره الله لفهمي غيراني
وجدت في بعضها رسالة في المناسك للملاعي قارى فيلم أنظر اليها لان صاحبها
محرقة في حق أبوي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يمكن ان يكون له على أدنى منة
وأغنانا الله عنه بتأليف علماء أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم المحبين في آله
الكرام والمعظمين لجنابه العظيم عليه وعلى آله أكن الصلاة والسلام فاقبلت الى باب
السلام وأديت هناك ما ينبغي ونظرت الى الكعبة المشرفة ولله الحمد ثم دخلت المسجد
الحرام وطلعت بالبيت الكريم وقيمت الحجر الاسود وسعيت بين الصفا والمروة وأديت
ما استطعت مما ينبغي في ذلك القدر المبارك ثم توجهت في المطوف الى دار وكيل تونس
حيث كان ساكناً فيه كل من الاختيار الثقات السيد أحمد والسيد اسماعيل والسيد محمد
أبناء زروق القادمون من تونس قبلي حجاً وأقامت بقية تلك الليلة عندهم وصلينا
الصبح في المسجد الحرام ثم أخذت منزلاً أقمت فيه ولم يرد صاحبها أخذ كراهية
وابتدأت رؤيتي لسوء اخلاق بعض الأهالي مما كان ينبغي لهم التحاشي عنه عفا الله
عنا وعنهم وبعدها انقمتنا بضعة أيام تشرفت فيها بالدخول الى داخل البيت العظيم بحسب
أخلاق الفاضل الشيبلي وذلك لئلا يكرهنا الافراد قبلنا بحيث تيسر لنا التمتع
بتلك البقعة العظيمة والتبرك بما احتوت عليه من المشاعر وكذلك تشرفت بالتمول بين
يدي المولى الشريف العظيم صاحب الايخلاق الحسان والتواضع مع ما هو عليه من رفعة
الشأن المقدس الشهيد سيدنا حسين أمير مكة قدس ثراه وهو رجح الله حسبه من الاخلاق
متواضع عفيف جدير بمنصبه السامي ولا يقينا بعضنا من أعيان البلاد كالنخري البارع
أحد المشايخ وغيره ولما آن وقت التوجه الى منى ابتدأ المطوف ووكيل تونس في تمهيد أمر
الذهاب اليها والى عرفات وكبراني ذلك ماشاء حتى ظننت انها مسافة سفر وان الحرب
ناثرة في الطريق فوجهت رحلي على الجمال واكثرت أحمره لكوني وركوب من
معي مدة أيام الحج وبينما نحن سائرون والطريق في غاية الراحة والامن والعمران واذا
نحن بقربة سالت عنها فقبل لي هي منى فبعيت متبعها من قول أولئك المرشدين اذ لم تكن
تبعد عن مكة الا أربعة أميال ولاكني عرفت السبب في عملهم فحجوا والله عن الجميع
وأقامت ليلة بنى ثم توجهت بصحبة اليوم الثامن الى عرفات لوقوع الشك في ثبوت الشهر
وأقننا

(١٣٩)

وأقمنا فيه الى ايلة العاشر من الشهر وبعده الوقوف وأخذ حصنة من الليل أفضنا من
من عرفات بعد ان أدينا ما سأل الله قبوله وكان موقفاً تشبهه منه الجلود من خشية الله
لا لتجاء عباده اليه حسب ما أمرهم وكانت الارض توج بالخلائق ضارعين لبارئهم جل
وعلا تقبل الله من الجميع وعنده الافاضة اتفقت مع الحجار ومع الرفقاء على التأخر
عن الازدحام وأخذ الطريق الاقل ازدحاماً وكان دليلنا مضراً بخلاف ذلك لانهم انما
يرون من شدة اثر الحج الطواهر وهم عن حقائق المشروعات غافلون فيرغبون في الامكام
والزحام والخصام لئلا يفتقدوا فيهم وقائع يتحدثون بها بينهم فلما افضنا كانوا يسرعون السير
ومن عادة جبرهم ان لا ينقادوا الى رايهم بل الى سائقهم فقط ولو انقطع اللجام من فيه
فأدخلوا كرها في وسط الزحام ولم يبق منا واحد يدسمع صوت صاحبه لثوران عجيبي
الصياح والازغاء والنهيق فمن حاد يحدو ومن داع يدعو ومن مصرخ ينادى رفيقه ومن
صاحجة مستجيبة بالمسارعة من سقوطها ومن آتئين من كسرها بسقوطها ومن باله متذكر
هول المطاع ومن يعير برغول سقوط جماله وجارين يقرؤا آياتاً واناس ملقاة وآخرون
يجرون وآخرون يزدحمون وآخرون واقفون بالظلام مرخ سدوله والناس لا يذكر بعضهم
بعضاً بل طالب النجاة لنفسه فرأيت أئمة ذهابهم يوم الفزع الاكبر وما أيقنت بالنجاة
لنفسى حتى دهمني بعض شقاذف الجبال فاستطعتني عن حمارى ونجرت من بين أرجل
الحيوانات متطلباً للنجاة ذات العين حتى يسر الله الى الخروج عن الطريق بالصعود
الى حجرة مرتفع فإست هناك حامداً لله على النجاة وبعد دهنية لمحتني بعض أصحابى
وجاءني الدليل حائماً على الذهاب والاذا كنت في خطر من البدو فقلت له يا أيها الرجل
ان الله حرم في هذا الموطن الجسد والى ولكن ما عليك من الاذرة فقد أدتته وأنا في نفسي
أفضل أخف الضررين لان البدو لا يفعلون أكثر من القتل وهو الذي تدعوني اليه لان
افعله به نفسي على انهم يقتنعون باخذ السلب ودونه الدفاع ما استطاعت دوراه هذا كله
انه لا وجود لشيء مما تهول به وهؤلاء الخلائق في الطريق وعند آخرهم أتوجه فدعنى
ونفسى فذهب معاضة بما بقيت أنظر في عجائب الخلق من المحالة التي بيننا وبينهم الى
أن خف المسامحة فرافقت آخرهم حتى وصلنا الى المزدلفة ولم أجد رحلي فجلست في قهوة
حتى مر بي أحد أصحاب رحلي فانتقلت اليه وجهنا بين المغرب والشاء ثم بعد أداء
مناسك المزدلفة توجهنا الى منى وخيمت في مرتفع من الارض في أطراف منزل المساج
مسح أهالى جاوة ورجعت الى مكة وأديت بقية المناسك وفككت الاحرام ثم رجعت

(١٤٠)

الى منى الى تمام ايامها وكان في اليوم الاول عند درى الجمار من الزحام ما وصفنا به من
حتى مات عدة اناس وانكسر عدة وانما ذكرت هذا تنبيه الاخوان حتى يحترزوا من ذلك
ولا يغتروا بأقوال الادلاء لان لهم مقاصد واطوارا غير مجودة ثم اتت مناسك منى ورجعنا
الى مكة واكثرت بيتا في المحصب خارج مكة تطالب الصحة الهواه وبرودته لان المرض
اشد على من احرم بحجرة وأديت مناسكها ثم خيمت قرب الركب الشامي الى أن تميات
القافلة التي أكثرت بها الجمال للتوجه للمدينة المنورة فسافرننا اليوم التاسع عشر من
الشهر واشترت جمارا للارتياح عليه فأفادني جد الانى كنت أركبه بعد الظهر فذسير
ومهي أحد رفقاى الذين صار منهم بعض النوسيين الى أن نصل الى أول القافلة الحواوية
عددهمات من الابل والمسافرين فنأتى الى جهة مستظلة قرب الطريق ونجلس على
زريبةتين ونستريح ونتوضأ ونصلى في نحو ساعة أو ساعة الاربعاء فأتى آخر القافلة فنركب
الجمار ونفعل كذلك مرتين أو ثلاثا الى أن نصل المغرب ويشهد الظلام فنركب الجمال وكان
سفرنا على الطريق الفرعى بعد ساعة مشايخ أصحاب الابل لا يمر مكة فى أمن من معهم
وكان كراه الجمال الذى عليه الهودج ثلاثة وعشرين ربالا دوراى مائة وخمسة عشر فرسكا
من مكة الى المدينة ومنها الى ينبع وبقية جمال الرحل والاتباع لكل جبل خمسة
وسبعون فرسكا واكثرت رجلا بدو يامن موالى الجمالة شجعا عاقوا بالقود الجمال الذى
نركبه والاعانة على بقية اللوازم فرأيت منه خيرا لكنه لم يوف بوعده فانه تخلف عنى
فى المدينة المنورة ولم يصل الى ينبع فرحلتنا من مكة اليوم الاول بعد الظهر وسرنا يومنا فى
طريق طيب ونزلنا بعد العشاء ثم رحلنا قبل الشروق وصعدنا فى جبل وعرجنا وبعده ان
سرنا فيه نحو خمس ساعات سرنا فى طريق بسيط الى المدينة المنورة ولولا ذلك الجبل لكانت
الرحلات تسعة طبع السير بسهولة فى الطريق وكان سير الجمال لا يزيد عن ثلاثة أميال فى
الساعة حسبما حرته اذ ذلك وهو سير مهيمن متعب وتدوم الرحلة من اثنتى عشرة ساعة
الى ستة عشرة ساعة وواحدة منها ادمت اثنتين وعشرين ساعة بحيث جعلوا مرحلتين فى
واحدة لكي يستريحوا ويأبدون رحيل فى بلادهم وهى الجديدة ولا يغزلون الا قرب ماء وفى
الليلة الثانية عشر وصلنا المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فدخلناها
عند الفجر وتلقانا المعروف التونسي الخ برحلة الابه والمعرف هناك يسمى مزورا ونزلت
عند الفاضل النحرير صاحب الانخلاق الحيمدة والصفقات السديدة المبلغ الكامل
عبد الجليل برادة جازاه الله خيرا وكثر من أمثاله فى الاممة وبه أداء الشاكر والسنن

أسعدنى

أسعدني الله بالوقوف بين يدي نور العالم وسيدنا لائق ومجا الام وفضل الله على خلقه ورجته للعالمين سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فياله من حظ نفعه يد به بالمهج وبالله من فضل تبارك من كرم الله وبلج وخطبت بالسلام عليه وعلى صاحبيه عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام وأصحابه الاعلام وفي اليوم الثالث اشادت بين يديه عليه الصلاة والسلام قصيدتي التي مطلعها

الى السدة العظمى شددت عزائمى * الى سدة الاجلال شمس المكارم

و بنثت اليه عليه الصلاة والسلام شكراى فى دنياى وأخرى ونلت قضاء أغلب مطالبي والله المنة والحمد منها ما قضى فى حينه ومنها ما تم قضاؤه بعد مدة قليلة وأنا أرجو كرم الله فى قضاء باقى ابوسيلة رسوله عليه الصلاة والسلام وزرت آل البيت عليهم السلام وكثيرا من الاصحاب والائمة الاعلام والمشاهد المباركة ثم قفنت مع القافلة وتوجهت الى ينبع ورفعتنا ما يقيناه من رحلتنا فى بلاد الجديدة ووصلنا ينبع فى الليلة الرابعة قرب الفجر فاردت النزول فى خيامى فتمعت لاجل ان اكثرى دار الاخ حاكم البلدة واكثرها الى بخمسة وثلاثين فرسكا فى الليلة وهى اربع بيوت تحبب اثمان فوق اثني والدرج تحبب وليس بها ولا حصير فاقمت بها ثلاثة ايام وكان فى المرسى ثلاث أو اربع وانرتة نظرت اذ حام الحاج فجات بانحة نساوية قافلة من الهند ومرت على جدة ثم ينبع فاكثرت بها قاصدا الاستانة

الفصل * الثانى

✽

✽ فى صفة البلدين المكرمين وموكب الحج ✽

✽ مطالب صفة مكة المكرمة ✽ أما مكة المشرفة فهى واقعة فى عرض ٢١ درجة و ٣٠ دقيقة شمالى وطول ٣٧ درجة و ٣٦ دقيقة شرقى واسمها مكة وبكة وأم القرى وأول من سكنها سيدنا ابراهيم عليه السلام بوالدة ولده سيدنا اسماعيل عليه السلام فكان سيدنا اسماعيل أبا العرب ورفع هو وأبوه قواعد البيت العتيق فكان مقصد الامم الحنيفة وهذا البيت الكريم هو فى وسط المسجد الحرام وزواياه الاربع مقابلة للجهات الاربع أعنى الجنوب والشمال والغرب والشرق وآخر بناء له الى الآن هو بناء السلطان سايح الثمانى على نحو الاصل الذى كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم لم لان سيدنا عبد الله بن الزبير بناه على قواعد ابراهيم عليه السلام وأدخل فيه الحجر ثم هدمه

(١٤٢)

عبد الملك وأعادته على هيئته زمن الرسالة فلما استخفاف أبو جهم فرأى المنصور أراد أن يعيده على ما بناه ابن الزبير لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها الولد قومك حديثه وهو يدب ككفر لبذيت الكعبة على قواعد إبراهيم فلما زال المانع وحدوثية الايمان ترجع عوده الى الاصل واستشار الخليفة الامام مالك بن أنس رضي الله عنه فقال له ما معناه يا أمير المؤمنين لا تصح لبيت الله معلبة بأيدي الملوك فان الذي رأيت به وان كان صوابا لم يكن ابقاؤه على حالته احتراماً لشأنه أولى فبقى على ما هو عليه الآن وأساس جدران الكعبة مرتفع عن الارض ما بين عشرين صائغى الى ثلاثين وزائد العرض عن المحيطان ما بين عشرين الى أربعين فهو كالدرجة محيط بالجدران وهو المسمى بالثاذاذروان والحجر الذى هو من قواعد إبراهيم عليه السلام فى جهة البيت الواقعة بين المغرب والشمال ومحيط به المحيط الذى هو بناء مسند تدير نحو نصف دائرة ارتفاعه ميترو وسبعه مائة ميترو ونصف مغلف بالرخام ويتهى قوس النصف دائرة قبل أن يصل الى جدران الكعبة بنحو ميتروين وخمسة وثلاثين صائغى والبيت مبنى بصخر كبير وأرضه مرتفعة عن مساواة المسجد بنحو ميتروين وبابه قرب الركن الشرقى مسددة قبلا ما بين المشرق والشمال ويصل اليه بدرج مثل المنبر فى المواقب العامة وعند فتحه الخصوصى يؤتى له بسلم صغير وعتبة البواب من فضة وعواضده من مرمر والبواب بدفة واحدة قفله من ذهب وهو من خشب الساج وداخل البيت ثلاث أسطوانات من القمارى قطر الواحدة أزيد من شبرين وارتفاعها أزيد من ستة أذرع وعلمها كابس من ذهب والبيت مبط بقطع كبيرة من المرمر وكذلك محيطه وسقفه من الساج وفى ركنه الشرقى من خارج ما بين المشرق والجنوب فى ارتفاع قامة الحجر الاسود وهو حجر محفور الجوانب بصفايح من فضة أسود لامع أثرت فيه أيدي اللامسين حتى صار فى بعض جهاته انخفاض وصار ذا شكل مقعر مثل اناء الشرب واصله قطعة واحدة ثم تشققى من ضرب المنجنيق عند ما حوصر ابن الزبير رضى الله عنه فجعل له صندوق من الفضة وبه فوهة يظهر منها الحجر قطرها سبعة وعشرون صائغى ميترو أى نحو شبر وثلث وفى سطح البيت ما بين الشمال والمغرب ميزاب الرجة من ذهب يصب فى الحجر والبيت طوله مما بين المشرق والشمال أزيد مما بين المغرب والجنوب فطوله اثنا عشر ميترو وعرضه عشرة أمتار وعشرة صائغى عند الشاذروان وارتفاعه خمسة عشر ميترو ويكسى كل عام بكسوة من الديدساج الاسود يؤتى بها من مصر وعليها خزام مزر كش بالفضة مكتوب به آيات

كرية

(١٤٣)

كرامة وكذلك نفس الكسوة فيها كتابات جديدة بالقلم الثماني من نفس النسيج وقبالة باب الكعبة على نحو اثني عشر ميتر ومقام ابراهيم عليه السلام وفيه بيت مربع داخله آيات بيّنات من تأييد القدمين في الصخرة ووراءه بالتحرف الى الجنوب الشرقي ببرزخ مزق وعلية قبلة وحوله أحواض وعلية بكرات من الفحاس ثم حعن المسجد متسع جدا طوله مشرقا ومغربا مائة واثنان وتسعون ميتر و عرضه مائة واثنان وثلاثون ميتر والرواقات مرفوعة اقواسها على اسطوانات من حجر وسقفوها قباب من بناء رقي وسط الحعن على بعد نحو اثني عشر ميتر ومن المحطيم اسطوانات من حديد أو نحاس ذاهبة في الهواء موصولة ببعضها بسلاسل من نحاس يعاقبها منائر ومصابيح وهي دائرة بالبيت علامة على حدود المطاف وعلى سمت الركن الشمالي على بعد كفة لجلوس المؤذنين والمسمعين وخلاف المطاف وقبالة جهة البيت التي بها الميزاب يقيم امام الصلاة من مذهب الحنفي وله محراب وهو أول مصل في الاوقات كلها ماعد الفجر فاذا اقيمت الصلاة وتقدم الامام الحنفي رأيت المسجد المحرام كله على غاية من الهدو ولم أر شيأ لم تدخله البدعة أبدا الا الصلاة في ذلك الوقت ماعد التسميع المسموع فهو زيادة على بدعة تغنيه يزيد أن يضع المؤذن سمع به في أذنيه وهو في الصلاة وماء داهذا فانك ترى آداب الاسلام حقيقة وامتثال الخلق أمر خالقهم فيقع من الخشوع ما لا يعلمه الا الله سيما في صلاة الجمعة ولله الحكمة البالغة في وسع المسجد كل من يدخله وترى الخلق مع ذلك الازدحام على غاية من التؤدة وامتثال أمر الشارع بحيث لا تسمع الا همسا من تسبيحهم وتكبيرهم في الركوع والسجود فاذا سلم الامام الحنفي عادت الحركة لما كانت عليه ولو عند صلاة كل من أئمة المالكي والشافعي والحنبلي حتى لا يكاد المؤتم يعلم بركات الامام ماصلا الفجر فبمقتدم فيها الشافعي عن غير لان مذهبه يرى استحباب التكبير بها ركلا كل أحد من الأئمة له جهة من جهات الكعبة يصل إليها وقد علمت محل الامام الحنفي وأما الشافعي فمخرا به خلاف مقام ابراهيم عليه السلام وأما المالكي فمخرا به تجاه الضلع الغربي الجنوبي من الكعبة بخلاف المطاف بميتروين وأما الحنبلي فمخرا به مواجها للضلع الجنوبي الشرقي على نحو ذلك البعد أيضا وباب السلام من المسجد المحرام تجاه باب الكعبة وباب الوداع في الجهة المقابلة له ووراء الرواقات عدة مدارس سكنى الجهاورين ويسكن بيوتها الحجاج أيضا وحول المسجد من أغاب الجهات طرق وباب السلام يفتح في الطريق الواقع بين الصفا والمروة وهو طريقي متسع حوله ديار ذات عدة طبقات ومشارا الشيبني وأسفل الديار نحو اثني عشر مائة ماطلات يباع

(١٤٤)

بها الماء كولات وغيرها وكل من الصفا والمروحة محل في نهاية تزاوية من الطريق متسع ذو
 درج عرضة تذهبى الى حائط وبيتها - ما طريق متسع عرضه ما بين عشرة واثني عشر
 ميتر و طولها نحو أربع مائة وخمسة أمتار وفي وسطها محل الهرولة في السبي تبدئى من
 الميادين أى العلمين الأخضرين على بعد خمسة وسبعين ميتر ومن الصفا عند باب البغلة من
 الحرم وتذهبى الى العلمين الاسخريين بعد مسافة نحو سبعين ميتر وعند باب على وكل من
 العلمين يقابلها مثله في الحائط المقابل وفي مكة المشرفة أسواق كثيرة يباع بها سائر
 الاقطار وكثيرها سلع الهند كما أن التجار أكثرهم من أهالي الهند والاسواق مستوفية
 بالواح وفيها قهواوى كما أن أطراف البلاد عند مداخيلها فيها قهواوى على نحو الخصوص
 ويجلس فيها على كراسى كبيرة وصغيرة من أخشاب المحطب وعزف النخل وخارج البلاد
 على طريق عرفات مقبرة المعلى ثم بعض بساتين لافراد من الاشراف رضى الله عنهم
 وبيوت لبعض من الاعراب وغيرهم وفي جبل أبى قبيس المطل على المسجد الحرام مسجد
 صغير وبعض ديار وزاوية للشيخ السنوسى وشرب جميع الاهالى من عين زبيدة التى
 أوصلتها المرأة الخليفة هارون الرشيدى من قرب عرفات الى مكة فسميت بها وعلى مجراها
 في الطريق والبلاد عدة منافذ عملا منها السقاؤن وغيرهم ويحصل من كثير من الناس
 تقذيرها بما يقون فيها من الاوساخ كما توجد آبار أخرى عميقة جهة الزاهر وغيرها يؤتى
 بالماء منها ويفرقة السقاؤن على الديار فيوضع في جراتهم تلامنه دوارق وتوضع في
 طواقى أو غيرها مما يرفع عليه الهواء البارد فيبرد الماء لكن من عادتهم فيه أنهم ينجرون
 الدوارق بهود يسمى عود القفل وهو الكميروتارة بالمصطكى فيحصل طعم في الماء غير
 شهي والقفل أسود وهم يرونه حسنا وتنتقم مكة الى سبعة عشرة حارة وقيل ان عدد
 سكانها مائة وسبعون ألفا

مطلب في صفة المدينة المنورة واسمها المدينة وطبيعة وطابرة ويثرب واقعة في فسيح
 من الارض المرتفعة في عرض ٢٥ درجة و ٢٠ دقيقة شمالي وطول ٣٧ شرقى
 وفر بيها على نحو أربع مائة أميال جبل أحد وعلمها سور حصين وحصون ذات مدافع
 وخزائن للذخائر الحربية والحرم الشريف النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام في
 جهتها الشمالية الغربية وقد جد الحرم الشريف والمسجد السلطان عبد المجيد في مكان
 المسجد وحده مائة وخمسة وخمسين ذراعا طولاً أى من الجنوب الى الشمال وعرضه
 مائة وثمانون ذراعا من جهة الجنوب مائة وخمسة عشر ذراعا ومن جهة الشمال مائة وثمانون

ذراعا

(١٤٥)

ذراعا ونحو تلك المسافة أيضا صحن المسجد الذي هو جهة الشمال ومحيط به رواقات
وكاه من بناء ضخيم مرفوعة قبابه على أقواس قائمة على اسطوانات من المرمر الاحمر
الماخوذ من مقاطع حجازيه قرب المدينة وكذلك هو اضداد الابواب وصحن المسجد تحيط
به رواقات وماعداهما مكشوف وليس بين المسجد والصحن ابواب وباب السلام من غربي
المسجد قرب حائط القبلة والحراب في نحو ثلثي عرض المسجد اعني أنه أقرب الى الشرق
حتى يكون قبالة الحراب النبوي الاصلي لان المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة
والسلام قد زيد فيه مرارا اولها في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه حين ازدادت كثرة
المسلمين وآجرها الى الامن ما زاده السلطان عبد المجيد رحمه الله وكل من زاد فيه تحرى
مواقف النبي عليه الصلاة والسلام لتبقى محفوظة فاذلك وان زيد في جهة القبلة حتى صار
حائطها يبعد عن حرم الحجرة الشريفة نحو الثمانية أذرع مع أن حائط القبلة كان مساويا
لحائط الحجرة لكن بقيت بقعة الحراب الاصلي معلما عليها والحراب الجديد قبالة
أمام المنبر فهو وان تغيرت ذاته لكن محلها لم يتغير وهو الامن من المرمر المتين والاصلي من
خشب وأما الحجرة الشريفة فالاصمية عليها بناء ضخيم مستطيل من الغرب الى الشرق
وعليه قبة عالية أرفع من سائر قباب المسجد وداخلها القبر الشريف المكرم لصق الحائط
القبلي من جهة الغرب ويليه قبر الصديق رضي الله عنه بجهة الشمال متأخرا الى
الشرق بحيث أن رأس الصديق رضي الله عنه وضامته لاسفل من رأس رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحو ذراع وذلك تأديبا من العصابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يليه
شمالا أيضا بانحراف الغرب قبر الفاروق رضي الله تعالى عنه وهاته الحجرة لا يدخلها
أحد ووراء حيطانها من خارج شبك من حديدتين متصلتين قواعده برصاص مذاب
غليظ الحجم مائل للاساس الى عمق عميق حتى اتصل بطبقة المساه في الارض والسبب
في وضعه هو انه كان في مدة السلطان نور الدين الشهيد بمصر حدث حادث عظيم بالمدينة *
وكان أمرا مجازا ذلك تابعا للاطين مصر فرأى السلطان نور الدين رؤيا هائلة وهي أنه
رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول له أنجدني من
هذين الرجلين وأشار اليهما فرآهما رجلين أشقرين وشفق وصفها وعلم التأكيد من
النبي صلى الله عليه وسلم في أمرهما والاسراع به فاستيقظ السلطان رحمه الله هتاجدا
فحاصلي الفجر الاوقد أحضر وزيره وعشرين نفران صناديد فرسانه واحضر أموالا
جسيمة وركب جواده في خاصته وفرسانه وما خف من الزاد وقفل الى المدينة المنورة مسجد

السيرة ولم يعلم عسار آه أحداد فوصلها في ستة عشر يوماً فزار النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر
 بإحضار أهل المدينة بعد كتابتهم وصار يتصدق عليهم ويتأمل تلك الصفة التي رآها في
 النوم إلى أن انقضت الناس فقال هل بقي أحد قائل لم يبق سوى رحابن صالحين عفيفين
 مفر بين يكثران الصدقة فلما رآهما اذاهما الرجلان اللذان رآهما مناسما فسأل عن
 منزلهما فأخبرتهما في رباط خارج المسجد بقربه جهة الحجرة الشريفة فامسكهما ومضى
 إلى المنزل فلم يجد به سوى خمسين وكتبا في التصوف وما لا كثير وأثنى عليهم الإلهالي ثناء
 كثيرا ورفع السلطان حصيرا في البيت فوجد تحتها سر دابا ذاهبا صوب الحجرة الشريفة
 فارتاعت الناس لذلك وقال السلطان اصعدنا في وضربها حتى أقراباتهم انصرا نيران
 بعثها ملك من النصارى في زى الحجاج وأطاعها بأموال كثيرة للتوصل للذات الشريفة
 ونقلها فتنزلا بقرب رباط وصار يجفرا ليل ولا وكل منهما محفظة جامدا يمسكها ترايا صياحا
 ويذهبان إلى المقبرة فيفرغانها هناك على عدة كرات وهكذا أدأبها ما من مذمة فقتلها
 هاتوا عمل ذلك المهاجر الصاص رجه الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله
 وآله وصحبه ومن والاه ولا يخفى أن الواقعة كانت مدة حرب الصليب فرأى أحد ملوك
 النصارى المهاجرين المسلمين ولم يعينه أصحاب السارح لعدم اعتنائهم اذ ذلك يمثل ذلك
 حتى أنك تراهم يذكرن الوقائع الحربية في الشام مع النصارى ولا يذكرن من هم حيث
 تعصبت اذ ذلك ملوكهم مع الباطل وصاروا يداوا واحدة على المسلمين ولذلك لم يعين الملك
 المرسل لذي نيك الرحابن لاجل مكيدة المسلمين بنقل نديمهم اليهم والتشفي منهم ولاجل
 ابطال هجرة تعين محله عليه الصلاة والسلام دون غيره من الانبياء عليهم جميعا الصلاة
 والسلام وفي المدينة المنورة أسواق وصناعات لكل ضروري ومدراس لسكنى
 المهاجرين وكتب موقوفة في عدة خزائن بكتبات أهمها كتبة عارف باي ورايت بها
 كتابا لم أكن أعرفه وهو الجامع الصغير في النحولابن هشام مع اشتراك كتبه وطرق المدينة
 غالبها ضيق لا يمر به الا رجل واحد الا طريق الباب المصري الموصل لباب السلام وقرب
 الباب المصري المنساعة وهاتئ المنساعة بطحاء وسبعة وحولها مخازن للذخائر ومن
 عادات أهل المدينة انهم لا يركبون داخلها تأديا مع النبي صلى الله عليه وسلم
 الا المذود واذا لاق أحدهم غيره خارجها وهو راكب ترحل له عمال بالانثار المروي
 وبقيعة عواندهم على ما سياتي في العادات العامة غير ان أخلاقهم رضى الله عنهم أحسن
 أخلاق أهل الارض فيما علمت من لبن الجانب وصفاء القلب ومواساة القريب

(١٤٧)

والعبد والكرم ولو كان بهم خصاصة وحرية النفس والشهامة والشجاعة فوهم أهل
لذلك الحوار كما هو وصف مدحهم في القرآن العظيم ومن وفد عليهم لم تخلق بخلقهم
لان أصل الانصار لم يبق منهم هنالك الا عائلة واحدة وبقية السكان كاهم من الوافدين
فيما بعد الا لاسادة الاشراف حقا فوهم من أبناء سيد الوجود وابن عمه سيدنا على رضي
الله عنه وأما بقية المهاجرين فلم يبق من نسلهم هنالك أحد معروف سوى واحد تقيب
في ضرب سيدنا حزة هو من بنى العباس رضي الله عنهم أجمعين

- ✽ مطلب في صفة موكب الحج ✽ لما كان الحج فرضا على كل مستطيع له من المسلمين
فهم يهرعون اليه من كل فج عميق فيجتمع المسلمون من جميع قبائل الارض من مشارقها
ومغاربها وقد كان في الزمن السابق يأتي أكثرهم برا أما بعد حدوث البواخر فصار
الاكثر يأتي بحرا بالر كوب في البواخر الامن كان من أهالي جزيرة العرب فانهم يأتيون برا
وكذلك الركب المصري وان بطال سفره برا عند طبع هذا المجل وأما عند حجي فانه كان
يأتي برا ومثله في الاتيان برا الركب الشامي الذي كان يخرج من القسطنطينية ويأتي
الى دمشق الشام ويجتمع هنالك بركب العراق مع حجاج الشام ويسافر الجميع الى مكة
وصدرة هاته الاركاب هو ان يعين السلطان حاكما من رجال دولته على الركب ويصعبه
أمين الصرة أي الحامل للاموال المعينة لمصاريف الحرمين ولسائر المتوظفين وللارباب
الذين لهم عوائد من الدولة وتلك الاموال مأخوذة من دخل أوقاف الحرمين ومن خزنة
الدولة كل ما يخصه وكذلك يحمل الهدايا والصدقات الخاصة التي يرسلها السلطان
وأهالي دولته وسكان قصره بحيث يجمع عنده أموال جسيمة وقد سمعت ان الذي ترسله
الدولة للقيام بياحه وعود اليها من جميع ما يلزم الحرمين سواء كان من الخزنة أو من الارقاف
هو الآن نحو مائة الفين ونصف فرنكا هذا الهدايا الخاصة ثم يعين مع هؤلاء قسم من
أفواج الجيوش فرسان ومدافعية ورجالة وتنصب لهم خيام للرحلة ثم ينضم اليهم
كل من أراد الحج بخيامه وسائر لوازمه كل حسب استطاعه ويحصل يوم خروج المجل من
دار الخلافة موكب مشهود ثم يسافر الركب ثم يراو ويقم ليلا على مراحل معلومة الى أن
يصل الى مكة وكل ما مر على بلاد انضم اليه حجاجها وقد بقي الحال الآن على ذلك سوى
كون السفر من الاسنانة الى مرسى بيروت صار بحر ثم من بيروت الى دمشق الشام يسافر
من غير اية ولا انتظام ومن دمشق ترتب له العساكر وغير ذلك ويسافر على نحو ما ذكر
وعلى نحو منسبه الركب المصري وأما القوافل من الجهات البرية فانها تأتي كل قافلة

(١٤٨)

ما بها فحوشيج للرفقاء و يسافرون حسب استطاعتهم فاذا اجتمع الجميع في مكة واصل
 منهم مكان يخصه للإقامة فيه نرجوا اليوم الثامن من ذي الحجة الى منى ومنها الى عرفات
 وهم محرمون فيقفون يوم عرفة وبعيد الغروب يفيضون الى المزدلفة ثم قبل الشروق
 يأتون الى منى وذلك يوم العيد و يقيمون ثلاثة أيام لاداء المناسك و يحصل ليلة تاني
 العيد أفراح عظيمة من معسكرى الاركاب بالالعب النارية و أعمال صور حربية
 بالمشاهدة لكي يحصل ارباب الاعراب من الحركات العسكرية و سرعة سلاحهم و عظم
 مدافعهم ثم في صبيحة يوم تاني العيد يحصل موكب عظيم في منى لدى فساطط الشريف
 أمير مكة فيحضره الولى و أمراء الاركاب و رئيس العساكر بالجهاز و سائر الاعيان من
 أهل مكة و الحجاج كلهم بالملابس الرسمية و لما يحتبك الموكب يخرج السيد الامير
 الشريف و يقف في الصدر و تقف الناس حوله على حسب مراتبهم ثم يتلى المنشور
 السلطاني المؤذن بالثناء على الامير و تقليده الامارة أو ابقائه فيها و تحويره على ادامة
 الامن و القيام الواجب بحقوق الحرمين و الاهالى و هو باللغة التركية ثم يتلى تعريبه ثم
 يخاطب عليه أمير الاركاب الشامي الخليفة التي يرسلها أمير المؤمنين الى أمير مكة السيد
 الشريف و هي جبة من الجوخ واسعة سوداء مطرزة بالذهب ثم يقبل الجميع بالتهنئة
 للسيد الامير ثم يفرق الناس التهنئة بعضهم بعضهم يسافرون كل ركب بعد دعوته الى مكة
 في يوم معين بعد اداء جميع المناسك و تسليم الاموال لاصحابها و المقيضين بها من الامراء
 و الرؤساء و كل منهم أى الاركاب يعود الى بلده على الطريق الذى قدم منه و يكون كل
 ركب كانه بالدرحل يحصل فيه من الزهدة و الانشراح لذوى اليسار ما ترغب فيه النفوس
 هذا و لا يخفى ان مناسك الحج مقررة في كتب الفقه بل و قد خصت بتأليف منفردة
 لعلماء كثيرين فلا يمكن لنا الا ان نذكرها لانها خارجة عن الموضوع و انما الذى
 يناسب ذكره هنا هو ان الحج من أحد أركان الاسلام الخمس و هي كلمة الشهادة أى أشهد
 أن لا اله الا الله و أن محمداً رسول الله و اقام الصلاة و ايتاء الزكاة و صيام رمضان و حج
 البيت على من استطاع اليه سبيلاً و هو فرض مرة في العمر و يتدب تكراره كلما
 استطاع الانسان و قد ذكر العلماء حكمة مشروعية كما ذكرنا و الحكمة في مشروعية
 جميع الأركان و حاصل ما أشاروا اليه هو كونه شكراً لله على ما أنعمنا به من نعمته السلطنة
 على الانعام أى الحيوانات و هو عبادة مركبة من أعمال بدنية و أعمال مالية و يمكن ان
 يكون مشتقاً لأبصار على حكمة أخرى مرعية في نظر الشارع و هي أحكام الوصلة بين قبائل

المسلمين

(١٤٩)

المسلمين وتعرفهم ببعضهم واطلاع كل منهم على حاجات أخيه وعوائده لينه كل منهم
أخاه في الحضرة والغيبة بما يستطيع حسب أمره الشارع بذلك وينتج منه مزيد
المواصلات بين الامم والشعوب والقبائل من مشارق الارض ومغاربها كما هو الامر
الواجب شرعاً في جعل المؤمنين عصاية واحدة وقد مثلهم الشارع بالبنين يشد بعضهم
بعضاً ومثلهم بالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد وجعلهم اخوة
رحم الدين الواحد الى غير ذلك من النصوص الدالة على التحسامهم ووحدتهم مما
لا يمكن ايجاده بدون تعريف فجعل لهم في كل سنة موعداً يجتمعون فيه ليحصل ذلك القصد
وفيما تضمنته مناسك الحج ايساء الى ذلك حتى يحصل على اكمل وجه فانه عين لهم المحل *
الذي يجتمعون فيه بصورة لا يحصل معها ان يكون بعضهم على بعض في التفضيل كما لو
كان الاجتماع في بلدة قبيلة أو جهة دنيوية بل جعل ذلك المحل هو خاص وخاص النسبة
للخاتم جل و علا وحده ثم عند ذيارته الذي هو واسطتهم الى خالقهم فلا يحصل من
قصد ذلك المحل أدنى امتياز بغير القلوب ثم انه اوجب عند اول القدوم الى ذلك المحل
الاحرام الذي هو من جملة ما تضمنته ترك لبس المخيط وغيره من سمات الرفاهية التي يحصل
فيها التماسد بحيث يكون الناس كلهم سواء لافضل للملك على راع ولا العالم على جاهل
وأوجب على من اضطر الى ترك ذلك أن يزيد في الاحسان والمصدقة الجارية لقلوب
الفقراء الذين هم مظنة انكسار القلوب مما يرويه من الرفاهية فيعوض ذلك بزيادة
صالتهم والاحسان اليهم والاحسان يجلب القلوب فتتهدل المحال وكذلك شرع مزيد
النفقات والاحسان على حسب رتبها واسعة تطاعة المنفق لكي يزيد التوادد ثم قصر ذلك
الاحرام على مدة مخصوصة هي مظنة حصول التعرف واستقرار التوادد بين الافراد فاذا
حصل التوادد وتأكد بالصلوات بعد ذلك والجمرد رؤية أثر النعمة على المنعم عليه ولذلك
اباح اللبس حينئذ وكذلك شد النهي والكبر على الجسد الى الحج الموجب
للتباعد الذي هو نقض المقصود كما شد مثل ذلك في الفسوق الذي هو موجب
لاستنقاص العبد بجمعية خالفه فيقول أخوه اذا كان هذا الميراث حق الخالق في بلده
الامين فكيف يراعى حق أخوتي بالغيب وكذلك منع التمتع بالنساء لكي لا ينصرف
الفكر هناك الا لطاعة الخالق وحده وبين طاعته ما أثرنا اليه من احكام الوصلة
مع اخوانه المؤمنين وهذا الامر وهو كون الحج مشقة لاعلى حكمة الوصلة بين الامم
قد أشار اليه بعض المتأخرين تباه بعض المتقدمين في التحرير يرضى على مزيد المواصلات

(١٥٠)

• بين الامه وقا لو ان أهل المحلة الواحد أ كد عليهم الشارع زيادة عما يلزم في حق الجوار أمر ا تضمته عبادة الخالق وهو اجتماعهم خمس مرات في اليوم بمسجد محلتهم للصلوات الخمس فيجتمع الاعلى والادنى في صعيد واحد بيديت الله - على سواء فيروا أحوال بعضهم ويتأنس البعض ببعض لكي تنأ كد الوصلة الروحية بالوصلة البدنية ويهل كل بما يجب عليه في حق أخيه ثم أوجب على أهل المصر الواحد الاجتماع العام في يوم من الاسبوع وهو يوم الجمعة ليحصل ما أشير اليه مع جميع أهل المصر ثم زاد لهؤلاء يومين آخرين في كل سنة على حالة مخصوصة من اظهار الترفه لكل واحد بحسب حاله حتى يستدل غيره بهيئته على حالته ليعلم مقتضى الحال في انوصلة وذلك يومى العيد وكان وجه تكرير ذلك مرتين احدهما بعد الصيام شهرا المؤثر في الخلق وفي الخلق والثانية في وسط العام على معتاد الناس لمزيد التدين فيما يقتضيه الحال للتعرف بالفراسة وأ كد الشارع في جميع هاته الاجتماعات باجتناب المنفردات و باجتلاب المقربات كالتياعد من أكل الثوم وكالتطيب والنظافة ثم أوجب على كل فرد الحج مرة في العمر و رغبه فيما زاد على ذلك ليحصل ما أشيرنا اليه في الحج ولا شك أن التيسر للحج لا يحصل لجميع أهل القطر كلهم في عام واحد فيحصل على الاستقرار اجتماع الامم من كل قطر في عام فاذا حصل منهم ما أشيرنا اليه دامت المواصله بينهم ولا أقر انها تحصل في ذلك الوقت وحده أما اذا عمل بمقتضى التعرف فانها تشند الوصلة بالمراسلات والاسفار والتجارة ففضل لا عما يجب أحيانا من الفرع من أمة الى اعانة أمة أخرى وانقاذها اذا هجم عليها العدو كما هو معلوم في وجوب القتال وجوب باعديا على كل فرد فيما اذا هجم العدو على قسم من الامه و يحجز أوتقاس عن دفاعه فانه يجب على من جاوره أو بلغ اليه الخبر انقاذه ومنه يسرى الى من وراءه وهكذا حتى يعم الوجوب المشرق والمغرب ولو على النساء والاطفال ممن يقدر على الدفاع وما ذلك كله الا لتوحيد المؤمنين وحفظ بيضتهم الاسلامية ليكامل الاكن نرى أن الناس غافلون عن جميع ما ذكرناه ولا يعتبرون تلك الحكمة ولا ياتقون اليها ولا ينزى الأهل كل اقليم مقتصرين على مجرد الخاطئة مع بعضهم فقط بل ربما لا يتخالطون ولا يتعرفون الا بجن عرفوه في بلادهم سابقا فضلا عن الخاطا مع أهالى الاقاليم الأخر كما أنهم ليسوا منهم ولا هم مكافون بالوفاء لهم بحاجاتهم حتى انه ترحع الناس الى أقطارهم من غير شعور لهم بشئ من حالة اخوانهم في الاقطار الأخر كما أنهم لا مطالب لهم بشئ وقد كانت رجال الامه - على غير هذا وكانوا لا حظي لما ذكرناه فترى من حج منهم يتعرف بأهالى

الارض

(١٥١)

الارض وحصل بذلك اشتهار رجال الامة في الاقطار لاسيما العلماء والصالحين فانهم
 ينتشر ذكركم وبطيرس يطعمهم بما يسمع عنهم من الحجاج وان لم يروه في حجبهم ومن طالع
 النواريح والسير والرحلات علم من ذلك كثيرا فاسبهان محول الاحوال وهو الباقي
 لارب سواه

الفصل * الثالث

✽ في التعريف بالمحجاز ✽

اعلم ان المحجاز قسم من جزيرة العرب ممتد على شاطئ البحر الاحمر وحوده الان التي
 تحت تصرف الدولة العثمانية هي انه يحده شمالا النعمير وقربا البحر الاحمر وجنوبا
 اليمن من قرب صنعاء وشرقا الحما كبة وهي تبعد شرقا عن المدينة بمسافة نحو
 نجد وهذا المحجاز اقسام جزيرة العرب الخمس وهي اليمن وهو القسم الجنوبي منها
 الممتد على شاطئها على المحيط الهندي الى ان يصل الى خليج فارس والمحجاز هو القسم الثاني
 وهو القسم الغربي منها الممتد على شاطئ البحر الاحمر ويحده شرقا القسم الثالث وهو نجد
 يتصل شمالا بالشام ويحده غربا بالمحجاز وشرقا بالعراق وجنوبا باليمامة والقسم الرابع
 تهامة وكان مقره بين الحجاز واليمن ويمتد من البحر الاحمر الى ان يتصل باليمامة على
 خليج فارس فيحده جنوبا اليمن وشمالا محجاز ثم نجد وشرقا اليمامة وغربا البحر الاحمر
 وقد اضع جعل هذا القسم في اعتباره السياسي وصار مقسما بين جيرانه والقسم الخامس
 هو اليمامة وهي يحدها جنوبا اليمن وشمالا العراق وشرقا خليج فارس وغربا بنجد
 وكذلك هذا القسم صار في السياسة تابعه لغيره فلك الاقسام هي الاقسام الاصليه
 بيد ان العرب التي كانت معتبرة اقساما اصلية للقارة وان كانت لا فرق بينهما من جهة
 طبيعة الارض غير ان القسم المشهور بحسن الهواء وخصوبة الارض وجودة الحيوانات
 فهو قسم نجد وطال ذكره في اشعار العرب وامتداحه بينهم وأما بقية الاقسام كلها ما كان
 منها مرفقا بها وجيد الهواء وخصب الثبات وما كان منخفا ضارحا وحار جدا وبذلك
 النقص وما نحن بصدد وهو المحجاز وقد علمت حدوده الآن وأما حماله فهي كثيرة وان شئت
 قلت انه كانه حمال تحلة صخرية متشققة سودا من شدة الجحور وليس بها حمل بالكافي
 غير انه في سنة ١٠٤٤ هـ في المدينة المذكورة وما حولها
 زلزال شديد دام ازيد من ثلاثة ايام بلياليها ثم أعقبه خروج نارها كلها من جهة جنوب

المدينة على مرحلة منها من جهة الموضع المعروف (حبس وسيل) وسالت النار في وادي
 آحيان كالنهر العظيم فحطم جميع ما مرت به وتعمل الصخور ذاتها مائعة تجرى كالنهر
 العريض العظيم وامتد سائلا إلى قرب المدينة أي إلى أن بلغ حرمها فصرف عنها ذات
 الشمال ووقف وانطفأت النار بعد أن كانت ظهرت أول يوم نهار الجمعة كالانقمام الأسود
 الذي هم الأفق حتى أظلم الجووطنوا أن الشمس والقمر قد كسفنا ثم أظلم الليل ظهر ضوءها
 وعلا في الجوالى أن رثيت من حول بصرى ومن مكة والطائف وكان لها دوى كالعبد
 ونهرها يغلي بأمواج كالبحر من النار المتلاطمة وتنفذ في الهواء الهخور كالجمال والمدن
 ونهرها ذوالوان زرق وجرور عمت منها قلوب الناس والتجوا إلى ملاذ الخلق رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فلما بلغ سيلها إلى حرم المدينة صرقت وانطفأت ومع عظيم لهمبها دسطوع
 ضوءها على الأماكن البعيدة لم يصل من حرها إلى المدينة المنورة شيء وكان الذسيم يأتيها
 باردا وكان خروج تلك النار إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم التي لا تحصى فقد دروى
 البخارى ومسلم في صحيحيهما وهما في أول القرن الثالث حديث لا تقوم الساعة حتى
 تظهر نار الجحاز وللبخارى يخرج نار من أرض الجحاز ترضى أعناق الأبل ببصرى وزواياتها
 كثيرة حتى كان في أحدها نعين محمل نروجهما وانذار الساكنين به منها فإكان الأمر كما
 قال صلى الله عليه وسلم وبقية جبال الجحاز كثيرة منها المشهور كحدوا بني قبيس وعرفات
 وهو ليس يرتفع ومن أحسن جبالها هواء الطائف فإنه في شدة الصيف يكون معتدل
 الهواء وهو مصيف أعيان مكة وجدة وأما أنهر الجحاز فليس به نهر مستديم وإنما تسيل
 الأنهر به عند نزول المطر حتى إن أحدها يأتي من جبال الطائف ويعر على المدينة المنورة
 على صاحبها أكل الصلاة والسلام ثم يذهب مغربا إلى البحر وأما البحيرات فليس بالجحاز
 بحيرة وأما العيون فهنا عيون عظيمة عذبة أحدها العين الزرقاء التي تسمى المدينة
 وهي نابعة من قباه تحت الأرض في عمق عدة أذرع وتذهب إلى المدينة تحت الأرض
 وعابها عدة منافذ إلى الماء وفيها الكفاية لجميع الماد وما حولها وانما سميت الزرقاء
 نسبة لمجاذها مروان بن الحكم أزرق العينين أجراها بأمر معاوية رضي الله عنه ومنها
 عين زبيدة التي تسمى بها مكة وهي آتية من قرب عرفات تحت الأرض مثل السابقة وقد
 أجرها زبيدة زوج الرشيد العباسي وقد عورت الآن بعمارة حسنة صارت بها في غاية
 الانتظام ومنها عين بابد الصفر وهي أيضا تحت الأرض لكنها ليست بمختفضة بل أنها
 تبعد عن سطح الأرض نحو ذراعين وبها ماء غزير صاف عذب حار يشرب فإذا شرب في

الأواني

الاولى برد وهي تغور بعد البارد في الارض ولا ينتفع منها الا بشي يسير للشرب وسقى
 بعض بساتين ومنها ما عين بالجدبدة مع أن كلاً منهما يصلح لسقى غابة عظيمة مع حسن
 الماء وجودته فقد شاهدت عين الصفره وقد أناخت حولها قافلتنا المحتوية على أزيد
 من ستمائة نسمة وهرع الى العين جميعهم لغسل ابدانهم وثيابهم بل ولغسل اكراش الغنم
 التي ذبحت يومها في القافلة ومع تراكم تلك الاوساخ كنت أرى الحصاة كالفضة في مجرى
 العين والماء يترى يدعقه عن ذراعين وأما هواه الجباز فهو على الجملة حار لما كان عرضه
 من خط الاستواء ولا شك أن الاودية بين الجبال تزيد بخلاف المرتفع ولذلك يختلف
 الحال فمع كون مكة المشرفة شديدة الحر حتى اني كنت بها في دجنه وما أردت صلاة
 العشاء في الحرم لم استطع الجلوس على الارض بدون بساط في وقت العشاء لما أثرت
 الشمس في الارض فان الطائف لا يمكن فيه في الصيف الا التذثر في الليل بالغطاء الثلجين
 وقد شاهدت من أمر المراهب شيئا عجيبا فاني لما كنت مسافرا من مكة الى المدينة
 سمعت من اصحاب القافلة انهم يقولون ان الماء هنا ليس بوجوده ولا بد من الميت على الماء
 وكان الوقت بعد العصر فرأيت على قرب من الطريق غدراناً كثيرة فسألت الجبال هل
 هنا سبخة أم ان المطر صبت قبل مرورنا فقال كل ذلك لم يقع فقالت من أين هذه الغدران
 حينئذ فقال ليس هنا غدران وانما ذلك مراب فلم نطعمش لقوله وأرسلت أحد أتباعي
 باناء ليملاء من ذلك الماء الذي أريته له فشاهدته وذهب اليه فلما بلغه صاح لي قائلاً
 ليس هنا شئ فضحك مني الجبال وما ذاك الا للتعود فاني لم أعهد المراب على ذلك النحو
 وذلك بحر القطر وتأثر الهواء بذلك وأما نباتات فينبت بالجبال جميع الثبات الذي يكون
 بالاقاليم الحارة ووراء جبل أحد من الشق المقابل للمدينة غابة كبرى بها عيون ضئيلة
 وأشجار كثيرة صالحة للبناء بأخشابها وأكثر الشجر المستنبت الخيل على أنواع شتى
 وبقية الشجر ذو الغلال يغرس منه الليمون بكثرة والبردقان والعنب والرمان وهو جيد
 للغاية لاسيما رمان الطائف والنين كما يستنبت بعض البقول مثل الباميا والطماطم وقليل
 من بقية المستنبتات ومن تأمل الحكمة في جاية أشجار الحرم المسكى والمدنى من القطع
 علم قصد الشارع الى استكثر الشجر هناك لما يعود من منفعته على الامة فانه يجاب
 السحب ويكثر المطر ويحسن الهواء ويشرح النفوس ويبقى الناس من الشمس
 ويأطفئ الحرو ويوقد بفاصل ما يقطع منه للتحسين ومن شاهد تلك المقام علم شدة
 الاحتياج الى الاستظلال من الشمس وعلم حكمة تحريم الشجر حول البلدين المكرمين

الذين تلزم عمارتهم وتمرع الناس اليهم من كل فجم عميق وقد أشار الى حكمة تحسين الحرم بالشجرة وحرمة قطعه بعض العلماء ومنهم السهمودي في خلاصة الوفا باخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال قال الطحاوي يحتمل أن يكون سبب النهي عن صيد المدينة وقطع شجرها كون الحجرة كانت اليها وكان بقاء ذلك مما يزيد في رؤيتها ويدعو اليها كما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينهى عن هدم أطام المدينة فانهم انزمتها فلما انقطعت الحجرة زال ذلك الخ وقوله انقطعت الحجرة أى بقوله صلى الله عليه وسلم لا شجرة بعد القح وكلامه تعليل لمذهب الحنفية في عدم تحريم المدينة وأما الأئمة الثلاثة فهم على تحريمها مثل مكة وأدلتهم قوية والحاصل أن مرادنا هو أن تكثير الشجر في البلاد لا سيما البلاد الحارة مما يرغب فيه وقد صرح الفقهاء في كتاب السير بالنهي عن قطع شجر دار الحرب بلا حاجة اليه فكيف يغيرها فضلا عن دار خير الخلق عليه الصلاة والسلام القائل بتحريمها وتحريم ما حولها أكثر الأئمة رضى الله عنهم مع الفائدة الظاهرة من ذلك (وأما) حيوانات الجواز في وجده الحيوانات الانيسة المألوفة كلها لا سيما الخيل العربية التي يضربها المثل في الدنيا وترغب فيها جميع الامم واعلاها الخيل الجندية وكذلك الابل الجيدة لا سيما النجيمات السريفة مثل ما ذكرنا بصر وأحسن منها كما توجد البغال بقلة والحمير بكثرة والحيوانات البرية كلها موجودة الا القليل كالدب والذئب (وأما) الاسد والتمر فوجوده بكثرة وكفى بما ذكره بشر في قصيدته التي شطرها الشيخ قباد والتونسي بعد ان زاد عليها ما طالعنا بياننا الحاله أسود أرض العرب وتلك القصيدة لما كانت بدية أئمتها مع تشطيرها العنظر براعة المشطر الذي صار كأنه بدوى فتح مع كونه حضر يا بخت وهي

(أفطم لو شهدت بيطن نخبت) * لهانت عندك الاخبار خيرا
 ولو أشرفت في جنح عليه * (وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا)
 (إذا رأيت ليثا أم ليثا) * وكل منهما بأخيه مهري
 يرى كل على ثقة أخاه * (هزبرا أعليا لاقى هزبرا)
 (تهمس اذ تعاس عنه مهري) * وأقبل نحوه أذنيه ذعرا
 فيكاد يريه فيخال منى * (محاذرة فقلت عقرت مهرا)
 (أنزل قدي ظهر الأرض انى) * أرى قدي للاقدم أحرى
 واست مزخبي شيئا ولكن * (رأيت الأرض أئبت منك ظهرا)

(وقالت)

(١٥٥)

- (وقأت له وقد أبدى نصالا) * باهرة فاغر يهررن صرا
 وسوسا ذات الحماظ تظلى * (محددة ووجهها كفهرا)
 (يكفه كفه غيلة إحدى يديه) * كالى القوس ينزع مسبطرا
 ولا يثنى براثن منه الا * (وييسط للوثوب على أخرى)
 (نحمتك فالقوس ياليت فبرى) * فلى بقيا عليك وأنت أدرى
 ومهرى قائل لك لا تخانى * (طعما ان لمحي كان مرا)
 (الم يبانك ما فماته كفى) * الست ترى بها الاظفار حمرا
 ألم نك طاعنا سلاه فنكى * (بكاظمة غداة قنات عمرا)
 (فلما خال ان النصح غش) * وغرته الجراة فاستغرا
 ورجع على التهور فى نزال * (وخالفنى كاتى قات هجررا)
 (مشى ومشيت من أسدين راما) * مساورة فلاقى البحر بحرا
 ورجا الارض اذ بقيا عليها * (حرما كان اذ طابها وعرا)
 (سلات له الحسام نفلت أنى) * اسات من المجرة فيه نهرا
 ولم أمش الضراء له لانى * (شقت به لدى الظلماء ففرا)
 (وأطلقت المهند من يمينى) * فواقته لغير المن أسرا
 بايريق هفا هفوان برق * (فقدله من الاضلاع عشرا)
 (فخره ضمرا بدم كانى) * بههته أفضت عليه مسترا
 وكسدت لهول وجمته أرانى * (هدمت به بناء مشهرا)
 (بضربة فيصل تركته شغفا) * وشقاء لى بطننا وظهرا
 وشبه كما انتهى منها مشنى * (لدى وقبلها قد كان وترا)
 (وقأت له يعز على انى) * أراك مفر شطرا فشطرا
 واستعنى المروءة أن ترانى * (قنات مناسبي جادا وقهرا)
 (وايكن رميت أمرا لم يرمه) * أبى لا يبيع النفس خسرا
 وليك سامنى بالنصح خسفا * (سوالك فلم أطق ياليت صبرا)
 (تساول أن تعلمنى فرارا) * فهل علمت نفسك أن تفرا
 وتنفض مذرويك لفعل عزمى * (لجر ابيك قد حاولت ذكرا)
 (أيت تروم للاشمال قونا) * طالت به الدماء ورعت سفرا

(١٥٦)

ولكنى أقيدها وأحى * (وأطلب لابنة الأيكري مهرا)
 (فلاتعد فقدا لقيت حرا) * يرى ويقتران أباغت - ذرا
 وعن كرم برزت الى كريم * (يحاذر أن يعاب بفت حرا)
 ولا أسف على عمر تقضى * أفادك منه حسن الذكركمرا

وأما معادن الحجاز فإنه يوجد به المرمر الرقيق ويوجد قريبا من المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام حجر البور المشابه للاماس ويوجد أيضا الذهب وكان مستخرجا ثم دثر ولا يعد وجود الفحم الحجري وكذلك غيره من المعادن المحتاجة للبحث عنها وأما مدن الحجاز فاصل قاعدته وقاعدته عموم الاسلام هي المدينة المنورة وكانت مدة اقامة الخلافة بها اتسعت وكبرت وكذلك بعد ذلك في العصور الاولى من الاسلام وان حدث فيها الخراب الكلى والجلاء العام مدة يزيد ثم دون ذلك مدة القرامطة ثم تراجع عمراتها الى التو ثم عادت الى ما هي عليه الا ان ما ذكرناه في صفتها وقاعدة الحكومة الحجازية الا ان هي مكة المشرفة وقد مر ذكر صفتها ومن اعتبر ما جرى عليه الحال في ظهور الاسلام يرى ان عناية الله بالمدينة عظيمة وقد جعلها مظهرا للدين القويم وانتصار الرسول الامين عليه الصلاة والسلام وكانت مكة تابعة في الحكم للمدينة حتى بعد فتح مكة وقد خالف الانصار عند الفتح انتقال النبي صلى الله عليه وسلم الى بلده الاصل فاعلمهم بانه لا يفارقهم واستقر هو ومن بعده من الخلفاء الراشدين بالمدينة الى خلافة سيدنا علي فكان صدرها بالمدينة وآخرها بالكوفة ومع ذلك فقاعدة حكم الحجاز هي المدينة وذلك هو الموافق لمخالفة السياسة لتوغل المدينة من القارة واذا كان الحاكم في مكان تهتد سائر السبل اليه وعلى تقدير حدوث بعض العوائق في الطرق يزال عن محل وتنفيذ الاحكام في الاطراف لاستقرار القوة في الوسط وايست مكة المنرفة على ذلك الخط وقد تغير الحال مرارا مدة الاسلام في قاعدة الحكم بالحجاز فكان الامر على ما ذكرناه من كون المدينة هي القاعدة ثم انفردت مكة بحكمها وبقية المدينة مستقلة ثم صارت الاحوال تنقلب فتارة تكون مكة تابعة وتارة متبوعة وتارة يستقل كل منهما بحكم ولو بعد استقرار الدولة العثمانية والذي عليه العمل الا ان هو ان مكة هي القاعدة وللمدينة كما يرجع في امره الى حكومة مكة وأما بقية المدن بالحجاز فليست بوجوده وانما الوجود عبارة عن قري مثل الطائف وهي أكبرها والصفراء والجديدة وحده ورايح وخيبر وقد غلط كتب من الجغرافيين حتى من المسلمين في ذكرهم لسكان هاته البلدة

وكو ٢٣

وكونهم يمدوا غتراراً بما كان في أصابعهم وفضلة عجماً وقبح في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه من جلاء جميع الأديان إلا الإسلام عن جزيرة العرب مستنداً للنص من الشارع في كونه لا يجتمع بهاديان ومن ذلك التاريخ لم يبق بها إلا المسلمون وسكانها الآن من ضعفاء القبائل مسلمون وهم تبع للحكم المدينة بصورة وفي الحقيقة تحت حكم محمد بن رشيد النجدى أكبر حكام قبائل نجد بل هو الحاكم على جميع أواسط قارة جزيرة العرب وهو على مذهب الوهابى وله نفوذ تام وحكم عادل ذوهيبة وسطوة بحيث أن ربيعة منه يمد حامها تؤمنه في جميع الأنحاء من أواسط القارة ويجلس في مجلس حكمه ويجلس القاضى ومعه أحد العلماء بصفة المفتى ويقف حوله أصحاب الخيل من أعوانه ليسألهم في الخسومات فإذا دخل المشتكى التى دعواه على القاضى ويجيب عنه بما يظهر له ويحكم القاضى بما يراه فيستشير الامير ذلك العالم الحاضر هل ان حكم القاضى موافق للشرع أم لا فان وافقه فيها والاتباحاً وما يرمى عليه ينفذه الامير حالاً وأما النوازل المتعلقة بالادارة وحفظ الامن فيحكم فيها بما يجتازده مراعيها فيها الانصاف والعدل بما لا يخرجها عن السياسة الشرعية مع الصرامة التامة في التنفيذ حتى انه قيل انه أتاه يوماً رجل وهو فى بحاسه الحكي وأخبره بأنه وجد عدلاً بعير ما فى فى الطريق وهو مملوء بالمل ولا يعلم صاحبه فأخبره به الحكي بيانه فحمله فساله الامير من اين علمت انه رمل فقال له انى مسسته فقال له كيف مسسته وبأى يد فقال له مسسته بيدي هاته وأشار باحدى يديه فما كان من الامير الا أن جرد سيفه وقطعه او قال له ما كان ينبغي لك أن تسمه حتى تعلم ما فيه وأى فائدة لك في ذلك لولا اني كنت الخيانة اذ لو وجدته شيئاً مما كنت أخبرت عنه ومن علم حالات القوم وطباعهم في هاته الازمان يرى أن ذلك الحكم الصارم مطابق لما يقتضيه ائصال اذ لم تأمن ولا يته ولم تستقر بها الراحة والهناء الا بمثل ذلك الحكم واذا امر أحدنا بأمر ولم ينفذه ولم تجعله قبيحاً على تنفيذه فانه يصدر فى الحال أو امره الى القبائل التى يمدونها الى جهة الامور بحضور فرسانهم فى وقت معين ثم يركب هو وفرسان جيشه وما مر بتبليغ من الامورين المشار اليهم الا انضموا اليه الى أن يعظم جيشه فيمصل الى الامور وقيامته وبأخذهم أخذة رابية ويملك أرزاقهم ان كان معه من المعسكر ويمن ذلك نفذ امره وعلاصيته وخضعت القبائل اليه مع كونه جواداً وفيها بالهدى صالى المهمة على شجوة كرام العرب وهاته البلدان المشار ذكرها أغلبها به حصن أو بقرية حصن لاقامة العساكر للحماظة على الاهن غيران أغلب الحصون صارت خراباً

للاهمال وايس به حامية وأما مراسى المجاز فأعظمها مرسى جدة ثم ينبع البحر
 وهاته هي أقرب المراسى الى المدينة المنورة بحيث يصلها البريد في يوم وتبلغها القوافل
 في ثلاثة ثم بوقية المراسى على قلتها ايس لها أهمية غير ان الموجود منها كاهى مراسى
 أمينة لاس من انا خلقها الله عليه من احاطة الصخور العظيمة حول الخوض الذى
 ترسى به السفن بحيث يصح ان يقال ان الذين انتخبوا ذلك البقاع بعلمها بلدا بالمراسى
 هم من حذاق أهل التدبير واتساع المعارف بالصناعة البحرية فقد شاهدت كلا من
 مرستى جدة وينبع وحوض كاتيمه ايسع مئين من السفن الضخامة فى أمن تام ولو عند
 تلاطم الارجاج التى كالجبال وأغلب الخوريتين لا يدخلونها الا بدليل من بحرية أهالى
 تلك المراسى وقد شاهدت الخورطة البحرية التى فى البصرة المصرية التى سافرت فيها
 الى جدة مع علم ايس على جميع المجازة المستورة بالبحر حوالى شاطئ البحر الاجر مع بيان
 بحمها ومركزها وهى من صنع الانكليزيين فسألتهم هل لهم خريطة مصرية أو عثمانية
 فأجابوا بأن تلك الخريطة هى الممول عامها عند جميع الأمم ولوالعثمانيين الذين يعد البحر
 الاجر بحيرة فى مملكتهم من جميع جهاته فحجبت وانذهلت من خوف قوم واهمال آخوين
 وهى احدى علامات تأخرنا اذ صرنا لا نعلم بلادنا وشواطئها الا بتعريف الاجانب لنا بها
 وسكانها الفعاليين ايسيريد وأما سكان المجاز فهم كلهم عرب من ذل العرب الاقدمين
 الاسكان البليدين المكرمين فأغلبهم من الوافدين من جميع الاقطار واكثرهم بمكة من
 الهندوأما فى المدينة فأكثرهم من المغاربة وعدد جميع السكان فى المجاز يقرب
 من نحو مليونين فالذين بهرون الارض ما بين مكة والمدينة هم قبيلة مزينة وتعرف
 بالاحامدة ومنها الذى يعرف بقبيلة حرب وهم التجار ومنهم المغارة الذين يكثرون قطع الطرق
 بين البليدين المكرمين وهاته القبيلة وهى مزينة المعروفة بالاحامدة تنقسم الى تسعين
 كبيرين اولها ما يسمى المسروح وهم سكان البرارى من مكة الى الصفراء وثانىها يعرف
 ببني سالم ومنهم فخذ حرب وهم سكان بقية الجهات وديانة الجميع هى الاسلام على مذاهب
 شتى أغلبهم أهل سنة على المذهب الحنفى والشافعى وان شرفهم من النمايم الدينية بكثرة
 زوايا الشيخ السنوسى المنتشرة فى جميع جهاتهم وقدم الالكلام على مذهبهم عند الكلام
 على جزيرة العرب فى المقدمة وعلى حوادث تونس فى فصل سفرى الى فرانس كما يوجد
 المذهب الوهابى بقلة وان كثر فى جهات نجد الخارجة عن حكم المجاز وأما تقاسم الاهالى
 بالنظر للحكم فان كل قبيلة لها مشايخ منها ويرجع الجميع الى أمير مكة السيد الشريف

(١٥٩)

﴿ تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس أوله فصل في تاريخ الحج المأجور ﴾

بجهد من أسبغ فيه على العباد والصلاة والسلام على بدر الهدى وعلى آله نجوم
الرشاد قد تم طبع الجزء الرابع من صفوة الاعتبار على يد مصححه مصطفى
محمد قشيشة المفتقر إلى رحمة الكريم الغفار مصححا كما يرام حاويا
من الفوائد ما يتم به المرام وذلك بالمطبعة الاعلامية التي
هي عن التعريف غنية ووافق طبعه يوم الاثنين
المبارك وهو التاسع من شهر جمادى الآخرة
الذي هو من شهور سنة ثلاث وثلاث
مائة وألف من هجرة من خاق
على أكل وصفه وعلى
الله على سيدنا محمد
وعلى آله
وصحبه
وسلم

﴿ طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣ ﴾

(١٦٠)

﴿ فهرست الجزء الرابع من كتاب صفوة الاعتبار ﴾

صفحة	
٢	الباب الخامس في قطر الجزائر
٢	الفصل الاول في سفر المؤلف اليه
٣	نزوله الى البر ودخوله بلاد عنابة
٣	كيفية حججها وما اشقت عليه
٤	الجماع الذي صلى به المؤلف وذكره مسئلة المسح على الخفين
٤	أحسن ما في البلاد وهو سوق الخضر
٥	قصده الى تونس في سنة ١٢٩٥ من سفره الى قرانا
٥	مروره في الاياب على مدينة الجزائر
٥	هيئة الجوامع والحصون بهاته البلدة
٥	سفره الى عنابة ومروره بهادداس وغيرها
٦	الفصل الثاني في التعرف بالجزائر وأهلها وجملة جغرافيتها وحيواناتها ونباتاتها وغير ذلك
٧	الفصل الثالث في احوال تاريخ الجزائر ومطالب تاريخها القديم
٨	مطلب في تاريخ الجزائر الجديد
٨	سبب اسقيلاء الفرائس بس علمها
٨	انتصار حسين باشا رعيته في الاحماح على قفسل فرانسا
٩	رضاء فرانسابان يكاف الباشا أى انسان كان في باريس يطاب الترضية
١٠	مبدأ اسقيلاء فرانساعلى الجزائر
١٠	اجماع الجهات الغربية والجنوبية على مبايعة سيدي الحاج عبدالقادر بن محي الدين الحسيني
١٠	اتحاد سلطان المغرب مع الفرائس بس على محاربة الامبراطور اليه
١١	مطلب في كيفية اجراء السياسة الداخلية في الجزائر
١١	كيفية انتخاب الدولة للحاكم العام من أهل المناصب العالمية من الفرائس بس
١٣	معاملة الحكام للاهالى وسبب توغل الامبراطور في دواخل الجزائر منفردا

- ١٣ وفاة الاهالى بالعهد عند انكسار الفرانسوس وتحريرك الدساتس فى اهل الى الجزائر
- ١٤ مطالب فى السياسة الخارجية للجزائر
- ١٤ الفصل الرابع فى بعض صفات الاهالى وعواندهم
- ١٥ حكاية بحجية وقعت للمؤلف فى القابور وهو مسافر الى عنابة
- ١٥ تمير اخلاق بعض الاهالى
- ١٦ ذكر المشايخ الاخير الذين رآهم المؤلف بالجزائر
- ١٧ مطالب فى التجارة بالجزائر
- ١٧ مطالب فى الاحكام بالجزائر
- ١٨ حكام القبائل وهم القواد والاعوات والقضاة
- ١٩ مطالب فى المعارف بالجزائر
- ٢٠ مطالب فى الصنائع وغيرها بالجزائر
- ٢١ الباب السادس فى انكلا تيرة
- ٢١ الفصل الاول فى سفر المؤلف اليها
- ٢١ وصوله الى باد كلى التى هى مرسى على اضيح خليج بحر المنش
- ٢١ ذكر بانة بحجية الشكل نزل بها المؤلف
- ٢٢ ذكر الرتل وسرعة سيره
- ٢٢ وصوله الى المحطة ومقابله مع احد ابناء الشام وما أقامه فى لندره وسهره منها
- لبعض بلدانها
- ٢٢- ذكر ابنية بلدا برين
- ٢٢ ذكر القصر الذى بناه الملك ويلم الثالث
- ٢٢ محل معرض انواع السمك فى أحواض من الزجاج
- ٢٢ ذكر كة على البحر طولها نحو نصف ميل
- ٢٤ الفصل الثانى فى صفة لندره
- ٢٥ ذكر بنا آتها
- ٢٦ ذكر قصر الزجاج وهو اول معرض عام أحدث فى أوروبا وبه عجائب عديدة من صناعات عميقة

(١٦٢)

- ٢٦ ذكر الاماكن الشهيرة في لندره وأبنيتها الضخمة وغرائبها التي انفردت بها
 ٢٩ الفصل الثالث في وصف انكلا تيره رجفة رافيتها
 ٢٩ بيان أشهرها
 ٣٠ ذكر بحيراتها
 ٣٠ ذكر هوائها
 ٣٠ ذكر نباتاتها
 ٣٠ ذكر معادنها
 ٣٠ ذكر حيواناتها
 ٣١ ذكر مدننها
 ٣١ ذكر مرامى هذه المملكة
 ٣١ ذكر تقاسيم هذه المملكة
 ٣١ بيان عدد أهل هذه المملكة وديانتهم وخصيتهم وصفاتهم
 ٣٢ ذكر مستعمراتها وتقسيمها
 ٣٣ الفصل الرابع في احوال تاريخ انكلا تيره ومطالب تاريخها القديم
 ٣٣ الكهان والرومان وما وقع بينهم
 ٣٤ تقاسيم الرومانيين انكلا تيره لاهلها ورفع جيوشهم عنها
 ٣٤ تقسيم انكلا تيره الى سبع ولايات باسماء أعينهم
 ٣٥ زوال استقلال الولايات وتلك اغبرت ملك واسكديس لانكلا تيره
 ٣٥ تلك اشليستان حفيد اغبرت وما وقع بينه وبين المدغرك
 ٣٥ أرغر قودقواته البحرية التي باغت الى درجة لم تعهد لهم
 ٣٦ مطالب في تاريخ انكلا تيره الجديد ومعدداً اول حريته في أوروبا
 ٣٦ اللان يوحنا وما جرى بينه وبين أعين أهل المملكة
 ٣٧ تولبة يوحنا أورد الاول الملقب بندي الملقين
 ٣٧ تولبة ابنه أورد الثالث
 ٣٧ تولبة أورد الثالث وظهور مذهب البرتيسمانت الذي نشأ في مدته
 ٣٨ ذكر بقية الملوك التي استولت على انكلا تيره

(١٦٣)

مخيفه

- ٣٩ تشكيل لجنة الهندوتوايتهم الملك اسكو نسيا
 ٤٠ توليه ابنة جس الملقب بكارلوس الثاني
 ٤١ تولية اخيه جس وزيادة لارتباك من ايثاره للاذهب الكاتوليكي
 ٤١ استدعاء الاهالي احد امراء هولانده وتلقيهم له بويلم الثالث
 ٤١ تولية الملايكة يوحنا بعده
 ٤١ استدعاء الاهالي لاحد قرابة العائلة ولة بوه جورج الاول
 ٤١ تولية جورج الثاني وما جرى في مدته من الحروب
 ٤١ تولية جورج الثالث واستقلال الدول المتحدة في مدته
 ٤٣ تولية جورج الرابع الذي حصل العدر في مدته على اسطول الدولة العثمانية من
 اسطول انكلا تيره
 ٤٣ تولية ويلم الرابع بطريق الوراثة وزيادة قساون في ايامه تحدينا
 ٤٤ مطالب في السياسة الداخية بانكلا تيره وبيان تركيب الساطة فيهم من الملك
 والاصيان وعقلاء الامة
 ٤٧ مجت ادارة لولايات
 ٤٨ كيفية ادارة مدينة لندره
 ٤٨ الاحكام الشخصية وادارتها المخصوصة
 ٤٩ مجت ادارة مستعمرات الانكلايز
 ٥٣ مطالب في السياسة الخارجية للانكلايز
 ٥٦ مطالب في بعض عوائد الانكلايز وصفه اتهم وانقسامهم الى طبقات
 ٥٧ انقياد الاهالي للاحكام
 ٥٧ اختلاف عوائد الاهالي على اختلاف طبقاتهم وغرائب ما افر دوابه في العوائد
 ٥٨ بيان الطبقة السفلى من الاهالي وانها اشبهتة جرا
 ٦٠ بيان اخلاق الانكلايز على العموم
 ٦١ مطالب في التجارة بانكلا تيره
 ٦٢ مطالب في الاحكام بانكلا تيره
 ٦٣ مطالب في المعارف بانكلا تيره

(١٦٤)

مخيفة

- ٦٣ بيان ما اختلفت به انكلا تير من وجود جمعية ديانية لشركه مذهبهم البريتس انتى
 ٦٣ ذكر المطابع والمعامل للكابس با انكلا تير
 ٦٤ ذكر عدد المكتبات وان اعظامها مكتبة لندرة الكبرى
 ٦٥ مطاب في الصنائع في انكلا تير
 ٦٥ مطاب في هيئة المساكن بها
 ٦٦ مطاب في اللبس بها
 ٦٧ مطاب في الاكل بها
 ٦٨ مطاب في المواكب بها
 ٦٩ مطاب في اللغة بها
 ٧٠ مطاب في القوة البحرية والبحرية والسالية والتجارية بها
 ٧٠ الباب السابع في جزيرة مالطة
 ٧٠ الفصل الاول في سفر المؤلف اليها
 ٧٣ الفصل الثاني في التعرف بمالطة و جغرافيتها الطبيعية وعدد اهلها و عسقاتهم
 ٧٤ الفصل الثالث في تاريخ مالطة ومطاب تاريخها القديم
 ٧٥ مطاب في تاريخ مالطة الجديد وسبب استيلاء الانكليز عليها
 ٧٥ مطاب في سياسة مالطة الداخلية
 ٧٥ مطاب في السياسة الخارجية بمالطة
 ٧٦ مطاب في بنية عادات المساطينين واحوالهم
 ٧٧ الباب الثامن في الاقطار المصرية
 ٧٧ الفصل الاول في سفر المؤلف اليها
 ٧٧ محاورة لطيف وقعت للمؤلف مع ركاب الباخرة
 ٧٩ ذكره ارسى الاسكندرية بعد وصوله اليها
 ٨١ بيان هذه المدينة وما احتوت عليه من الجوائب
 ٨٢ ذكر المنارة الشهيرة بها
 ٨٢ خزانة الكتب لبطليموس الارل وغيرهما من الكتب وابطال دعوى حرق المسلمين
 لكتبها

(١٦٥)

صيفة

- ٨٢ بيان عدد أهائها ومجالاتها
 ٨٢ ذكر المسلة الواقعة قرب محطة سكة الحديد ومجود السوارى بمينة النيل
 ٨٣ الفصل الثاني في صفة مصر القاهرة
 ٨٣ ذكر انخراط القاهرة
 ٨٣ ذكر القلعة التي على شاطئ النيل
 ٨٣ ذكر الجامع المبنى بها وصفاً له البهية
 ٨٤ ذكر البئر العميق المسمى بالخزون
 ٨٤ ذكر طوق المدينة وحواضتها
 ٨٤ ذكر حديقة الاز بكية الانيقة الجميلة
 ٨٤ ذكر المقام الحسيني
 ٨٥ ذكر مشهد سيدتنا زينب وبقية أهل البيت
 ٨٥ ذكر الجامع الأزهر وكيفية بنائه وما فيه من الدروس والتلامذة وغير ذلك
 ٨٦ ذكر الأهرام التي بخارج القاهرة وما اشتملت عليه من الجمائب
 ٨٧ ذكر أفاضل مصر الذين زارهم المؤلف
 ٨٨ ذكر تاريخ قدمها المؤلف للتخديوى محمد توفيق باشا حين زيارته له
 ٨٨ ذكر اختلاف أهل المشرق والمغرب في حساب التاريخ
 ٨٩ الفصل الثالث في التعريف بمصر وجغرافيتها
 ٩٠ بيان المهور من مصر الاصلية
 ٩٠ ذكر بلاد النوبة الداخلة في ملكة مصر
 ٩٠ جبال عمالة مصر
 ٩٠ الأنهار التي بها وأهل النيل
 ٩١ ذكر الترع التي أحدثت من النيل
 ٩١ ذكر غرائب النيل وأنه يفيض في وقت معين
 ٩٢ أسباب فيضان النيل
 ٩٢ بقية الأنهر في عمالة مصر
 ٩٣ مجربات مصر

(١٦٦)

- صيفة
- ٩٣ ذكرهواه مصر على الهرم
- ٩٣ ذكر نباتاتها مع سودانها و جباله
- ٩٤ ذكر حيواناتها
- ٩٤ ذكر مآثره المؤلف من مبهزات نبينا صلى الله عليه وسلم مما يريد القاب ايماننا
- ٩٤ ذكر الطيور التي بها
- ٩٥ ذكر معادن ماوان فيها أكثر أنواع المعادن
- ٩٥ عدد مدن مصر وقراتها
- ٩٦ ذكر مرامى مصر
- ٩٦ ذكر تعداد أهلها
- ٩٦ ذكر صفة أهلها على الهرم
- ٩٧ الفصل الرابع في اجال تاريخ مصر وملحقاتها ومطلب تاريخها القديم
- ٩٨ ذكر من ملك مصر من الفراعنة وطبقات حائلاتهم
- ٩٩ ذكر فرعون سيزوس تريس
- ٩٩ ذكر الخلاف في فرعون موسى وبيان فوائده تاريخية وذكر مهابات في غلط المؤرخين في اعتمادهم على ما يدعونونه كتبهم مقدسة واثبات التحريف اللفظي فيها عقلا ونقلا وان الديانة الاسلامية سالمة من جميع ذلك
- ١٠١ ذكر انشاق القمر ونبوته بالتواتر والاعتراض على بعض المؤلفين في اثباتهم كما يرونه في كتاب من غير نقد
- ١٠٥ ذكر فرعون الذي حارب ملك الشام الذي هو ابن سيدنا سليمان عليه السلام
- ١٠٥ ذكر فرعون سباقون
- ١٠٥ ذكر بابل وانه اراد وصل النيل بالبحر الاحمر
- ١٠٦ ذكر استيلاء بطليموس الاول
- ١٠٦ ذكر بطليموس الثالث وتوابعه علماء
- ١٠٦ ذكر المقوقس ونص الكتاب الذي بعثه اليه المصطفى عليه الصلاة والسلام
- ١٠٧ ذكر فتح مصر على يد سيدنا عمر بن العاص في خلافة سيدنا عمر
- ١٠٧ ذكر بقية الملحقات السودانية

- ١٠٧ ذكر شطوط النوبة الشرقية
 ١٠٨ ذكر زباغ وغيرهما من بقية جهات السودان
 ١٠٩ ذكر جدول حكومات مصر
 ١١٠ مطالب في تاريخ مصر الجديد واستيلاء الفرنسيس عليها
 ١١٠ ذكر ولاية محمد علي باشا والعمل الذي أجراه بمصر
 ١١١ ذكر نزوله عن الولاية لابنه الاكبر ابراهيم باشا
 ١١١ ذكر تولية عباس باشا ابن طوسون بن محمد علي باشا
 ١١١ ذكر تولية سعيد باشا ابن محمد علي باشا
 ١١١ ذكر تولية اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا واعادته عصر التقدم والمعارف
 ١١٣ ذكر مبدأ المخرج الوطني وزعيمه في الكلام عيد الله نديم
 ١١٤ ذكر استيلاء الوزارة لمحمود وسامح واستيلاء وزارة الحرب اعرابي
 ١١٥ ذكر حادثة عظيمة وقعت في اسكندرية بين المسلمين والنصارى
 ١١٥ ذكر اطلاق النيران من الاسطول الانكليزي على الاسكندرية
 ١١٦ ذكر استيلاء انكليز على بورت سعيد وسائر خليج السويس
 ١١٦ ذكر دخول العساكر الانكليزية الى القاهرة
 ١١٧ مطالب في السياسة الداخلية المصرية
 ١١٧ ذكر نص فرمان الصادر في ولاية الخديوي محمد توفيق باشا
 ١١٩ ذكر ثورة السودان التي كانت ابتدأت أو خرمدة اسماعيل باشا
 ١٢٥ ذكر قوم المرنجيين العثماني والانسكليزي
 ١٢١ مطالب في السياسة الخارجية
 ١٢٢ مطالب في بعض صفات وعوائد المصريين
 ١٢٤ مطالب في الاحكام بمصر
 ١٢٤ مطالب في التجارة بمصر
 ١٢٦ مطالب في المعارف بمصر
 ١٢٨ مطالب في هيئة المساكن بها
 ١٣٠ مطالب في الاليس بها

صفحة

- ١٣١ مطلب في الاكل بها
 ١٣١ مطلب في المواكب بها
 ١٣٣ مطلب في اللغة بها
 ١٣٣ مطلب في الاحصائيات بها
 ١٣٤ الباب التاسع في المجاز وكتب السابغ فاعطا
 ١٣٤ الفصل الاول في سفر الوائف اليه
 ١٤١ الفصل الثاني في صفة البلدين المكرمين ومواكب الحج
 ١٤١ مطلب في صفة مكة المكرمة
 ١٤١ ذكر البيت الحرام والمجر الاسعد وسائر المشاعر المباركة
 ١٤٤ مطلب في صفة المدينة المنورة
 ١٤٤ صفة الحرم النبوي ومهجرة النبي صلى الله عليه في ايجاد الشباك المحيط بالروضة
 الشريفة
 ١٤٧ مطلب في صفة موكب الحج الى قفول الحجاج الى زيارة النبي عليه وعلى آله الصلاة
 والسلام
 ١٥١ الفصل الثاني في التعريف بالمجاز وجغرافيته وسكانه وحيواناته ونباتاته وغير
 ذلك
 ١٥١ ذكر الجبال وذكر مهجرة باهرة من ظهر ورنار المجاز التي انذر بها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم
 ١٥٤ ذكر قصيدة بشر التي شطرها الشيخ قباد والتونسي
 ١٥٦ ذكر معادن انجاز
 ١٥٦ ذكر المدن بانجاز
 ١٥٨ ذكر مراسي انجاز
 ١٥٨ بيان سكان انجاز وجنسهم وعاطب البعض في سكان خيبر

﴿ تمت الفهرست ﴾

﴿ طبع بالطبعة الاعلى - لامية بمصر سنة ١٣٠٣ ﴾

الجزء الخامس

من كتاب

صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار



تأليف

الشيخ الجليل والعالم المحقق النبيل

السيد محمد يريم الخامس التونسي

رحمه الله ونعمه



الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة لابناء المؤلف

طبع في مطبعة المنتطف بمصر سنة ١٣١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليمًا

فصل في تاريخ الحجاز

مطلب في تاريخه القديم

اعلم ان سكان الحجاز هم العرب فتاريخه هو تاريخهم نعم قد كان الحجاز معمورًا قبلهم لكن ذلك العمران قد جهل تاريخه بالمرّة لتقدم العهد نقادماً كثيراً وغاية ما يعلم من حوادث ذلك التاريخ هو بعض جزئيات لها تعلق ببعض الاماكن المشرفة هناك مثل بيت الله الحرام فانها بنيت منذ عهد سيدنا آدم ابي البشر عليه الصلاة والسلام وجُددت ايضاً قبل سيدنا ابراهيم ولكن الاخبار عن ذلك كادت ان تكون خلية عن التحقيق ثم انه لما تكوّنت امة العرب واستقرت في جزيرتها حدثت فيها حوادث تاريخية مهمة جداً غير انها في ذاتها ايضاً منقسمة الى اربعة اقسام باعتبار اقسام العرب في انفسهم لان العرب منذ نشأتهم الى الآن منقسمون الى اربع طبقات فالطبقة الاولى هي العرب البائدة والثانية العرب العاربة والثالثة العرب المستعربة والرابعة العرب المولدين او المحضرين

فاما الطبقة الاولى فهي التي كانت قبل سيدنا ابراهيم وانما سميت بائدة لابطادتها اي انقطاعها وانقطاع اخبارها وان كانت ذريتها لم تنزل وهم بقية الطبقات وانقطاع اخبارها انما جاء من شدة طول العهد والامد فلم يعلم من احوالهم الا بعض حوادث قصها الله تعالى في القرآن المجيد مثل ما ذكر من احوال رسول الله سيدنا صالح الى قوم ثمود وكذلك قصة عاد مع رسولهم سيدنا هود والاشارة الى ما كان لاهل الامّة

من القوة والعمران والثروة وشدة البأس الى غير ذلك من احوال انقراضهم والاعتبار بما كان لهم وبقية بعض آثاره في ديارهم واما غير ذلك من تفاصيل تاريخهم فلا يوجد منه الا قصص يذكرها بعض المفسرين او المؤرخين لا سند لهم فيها الا الاعجاب بقصص القصاص مما لا ينبغي الاعتماد عليه اللهم الا ما اذا ورد شي من ذلك عن الصادق الامين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ينبغي ان يتلقى بالقبول ولعله لا يوجد من ذلك عدا ما في القرآن المجيد الا ما ندر مما روي بصحيح السند وهكذا ما يروي عن الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الصد لانهم اذا صحت الرواية عنهم لا يقولون الا ما له ثبوت بأحدى الوجوه الموصلة وحاشاهم ان يذكروا خرافات القصاص ولذلك كانت الاخبار عن تلك الطبقة من العرب في غاية الابهام وانما المحقق منها هو انهم كانوا امة عظيمة ذات نخوة وشهرة وعثمروا الارض عمرا عظيما وحادوا عن جادة الصواب في عبادة الخالق جل جلاله فإرسل اليهم الرسل في ازمان مختلفة يدعونهم الى الرشاد فعاندوا الى ان احاط بهم العقاب وطول الزمن الواقع ما بين اولئك الرسل الدال عليه سياق القرآن المجيد والدال عليه ايضا نسيان القوم لما كان اصاب سابقهم يدل على طول الزمن بين سيدنا نوح وبين سيدنا ابراهيم عليهم جميعا الصلاة والسلام زيادة على ما يزعم انه مذكور في التوراة باضعاف مضاعفة فان تكون الامة وكثرتها بعد الطوفان الى ان تبلغ الى ذلك المقدار من الكثرة والشدة وغير ذلك من الصفات لابد له من زمن طويل كافي لتكوين ذلك العدد الوافر من رجل واحد ثم ان نسيانهم لمعجزة الطوفان وسبب نجاة جدهم يستدعي ايضا ذلك الطول ثم ان تعدد الرسل مع التعاقب اي ان كل واحد منهم في زمن بعد الآخر وكل واحد منهم يحمل العقاب بن خلفه فبعضهم اهلك بالريح وبعضهم اهلك بالصيحة الى غير ذلك يدل ايضا على شدة طول الزمن فيما بينهم حتى تنوسي خبر السابق وكل ذلك قبل سيدنا ابراهيم عليه السلام فلا بد ان تكون المدة بينه وبين سيدنا نوح طويلة جدا لا يعلم مقدارها الا الله تعالى ومجموع ذلك يدل على طول عمر الدنيا وانما غايتها انها حادثة وانها مآلها الى الفناء وهذا كله يبين لنا معنى قوله عليه الصلاة والسلام بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبغ الكريمتين الوسطى والسبابة وكذلك ما دلل من الآيات والاحاديث على قرب الساعة فرب قائل يقول اين هذا القرب وهذا الاقتراب وقد مضى من زمن البعثة الى الآن ازيد من الف وثلاثمائة سنة ومع ذلك لم تظهر العلامات الكبرى كنزول سيدنا عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها الى غير ذلك فنقول له ان الامور نسبة فمن علم المقدار الكثير

من مدة الدنيا التي مضت وعلم ما بقي منها رأى ان الساعة قربت وانها مقترنة بالبعثة ولا يتأتى ذلك الا اذا كانت المدة الماضية طويلة طويلاً كثيراً كما هو الواقع والمشاهد من حالة الآثار الدالة على ان ما مضى يزيد على العشرات من آلاف السنين فنسبة الفين سنة او ثلاثة آلاف من تلك العشرات من الالف ما هي الا كنسبة المتلاصقين والمتقرب واما اذا اعتبر ما يزعمه اهل الكتاب من المدة وانها ستة آلاف مثلاً فلا يمكن الفهم الا على ضرب من التأويل الذي لا حاجة اليه لمخالفة الواقع ولتبين التحريف الثابت فيما يستند اليه اهل الكتاب الذي غرهم فيما ذكر فله الحمد على تنزيه شريعتنا المطهرة عن مثل الخرافات المخالفة للواقع

واما الطبقة الثانية من العرب وهي العرب العاربة فهي التي من زمن سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل ابنه ابي العرب المعروفين الى عصر البعثة وهاتيه الطبقة اخبارها معروفة اجمالاً لاسيما قرونها المتأخرة بما يستنتج من اشعارها وقصائدها واخلاقها وان كانت تفاصيل الحوادث التاريخية غير متعققة لاسيما القرون الاولى لها والمتوسطة لعدم وجود تواريخ محجرة في اخبار هاتيه الامم من العرب دونت قبل الاسلام وانما الذي يوجد في ذلك من التأليف انما هو بعد الاسلام عند ما حدث تدوين الكتب في الامة الاسلامية وذلك من القرن الثالث من الهجرة فيوجد في التواريخ الاسلامية اخبار كثيرة عن هاتيه الطبقة وكثير منها تلوح عليه سمات الصحة لما يؤيده من الاشعار في الوقائع وحوادثها واتياننا على جميع ذلك في هذه الخلاصة مغاير لمقصدنا لانه لا يكون الا زيادة نسخة من احدى التواريخ المشتهرة في ذلك مثل تاريخ المسعودي او تاريخ ابن خلدون او غيرها من التواريخ الكثيرة وانما الذي يليق بنا ذكره هو ان نقول ان هاتيه الامة قد انتشأت فيها دول عظيمة وبممالك واسعة وكانت في أغلب الاوقات منقسمة الى ثلاثة اقسام جنوبي وشمالى ووسط

فاما القسم الجنوبي فهو اليمن وحدثت فيه دول عظيمة مستقلة بنفسها في أغلب الاوقات ولكنها لم تسلط على غيرها من الامم الا نادراً نعم قد تسلط عليها غيرها احياناً فتارة تكون تابعة لملوك فارس وهه الاكثر وتارة تتبع دولة الحبش او دولة اليونان او الرومان او المصريين وفي كل الاحوال الاغلب ان يكون حكمها منها وان كانوا تابعين لغيرهم ممن ذكرناه ونشأ فيهم تمدناً حميلاً كما تدل عليه الآثار التي حول المدن القديمة مثل صنعاء وغيرها وصار في اليمن رجلاً ذوي فطنة وفكر وقاد وتأهل للكمال كما يرشد اليه الحديث الشريف القائل الايمان بيمان والحكمة بمانية او كما قال عليه الصلاة والسلام



واما القسم الشمالي فهو مملكة غسان اي الجهة الموالية للشام والعراق فهاتين كثيرًا ما حدثت بها دول مستقلة ذات شأن لكنها لم تبلغ مقام دول اليمن وفي أكثر الاحوال تكون هاتين المملكة تابعة لصاحب ملك الشام كالرومان وغيرهم وفي أكثر الاحوال ايضًا تكون رؤسائهم منهم وان كانوا تابعين لغيرهم

واما القسم الثالث وهو الوسط الشامل للحجاز ونجد وتهمامه فالحجاز منه في أغلب الاوقات ان لم نقل في كلها كان منفردًا

واما غيره فيكون تارة تابعًا للجنوب وتارة للشمال وتارة ينفرد بنفسه مثل الحجاز والحجاز الذي هو بيت القصيد مع كونه كان منفردًا عن الخوض لغيره الا ان يكون خضوعًا اسميًا بمعنى الادلاء بالبيعة لبعض ملوك اليمن العظمي الملك فانه في نفسه لم تكن به دولة ملكية قط وانما جميع السكان منقسمون الى قبائل كل قبيلة خاضعة الى رؤسائها فقط ولا سلطة لواحدة على أخرى الا ما يكون على طريق الظلم والعدوان وقد انفردت قبيلة قريش من بين سائر قبائل العرب بالمجد والفضل لما لها من المزية باختصاصها بالسكنى حول بيت الله الحرام الذي لم يزل معظمًا عند الجميع منذ بناء سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل ابو العرب وكانت سائر القبائل العربية تحبها من جميع الاقارب اليمن والشام وغيرها وتعظم اهلها وتكرمهم واختص بزيد الشوف على قريش بنو هاشم منهم فكانوا هم سدنة البيت وهم حماة وقد تقرر في قبائل العرب أكثر شيم المكارم لاسيما قريش فكانوا ابعد الخلق عن تحمل الضيم وكانوا احرص الناس على حفظ المجد وحماية النسب فيحفظون انسابهم ويتفاخرون بها ويكرمون الضيف ويتنافسون في البذل والكرم ويحمون الجوار ويوفون بالعهد ولم اليد البيضاء في الشجاعة والرماية والفروسية والاعناء بتربية الخيل الجياد والابل ويتفاخرون بالعدل ويستقبحون الظلم وان افتخروا به في قهرهم به لاعدائهم والحاصل انهم اقبلوا أكثر سمات الفضائل ومكارم الاخلاق حسب ما يرشد الى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ويؤكد ذلك حلف الفضول الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما احب أن لي به حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لاجبت الخ وذلك ان قريشًا تحالفوا على ان لا يجحدوا مظلومًا الا انتصروا اليه حتى يردوا ظلامته ويأخذون حق الضعيف من القوي ولتنافسهم في سمات الكمال حدثت بين القبائل المشاحنات على استحصائها وتمكنت العداوة بينهم وصاروا على قلوب شتى

وكان اعظم همهم وغاية تفاخرهم هو البلاغة في لغتهم التي بها يعبرون عن خصال
 فضائلهم ومناط تنافسهم حتى صاروا يعقدون لذلك اسواقاً كسوق عكاظ فيفيضون اليه
 من كل فج عميق وتأتي القبائل بما لديها من البضائع والتجارة ويقع بينهم تعارف ورواج
 في المتجر ولكن موضوع اصل الاجتماع هو عرض كل قبيلة كلام فحول فصاحتها من نثر
 ونظم فننصب لاصحاب البلاغة واللسان الطلق المنابر وينشد كل منهم ما لديه من القصائد
 التي كان تأنق في احضارها حتى ربما بلغ الحال بأحدهم ان لا يظهر قصيدته الا بعد
 التروي والتدبر فيها واصلاحها مدة العام والعامين حتى كانت لم قصائد تسمى بالحويلة
 وقد يكون الانشاد ارتجالاً مع الابداع والاغراب من مصاعفهم في اغراض شتى من
 نصائح وحكم وصفة مكارم الاخلاق او في الشجاعة والبطش والحروب او في الغزل
 والنسيب او المفاخرة والمدح والذم الى غير ذلك مما اشتهر امره في الآفاق بين سائر
 الامم الى الآن ولا زال يضرب به المثل فيما كان للعرب من سعة اللغة وكمال الادراك
 فيما خاضوا فيه من مناهج الكلام وكانت لم حکام مسلم اليهم الانصاف ومعرفة لم بكمال
 الخبرة والاحاطة بأساليب البلاغة وجزالة المعنى ودقة المدرك فيمكنون بتفضيل بعض
 الكلام على بعض وربما بلغ الحال من العناية بالكلام البليغ ان يكتب في صحائف موقفة
 ويعلق في داخل الكعبة التي هي مناط تعظيمهم قديماً وحديثاً ولو في الجاهلية دلالة على ان
 ذلك الكلام قد بلغ الغاية القصوى في المبهع الذي هو بصدده لما احتوى عليه من
 الفصاحة ومن ذلك المعلقات السبع الشهيرة غير انهم مع هاتيك الكلمات قد تناهوا دين
 آباؤهم ابراهيم واسماعيل عليهم السلام ولم يبق فيهم من آثاره الا اعتقاد الخالق
 والاعتراف له بالوجود كما يرشد اليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
 ليقولنَّ الله وكذلك تعظيمهم للبيت الحرام ثم تفرقوا في بقية العقائد على انحاء شتى باطلة
 من وثنية ومجوسية ودهرية وكتابية اي متنصرين او متهودين مستغرقين في الضلال
 الذي عم جميع اطراف الارض في ذلك العصر بحيث لم يكن بها من يعبد الله على حق
 الا عدد من افراد مخصوصين* وبينما كان اهل الارض في ذلك الظلام الحالك واذا بنور
 الله قد سطع وكشف عن البصائر الحجب ببعثه رسول الله سيدنا ومولانا محمد صفة
 بني هاشم سادة العرب فانقلب الكون حينئذ الى طور آخر في سائر الاحوال المتعلقة
 بالدين والدنيا وظهر في العالم عصر جديد عم اعنداله واستقامته اغلب المعمور من
 الارض في سنين قليلة والكلام على تفاصيل زمن البعثة وما سبقه وما لحقه من مكملات

دعائم الدين الاسلامي قد بسط ووقر في مجلدات عظيمة من كتب السير والتاريخ لا يمكن الاحاطة بها هنا وشهرتها غنية عن البيان وانما الذي ينبغي التنبيه عليه هنا ان لم يكن خبيراً هو ان تاريخ ذلك العصر اعني عصر البعثة وعصر الخلفاء الراشدين يلزم فيه من القيود ما لا يلزم في غيره من التواريخ وهو صحة السند واتصاله بحيث يصح ان يكون معتمداً لانباء الاحكام الشرعية عليه لان جميع حركات وسكنات رسول الله صلى الله عليه وسلم تشير بعمدة الامة الا ما قام الدليل على اختصاصه به عليه الصلاة والسلام وهكذا اعمال خلفائه الراشدين من بعده ومن المقرر في كتب الاصول ان الادلة الشرعية لا تثبت بمجرد النقل بل لا بد ان يكون النقل على الوجه المعتبر وهو روايته اي الدليل بالتواتر او الشهرة او الافراد على ما هو مبسوط في كل منها وبهذا يتبين غلط من يزعم ان الامام ابا حنيفة رضي الله عنه كان غير عالم بالسير الذي هو تاريخ سيرة رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وكذلك سيرة خلفائه الراشدين من بعدهم وهم سيدنا ابو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهم لان كل ذلك يتوقف عليه كثير من مسائل الاجتهاد كعرفة الناسخ والمنسوخ من الاقوال والافعال وكذلك نفس الادلة التي يستند اليها المجتهد فنتمشدد بحكايات عن ابي يوسف او محمد فيا سلمه امامهم ابو حنيفة رضي الله عنهم اجمعين ليس هو الا جهول بمقام الاجتهاد وبمعاني الكلام وارتباط العلوم ببعضها ولا غرابة حينئذ في فحش غلط وكذب مؤرخي غير المسلمين فيما ينسبونهم مهتاتاً الى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بعض سيره وصفاته لانهم يظنون ان تاريخ ذلك العصر خصوصاً ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم هو مثل سائر التواريخ التي تتوقف على مجرد الرواية مع عدم المانع العقلي وقد عرفت ان الامر عندنا ليس كذلك بل هو مشروط بما ذكرناه فلا يغتر مسلم بما يذكره الافرنج الآن في تواريخهم في هذا الموضوع وننبه على الخصوص ابناء اوطاننا المعجبين بأحوال الافرنج على الاطلاق لانكباهم على تعاليمهم وعدم فتح بصائرهم في حقائق معارف المسلمين حتى جرم ذلك الى استهسان طريقة التاريخ عند الافرنج مطلقاً مع انها في نفس الامر ليست مطابقة للواقع في الموضوع الذي ذكرناه ثم ان هاتو الطبقة من العرب لما كتب الله لها ان تسود على الارض ويم حكمها فيها في الطول والعرض وأنجز لها وعده في اقرب مدة بحيث انها في خلافة سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه المتوفى سنة ٢٧ هجرية امتد حكمها من جبال

الوقوف الى المحيط الغربي جهة اسبانيا ومراكش وكان ذلك احدي معجزاته عليه الصلاة والسلام حيث قال (وزويت لي الارض فأوربت مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك أمتي مقداوما زوي لي منها) فكان الامر كذلك ولم يتوغل ملك الامة في الجنوب وفي الشمال مثل ما توغل في المشرق والمغرب كما قاله حجة الاسلام الغزالي في الاحياء وسبب ذلك والله اعلم أن العمران في الارض كان في ذلك التاريخ غير معتبر في جهتي الجنوب والشمال وانما مناخ الامم ومقام اغلب الخلق في جهتي الشرق والغرب وكان الوجه في الاتيان بلفظ المشرق والمغرب بصيغة الجمع هو الاشارة اما الى المشارق بالنسبة للعرض اي تمددها نظراً لاختلاف الفصول او بالنظر الى الطول اي مشارق اهل الارض فان كل جهة من الارض شرقيها مسكون الى نهاية المحيط الشرقي بالنسبة لنصف الكرة الذي هو القسم المعمور والمعروف اذ ذلك وهكذا الغرب فيكون في الحديث على الوجه الثاني اشارة الى عدم تملك المسلمين في امريكا كما هو واقع بالفعل لانها ليست بمشرق ولا بمغرب لاحد سكان هذا القسم اعني القسم المشتمل على آسيا وافريقيا وأوربا لان بعد قارة امريكا من هاتيه القارة جعل مشرق شطوط قارآتنا ومغربها هو البحر فبسبب امتداد هاتيه الطبقة الى ذلك الحد وانتقال القبائل الى تلك الاصقاع المفتوحة واختلاطهم بأهليها ورجوع تلك الامم ايضاً الى مركز الحكم وتحت الديانة ايضاً لانهم دخلوا فيها افواجا * فبسبب ذلك كله حدثت الطبقة الثالثة من العرب وهي العرب المستعربة اي الذين تعربوا وان لم يكونوا في الاصل عرباً وامتدت هاتيه الطبقة الى نهاية دولة العرب في الصورة والمعنى اعني إلى حدود المائة الثالثة التي نقلص فيها ظل دولة جنسية العرب وان بقي فيهم الملك لكن عصبته وانصاره والقائمون به والذين امر الدولة في أيديهم حقيقة هم الاعجماء من الترك والموالي الذين اتخذهم بنو العباس بطانة لم تغلبوا على الاطراف وعلى نفس الخليفة تارة مع شدة في الاستيلاء وتارة مع ضعف الى ان اندثر ملك الخلفاء بالمرّة بواقعة هلاكو خان علي بغداد التي بها انقرضت دولة بني العباس وان عادت اسماً بلا مسمى بعد مدة قليلة من السنين بظهور احد ذرية بني العباس في مصر وكرامهم له بالبيعة الصورية وتسميته بالخليفة ثم يهجرون عليه في قصره الرحيب بحيث لا يكون له من الامر شيء ويكتب كتاباً يشهد فيه على نفسه انه فوّض الامر الى ذلك السلطان الذي ولاه وبقي متمتعاً في لذاته التي يتفضل بها عليه حسن ظن من سلاطين ذلك الزمان بمصر حتى اعتقدت العامة ان وجود الخليفة



موقوف على شرط النسب العباسي وحده فأزاحت هاتو البدعة الدولة العثمانية عند
استيلائها على مصر سنة ٩٢٢ هجرية بفتوى العلماء
ومن تاريخ انحصار دولة العرب اي بني العباس في مملكة العراق وخروج الحجاز
عنها غالباً الى بيعة من هو بمصر حدثت الطبقة الرابعة وهي العرب المخضرمون الذين هم
سكان جزيرة العرب الى الآن فانهم وان كان أكثرهم قبائل عربية النسب اصالة لكن
لغتهم قد خرجت عن اصلها وكذلك طبائعهم وعاداتهم لتقليدهم الامم المتغلبين على الدولة
التي هي أكثر نفوذاً في ممالك الاسلام فهم وان كانوا عرباً من جهة الانساب لكنهم
غير عرب من جهة اللغة والطبائع وبعض الاختلاط في الانساب ولذلك اطلق عليهم
اسم المخضرمين وقد آدانا الكلام على اجمال اوصاف الطبقات الاربعة من العرب الى
التكلم عن شيء من حالة التاريخ الجديد للحجاز لكي ينسجم تعريف تلك الطبقات على
وتيرة واحدة ثم نعود الآن الى ديدنا في التكلم على التاريخ فنقول ان انتهاء التاريخ
القديم للعرب كان بظهور الاسلام



فصل

في التاريخ الجديد للحجاز

اعلم انه ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاصة العرب وسيد الامم قد حدث
تاريخ جديد في سائر العالم لا في الحجاز فقط الذي هو مطلع نورو عليه الصلاة والسلام
وذلك العموم رسالتو صلى الله عليه وسلم فانه ولد عام الفيل الذي كانت تؤرخ به العرب
وهو العام الذي قدم فيه ملك الحبشة الاستيلاء على مكة ومعه قبيلة للعرب فولي كبيرها
على عساكرهم وانزمت الحبشة بدون حرب وكان ذلك من الارهاصات الدالة على البعثة
وذلك العام قبل الهجرة بسنة ٥٣ ويوافق ذلك سنة ٥٦٩ ميلادية وقد كان والد النبي
صلى الله عليه وسلم قد توفي قبيل ولادته فكفله جده عبد المطاب وارضعته اخواله بنو
النجار في المدينة ثم نشأ صلى الله عليه وسلم على كمال الاخلاق واشرفها سجية فطر عليها
من غير تعليم ولا تأديب حتى انه كان امياً لا يقرأ ولا يكتب على ما هو الغالب في
الامة اذ ذاك وكفله عمه ابو طالب بعد وفاة جده فلما استكملت شبوبته تعاطى التجارة

على وجه المضاربة وهي ان يكون المال لانسان والعمل على الآخر والمال الذي اتجر به كان لخديجة بنت خويلد احد اعظم قريش واغنيائها فسافر الى الشام ورجع برمح فاق على نظاره ثم تزوج السيدة خديجة وقد رغبت فيه لعلو نسبه حيث كان صفوة بني المطلب وبني هاشم سادات العرب كما تقدم ولكمال حسبه لما رأته من جزيل الارباح في تجارتها مع ما هو عليه من استجماع كافة مكارم الاخلاق ووفرة العقل والجلالة والمهابة حتى كانت قريش يدعونه الامين وينقادون لاشارتها وامرهم حتى انهم لما اختلفوا عند تجديدهم بناء الكعبة فبين الحجر الاسود وهم بالمسجد الحرام وتراضوا على تحكيم اول داخل فكان هو النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا جميعاً رضينا هو الامين ومن كمال تدبيره ارضى جميعهم في ذلك حيث اخذ ثوباً ووضع فيه الحجر الاسود ثم قال لهم لترفع كل طائفة من احدى جهاتكم فرفعوه جميعاً حتى اذا بلغوا به محله وضعوه فيه هو عليه الصلاة والسلام وهكذا عرف بين الجميع بالصدق والوفاء والزهادة عن كل نقيصة فلما بلغ الاربعين من عمره بعثه الله رسولاً بنزل الوحي عليه صلى الله عليه وسلم مع الملك واقام بعد ذلك بمكة ثلاثة عشر سنة يدعو فيها الناس للايمان بما انزل عليه من القرآن واقامة الدليل والبرهان واظهار المعجزات الخارقات للعادات من الاخبار بالمغيبات الماضية كحوادث الامم الماضية مما اختلفت فيه اخبار اهل الكتاب فجاءهم فيه بما يوافق الحق والعقل وان خالف اقوالهم جميعاً وكذلك المغيبات الحالية كالاخبار عن بيت المقدس وتوصيفها توصيف معان لها مع انه لم يرها قط الا في الاسراء الذي هو معجزة له عليه وآله الصلاة والسلام وكذلك المغيبات المستقبلية كغلب الروم من الفرس وعود الكرة لهم وانتصار المؤمنين وعزتهم وامتلاكهم مشارق الارض ومغارها مما جاء كله على نحو ما قال وهكذا اجابة دعواته وغير ذلك من المعجزات واعظم معجزة انشقاق القمر التي بينا ثبوتها القطعي في الكلام على مصر وفوق ذلك كله معجزة القرآن الذي هو من جنس كلامهم ومن النوع الذي فيه مجال تفاخرهم واعنائهم فاذا هو يومياً يقصص عليهم القصص ويقم البراهين على الايمان ويوعظ ويرغب ويرهب باساليب شتى ويدعوهم الى المعارضة باتيانهم بثله وينادي عليهم بالتعجيز مما يزيد في حماسهم في المعارضة ولم يتنوه واحد منهم بشيء حتى لجأوا الى انه سحر وغير ذلك من اعدار المعاندين العاجزين كقولهم انه تعاليم نسطور الرومي مما رده عليهم القرآن الكريم حيث قال لسان الذي يلجدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين (الآية) فقد اخطأوا واقتروا ولم يفقهوا ان مناط المعجزة هو اللسان

العربي وهو محل مناداتهم الى المعارضة وذلك لا يتأتى فيه قولهم لان لسان من زعموه عجمي وليس هو موضوع التمييز وهذا كافي في دحض اصل الدعوى من كون نسطور لم تكن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم علاقة ولا مواصلة وغاية الامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد رآه اثنان من الرهبان قبل النبوة وآمنا به حتى عدم البعض من الصحابة على قول من يرى الصحبة ثبت بالرؤية مع الايمان ولو قبل البعثة وهذان الراهبان اولها يسي بجيرا او جرجيس رآه صلى الله عليه وسلم عند اول سفرة له صلى الله عليه وسلم مع عمه ابو طالب الى الشام وهو ابن اثني عشر سنة وكان الراهب في صومعة له ينزل حولها الركبان فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ورأى بعض العلامات التي استدل عليه بها قرب من النبي صلى الله عليه وسلم وتفحص جسمه فرأى الخاتم وتعرف اخباره من رفاقه ثم تطف الى عمه حتى رجعه الى بلده خوفاً عليه من اليهود واخبر عمه ورفقاءه بما يكون له من الشأن والامر (وثاني) الراهبين هو نسطور الراهب رآه ايضاً قبل البعثة وعند سفره للتجارة الى الشام ومعه ميسرة غلام خديجة زوجته فلما رآه من الصومعة ايضاً تعرف خبره من الرفقاء واخبرهم بما يكون له من الشأن ايضاً ولا يعلم ولا يتقل عن احد لافي الثقات ولا في الموضوعات انه اجتمع بنبرها في غير ذلك الموطنين الأماروي بضعف من انه صلى الله عليه وسلم سافر وهو ابن عشرين سنة الى تجارة ايضاً بالشام وفي صحبه ابو بكر الصديق رضي الله عنه وان نسطور اجتمع به اذ ذاك ايضاً وحذره ورغبه في الرجوع عن الشام خوفاً عليه من الروم فارسل معه ابو بكر رضي الله عنه غلامه مصاحباً في الرجوع وهاتو الرواية على ما فيها من الضعف ليس فيها شيء زائد عما في الروايتين السابقتين بالنسبة لامر الراهبين فيا ليت شعري من اين افترى بعض المتشككين من الافرنج المدعين معرفة التواريخ بان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مودة مع ذلك الراهب وهو بجيرا وينصحهُ بالنصائح وقد علمت بما مرّ سابقاً ما يشترط في جالة تواريخ ذلك العصر ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم قد امرهُ الله بالهجرة الى المدينة التي قدر ان تكون هي مظهر اصلاح هذا العالم الارضي ونجاة اهلها في الآخرة وكان اذ ذاك قد فشا خبر الاسلام والبعثة فتلقاه الانصار اهل المدينة بالبيعة والطاعة واثالث عليه القبائل بالايان واستعد اذ ذاك لاجراء امر الله واحكامه على من عاندوا بعد اقامة البرهان والحجة وتم ابعده وبعده لرسوله وللمؤمنين ففتحت مكة وآمنت في اثرها جميع قبائل جزيرة العرب ولم يزل الدين ينتشر الى ان عم البسيطة في نحو نصف قرن ثم ان تاريخ

الحجاز لما كان من ذلك الوقت هو تاريخ الامة الاسلامية الى انتقال الخلافة منه في خلافة سيدنا علي ثم عودها اليه في خلافة سيدنا الحسن رضي الله عنهم جميعاً ثم خروجها منه من ابتداء خلافة سيدنا معاوية والكلام على ذلك كله مبسوط في جميع التواريخ الاسلامية فلا ثمة في ذكرنا لازيد مما ذكرناه هنا طبقاً لقاعدتنا وانما نقول ان الخلافة لما انتقلت عن الحجاز صار على كل من مكة والمدينة والى مخصوص غير ان والى مكة قد تعين من وقت الفتح واول والى بها هو عتاب بن اسيد ولى سنة ثمان عند الفتح وولي ايضاً على اقامة الموسم والحج ثم ان بني امية كانوا لا يولون على المدينة الا اقرب الناس وامنهم لديهم واستمر الامر على ذلك الى حدود سنة ٢٥١ التي استقلت فيها عائلة ساداتنا الاشراف بني الاخير وبقيت بايديهم الى ان غلب عليهم القرامطة سنة ثلاثمائة وسبعة عشر وهؤلاء القرامطة قوم ظهروا باليمن مظهرين الاسلام والتمسك بالسنة وهم اشد كفرةً ونفاقاً من المنافقين فادخلوا في الدين الدسائس ووضعوا الاحاديث وفعالوا من المناكر ما له خبر مأثور حتى استولوا على مكة والمدينة وخرّبوا الكعبة وقلعوا الحجر الاسود من موضعه الى ان رجعت بعد ذلك عمال بني العباس الذين طهر الله بايديهم الحرمين من اولئك القرامطة ثم استقل بالحرمين ايضاً السادة الاشراف بنو سلمان بن داود بن الحسن المثنى وبقي الملك بايديهم الى سنة اربعمائة واثنين وخمسين فاستقل بملك الحجاز الهواشم الذين هم العائلة المستولية الى الآن من ساداتنا الاشراف واولهم سيدنا المولى الشريف ابو هاشم محمد العلوي المستولي في السنة المذكورة والمتوفي سنة ٤٨٧ وبقيت في بنيهم الى الآن فانهم كانوا من ذلك التاريخ مستقلين بالامر والنهي والنصب والعزل وسائر الادارة الداخلية الا انهم يدلون بالبيعة ظاهراً الى الخلفاء العباسيين والسلاطين الذين تغلبوا عليهم ببغداد الى انقراض دولتهم فادلوا بالبيعة الى سلاطين مصر وانما كان الحال يخلف عندهم فتارة تنفرد مكة والمدينة بامير واحد منهم وتارة تستقل كل منها بامير الى ان فتح السلطان سليم الاول مصر واقام بها مدة فاستقبله في الطريق وهو راجع الى الاستانة الشريف المقدس ابو نبي بن الشريف بركات فبايعه نيابة عن ابيه وقلده السلطان حالاً امانة الحجاز كله بمشاركة لايه في حياته واستقلاله بعد مماته ولم نزل والله الحمد هاته العائلة الكريمة الشريفة هي الحاكمة على الحجاز الى الآن وذلك اعظم دليل على ثبوت نسبها لانها من عهد استقلالها الذي هو كبد القرن الخامس وتوفر حالة معرفة الانساب من الدولة العباسية التي لم نزل الى ذلك التاريخ لها صولة وشوكة خصوصاً فيما يعود لامر النسب الذي

يخشى منه حتى السلاطين المتغلبين عليهم لانهم يخشون من خروج الخلافة الى غير العباسيين الذين هم من شيعتهم واخضعوا الناس باسمهم ان يتلاشي امرهم بتلاشي متبوعهم فلم يقرأ لهم بالنسب ويرضوهم بالسكوت عن الحجاز الا لما يعلمون من حقيقة نسبهم وثبوتهم عند الخاص والعام وهكذا بقيت هاتمة العائلة بآرك الله لنا وللمسلمين فيها حاكمة على منبع البعثة آقر الله عيننا والمسلمين بوجودهم والقيام بسنة الحق لابائهم وجدودهم والامير الحالي هو مولانا الهام الشهم عون الرفيق ابن مولانا المقدس المبرور سيدنا محمد بن عون صلوات الله وسلامه على جددهم رسولهم وعليهم وعلى جميع آلمهم

مطلب في السياسة الداخلية للحجاز

اعلم ان مدار الادارة كلها جليلها وحقيقتها كليتها وجزئياتها قد كان سابقاً منطبة هو الامير السيد الشريف وكانت على حسب اصول المراسم الشرعية المتعارفة من قديم مثل تفويض الاحكام الشخصية الى القاضي والمفتي وانفراد الامير بالجلوس الى رفع المظالم واجراء بقية الادارة واستمر على ذلك بعد الخضوع للدولة العلية ايضاً قسمياً مديداً من الزمن حتى في امر القوة الحربية فقد كان للامير عساكر خاصون بامارتهم ليقم بهم ما تستدعيه القوة وقد بقي الى الآن شيء من ذلك حيث ان للامير نحو الحراس او العساكر الخاصة لا يبلغ عددهم المائتين وعند ما بدى للدولة العلية الاحتراس من امر الولاية مدة السلطان محمود الثاني في اواسط القرن الثالث عشر لكثرة مخالفة ولاية الاطراف على ما سيأتي بيانه في محله حصل ذلك التغيير ايضاً في الحجاز لكنه بأمرهين وهو جعل القوة العسكرية الكبرى خاصة بالدولة العلية بان ترسل هي من تحتها عساكر يقمون هناك وتزيد قوتهم ونقلها على قدر الحاجة ورئيسهم من طرف الدولة ايضاً ليس بملازم لامثال امر الامير فيما يراه من معاقبة بعض القبائل بل هو على حسب ما يظهر له في الواقعة وعند مخالفتهم في الرأي للامير يخبران الدولة معاً لتأمر بما تراه وكذلك امر العاشر ابي الكرمك في المراسي البحرية استبدت به الدولة وحدها بمأورين ترسلهم من طرفها ونشأ عن ذلك في اول الامر قلاقل ومحاربات افضت الى ابدال الامير بغيره من فروع عائلته الكريمة ولم يزل يزداد تداخل الدولة في التصرفات الداخلية الى ان جعلت والياً على الحجاز من احد كبار رجال دولتها مثل بقية ولاياتها مع بقاء سيادة الامير على منصبه واعتبار نفوذ امره

على الاطلاق ولا يخفى ما في وجود أمرين على أمور واحد في زمن واحد من الاضطراب ونشأ أيضاً عن ذلك الاحتراس ان الدولة صارت تستدعي من يلي سيادة الامير في السن من عائلته ليلقى بتخت السلطنة ويتخلق بأخلاق الدولة ويعترف بسياستها الداخلية والخارجية لأنه هو ولي عهد الامير فاذا آلت له الولاية كان عالماً بأحوال الدولة التي هو خاضع لها وثقله الدولة مدة اقامته بتخت السلطنة رتبة الوزارة والمشيرية وتجعله عضواً بمجلس شورى الدولة الذي يرجع اليه غالب التدبير في اغلب مصالح الدولة الداخلية هكذا ظاهر الحال ونعم المسلك لو يكون هو الامير والوالي بحيث تحدد له الدولة تصرفاته على نحو بقية ولايتها غير انه ينفرد بكونه ممتازاً بعدم خروج الامارة عنه وعن عائلته وبكون الادارة في امارته تجري على طبق الشريعة المطهرة مع غاية الاحتراس عن البدع التي لا داعي لشيء منها هناك لكنهم اقتصروا على خصوص الفائدة في ابقاء ولي العهد بالتخت لأرب للدولة ربما احتاجت اليها مع سيادة الامير نسأل الله التوفيق

والجاربي الآن هو ان يختص سيادة الامير بالامر والنهي والولاية والعزل في جميع قبائل الاعراب وكذلك الوظائف المتعلقة بالبيت الحرام من امامة وخطابة وغيرها الا انه ينهي الى الدولة ما يراه في كبارها لتصدر الاوامر السلطانية على حسب ما ينهيه وعلى نحو من ذلك الوظائف الدينية بخصوص مكة كالفقهاء في المذاهب ونقابة الاشراف وما شاكلها واما القاضي فانه يرسل الى مكة قاضٍ الى المدينة المنورة قاضٍ من تحت السلطنة على نحو بقية ولاياتها وكذلك بقية الولايات العرفية كلها تنصرف فيها الدولة والحاصل ان الذي استقر عليه الحال الآن هو اخنصاص الامير بأمر قبائل الاعراب ما لم يستدع الحال محاربتهم وبعض الوظائف في خصوص مكة تماماً مرجعة الديانة كأتم الصلاة في البيت الحرام من المذاهب الاربعة وهم وان كانوا اربعة الآن لكنهم لم يقع استقرارهم هكذا في زمن واحد بل كان الامر اولاً امام واحد شافعي ثم زيد ثانياً من المذهب الحنفي ثم آخر من الحنبلي ثم آخر من المالكي في ازمان متباعدة بحسب المناسبات في اتباع ذلك المذهب ونفوذهم لدى الدولة الحاكمة وهكذا الامر في ائمة المسجد النبوي على صاحبه اكل الصلاة والسلام وعلى آله فان الامام المالكي لم ينصب الا في عشرة التسعين من القرن الثالث عشر

واما بقية مدن الحجاز التي هي المدينة المنورة وجدة فاما المدينة المنورة ففيها محافظ وهو كبير العساكر وشيخ الحرم النبوي على صاحبه اكل الصلاة والسلام وقاضٍ

وكلهم يأتون من نخت السلطنة وفيها مفت وأئمة وخطباء وامين الخزانة مع وظائف أخر
صغيرة وهؤلاء المتوظفون سيما اصحاب الادارة والحكم تابون لوالي الحجاز مع بعض
امتياز لم في مخاطبتهم للدولة رأساً

واما جدّة فتوظفونها مثل متوظفي بقية مدن المملكة العثمانية ما عدا المجالس الحكيمية
القانونية لان الاحكام سيأتي بيانها وانها على خلاف بقية الممالك العثمانية اذ لا مجالس
عرفية بها فاجمال الحال ان الادارة السياسية مرجعها هو سيادة الامير مع الوالي اللذان
يرجعان جميعاً الى ما تراه الدولة العثمانية

وكليات الادارة الآن هناك ليس فيها مكوس ولاضرائب ما عدا الكمرك على الواردات
البحرية وبعض اعشار على النخيل في القبائل الخاضعة حقيقة وكل هؤلاء القبائل لا يدفعون
شيئاً الى الحكومة ولا الى الامير بل ان خضوعهم الذي ذكرناه الى سيادة الامير في
الحقيقة هو ظاهري فقط وانما يختلف الحال فيها بحسب الزمان وشدة الطغیان في الاتقياد
وعدمه وبعض الجبلية ينسبون ذلك الى ارادة بعض الامراء من العائلة الشريفة معلمين
ذلك لان بقاءهم في الامارة انما هو لاختضاعهم تلك القبائل فهم لا يريدون ان يكسروا
شوكة القبائل بالمرّة حتى تجري فيهم الاحكام مثل غيرهم ويدخلون تحت قياد المذلة اذ
ربما استغنت اذ ذاك الدولة عن الامراء الاشراف والحق ليس كذلك فان بعض هؤلاء
الامراء قد اخضعوا جميع القبائل الى الاحكام حقيقة منذ عهد ليس يبعد زمن السلطان
عبد المجيد وولاية المولى المقدس الامير الشريف عبدالله بن عون عند ما ساعدته الدولة
وعملت برأيهم وامتدته بالعساكر مثل ما اراد والباعث الحقيقي على اهلهم هو عدم مساعدة
الدولة للامراء على اخضاعهم متعللاً رجالها في الظاهر باحترام هاتيك البقاع الكريمة
ومراعاة مجاورها وسلطين آل عثمان احترامهم وتعظيمهم لشعائر الدين وتوقيره شئشنة
معروفة قديماً وحديثاً ولذلك يوافقون على مثل تلك النصيحة على انها ربما كان باطنها
غير ذلك وهو عدم استفادة اولئك الرجال من اتقياد تلك القبائل لانهم وان خضعوا
حق الخضوع فلا مساع لضرب شيء من الضرائب عليهم لا سرّاً ولا جهراً فتكون
فائدة خضوعهم راجعة لسيادة الامير وحده من نفاذ احكامه واوامره فيها فيظهر اولئك
الرجال النصيحة الى السلاطين على نحو ما قدمناه مع ان اخضاعهم واجب شرعاً لامن
السبل وحفظ الحجاج من التعدي واقبال تلك القبائل على عمران اراضيهم لانهم الآن
زيادة عن عدم دفعهم للدولة ولا للامير حتى اعشار ابلهم فهم يأخذون من الدولة

اموالاً في كل سنة بمجرد محافظتهم على امن السبل ولا يؤخذ منهم شيء من المال
 قل او جل غير انه قد كان في اواسط القرن الثالث عشر رجل من قبيلة حرب يسمى
 الشيخ سعد قد تقوى بدعائه على اتحاد جميع قبيلته وعظمت شوكته باقتياد غيرهم من
 القبائل ايضاً ولم يخضع الى الحكومة قط الا انه اذا اخذ المرتبات التي اشربنا اليها امن
 طريق الحاج الى المدينة وعند ما تسافر القوافل اليها يعد جمال كل قافلة ويأخذ على كل
 جمل نصف ريال اي اثنين فرنك ونصف ضريبة منه على اصحاب الابل وبعد موت
 وخضوع ابنه واقتياد القبائل نوعاً ما ابقت تلك الضريبة على اصحاب الابل عند ما
 يكترونها الى الحجاج وليس للدولة غير ما مر ذكره من انواع المداخل الا انواع من
 الضرائب الخفية أكثرها يستفيد افراد من المتوظفين لانفسهم مما يؤخذ على الحجاج
 بأسماء سموها كضريبة على تنظيف منى في العيد من الضحايا وغيرها مما لا يصرخ منه
 في الحقيقة الا نزر يسير في الجهات التي يذكرون الصرف لاجلها وكل المصاريف اللازمة
 لكل من الحرمين سواء كانت الوظائف الدينية او السياسية او شعائر المسجدين او اقامة
 المواسم كلها تصرفه الدولة من خزانتها وهو مقدار يبلغ نحو مليونين ونصف فرنك لان
 الاقامة بخصوص شعائر المسجدين الشريفين مبالغ في اقامتها ولا اقول على حسب
 الاستحقاق لان حقها لا يبلغ اليه ولو ببذل النفس والنفس . ومن المعلوم ان الشريعة
 المطهرة كان منبعا تلك الاماكن المكرمة وقد اجريت فيها الشريعة حق الاجراء واستقر
 الامن في سائر جزيرة العرب وكانت القبائل تؤدي الى بيت المال الاسلامي ما اوجبه
 الشرع على كل مسلم فكيف يغير ذلك الآن حتى يتجرؤوا على ابدال حرم الله بعد الامن
 بالخليفة والايان بما يسود منه الوجه يوم القيامة وتثقل به في الذنوب الصحيحة مع ان
 حملها على الاستقامة امر سهل يسير

وما اجدر هاتيك الاماكن الشريفة بالمحافظة فيها على ادارة تحافظ على السنة
 واعمال الخلفاء الراشدين الذي هو الامر الوحيد في جلب قلوب سائر المؤمنين الى الدولة
 التي تيمري ذلك فضلاً عن خصوص اهالي الحجاز ولا ريب ان ذلك يرسخ قدم الدولة
 وتستغني عن الاحتراسات الناشئة عن الدسائس في رمي بعض ذوي الامر بمعاودة
 بعض الدول الاجنبية لتطلب الخلافة او الاستقلال نسأل الله اصلاح الحال



مطلب في السياسة الخارجية

اعلم ان الحجاز مرتاح والله الحمد من امر السياسات الخارجية اذ ليس في دواخله ومدنه ما عدى جده ويتبع اجانب ولا يدخله الا المسلمون وليس لواحد الادعا بحماية احدى الدول الاجنبية وكل من دخل فهو خاضع لاحكام البلاد ولا ريب ان المسلمين يحجبون في كل عام من جميع آفاق الارض وعلى الكثير منهم استيلاء الدول الاجنبية التي يبلغ عددها في هذا الوقت الى ثلاثة عشرة دولة منها القوي ومنها الضعيف ومنها المنصف ومنها المعتسف ومع ذلك كله ليس لهم ادنى تدخل او تكلم فيما يتعلق برعاياهم المسلمين هناك والله يديم ستره الجميل نعم ان جده يوجد بها قناصل كثيرين للدول الاجنبية الذين لهم عناية او علاقة بالمشرق ولهم تجار افرنج في تلك المرسى وكذلك بعض الدول الاجنبية الذين ليس لهم هناك شيء يذكر تجد لكثير منهم قناصل يستولون تلك الوظيفة برغبة منهم للدولة الموظفة لمجرد الفخر لهم من غير داع ولا مرتب وعلى كل حال فسياسة اولئك القناصل متعلقة بالدولة العثمانية اما بواسطة واليها هناك او بواسطة سفرائهم في تحت السلطنة فالسياسة الخارجية حينئذ في خصوص جده تابعة لسياسة الدولة العثمانية التي سيأتي الكلام عليها في محله ان شاء الله تعالى

مطلب في عوائد وصفات الاهالي

اعلم ان البلدين الاكرمين سكانها الآن اغلبهم من غير العرب الاصليين فان المدينة لا يوجد بها الا العائلة الشريفة حقيقة من العرب وقد كنت رأيت رجلاً واحداً من ذرية العباسيين قيماً في ضريح عمهم سيدنا حمزة ولم يبق من الانصار هناك الا بقية عائلة واحدة وبقية سكانها كلهم من الآفاق واكثرهم مغاربة واما مكة فلا يوجد بها من العرب المحققين الا عائلة السادة الاشراف وعائلة الشيبى والبقية كلهم من الآفاق واكثرهم هنود ولا يخفى ان العوائد والصفات تغلب على السكان باعتبار اصلهم غير انه لا بد ان تحدث فيهم تغيرات تناسب حالة السكان الاصليين فأخلاق هذين البلدين على الاجمال مناسبة لآخلاق العرب غير ان اهالي مكة تعتري اخلاقهم الحدة بخلاف اهالي المدينة فانهم ليني الاخلاق كرام الطباع ويغلب على الجميع الحشمة والحياء وسلامهم بالمصاحفة او الاشارة باليد ويقفون لكل داخل ولو تكرر دخوله واهالي المدينة اشد حرية في الطباع

وعدم المذلة والتمكن في اخلاق الرجولية والجلد فيكون الخليل ويسافرون الى الحج
ركوباً على المحبين من غير تخوف. ومع ذلك الحثيث مع التمكن في معرفة الرماية والفروسية
ولكل منهم سلاح مستوفى. واما المال في فلا يلتفتون اليها ولا وجود لها كما هو الواجب
سيا في تلك الاماكن نعم قد وجد من بعض الوافدين تساهل وتجري على استعمال الخمر
وآلات السماع سريراً وكاد ان يكون من بعضهم جهراً سيما من بعض اجلاف العساكر
او المتوظفين الذين لا يخافون الله ومن المعلوم ان الفساد ملائم لطباع البشر فيسرع فيه
التقليد لكنهم مع ذلك لا يزال الامر بحمد الله مستوراً فلا تجرد المحارم متجاهراً بها ولا
ترى حانة نخار او داراً معينة للفسوق وان وجد شيء فانما يكون في بيت صاحبه في
الستر. وعلى قريب من هذا المنحى اهالي جدة. واما بقية البلدان فهم على اخلاق بقية
السكان من قبائل العرب الذين لم يبق فيهم من الاخلاق العربية التي قال فيها صلى الله
عليه وسلم (بعثت لاتم مكارم الاخلاق) الا القليل وعاد اليهم التفاضر بالنظام وهجوم القوي
على الضعيف فلا تجرد الامن مستقراً الا قليلاً الا انهم بقي فيهم حفظ الذمار وتوقير
الصغير الى الكبير فاذا جعل الرجل من بيتوتاتهم يده على ذنبيه كناية عن حفظ ذمة
المستجير به فانه يوفي بهديه ولو حمله ذلك على الحرب وهلك فيها هو وقبيلته هذا غاية ما
يمكن ان يذكر لهم من الصفات الحميدة مع اكرام الضيف واطعام الطعام. واما بقية
الاخلاق السابقة العربية فكادت ان لا يوجد منها شيء كجودة الفريجة والدهاء في
الامور ومعرفة احوال العالم فمن عجيب ما شاهدته من السذاجة في بعضهم وبله ان كان
احد الجمالين ماشياً بقرب منى في طريق المدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة
والسلام وعلى آله وهو كهل يخاطب شاباً في حساب بينهما فقال له الشاب سبعة
وعشرون مع سبع كم هو فقال له الكهل هيه فأعاد عليه السؤال فأجابه بالجواب الاول
ثم اعاد ذلك ثالثاً ايضاً فقال حينئذ الشاب هي سبعة وعشرون فقال له صاحبه هيه
ايضاً وانفصلا على ان ذلك هو الحساب وعلى ذلك فقس فلانكاد تجد من عامتهم من يصلح
للخطاب في البديهيات وانما لخواصهم بعض من الآداب التي ينقدها بها الضروريات غير
ان حفظ الحريم والبنات من صغرهن فاهم فيهم مبالغة كلية بحيث لا يمكن ان ير الرائي
امرأة ولو معتجرة وما اصبر نساءهم على الجلد في التخدر فقد كان رئيس الجمالين في
فانفتنا استصحب معه عياله من مكة الى بلد الجديدة وكان مردفاً لها على جمل له فكانت
من ساعة ظهورها الى ساعة دخولها لبيتها التي هي مدة تنيف عن ستة ايام وهي ملتجئة

بعاءة ثخينة من الصوف سوداء لا يظهر منها مقدار ظفر ولو من اصابع رجليها فضلاً عن يديها او وجهها ليلاً ونهاراً لا تفارق حوية البعير وعلى هذا النمط النسوة في المدن فلم أزل بالمدينة امرأة قط . واما مكة فكان بعض نساءها يخرجن لاداء مناسك الحج لكنهن في غاية التستر بحيث لا يظهر منهن شيء وعادتهن في الجميع ان لا يخرجن الا ليلاً مع شدة التستر بالبخار والحاف وان اضطررن للخروج نهاراً فلا يبرن بالاسواق ولا بالطرقات الكثيرة المرور وتوجد قبيلة تسكن في عوالي المدينة اي خارجها بقرب من فنائها يسمون المحاولة وهاته القبيلة اصلها من قوم قد تفرقوا في آفاق الارض وهم في كل قطر مستقلون بأنفسهم لا يداخلون احداً ولا يخالطون الناس الا في ضرورة البيع والشراء ولم في كل قطر لقب بحسب عرف اهله فيقال لهم في بلاد الترك شنكانة وفي تونس جمازية ويتبعون في كل جهة الصنائع الخسيسة مثل اصلاح اواني النحاس وفضائح الخليل وقد اتخذوا في جهة المدينة صناعة خسيسة ايضاً وتتمذهبون بذهب الشيعة على دعواهم ويستحلون نكاح المتعة فاذا قدم بعض حجاج الفرس ممن يرى مذهبهم ياوي الى يوتهم لقضاء الوطر بنكاح المتعة وامرهم في ذلك شهير وليس عليه تكبير والامر لله الذي اليه المصير

مطلب في التجارة بالحجاز

اعلم ان بلد جدة هي مرسى تجارية عظيمة لانها مركز البضائع الهندية وغيرها من البضائع في الاقطار الشرقية ومنها يرسل لبقية الممالك الاسلامية التي تجارها مسلمون وكذلك لكثير من البلاد الاورباوية كما ان البضائع الاورباوية والبضائع الغربية من بلاد المسلمين وكذلك بلاد الترك ومصر والشام يوتي بها الى هناك وترسل الى الهند وغيره من الاقطار الشرقية فبذلك كانت جدة مرسى تجارية كبرى فضلاً عما يدخل منها الى جزيرة العرب على طريق البر سواء كان للحجاز او لغيره من بقية الاقطار ومركز تجارة جزيرة العرب هي مكة المشرفة فئاتها البضائع من جدة وتوزع منها على القوافل الى سائر جهات جزيرة العرب الا ما قرب من الجزيرة الى جهات اليمن التي بها مراسي تجارية مثل الحديدية وقليل ما هي فكانت مكة حينئذ هي المعتبرة لتجارة العرب والتجار المعتبرون فيها اغلبهم هنود واما جدة فتجارها من اجناس مختلفة وفي اسواق كل من هذين البلدين تقاسم حسنة تجعل لكل

صنف من التجار جهة مخصوصة وتجارهم غنيّة جداً واما المدينة المنورة فالتجارة فيها مقصورة على اهلها غالباً فيؤتى اليها بالبضائع المحتاج اليها فيها وتباع لاهلها والقبائل تحمل البضائع على قوافلهم الى مراكز القبائل والى جهات جزيرة العرب مع الامان على البضائع التي يحملونها فالقافلة لها رئيس يكون ذا ثروة وله كفال اغنياء في الجهات التي يذهب اليها ويحمل منها فتسلم اليه البضائع والمكاتيب البريدية ويبلغها بامان الى اصحابها وان حصل ضياع لشيء منها ولو بتعدي بعض القبائل بالاغارة فكفلاؤه يؤدون لاصحاب البضائع جميع ما يضيع لهم ومن اهم انواع التجارة التجارة في المأكولات من الحبوب كالقمح والشعير وقد علمت ان البريد موكول الى هولاء القوافل التجارية فامرّه غير منتظم كما انه غير محتاج اليه في اغلب تلك الجهات غير انه يوجد بين مكة وجدة بريداً منتظماً يومياً صباحاً ومساءً يحمل على الحمير السيارة فيصل في نحو تسع ساعات كما انه يوجد في مكة مركز للتلفراف اي السلك الكهربائي ويصل الى جدة ومنها يتصل بجميع العالم كما انه يوجد بريد منتظم في كل شهر مرة بين مكة والمدينة الا ان يكون امراً مستعجلاً فيرسل مع سيار مخصوص وهذا البريد كله ما عدا اصحاب القوافل مرتب من الحكومة والمباشرين له من قبائل الاعراب الساكنون في اماكن مروره وفي كل سنة في موسم الحج تروج التجارة في مكة لان اغلب الحجاج يشترون منها البضائع التي لا تعلم في بلادهم مما على وجه التجارة فيها وهو القليل او على وجه الاهداء الى اقاربهم واحبابهم وكذلك تروج التجارة بالمدينة المنورة لان سكانها يأتهم في ذلك الوقت واردهم المالي اما من اموالهم في بلدانهم او من الهدايا التي ترسل من الآفاق او من الاوقاف والارصادات المعينة لذلك في بعض الجهات وهاتئ الجهات هي الدولة العثمانية وهي الركن في ذلك لانها ترسل في كل عام للقيام بشعائر الحرمين الشريفين ولمرتبات المجاورين واهل الوظائف ما يبلغ مقداره سنوياً نحو المائة الف ليرة اي مليونين ونصف فرنك وكذلك الحكومة المصرية ترسل كل عام احدى وعشرين الف اردب من القمح مع اموال عيناً يبلغ مقدار جميعها الى نحو العشرين الف ليرة اي نحو خمسمائة الف فرنك فضلاً عن قيامها بمدرستين كل منهما في احدى الحرمين لها اوقاف مخصوصة بمصر يرسل منها قدر كفاية القائمين هناك في كل عام وكذلك القطر التونسي يرسل من اوقافه المعينة على الحرمين الفين ليرة في كل سنة لكل حرم الف اي خمسة وعشرين الف فرنك فاهالي المدينة اذا فرقت عليهم تلك الاموال يدفعون منها ما كان عليهم من ديون ترتبت عليهم في ضروريات اشروها

نسبته ثم يشترون كفايتهم للسنة القابلة أكلاً ولبساً وان فضل شيء بعد ذلك ادخروه
لبقية السنة فلذلك يحصل في ذلك الوقت رواج للتجارة وهذا بالنسبة لغير ذوي الثروة
منهم اما هولاء فهم على نسق غيرهم من ذوي الثروة وكذلك بعض قبائل الاعراب المقيمين
بين الحرمين لهم نصيب مما ترسله الدولة والحكومة المصرية فيحصل منهم ايضاً رواج في
التجارة بما يشترونه من ضرورياتهم والحاصل ان التجارة المعتبرة مركزها هو جدة ادامها
الله بلد اسلام



مطلب في الصنائع

لا يخفى ان الصنائع شعبة من شعب التمدن فنتكاثرت . نقل على حسب ما في المكاتب
التي هي به من التمدن وحيث تطاول زمن بعد الخلافة عن الحجاز وتكاثر بعد عهدها
فيه الهرج وقل العمران وتغيرت طباع العرب السكان على حسب ما اثرنا اليه فلم يكن
الآن بالحجاز الا الصنائع الضرورية وبعض الحاجية فاما الفلاحة فكادت ان تنعدم الى
ان صار اهل الحجاز عيال في قوتهم جميعه على ما يرد اليهم من خارج بلادهم الا ما ندر
والمسافر في تلك الاقطار لا يرى من الزراعة الا تزر يسير حول بعض البلدان لا يسد
من عوز مع ان عشر ما حول المدينة وحدها قد كان في خلافة سيدنا عمر يبلغ الى
اربعمائة الف اردب من الشعير وحده فضلاً عن بقية الجهات ولو جمع الآن حاصل جميع
ما بالحجاز لما بلغ الى عشر العشار من ذلك المقدار وعلى نسبة من ذلك امر زراعة
الاشجار فانه يوجد بالطائف بساتين بها كثير من انواع الشجر الليمون والرمان والعنب
وغيرها من الفواكه المتعارفة كثيراً وغير هاتئ البلد لا يوجد بها الا بعض شجيرات من
تلك الانواع لا تستحق الذكر وان كان حول المدينة بعض من البساتين لكنها ليست
على ما ينبغي الا التنخيل فيوجد بها كثيراً كما يوجد بجهات اخرى حول المدن والقرى
وفيه انواع كثيرة جداً من انواع التمر منها الحسن للغاية ومنها دون ذلك وفيه بعض
تجارة سيما في موسم الحج لشراء الزائرين للتمر وحمله الى آفاقهم كل على قدر سعة حاله
تبركاً بذلك واما البقول فكادت ان لا يوجد منها الا النادر كالبلبل وما شاكله من
البقول المتعارفة الشهيرة وكذلك الازهار واما بقية الصنائع فيوجد منها البناية والخطاطة
والتجارة وبعض صنائع اخرى من الحاجيات كالسروج وحوايا الابل وغيرها مما يحتاج

اليه أكيداً من غير تحسين والسبب في هذا الانحطاط في كل من الفلاحة وبقية الصنائع هو اعتماد السكان اعني اغلبيهم على المرتبات والجراريات من الدولة والاقواف وتعويل الاعراب على مثل ذلك ايضاً لان الدولة جاعلة للقبائل جاريات سنوية من مال وحبوب للقوت ليقوموا بحفظ امن الطرق ومن الطبيعي ميل الانفس الى ما يرد بلا تعب فصاروا حينئذ عيالاً على تلك الواردات ونشأ عن ذلك اعساف الاعراب بقطعهم للطرق وتعديهم على قوافل الحجاج اذا تأخر عنهم ذلك المرتب او شيء منه حتى ان بعض المتوظفين الذين لهم يد في توزيع ذلك المال ربما تساهل في تنقيص شيء باولئك الاعراب من مرتباتهم فيشورون ويعثون في الارض بالفساد ونشأ عن ذلك قلة الامن في جميع الجهات حتى ان المدينة المؤثرة على صاحبها وآله افضل الصلاة والسلام كثيراً ما تبقى محصورة ويدافع عن اسوارها وابوابها من حصونها بالمدايع والطرق منقطعة عنها ونضايق اهلهما لقلة القوت والحبوب ويتناول الاعراب على ما حولها من البساتين بالتخريب والفساد فاذا كان هذا حال المدينة فما بالك بغيرها الأقرى التي هي لنفس القبائل مملاً لا يزرع حوله الأ نخيل فلذلك ضعف الامن وقل العمران وجدبت الارض مع انها صالحة للزراعة وفيها عيون كثيرة احدثها المتقدمون في عصر الخلافة وما قرب منه وقد شاهدت في كل من بلدي الصفا والجديدة عيناً غزيرة الماء عرضها ازيد من ذراع ونصف وعمقها ازيد من ثلاثة اذرع جارية في غاية العذوبة غير ان ماءها حارٌ فاذا رفع في الاواني برد وصلح للشرب وهو صالح جداً للزراعة لكنه الآن ليس عليه الأ بعض نخيلات وبقايه يسبح على الارض الى ان يغور فيها وقد ذكر في خلاصة الوفاء في اخبار دار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عيوناً وآباراً كثيرة على ذلك النحو لم يبق الآن منها منتفعاً به سوى ما ذكرناه وكذلك الغابات والآجام التي بقرب المدينة وغيرها كلها ذات اشجار مثمرة وغير مثمرة صالحة لاخذ الاخشاب للبناء وهي الآن مهملة ولا ينتفع اهالي البلدان الأ برقاب شجر النخل مملاً حولهم وبقية الخشب يؤتى به اليهم من الهند وغيره مع انه حولهم مبذول والمانع من الوصول اليه عدم الامن والجهل بكيفية القطع هذا فضلاً عن الاراضي الخصبه الوسيعة الصالحة للزراعة واما بقية النباتات فقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه حمي في وادي القرى جهة تكفي اربعين الفاً من الخليل المسبلة للرعي فيها ثم زاد بعده سيدنا عثمان ومن بعده الى اضعاف ذلك المقدار فيما اسفا على الخوف في بلاد الامن وتلك العوائد وان كان القصد منها حسنة فقد آلت الى سيئها اذ لو انقطع عنهم ذلك المدد

ومن تجرأ على السبل عوقب وأُتِمَّت الشريعة حتى القيام الليل السكان على العمران
وكفى الله المؤمنين غوائل الطغيان وما الله بغافل عما يعملون



مطلب في المعارف

من البديهي ان الذي ذكرناه في الصنائع من بهمة الرواج والكساد هو اساس ايضاً
في المعارف فالمعارف الآن بالحجاز على غاية من الخمول وما يوجد منها انما هو محصور
ومقصور على خصوص البلدان المكرمين فيوجد في كل منها بعض دروس في المسجدين
الحترمين في بعض العلوم الدينية وبعض وسائلها فيوجد من الوسائل قليل من دروس النحو
والمعاني ومن المقاصد بعض دروس في التفسير والحديث والفقهاء على اختلاف مذاهبهم وان
يكن يوجد بكل من البلدان الاكرمين عاملاً اجلة لكنهم نبغوا في اقطار أخرى ثم جاؤوا
الآن هناك إلا ما ندر من بعض الاهالي الذين تلقوا العلم هناك من العلماء الوافدين من
الاقطار على احوال خصوصية غير منتظمة ولا مفيدة للعموم وفي هاته المدة الاخيرة أنشأ
بعض الهنود ذوي التوفيق بواسطة العالم الجليل الشيخ رحمة الله مؤلف كتاب اظهار
الحق مدرسة بهكة المشرفة يقرأ بها الشيخ المذكور ومن معه من العلماء المجاورين بعض
دروس في الهيئة والجغرافيا والطب وبعض علوم اخرى رياضية وعلم التصوف ايضاً
وبما ذكرناه بلغ السكان لاسيا الاعراب الى درجة عالية في الجهل وفساد الاخلاق
غير ان لطف الله حف بها حدث منذ مدة قريبة من انتشار طريقة الشيخ السنوسي الذي
سكننا ذكرناه عند ذكرنا لرجوعي من فرانس لان هذا الشيخ كان استقر بهكة المشرفة
وأنشأ في جبل ابي قيس زاوية نشر فيها طريقته فأثبتت في قبائل اولئك الاعراب حتى
كادت ان لا توجد قبيلة الا وفيها زاوية وشيخ يرشد الى الطريق فحصل في القبائل نوع
من معرفة اصول الديانة الاسلامية والفروض العينية والمحرمات الذاتية ودب في هؤلاء
شيء من صلاح الحال وان لم يكبحهم عن التعدي على عباد الله القاصدين لاحد الحرمين
فيا اسفا على اهل المعارف وضياعها في مكان ينبوع الحكمة وظهورها ولولا وجود افراد
من اطباء الدولة الذين ترسلهم لاحد البلدين الاكرمين او البعض من الهنود العارفين
بالطب على الطريقة القديمة لكن معرفتهم لذلك عن علم وتدریس للكاتب على طريقة اخذ
العلم حقيقة فلم باع حسن في علاج الامراض ولولا هؤلاء لحرمت السكني في البلد التي

يفترض على عموم الامة تعميرها فان ابا حنيفة وغيره من الائمة يقولون بحجرة سكنى البلاد التي لا طيبب بها وكل من المدينة المنورة ومكة المشرفة يفترض حمايتها فكيف يسوغ اهلها بأمر المعارف واهلها حتى تخلو من طيبب لولا أولئك وانما قلت في اطباء الهند انهم عالمون بالطب على الطريقة العلمية احتراساً من المدجلين ممن يدعي هذا العلم مع جهله المطبق به المتكاثر ظهورهم بالبلدان التي لا تثبته حكوماتها منهم من ذلك التدجيل لانهم يضرون بجهلهم وقد شاهدت ذلك في نفس مكة عياناً حيث كنت مريضاً بابهام رجلي اليمنى حيث انقلب الظفر تدريجياً وغاص في اللحم واشتد امره حتى كاد ينمضي عن المشي وكان حصل لي مثل ذلك وانا بياريس فجيء لي بطيبب خاص بذلك النوع من الامراض وعالجني برفع الظفر بألات وكيفية في عملها لم يحصل لي منها شدة ألم وجعل تحت ظفري ورقة من الرصاص صفيقة لكيلا يفوص ثانياً وقطع الظفر الى محل التصاقه باللحم وعافاني الله بسبب ذلك فلما كنت بمكة وعاودني مثل ما وقع سابقاً وذكرت لبعض الحاضرين عندي ما كان وقع اخبرني بانه يوجد حكيم يفعل مثل ذلك فجيء به اليّ وكنت محتسماً منه لكنني رايت معه آلات للقطع وغيره كثيرة متقنة وابتدأ في العمل من غير كثرة ألم فظننت انه عن علم فلم يفعل الا قطع الظفر لكن عقبه ألم كدت معه ان لا استطيع المشي لولا لطف الله لانه اراد الزيادة في القطع بعد ذلك فامتنعت لانه ليس له من العلم شيء سوى كونه حلاقاً حجاماً تعود على فصد بعض الناس فامثال هذا ينعمون شرعاً عن مباشرة اعمالهم

ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعي المشيم

فاذا خلت البلاد عن حكام عارفين بعلم الطب يضطر الناس الى هؤلاء الدجالين والحق ان امر المعارف مع كونه واجباً في كل صقع وبلاد فهو في الحرمين اشد تاكيداً واننا لله واننا اليه راجعون



مطلب في الاحكام

قد علمت مما مر في مجت السياسة الداخلية الاصول التي تجري عليها الاحكام وحاصلها ان سيادة الشريف امير الحجاز هو مرجع الحكم في قضايا الوقائع التي تقع بين القبائل وهو ايضاً مرجع الشكايا من مظالمهم فيحذر رؤساءهم ومشايخهم بأمرهم بما يراه

وينفذ الحكم في الظالم بحسب اجتهاده هكذا الاصل ولكنهم الآن مستبدون بامورهم
كل قبيلة لا تخضع الا لشأنها ورؤسائها بما يذكر في زمن الفترة وكل يحكم باجتهاده
واستبداده ولو في القصاص في الانفس واذا تعدت قبيلة على أخرى كان الامر لمن هو
اقوى فطاعتهم الآن لسيادة الامير انما هي ظاهرة وهو وان استطاع على اخضاعهم ولو
بدون عساكر الدولة بل بمن ينضم اليه من بقية القبائل لكنه لا يقندر على تنفيذ ذلك
لما مر في احوال السياسة الداخلية كما يرجع الى سيادة الامير فصل المظالم في اهل مكة
والوالي هو الذي يجلس الى فصل المظالم فيما يقع بين السكك في مكة ايضاً فكانها
مشتركة بين الامير والوالي لكن الوالي ينفرد بسائر مظالم جدة. والمدينة المنورة يجلس
فيها المحافظ في مثل ما ذكرناه وفي كل بلد حاكم يلتب قائمقام يجري ما ذكر ايضاً في
المسائل الخفيفة والمسائل الثقيلة ترفع الى الوالي بمكة او الى سيادة الشريف الامير
والقبائل كلها مشايخها هم مرجع الحكم في سائر القضايا ثم ان كلاً من البلدين الاكرومين
بها قاض هو مرجع الحكم في كافة النوازل الشخصية يجريها بقنضى الشريعة وفي كل من
البلدين مفت حنفي يسترجعه الخصوم في احكام القاضي لكن القاضي ليس ملزوماً بتابع
فتواه بل لا يجري الا ما يراه وان كان جاهلاً والمفتي عالماً ولا يخضع القاضي الا لاوامر
باب مشيخة الاسلام في تخت السلطنة ان اقتدر الخصم الى البلوغ اليه ولا يخفى ما في
ذلك من المشقة لبعده الشقة كما يوجد في كل من البلدين الاكرومين مجنس له النظر في امر
المعاشات وقيم البيوعات وغش البائعين وخسران الكيل والميزان ويحكم في ذلك كله
بما يراه من الاجتهاد ولو بالضرب المبرح كما يوجد بهما مفات أخر على بعض المذاهب
الاخر يرجع اليهم اهالي ذلك المذهب في الاحوال الشخصية ويفتونهم بحسب مذاهبهم
وهؤلاء المفتيون كلهم يولون بأمر من الدولة العثمانية

واما بقية البلدان فجدة بها قاض يولى مثل السابقين وغيرها من البلدان يولى فيها نائب عن
القاضي يعينه قاضي مكة لاجراء الاحكام الشرعية في البلد التي هو بها وبقية الادارات
والاحكام ترجع الى القائمقام او الشيخ وهو الذي يحكم بما يريد. والحاصل ان ادارة الاحكام
بالحجاز لازالت الى الآن على شبه من النمط القديم اعني انها ليس بها مجالس للاحكام
العرفية وغيرها من القوانين الجارية بالملك العثمانية الآن ويا ليت الامر يجري حقيقة على
المنهج الذي سلكه الخلفاء الراشدون كيف وهو مكان ظهور الشريعة واقامة العدل
وتأسيس التمدن الحقيقي الصالح لاستقامة الدنيا والآخرة والامر لله وحده لارب سواه

مطلب في هيئة المساكن

المساكن بالحجاز تختلف بين حالها بالمدن وحالها بالقرى فاما المدن فالديار بها هي شبيهة بالنوع الذي ذكرناه في مصر غير انها في مكة تكثر طبقاتها حتى انها ربما بلغت الى الست طبقات كل منها مستكمل اللوازم لا يحتاج الى غيره في السكنى والطبقة الارضية لا يعتنى بها للسكنى وانما هي للمرافق وجولوس الرجال بخلاف المدينة المنورة فان دورها كل منها بها طبقة ارضية يسكن فيها في الصيف لانها ابرد من العلوية غير ان المبيت بكل منها يكون غالباً في الصيف في السطوح التي يجعل لها حرم كاف لوقاية السكان من السقوط والابنية كلها لا تخصص حيطانها الا في بعض الديار الحسنة لاهل الثروة فانها تخصص وتبيض حيطانها وتدهن سقفها التي تجعل من عيدان النخل ويجعل عليها من اسفل ألواح لاصقة منظمه ويعلق فيها ثريات . واما بقية الديار وسائر الابنية فان الحيطان يسد فيها ما بين الاحجار بطين البناء المركب من الجير والطين ثم تبيض بماه الجير والسقوف تكون من عيدان النخل مكشوفة للرأي وفوقها حصير من انواع الحلفا وفوفه التراب وليس في الحجرات بلاط ولا غيره بل الارض تكون تراباً عليها الحصير او الزرابي (الابسة) الا المدينة المنورة فان الطبقة الارضية مبلطة بأنواع من الاحجار الشبيهة بالمرمر والدرج في كل غير محسنه متعبة الا نادراً وديار مكة لاسيا المعدة للاجرة كل طبقة منها لا يوجد فيها مطبخ وانما يطبخ اهلها باحدى حجراتها بالفحم او الحطب نادراً لاحضار مياه الاغسسال في الشتاء واما في الصيف فلا يستخون الماء للاستغناء عنه ولهذا لا يوجد في كل من مكة والمدينة الا حمامان بكل منهما لان السكان يغتسلون في ديارهم غالباً وهكذا بقية البلدان ليس بها حمامات ومفروشات الديار على النحو الذي هو جارٍ بمصر وغيرها من التشبه بالمفروشات التركية والاورباوية ومن غريب صناعتهم المغاليق التي ثقفل بها الابواب فان المفاتيح نحو عود مستطيل في آخرو اسنان تدخل في ثقب في المغلاق وترفع الى فوق ويجذب المغلاق بعجلة اذ ذاك فيفتح ولا ريب انه سهل السرقة اذ ثقليد المفاتيح على ذلك النحو يسير لكن الامر الفطيع هو ان تلك المغاليق على شكل الصليب وقد رأيت على باب الحجرة النبوية مغلاقاً من تلك المغاليق وهو من ذهب نقشه من رؤيته الجلود وقد خاطبت من يقتدر على تغييره فتعلم بان ذاك لا يخطر على فكر احد من الاهالي لجهلهم الصليب وبقي الحال على ما هو والله الامر

هذا في المدن واما في بقية البلاد الاخرى فكل دار تؤلف من طبقة واحدة الأ نادراً من طبقتين وهي في الحقيقة بيوت لا ديار والفرق بين الدار والبيت ان الدار هي المسكن الذي يشتمل على جميع المرافق المحتاج اليها وابواب حجراته الى فسحة تكون في وسطها غالباً مكشوفة الى السماء واما البيت فهي التي مثل ما ذكر غير انها لا فسحة بها مكشوفة اعني الفسحة التي فيها ابواب الحجرات وهذا هو الفرق اللغوي وان كان الاستعمال يختلف بحسب الاصطلاح في البلدان فالحجاز ومصر مثلاً يطلقون على الكلل بيوت وتونس والمغرب يطلقون على الكلل ديار وهاتيك البيوت في القرى الحجازية مغلقة غالباً اذ لا يجعل لها شبائيك على الطرقات وليس بها فسحة مكشوفة فغاية الامر ان يجعل للحجرات منافذ للضوء بقرب السقوف احتراساً من كشف النساء لانهم يشددون بحجبهم كما تقدم سابقاً فتلك البيوت شبيهة بالغيران ولا تبيض بالجير الأ نادراً ما عدا سطوحها التي هي على نحو سطوح المدن من الاتقان في تخصيصها لكيلا تخترقها الامطار فتكاد هاتو القرى ان لا تبين للناظرين الأ اذا بلغوها خصوصاً التي هي في مرتعات الجبال السود فانها لا تكاد تبين والحاصل ان الابنية على العموم نسبتها للتمدن كسبة بقية الصنائع التي مر ذكرها في مطلبها غير انه يوجد في صناعة التجارة ائقان للرواشن وبعض الابواب والشبائيك على العموم اي الطواقي المظلمة على الطرقات او غيرها لا يوجد بها زجاج يمنع دخول الريح الأ نادراً في بعض الديار المترفة اهلها ومن الغريب ان ترى البيوت مفروشة بالزراي في مدة الصيف مع شدة الحر هناك فهم في الحقيقة غير مستعدين للتوقى منه الأهل المدينة فانهم معدون الطبقات السفلى لذلك فيجعلون فيها بيتاً رحيباً له جهتان يبنى ويسرى مرتعتنا الارض عن الوسط الذي به حوض للماء غالباً وسقفه مكشوف الى السماء فيجذب منه الهواء الى اسفل ويكون الماء جارياً الى ذلك الحوض ويجلس السكان باحدى الجهتين التي يجعل بها مساطب واراتك وكل تلك الطبقة مبلطة بنحو الرخام كما ذكرنا سابقاً وذلك مناسب لشدة الحر على خلاف من اهل مكة وغيرهم الذين ليس لهم مثل ذلك واما الطرقات على العموم بالبلدان وغيرها فهي طبيعية ليس بها تحسين ولا صناعة وغاية الامر انها تكنس في المدن فهي نظيفة واغلبها ضيق حتى يكاد ان لا يمشي ببعضها الأ انسان واحد مع ان اصل الشريعة على خلاف ذلك * فان سيدنا عمر رضي الله عنه لما استشير في بناء بلد للصحابة والجيوش الذي فتحه الفرس لما استوخموا ارض فارس وامرهم باختيار ارض تشبه ارض العرب فاخناروا الكوفة فامرهم ببناء بلد بها وان تكون دورها لا تتجاوز الطبقتين

وان تكون طرقها العامة كل منها ثلاثة عشر ذراعاً والطرق الخاصة سبعة اذرع عرضاً
 والبطحاء التي تكون امام المسجد ستون ذراعاً في ستمين وهذا هو الاصل الذي يستند
 اليه المذهب الحنفي في ذلك فانظر كيف كانت حالة البلدان في صدر الاسلام ويؤيد
 هذا ان بئر حا التي هي بستان كان لابي طلحة الانصاري رضي الله عنه قد كان في زمن
 النبي صلى الله عليه وسلم تجاه المسجد النبوي كما هو مذكور في صحيح البخاري رضي الله
 عنه فاین هو الآن من المسجد النبوي اذ بينها الآن ابنية وديار وطرفات واسوار وغير
 ذلك فیا اسناعلى وقوع مثل هذا التغيير المخالف للشريعة المكدر للتمدن ومصالح الناس حقيقة
 فليس توسيع الطرق وتنظيفها من تقليد الافرنج كما يدعيه الجهلاء بل هو من شريعتنا
 التي تنوسي الالتفات لمثل ذلك فيها وحيث كانت الطرق على نحو ما مر ذكره يكثر فيها
 الوحل زمن المطر غير انها تنور ليلاً من قبل الحكومة بنوانيس من التصدير والزجاج
 تعلق في الحيطان او سقوف الاسواق لان كل صناعة لها سوق يخصصها وبعض هاتو الاسواق
 بل أكثرها مسقوف بالالواح على نحو ما ذكرنا في اسواق تونس والحوانيت هيئتها ايضاً
 على ذلك النحو وليس للديار جنائين ولا بطحآت خاصة وانما ابوابها في الطريق تفتح
 الى سقائفها المختلفة كبراً وصغراً واما الطرقات خارج البلدان فهي على طبيعتها الاصلية
 واغلب الطرق بين مكة والمدينة صالحة لمشي العجلات وتمر فيها المدافع الآن وهي مثل
 العجلات وكذلك الطريق بين جدة ومكة فيا لبت شعري اي مانع لاستعمال العجلات في
 السفر هناك فاني لم أَرَ الاً عجلة واحدة لوالي الحجاز بمكة وقالوا انه ليس بها غير هاوراً بت
 بالمدينة عجلة قيل انها لركوب بعض المرضى هي اشبه شيء بعجلات حمل السلع ملقاة في
 الطريق وكان امر الامن هو الاساس

مطلب في اللبس وبقية العادات

اما اللبس الرسمي فهو كاللبس بالدولة العثمانية الذي تقدم مثله في مصر وكذلك
 لبس الرجال هو مثل لبس اهل مصر والاعيان يلبسون جبة واسعة الاكمام كملء مصر
 الا انها لها رقبة مرتفعة خصوصاً للسادة الاشراف ويجعلون على رؤوسهم كوفية مطرزة
 بالحزير على اشكال حسنة بدية تكون مكشوفة الوسط وعليها عمامة مكورة عظيمة
 يشدونها شداً محكمًا جميلًا وهي بيضاء . واما الاشراف في القبائل فيجعلون على رؤوسهم

مندبلاً من الحرير ملوئاً وعليه عوض العمامة عقال من وبر الابل مقصب بخيوط الفضة المذهبة ولكل واحد منهم مطلقاً في البلدان او القبائل خنجر يجعله في حزامه في وسطه من امام وكنها هي علامة الشرف مع لبسهم لعباءة يمانية او عراقية مقصبة بالذهب ونحوم في هذا سائر الاعيان من القبائل وبقيةهم يلبسون عباءة على قميص ويتمنقون على القميص مندبيل او غيره وكثير منهم يعلق على جنبه خنجرًا والكل يلبسون في الارجل النعال الحجازية ذات الشرطان التي تدخل بين الاصابع وتختلف جودة ورداءة على حسب ثروة اللابس وربما تدثر بعض اهل البلدان بالجائب ذات الفراء المعروفة بالكرك وليس نسائهم سراويل من نسيج الحرير او المقصب بالذهب بحيث انهن يتنافسن في صنعه على حسب الثروة والمكان والزمان للابس ومثل السراويل فيما ذكر متنان يفتح صدره ويغلق ذواكمام ضيقة لا تبلغ المرفقين وفوق الجميع نحو عباءة من المنسوجات الثمينة مشقوقة الى السرة من اعلا بلا اكمام واسعة جداً حتى انها تنطوي اصابع الكف وان كان لها ثقوب في محل الاكمام تخرج منها الايدي وعلى رؤسهن نحو المناديل من منسوجات صفيقه يحيطون اطرافها شريطاً مكعباً بخيوط الفضة او الحرير على حسب الاحوال وفي ارجلهم احذية من نوع البشامق التونسية واذا خرجن من البيوت زدن على ذلك خفياً من الجلد الاصفر مع رداء واسع جداً ذي اكمام سائر الاصابع وسمار مسدل الى السرة مثقوب جهة العينين ويايسن ايضاً المصوغ بانواعه كلها . واما الاكل فانهم يجلسون له على الارض ويوضع على الخيوان وهو مثل ما تقدم في اكل اهل مصر غير انه اكثر اداً من السن واكثر اهرة والاعراب اكثر اكلهم الارز مع العدس ولا يأكل الجميع لحم البقر الا نادراً بحيث يستعير به الاعيان في المدن وياكلون الجمل بكثرة ويبخرون الماء بالمصطكي او بعود القرنفل ثم يجعلونه في اواني ويضعونها في بحر الريح لاكتساب البرودة

واما المواكب فأعظمها موكب الحج وقد تقدم الكلام عليه . ولاهل مكة موكب يسمى الرجبية يسافر به ذوو اليسر الى زيارة النبي عليه وعلى آله اكل الصلاة وازكي السلام ويحصل من ذلك في المدينة المنورة موكب حافل في رجب وكثرة اسراف اهل مكة في حجهم والتباهي بينهم فيما يفعلونه فيه يضطر بعضهم الى تأخير فرضه الى ان يبلغ سن الشيخوخة خشية المعرة من كونه لم يفعل تلك العادات الاسراية في الرحل والمركب والحيام والمأكل واما الاعراس فهي اقرب عندهم الى الطريقة المشروعة.

من جهة عدم وجود المغنيات جهرة والملاهي الآ الدفوف وشي من غيرها مع حفظ
 التستر في النساء ولاهل المدينة عادة وهي ان الرجل اذا تزوج بيكر ودخل بها فلا يخرج
 من بيته اسبوعاً تاماً الا انه يجتمع باحبابه في بيته وان خرج يوماً ولو للصلاة استاء اهل
 المرأة لان ذلك دليل على انها غير مستحسنة عند زوجها واما الثيب فلا يعتبرون ذلك
 فيها . واما المآثم فهي على الوجه المشروع من أكثر وجوهها فلا عياط ولا زياط ولا
 قراءة بالطرفات ولا ولائم من صاحب المآثم وانما يفعلون في ذلك ما هو المشروع في
 السنة اجرى الله احوالنا واحوالهم جميعاً على الوجوه المشروعة

مطلب في اللغة

لا يخفى ان الحجاز هو ميدان بلاغة العرب ومجال تسابق فرسان الكلام لكن ذلك
 كله قد انعكس على ضده فلا تكاد تجد متكلماً باللغة العربية المعربة حيث دخلت العبارات
 العجمية بين القوم منذ تغلب الاعجام على الدولة الاسلامية لان الناس على مذهب امرائهم
 فيقلدون الغالب والقوي حتى في نختهم وكلامهم وما كفى ذلك في ادخال المفردات الاعجمية
 حتى سرى الامر الى اللحن في الاعراب كما هو مقرر من قديم حيث ذكروا في سبب وضع
 علم النحو سماع سيدنا علي عليه السلام للحن في الكلام فاشار بوضع ذلك العلم ومن
 البديهي ان الامر يتفاقم بطول المدة وشدة الاسباب ففي ذلك الوقت لم يكن الا اختلاط
 الامة باسم اخرى ثم ازداد بعد ذلك يتمكن الاعاجم من الدولة ففسدت اللغة في الحجاز
 فساداً كلياً حتى لم يبق من يكتب كتابه مستقيمة في الاعراب والالفاظ الا

النادر من هم اهل علم وربما اضطروا الى كتابة كثير من

المفردات الاعجمية لشهرتها وتعارفها وهجران ما يراد بها

من اصل العربية وسبحان مقلب

الاحوال وهو لا يتغير

ولا يزال

الباب العاشر

في المملكة العثمانية

(تنبية) * لما كانت هاتمة المملكة ليست كسائر الممالك التي مرّ الكلام عليها لا من جهة الذات ولا من جهة المعنى اما الذات فانها مركبة من ممالك شتى كانت كل واحدة منها مستقلة بنفسها ولا يزال كل منها له صفات خاصة من جهة جغرافيته وجنسية اهله وعوائدهم واخلاقهم وغير ذلك فيمتنع الكلام عليهم كلهم من هاتيك الجهات بصفة واحدة وان تكلمنا على كل واحدة منها بانفرادها ربما عدل الكلام فيها جميع ما تقدم وما يأتي في الممالك التي شاهدناها ولذلك راينا ان نتكلم عليها من الحيثية التي يدل عليها اسمها وهو كونها مملكة عثمانية اذ ليس هناك قطعة من الارض تسمى في الاصل بهذا الاسم وانما لكل منها باعتبار ذاته اسم خاص والجامع بينها في هاتمة التسمية انما هو كونها تحت سلطة دولة سلطانها من هاتمة العائلة وهي العثمانية اي المنسوبة الى عثمان الذي هو اول من تسلطن من العائلة وبقيت في ذريته الى الآن هذا من جهة الذات واما الحامل على مخالفة ما سبق في مثلها من جهة المعنى فلصعوبة الامر او تعسره لان قول الحق صعب والكذب حرام ونحن وان كنا في هذا القطر السعيد بآمنه في ظل خديونا المعظم التوفيق لا زال قرة لاعين اهل الاسلام ولكل سكانه من الامن والحريّة ما يسبغ له ان يقول الحق ولا يجشئ لومة لائم غير ان بعض مقتضيات الحال تستدعي الاقتصار في المقال فلا مخلص في الكلام على هاتمة المملكة العثمانية الا الاقتصار على الاجمال على حسب ما تسيغه الاحوال الى ان يبسر الله بفضله افراد هاتمة المملكة بتأليف خاص يحوي على التفاصيل في الحقير والجليل ورحمته تعالى قريبة لا يعزب عن امره شيء وهو على كل شيء قدير



فصل في سفري اليها

قد تقدّم انّا ركبنا من مرسى ينبع في رجوعنا من الحج وقد كان ركوبنا في باخرة متساوية من اجمل البواخر البريدية السيارة بين الهند واوربا فاجازت بجدة وحملت منها ذلك الطود الشهير ذا النسب الخطير والحسب المنير السيد سلمان القادري حفيد قطب الاقطاب الاكبر مولانا سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنهم وهو نقيب اشرف

بغداد ايضاً واكبر عائلته وكان حاجباً في ذلك العام فمن الله تعالى عليّ برفقته عند ما اجنازت الباخرة بمرسى ينبع وركب في الباخرة ايضاً بعض من الحجاج الترك العثمانيين والروسيين غير انه لم يركب في الطبقة الاولى سوى السيد وبرفقته اخوه السيد احمد وابن عمه السيد عبد القادر وجوار له وبعض من الخدمة القائمين بين يديه لانه ابقاه الله قد اتخذ في الحجرة الكبرى في الباخرة احدى زواياها واختص بها وفرش بها فرشاً عربيّة وكانت خدمته هم القائمون بشؤونيه وزيادة عما يبائس خدم الباخرة مثل كونه يأكل منفرداً هو ومن معه على مائدته الخاصة في الارض من خصوص طعامه الذي يطبخه له طبخه الخاص غير انه من مكارم اخلاقه كان يجرى للاكل وقت اكل الرفقاء بحيث كفاً تتخاطب وكل منا على مائدته حتى على الطعام الذي بين يدي كل منا اذ كنت اجلس مع بقية ركاب الطبقة الاولى انا وتابعي في ذلك الايوان للطور والعشاء وسارت بنا الباخرة ثلاثة ايام فوصلنا جبل الطور ووقفنا هناك مدة الحمية وهي يومان وانزل كل من كان بالباخرة الا اصحاب الطبقة الاولى ومن انزل ابقى رحله في الباخرة الا القدر الذي يجناجون اليه واخبرونا عند صعودهم انه لم تحصل لهم مشقة لقلة الازدحام وكان من هولاء الترك رجل من اهل بوسنه يعرف قليلاً من العربي حصلت بيني وبينه مودة حتى استأذنت عليه رئيس الباخرة وأذن له في الجلوس معي بايوان الطبقة الاولى وهو جميل الاخلاق له بعض مشاركة في النحو والفقه وقد ترجم يوماً بيني وبين احد الترك الروسيين من اهل ولاية قازان وان كان تفهمه منه عسر جداً لان لغته مخالفة للغة التركيّة العثمانيّة وله بعض اطلاع على العربيّة من جهة كونه قرأ بضاعة مزجاة في الفقه فسألته عن حالة المسلمين اهل بلده من جهة الاحكام الروسيّة فكان مأل كلامه ان الروسيّة لازالت محترمة لهم في احوالهم الشخصية ولا يتداخلون فيما شجر بينهم اذ مرجعهم في ذلك الى حكام منهم وكان هذا خاص باهل تلك الولاية التي صارت مع الروسيّة على توافق لطول عهد استيلائها عليهم ومحافظتهم على الشروط التي خضعوا بها اليها لان الروسيّة مجرية في الولايات التي استولت عليها في الحرب الاخيرة مع الدولة العثمانيّة ما هو جارٍ في بقية ولاياتها والزمّت جميع السكان من مسلمين وغيرهم بان يكون التعليم بلغتها فقط لان اللغة هي التي توحد الجنسيّة فاذا تنوسيت لغتهم صاروا روسيين حتى في الجنسيّة ثم انا وصلنا الى خليج السويس الموصل بين البحر الابيض والبحر الاحمر وهو احدى ماثر هذا القرن لان السفن صارت تصل من شطوط المغرب في افريقيا الى

شطوط الصين والهند في ايام قليلة لا تتجاوز الشهر الى ابعدها بعد ان كانت يلزمها عدة اشهر لانها كانت يلزمها الخروج من خليج طارق ثم تحيط بجميع قارة افريقية بالبحر المحيط ثم بحر الهند فلمعري انها لما اثره مفيدة للتجارة على العموم وان كانت فيها مضرّات سياسية بالنسبة لكثير من المسلمين وقد روي ان عمرو بن العاص استأذن سيدنا عمر بعد فتح مصر ليفتح خليجاً موصلاً ما بين البحرين ولعله بهذا المكان الذي هو عليه الآن لانه اصاح الاماكن لذلك حيث كانت بالوسط بحيرات عميقة مغنية عن حفر خليج فيها . ثم ان سيدنا عمر سأله عن هذا الخليج الذي يراد فتحه هل يحصل به فصل بين ارض جزيرة العرب ومصر فاجابه بنعم فقال لا افضل بين ارض المسلمين بالبحر . ويقال ان سيدنا علي رضي الله عنه قال للخليفة عند ما استشار كبار الصحابة في ذلك انه اذا تمّ ذلك الخليج نصير سفن الروم تضرب الى جده وغيرها من مراسي بلاد العرب وليس للمسلمين سفن تعارضهم فيسهل عليهم غزو بلاد الاسلام ولذلك كتب سيدنا عمر رضي الله عنهم اجمعين الى عامله عمرو بن العاص بان يضرب عن ذلك صفحاً ويمكن ان يكون الخليج في اصله موجوداً في العهد القديم . ثم ان الرمال تراكت في احدى جهاتها على ما سيأتي ذكره فسدت البحر وامتدّ عرضها الى ان صارت الارض واحدة ما عدا البحيرات التي في الوسط على سمة واحد التي ربما دلت على اتصال البحر سابقاً . ويدل على هذا ان بعض المفسرين روى في تفسير قوله تعالى "حتى اذا بلغا مجمع البحرين" في قصة موسى والخضر عليها السلام ان بعض المؤرخين يقول ان المراد بالبحرين هما بحر فارس والروم اما بحر الروم فهو معلوم واما بحر فارس المعروف الآن فيستحيل ان يتصل ببحر الروم الذي هو البحر الابيض خصوصاً في هذا الزمن القليل نسبياً من زمن موسى عليه السلام الى ما قبل البعثة المعروف فيه حالة الارض على ما هي عليه الآن فلا يصح ذلك الكلام الا اذا كان البحر الاحمر يطلق عليه بحر فارس سابقاً لانه متصل به وقريب منه جداً لانهما ياتقيان الآن في جزيرة العرب اي شطوطها الجنوبية فلا يبعد ان يكون الاسم يطلق سابقاً على الجميع سواء . واتصال البحر الاحمر ببحر الروم سهل جداً لما هو بيانه ولما هو مشاهد بالفعل حيث اتصال في هذا الزمن وسبب هذا الاتصال هو ان رجلاً فرنسائياً يقال له فردنان دي لپسبس له مهارة في الهندسة وهو من مشاهير قومه بدى له يوماً امكان اتصال البحرين بهذا الخليج واعانته على مرغوبه دولته لما رب سياسية في قرب الاتصال بالهند لعله يمكن لها

يوماً ما اخذ الثار من الانكليز على نحو ما سبق في تاريخ الدولتين فساعفهم على قصدهم والي مصر اذ ذاك سعيد باشا ابن مُحَمَّد علي باشا وكان الانكليز من اشد المعارضين في ذلك سرّاً وكان الافدار تقول لهم (وعسى ان تكرر هوا شيئاً وهو خير لكم) فانهم حصلوا فيه على اكبر فائدة اذ صارت سفنهم هي اكثر السفن المارة به مع تخصيصهم على مآرب اخرى سياسية كتدخلهم في القطر المصري وغير ذلك زيادة عن كونهم صاروا هم المالكين للقسط الاوفر منه ومخلصين على ارباحه الباهرة وذلك لان فردنان دي ليسبش ألف جمعية لذلك العمل وجعلت هاتيه الجمعية التي هو رئيسها رأس مال لمصاريف العمل وجعلته على اوراق ذات أسهم تباع وتشتري لكل من اراد وكان للحكومة المصرية من تلك الاوراق ما مقدار قيمته نحو المائة مليون فرنك وآل الامر بعد ذلك الى بيع اسماعيل باشا خديو مصر لاسهم حكومته فاشترتها الدولة الانكليزية تماماً زيادة عما اشترته سابقاً ولاحقاً من الاسم اذ اذا صار دخل هاتيك السهام يوازي اصل قيمتها حتى صارت كل رقعة منها اصل سعرها خمسمائة فرنك تباع الآن بالفين وثلاثمائة فرنك او نحو ذلك لان تلك الجمعية شرعت في العمل وتمتمه بمجر خليج من البحر الاحمر بمحاذات مرسي السويس واوصلته بالبحيرة الاولى ثم حفرت خليجاً بين هاتيه البحيرة والبحيرة الثانية الى ان وصلت الى البحر الابيض وعند ما تم عملها عقد اسماعيل باشا خديو مصر لفتح هذا العمل الغريب موكباً مشهوداً جعل به القطر المصري كأنه دار عرس واستدعي اليه ملوك اورباً كلهم لمشاهدة مرور اول باخرة تمر في ذلك الخليج وكذلك اعيان غيرهم من الاوربأوبين وكل من قدم منهم فصار ينفق مدة اقامته بالقطر المصري على الحكومة المصرية ولهم ان يتفرجوا حيث شاؤوا وقد ساح بعضهم حتى الى السودان مع القيام بكل منهم على حسب مقامه اعظم قيام ووفد عليه من ملوك اوربا العظام امبراطور النمسا و امبراطورة الفرنسيس اي زوجة الامبراطور وولي عهد كل من انكلترا والروسيا وبروسيا فضلاً عن بقية الملوك المتوسطين والصغار وصرفت في ذلك كله من الحكومة المصرية اموال تكاد ان لا تحصى تعاظمت بها ديونها وذلك كله لمآرب سياسية لم ينجح منها المقصود ونشأ عنها وحشة مع الدولة العثمانية آلت الى الرضاء بعد صرف اموال باهظة ثم استقر عمل جمعية الخليج على اقامة فعلاء ومراقبين على محافظة الخليج ويستخلص على كل سفينة تمر فيه مقدار معلوم من الاموال على حسب حمولتها ونوعها حرية او تجارية وفي رأس كل سنة تقسم الارباح على اصحاب الاسهم بعد

اخراج المصاريف المستمرة لان الخليج من جهة السويس لم تزل الرمال تثال عليه منذ فتحه الى الآن لولا شدة العمل في رفع تلك الرمال ليلاً ونهاراً على مسافة طويلة تزيد عن العشرة اميال ومع ذلك كله فقد شاهدت في الباخرة التي اجتزنا فيها ان سيرها كان بطيئاً جداً هناك وكذلك غيرها احتراساً من الغرز في الرمل مع كثرة العلامات المجهولة في المياه لمحل المرور ومع ذلك كله قد اصطدمت الباخرة في الرمل عدة مرار حتى اني خلت انه عمل لا يدوم لشدة التعب الذي شاهدته من العملة في جلبهم للسفن والبواخر المصطدمة في الرمال حتى كانها تجر بالايدي مع كثرة ومداومة العمل بالآلات الرافعة للرمال ومع ذلك كله لا تجناز فيه الأ سفينة واحدة وفيه اماكن لوقوف السفن اذا كانت تعارضها سفينة اخرى اي احداها غادية والاخرى رائحة فتلك الاماكن وسبعة قمر بها السفينتان ولذلك يجعلون علامات على اعمدة مرتفعة في البر يميناً وشمالاً ليدرك منها رئيس الباخرة ما يأمره به محافظو الخليج من الوقوف او المشي السريع او البطيء او غير ذلك ولذلك رأيت رئيس باخرتنا قد اخرج كتاباً فيه تلك العلامات وشرح المراد منها ليعمل بمقتضاها عند دخوله الى الخليج وبسبب ذلك كانت السفن لا تتحرك فيه ليلاً في ناربخ موررنا وقد وقفنا مرة لمعارضة باخرة انكليزية حربية ذاهبة الى الهدد حاملة للعساكر فلما مرت بنا خيل الينا انا راكبون في زورق مع انا راكبون في اعظم البواخر البريدية لكن عظم تلك الباخرة الحربية التي هي من نوع الفرقطين خيل الينا ذلك فانها كانت ذات ثلاث طبقات من المدافع وحاملة لاربعة آلاف وخمسمائة عسكرياً وكثير منهم معهم عيالهم وكانوا على همجية فانهم لما رأونا صاروا يصرخون ويضحكون ثم وصلنا الى مرسى الاسماعيلية التي هي بوسط الخليج وبقرها ينصب جسر يصل بين اسيا وافريقيا ولا ينصب الأ عند وجود المارين ويدفعون عليه خراجاً للحكومة المصرية وبننا بالخليج ليلتين وفي صبيحة اليوم الثالث وصلنا الى بورت سعيد ووقفنا بضع ساعات وكان عمال الحكومة المصرية حارسون لباخرتنا لكيلا ينزل منها احد لانهم رسموا في ذلك التاريخ بان لا يدخل الى القطر المصري حاج الأ من هو من اهله لانه كان كثير من المغاربة يدخلونه وهم فقراء فربما حملوا الالهالي والحكومة مصاريف لرجوعهم الى اوطانهم ولذلك اعلنوا بذلك للتجوير ثم قلنا من هناك الى ان وصلنا الى مرسى بيروت اعظم مراسي ولاية الشام المعروفة بسورية فطلب مديرو جمعية تلك الباخرة من الركاب ان ينزل منهم الى تلك البلدة كل من كان قاصداً القسطنطينية وما حولها واما القاصدون بوسنه وهرسك وغيرها ممن تكون لهم

مرسى تويست طريقاً فانهم يبقون في الباخرة لانها فاصدة هناك توّاً والذين ينزلون وكانت الباخرة تعهدت لهم بالوصول الى القسطنطينية وما حولها فانهم ينتظرون هناك الى ان تأتيمهم بعد خمسة ايام باخرة اخرى لجمعية الباخرة الاولى وتحملهم الى مقاصدهم وكل من اراد من هولاء اخذ مصاريفه مدة انتظاره فله ذلك يدفعها اليه القيمين بامر شركة تلك البواخر البريدية النمساوية المسماة بشركة لويدي وقد اخذ منهم بالفعل كثير ممن نزل لكن بعد مشقة لعدم التفاهم حيث كان اغلبهم من الترك الروسيين الذين قل من يعرف لغتهم ولاستشاطة بعضهم في مقدار المصاريف التي طلبها مع ان اللجنة مقومة لاهل كل طبقة مقداراً عن كل يوم لم اعلم ما هو لاني صرفت النظر عنه حيث كان النزول هناك من اعظم مرغوباتي لمزيد الناس بذلك السيد الجليل القادري وللتعرف بتلك البلاد

فزلت هناك وكانت المرسى صعبة جداً لبعدها ارساء الباخرة عن الشط وركوبنا في زوارق مع هيجان البحر وبعد ان خلاصنا رحلنا من الكرك الذي لم نر من اهله الا خيراً دخلنا الى البلاد راجلين لقرمها وعدم وجود ما يركب حول الكرك فدلني رجل من المتشبهين بخدمة المسافرين على منزل للمسافرين قريب من جهة طريقنا كاشف على البحر فاذا هو منزل للاحد الافرنج مثل منازل اوربا المتوسطة الحسن واخذت به بيتاً واسعة ذات حجرة للنوم والصناديق وحجرة للجلوس واغتسلت في حمامه وبتنا تلك الليلة والاكل فيه حسن ومن غدرعنا في زيارة بعض اعيان البلاد والتفرج على منازلها ومنافعها فاذا هي بلد جميلة الوضع في سبع جبل مطلة على البحر وحولها كثير رمل وجبل لبنان بحيث ان حدوده منها على نحو ربع ساعة مجعول له علامات وله ادارة ممتازة كما سيأتي في محله واليه يسكن في الشتاء في بيروت وهو اذ ذاك رستم باشا وقد رايناه يوماً راجعاً من الجبل الى داره متخذاً ابهة فاخرة في عجلة يجرها ثلاثة من الخيل العتاق وامامه فارس ووراءه اربعة من المساكر الخيالة مسلحين وبنديقية كل منهم حاملها في وجهه وهذا الباشا هو شيخ مسن اصله طلياني خدم الدولة العلية بنصح وشاخ في خدمتها وسمعت النناء عليه في تلك البلاد وغيرها من مساهين وغيرهم غيور على الدولة محافظ على ناموسها ومصالحها ومن غريب ما سمعته عنه انه كان مرة يتفقد في جهات ولايتي على ذلك الجبل فصادف انه يتفقد الجهة الغربية من طرابلس الشام ويصل الى تلك الجهة آخر النهار وليس بقربه مكان صالح للعبت الا بلد طرابلس فارسل من صباح اليوم الى متصرفها اي حاكمها يعلمه بانه بيت ضيفه وكان الوقت رمضان فعرضه آخر النهار ذلك المتصرف وعلماه البلد

ووجهها ثم دخلوا جميعاً الى دار المتصرف وجلسوا في ابوابها كلهم فدخل الخليفة
 باطباق المشروبات المبردة والجلويات وكان الغروب لم يقع وكان هو ايسر رستم باشا لا
 زال على دين نصرانته لكنه لما رأى تلك الاطباق داخلة وعلماه البلد ووجهها جالسون
 اكفهر وجهه وقال للمتصرف ما هذا فاجابه بانه مشروبات مبردة فقال الباشا اليس هذا
 رمضان فتسبم المتصرف وقال تملقاً من غير ان يريد اظهار قصد مخالفة الدين نعم هو
 رمضان ولكن جنابكم مسافر وانا ايضاً مثلكم وها انا ابتدئ بذلك واخذ الكاس وشرب
 فاشتد حنق الباشا عليه وخطبه بشدة بما معناه انك ان كنت لم تراعي ديانتك فانا يجب
 علي ان اراعي دولتي ووظيفتي لاني متوظف ووزير خليفة المسلمين وهذا المقام انما جاءني
 منه وهاتر البلاد بلاد مسلمين وهو لاء الجمع مسلمون جاؤني لاجل وظيفتي فبني نصرانياً
 فاني اذب على الشعائر الاسلامية التي صرت بها انا من انا واقتدر بها على احقارك وطردك
 ايضاً من هنا فاخرج حالاً حيث لم تراعي سلطانك وامامك الذي هو خليفة المسلمين ولا
 اهل البلاد التي انت عليها ولا انا الذي تعدني ضيفاً فخرخ المتصرف من المجلس وشكر
 الحاضرون كلهم عمل ذلك الباشا فقال لهم ما فعلت هذا لاشكر وانما هي واجباتي اديتها
 ولعمري ان مثل هذا الرجل يحق ان يستخدم ويا ليت متوظفي الدولة كلهم على نمط
 كثير الله من المخلصين الناصحين امثاله ووفقه لسعادة الدارين . وحاصل وصف هاتر
 البلد هي انها بلد جميلة المنظر لان ديارها محسنة المحيطان من خارج وحسن أكثر طرقها غير
 ان بجاني الطريق مجاري للمياه على عمق شبر مكشوفة ربما اضرت بالمارين والبناء طينة
 مخلط بالجير فهو حسن المنظر ويقرب شكل الديار من ديار تونس غير انهم يجهلون
 لبعض الديار ذات الطبقات درجاً مكشوفة في البطحات الخاصة بالديار وجمل في
 البلد طريق للجمالات وهذا الطريق واصل الى دمشق الشام جعلته جمعية افرنجية منتظم
 السير في اوقات معلومة وكراء معين وتغير الخليل في مراكز معينة ليلاً ونهاراً وكنت
 اردت الذهاب فيه الى دمشق لكن قصر الوقت مع تعطل السير في الطريق لكثرة
 الثلوج منعي من ذلك

واعظم جوامع البلد الجامع المنسوب لسيدنا يحيى عليه السلام وهو جامع واسع
 نظيف وكذلك بقية جوامعها نظيفة وحماماتها جميلة نظيفة جداً متقنة التحسين بأنواع
 المرمر وفوارات المياه وبها اسواق جميلة وان كانت صغيرة على نسبة البلاد لان البلد
 الاصلية صغيرة وكثر حولها البناء المتقن على اشكال شتى منها قصر بديع صالح للملوك

وحوله بستان مؤنق غاية التأنيق فيه من المرمر في البناء والرخام وأنواع المفروشات
الديعة والأشجار ونقاسيم الماشي وهو لآحد الأهالي النصارى ذوي الثروة الكبيرة التي
حصلت له من بعض خدمات له عند خديو مصر السابق ثم استحصل على ان يكون
قنصلاً للروسيا في بلده وتوجد بيوت اخرى حسنة تقرب من ذلك كما توجد مدارس عليّة
اسمها القسوس من البورتيسانت الاميريكاينين ومن الجزويت الفرنساويين وقد اثرت
هاته المدارس تأثيراً واسعاً في المعارف هناك فتقدمت النصارى سكان بيوت في
التحصيل على معارف جيدة من اللغة العربيّة نحواً ولغة وانشاء وفي معرفة بعض اللغات
الاجنبية واغلب مبادي الفنون الرياضية حتى صاروا متاهلين للتقدم وتقلد الوظائف في
بلادهم وغيرها ويحصلون ذلك في مدة قليلة لسهولة التعليم بالكتب التي اخترع بعضها
نفس الاهالي وغيرها غير ان انشاءهم بالعربية يكون غالباً على غير اللهجة الفصيحة
والاسلوب العربي الفصح لان غالب التلامذة يولعون باللغات الاجنبية فينسخون كتاباتهم
العربية على منوال تلك اللغات فيصير السبك اعجمياً في قوالب عربية يجها من ذاق طعم
البلاغة ودونك ما كت رايته من رسالة لآحد برعاه ذلك الوطن وهو البارع المتفان
رشيد الدحاح كتب بها في ذلك المعنى نص يحل الحاجة منها بعد ان ذكر ما طرأ على اللغة
العربية الشريفة وما حصل لها من التغيير بالاساليب الاعجمية الى ان قال " وكذلك لآجل
تقريب الفرنسيين المسلمين يجب ترويج لسان العرب باللغة الفرنسية حتى يصير لباساً له
ويصير لباساً لها فيبدأ بتبديل الاسماء فيجعل اسم المعلم ميخائيل ميشال افندي ويبدل
مرم بباريا واذا كتب رسالة قلب رجلاً على قدم. وتناول ريشة عوض القلم. وقال اخذت
الحرية لاكتب لكم اعندي الشرف ان اخبركم اني قبلت رسالتكم المكرمة وبالطبع صرت
ممنوناً لما تضمنته من الاحساسات الودية. والشعائر الوطنية. ورايتها ملهومة من روح
الصداقة. وراغبة في دوام العلاقة. واخذت الاحتياطات اللازمة لادخالها في اعمدة
الجرائد ليس فقط لآجل مسرتكم بل بالسبب الاقوى لآجل مصلحتنا ولكن من سوء
البحث مراعاة الظروف توجبنا على نوع ما ان نلتخذ التمهّل بالعمل الى فرصة وفوق كل
شيء لآنة الآن حاصل هنا افكار واستعدادات حرية واما عاملو الاقارب فبالضد ومع
الاعتبار يقدم لكم الشكر ويهدي لكم السلام بحكم فلان وقس على ذلك الف داهية. من
التعبيرات الواهية. التي هي بالمقت حرية والتي في اعجميتها سرف. كعندي الشرف. وما هو
احط من السفالة. كقبول الرسالة. وآلم من الصنع. كطبيعياً وبالطبع. وامر من ريب

المنون. كالممنون. واسمج من الخسائر. كهذا الاستعمال للروح والافكار والتقدم والاستعدادات والاحساسات والشعائر. الى ان قال " اما تشبثهم بمادة اخذ فداءه واصفرو موت احمر ولو حرمت عليهم اليوم هذه المادة لكسروا الافلام وعجزوا عن الكلام فتراهم يعبرون بها عن كل الافعال العربية فيقولون انخذ الباشا مادبة للقنصل واتخذ الملاطفة لهم واتخذوا الدعاء للدولة الى ان قال فيا للخسارة والاسف. على مرض اللغة واشرافها على التلف. فوآيم الله انه لصدع لا يلتئم. وجرح لا يلتئم " الى آخر ما اطال به في تلك الرسالة المنشورة في جرائد عديدة عربية ومنها العدد ٩٥ من مرآة الشرق وهذا الكاتب وان كان من اهل لبنان البارعين في العربية والفرنساوية لاقامته بفرنسا وصورته من اغنيائها لكنه استفاد من ذلك التعليم لان هذا التعليم شمل اهل لبنان ايضا بفوائده والحق يقال ان فوائده جليلة لحسن التعليم وان اثر بعض تأثيرات سياسية في جلب طباع سهل الطبيعة الى حب جنسية المعلمين لكنه من حيث التعليم له مزية معتبرة تقدم بها النصارى هناك على المسلمين حتى تفتن في المدة الاخيرة بعض المسلمين النيويرين لهذا المدرك ووجدوا واليا يمد اليهم يد المساعدة وهو مدحت باشا فعقد لهم جمعية تسمى جمعية المقاصد الخيرية ومكفها من الاوقاف التي في البلد وكانت استولت عليها ايدي الاغنياب والمنافع الشخصية فاستعانوا بها مع ما يوزعونه على اهل البلد من كل ذي حمية وعلى اباء التلامذة والنشأوا بذلك مدارس على نحو النوع السابق ذكره وكت دخلت الى كلاً القسامين فرايت من تلامذتها ما يسر القلب ولعمري انها لأثرة جليلة تحق ان تذكر * وهذا الرجل وهو مدحت باشا هكذا دأبه في كل ولاية ولها لا بد ان يترك فيها مأثرة تذكر وان اعترى كثيراً منها بعده بعض الخلل الا انها لا تزال قائمة لما فيها من المصلحة المشاهدة وهو في الحقيقة من افراد رجال الدولة الذين يشتمل عليهم تاريخها نصحاً وتديباً وعملاً وعمله أكثر من قوله بحيث لا يجد القادح فيه قولاً لولا عجلة فيه كأنه حمله عليها مداومة ما يشاهده في وظائفه من التأنيات والتسويف الذي يستعمله الرؤساء في وظائف الدولة حتى صار لهم طبيعة والوقت لديهم ليس له اعتبار فاداه ذلك الى انتهازه للفرص التي يجدها لاجرائم المصالح فعلا وجرأه ذلك لما اوقعه اخيراً فيما اداه الى الوقوع في حنقه رحمة الله عليه رحمة واسعة. وقد حصل من تلك الجمعية فائدة لا تنكر في المعارف لاهل تلك البلاد وهي وان تأسست في جميع البلاد الشامية لكنها كانت في بيروت اشد تقدماً في المعارف حتى صارت هي اول البلاد الشامية في المعارف على العموم وان كان لدمشق

مزيد التقدم في الفنون الشرعية ثم ان اهالي بيروت وان كانوا قسمين مسلمين ونصارى
 لكنهم جميعاً في غاية الالفة بعضهم مع بعض وعوائلهم جميعاً واحدة حتى في محاسن اخلافهم
 وقد شاهدت من فضلاء القسمين ما اشكرهم عليه من محاسن الاخلاق والفرح بالضيف مثل
 الشيخ الدراكة البليغ البارع ابراهيم الاحدب وله ديوان شعر شهير ومثل الاعيان الاجلاء
 حسين بيهم ونخري بك رئيس الجمعية الخيرية وعبد القادر القباني صاحب جريدة ثمرات
 الفنون احدى الجرائد العربية المتكاثرة في هاته البلد لما في اهلها من التقدم الذي اشرنا
 اليه مع بعدها عن مراكز السياسة ومن اصحاب الجرائد الذين اجتمعت بهم هناك ايضاً
 البارع المجيد المتفنن سليم البستاني صاحب جريدة اللجنة وجريدة الجنان وهو من النصارى
 اعيان البلاد ومن اجتمعت به منهم ايضاً الوجهاء الاعيان ابراهيم اليازجي ابن الحسن
 الذكر المتفنن اللغوي البليغ ناصيف اليازجي صاحب المقامات الشهيرة ومنهم سليم ثابت
 وغيرهم ومنهم الكاتب البارع حسن الجابي وهو وان كان من اهالي دمشق الا اني اجتمعت
 به في بيروت لانه قدم اليها صحبة والي الشام اذ ذاك مدحت باشا رحمه الله لانه كان
 من كتاب الولاية المجيدين عربية وتركية فاستصعبه الوالي لنصحيه ونجابتيه ثم ترقى بعد
 ذلك في خدمات الدولة العلية وكذلك اجتمعت بالوالي المشار اليه هناك لما لي معه من
 المعرفة السابقة في باريس ولاقيت عنده مرة النصح رائف باشا متصرف بيروت اذ ذاك
 ولقد شاهدت من هؤلاء الجمع اكراماً بوجب عليّ الشناء عليهم جازاهم الله عني كل خير
 واجل ما حصلت عليه في هاته البلاد اخذي للاجازة في الطريقة القادرية من مولاي
 وسيدي السيد سلمان القادري ومثله ابقاء الله من يميز ويحافظ على شريعة جده الاعلى
 عليه وعلى آله الصلاة والسلام فانه عند ما اجازني قال لي ما معناه في امر الاذكار
 وآداب الطريقة ليست هي الا الشريعة فقف على ما ورد به الشرع واعمل به فهكذا يكون
 المرشدون وما اجازني بذلك الا بعد مزيد الاحلاح تواضعاً منه ابقاء الله الى ان انت
 ليلة سفري فساعفني بمرغوبي فودعته وسافرت صبيحة تلك الليلة الى القسطنطينية في
 احدى البواخر السابق ذكرها * فوقفت بنا بضع ساعات على ازير التي هي قاعدة احدى
 ولايات الدولة ونزلت متفرجاً على مرساها وما حولها فاذا هي ذات مرسى جميل حصين
 صنعته احد الافرنج برخصة من الدولة وفيه بواخر حجة وتصل سكة الحديد الى رصيفه
 وهي ذات فرعين يمتدان الى داخل الولاية شرقاً وغرباً وحول المرسى قشلاقات عسكرية
 وبعض ديار للافرنج والطريق فيها واسع جميل وبقية الطرقات والاسواق ضيقة عليها

آثار الهرم لان غالب الابنية من الاخشاب وقدم عهدها فلم ارَ ما يذكر الا كونها بلاد تجارية لغنى الولاية بما منحها الله تعالى من كثرة الغلال والفواكه التي تحمل منها الى سائر الآفاق مثل التين المجفف وغيره ثم مرنا على جزر كثيرة تابعة للدولة العلية ذات جمال باهر لكثرة اشجارها وجبالها الخضراء المتعممة اذ ذاك بالثلج ومن اجملها جزيرة رودس وجزيرة استاني كوى التي تشرح الخاطر بما كساها الله من حلال النبات والاشجار العظيمة ثم وصلنا الى جنه قلعة قبيل الغروب من اليوم الثاني وهي باب الخليج القسطنطيني والبلدة ليست بشيء يذكر سوى انها مقام حربي اذ حولها وامامها من الحصون والطواهي والاستحكامات ما يدهش الناظر وهي كثيرة ممتدة على طول مضيق ذلك الخليج على فوهته الى البحر الابيض التي هي ضيقة جداً لاتسع ازيد من مرور اربع بواخر جسيمة وتلك الحصون اكثرها لا يكاد بين تتخلل وسط الجبال المحيطة بالجانبين وما يظهر منها تلوح منه مدافع ضخمة تكاد تخرق الجبال عند انطلاقتها ولذلك يعد هذا المركز اعظم المراكز الحربية تحصناً بحيث لا يمكن ان يجنازه مجناز بغير رضاء صاحبه ولا تدخله سفينة الآن ولو تجارية الا بالاذن من موظفي الدولة هناك ولذلك وقفت الباخرة هناك لاختد الاجازة وهي لا تطول مدتها الا نحو نصف ساعة في اثباتها طافت بنا القوارب من البياعين لسلع تلك البلاد والمأكولات والفواكه والذي يمكن ان يذكر من سلعها ليس هو الا اباريق من طين مطلي بمعدن اخضر يصير به الطين صقيلاً ويذهب باشكل وعلى نحوها هو الاباريق اوان أخر على اشكال مختلفة للياه ثم دخلنا الى بحر مرمره المتوسط بين فوهتي خليج الاستانة التي مر ذكر احداها التي على البحر الابيض والاخرى يجنب الاستانة على البحر الاسود فبقينا سائرين الى طلوع الفجر وما انفلق الصبح الا وقد بانت ماذن جوامع القسطنطينية التي هي مثل غابة من النخيل وبينها قباب الجوامع الضخمة فارست بالباخرة في داخل الخليج على مقربة من القنطرة الموصلة بين استانبول وطلعه وطافت بالباخرة القوارب لمن يكاد من الركاب وقوارب السماع ثم بعد هنيهة قدم اليّ البعض من اصدقائي مع زورق مخصوص للوزير خير الدين باشا التونسي اتزولني فيه وتكفلت اتباعهم مع كتابي بازال صناديقي فنزلت ضيفاً عند الوزير المذكور ثم بعد بضع ايام اكرتيت داراً جميلة على الخليج وسكنت بها بعد ان اشترت لها جميع مفروشاتنا اللازمة واحضرت من الخدمة اللازمين والطباخ مقدار الحاجة واقت ساكناً من صفر سنة ١٢٩٧ الى شعبان سنة ١٢٩٨ واحضرت اليّ ابني البكر من

تونس وبقيت بالقسطنطينية مستريح الفكر والبدن متنعمًا بهوائها الحسن متأنسًا
بالاصدقاء ذوي الوفاء الى ان حل بالوطن ما حل في سنة ثمانية من استيلاء الفرنسيين
عليه مما كنت به اندرت ولم تفد النصيحة لغلبة الهواء والله يقضي ما اراد فذهبت الى
ايطاليا لآخابر عائلي في نقلتهم وبيع املاكي وفي اثناء ذلك ذهبت الى جنيف من مملكة
سويسرا فوضعت بها ابني في مكتب خصوصي ثم رجعت الى ايطاليا لاتمام ما ذكرناه
ثم رجعت الى القسطنطينية بعد ان اعلمتني عائلي بسفرها اليها فررت على مملكة المانيا
ثم النمسا ثم الرومانيا ثم الصرب والبلغار وسأني ذكر هاتم المالك ان شاء الله كل منها
منفردًا يباب ثم رجعت الى القسطنطينية مقيمًا فيها بعائلي من اول سنة تسعة الى اول
سنة اثنين وثلاثاء التي توجهت فيها الى مصر حيث لم اجد من الراحة الفكرية والبدنية
ما يستقيم به الحال وكذلك امر المال وان كانت الحضرة السلطانية تفضلت علي بهرتب
وكراء بيت لم يمكن استطرادها لما في خزنة الدولة من التضايق المحجف حتى بالقيام
بالضرورات الواجبة في اغلب الجهات نسأل الله تفرج الكربات



مطلب في صفة القسطنطينية

هاته البلدة قديمة الانشاء وتأسست تخنًا امملكة الرومان المعروفين بالروم سابقًا على
ما تقدم في تاريخ ايطاليا وسميت البلدة باسم احد ملوكهم ذوي الصيت المنتشر وهو
قسطنطين المتولي سنة ٢٢٣ ميلادية واتخذ موقعها في اجمل مواقع الكرة الارضية في
نصفها المعروف قديمًا وموقعها ايضا احصن هاتيك المواقع لانها متحكمة بين البحر
الاسود والبحر الابيض ويوصل بينها الخليج الذي بوسطه بحر مرمر وهذا الخليج
بمكان البلدة يكتنفه جبال يمينًا وشمالًا والجبال مكساة بحال النبات الباهر في جميع
الفصول وقد وضعت البلد على سفح ثلاث جبال يفصل بينها الخليج اما قسم منها فيفصل
بينه وبين غيره الخليج الكبير وهذا القسم هو المسمى باسكودار الواقع في قارة آسيا
والقسمان الآخران يفصل بينهما فرع من هذا الخليج داخل في قارة اوربا الى ان يتصل
بجدول يعرف بكاغدخانة فالقسم الشرقي من القسمين يسمى بغلطة والقسم الغربي يسمى
باستانبول وقد كان في القديم محل البلدة مفصولًا عن بقية القارة بخليج واصل الى بحر
مرمر وهو قرب مقام سيدنا ابي ايوب الانصاري الآن فكانت جزيرة منفردة

وهذا القسم هو مقر البلاد الاصلية الذي يشتمل على مركز الادارة والاسواق وغير ذلك وحيث كانت البلد واقعة في عرض سبعة واربعين شمالي كان هواؤها يغلب عليه البرد وتنزل عليها الثلوج في كل سنة وربما جمد الخليج في بعض السنين فهي في جميع اوقاتها لها منظر منفرد في الارض لمن يراها داخلاً من الخليج حيث كان الخليج في الوسط وتحفه على جميع شطوطه الممتدة نحو ٢٢ ميلاً قصور ودساكر جميلة الصنع ذات ألوان لان البناء بالاخشاب ويدهن ظاهراً وباطناً بألوان جميلة مع كثرة طاقانه ويتخلل هذا البناء الصوامع المتناغية في الجوّ مع جودتها وتعدد ادوار مآذنها وبينها القباب الشاهقة ثم وراء هاتو البنائات على سفح الجبال البساتين والجنائن والاشجار الملتفة والعيون المتدفقة فتدهش رؤيتها ابصار الناظرين وتستمر البواخر خارقة لهذا الخليج في ذلك المنظر البديع مدة نحو ساعتين فلا ريب ان كانت هي سيده البلدان السياسية خصوصاً ووضعها قد جاء على كل من قارتي اوربا وآسيا وعلى كل من البحرين الابيض والاسود ولهذا يسمونها في القديم بفاروق لفرقها بين البرين والبحرين لكن ذلك المنظر والجمال يخط درجات عديدة اذا نزل قاصدها الى البر وتخلل بالمشي في شوارعها لان طرقاتها اغلبها ضيق ومبلط بجارات على اصل خلقتها مقلبة مكعبة نتعب الراكب والماشي وكثيراً من الديار قد اخذ منه الهرم مأخذه خصوصاً في هذا الوقت الذي تفاقم فيه على اهلها الضيق المالي لان اهلها المسلمون وهم اكثر السكان اغلبهم له جرايات ومرتببات بحيث ان اقامتهم مناة بالدولة التي ضاقت خزينتها عن القيام بشؤونها وبقيتهم ذوو صنائع خسيصة كسائقي العربات والنوتية وما شاكل ذلك والقليل النادر لم تجارة على قدر الحاجة والتجارة المعتبرة انما هي بيد الافرنج او النصارى من رعية الدولة وكذلك اغلب الصنائع الضرورية والحاجية والتحسينية على كثرتها كلها بيد النصارى ايضاً الا ما ندر وكان سبب ذلك هو اختصاص المسلمين قديماً بالوظائف والرتب فانحصرت معيشة غيرهم فيما يجيدونه من صنائعهم وتجارتهم ولما انفتح الباب في الازمان المتأخرة شاركوا المسلمين في الوظائف وسابقوم فيما كان خاصاً بهم لمد أيدي المساعدة لهم من الافرنج ودولهم الاجنبية فانتسعت معارفهم الرياضية والفنت صنائعهم واتسعت تجارتهم وثققتهم المسلمون لوقوفهم فيما كانوا عليه بل لانحطاط درجة المعارف لديهم واعراضهم عن الصنائع وغيرها من اوجه النكسب لانحصار الامال في مجرد التوظف في الدولة ولهذا ترى البلاد ممتلئة بالقهاوي وبالقرائنخانات التي هي

قهاوي نظيفة ينتابها الوجهاء من الناس فلذلك صارت الدبار الحسنة قليلة في هاتو البلاد العظيمة التي يتجاوز سكانها المليون وربع واذا ضمنت القرى التابعة لها في جوارها مثل بيوك آطه اي الجزيرة الكبيرة وغيرها من بقية الخليج يكون مجموع سكانها مليون ونصف على ما يقال حتى انها كانت هي اعظم البلاد المدروفة وسميت بالقسطنطينية العظمى والحاصل ان طريقها الآن التي لها نوع من الحسن هي طريق بيتدي من بطحاء في وسط استانبول تسمى بميدان السلطان احمد وفي وسطها مسلة من المسلات المصرية متناغية في الهواء فير الطريق على الباب العالي ثم على القنطرة الموصلة الى غلطة ثم يمر منها الى الطوبخانه على سمت نحو المستقيم وهكذا يمتد على ذلك النحو الى قبطاش وبشكطاش واورطه كوي ثم قورى شيشمه ثم ارنووط كوي ثم الى بيك ثم الى روم ابلي حصار ثم الى يني محله ثم الى طرايبا ثم الى بيوك دره ثم الى نهاية الخليج المسمى بروم ابلي قواغي جهة البحر الاسود والاماكن التي تقدمت اسماؤها كلها حارات مثل البلدان متصل بعضها ببعض ممتدة على طول الخليج وانما كان هذا الطريق ممسكاً لان اغلب اماكنها بناآت للدولة او للسلطين او ابنائهم او بناتهم او وزراءهم او امرائهم او لسفراء الدول الاجنبية او للاغنياء من الافرنج والنصارى اتباع الدولة مع كون شركة افرنجية قد جعلت بذلك الطريق عجالات الترامواي برخصة من الدولة على شرط تحسينها للطريق وتوسعتها له حتى لا يعارض مروره العجلات الاخر وهكذا يمتد هذا الطريق أيضاً بفرع آخر من البطحاء المذكورة ويمر على بطحاء السلطان بايزيد ثم على آق سراي ويمتد هكذا مستطيلاً على نحو استقامة الى ان يصل الى آخر استانبول في باب ادرنه ويوجد طريق آخر على ذلك النحو بيتدي من غلطة امام القنطرة ويصعد في جبلها ويمر في بايوغلي التي هي حارة السفراء في الشتاء واما في الصيف فانهم يسكنون في الخليج ومثلهم بقية الاعيان وحسن طريق بايوغلي فائق على الكل لمزيد التحسين في الديار الحافة بجانبه وقد احدثت طرق اخرى كثيرة على النوع المتعارف في اوروبا في جهات سراية بلدز ونيشان طاش الى ان متصل بطريق بايوغلي لكن هاتو الطرق لم تنتظم الديار التي على حافتها فاعلمها خال عن البناء بالمره ويمكن ان يقال ان البنائات الحسنة الموجودة في هاتو البلاد تكاد اصحابها ان لا يخرجون عن الاصناف الذين ذكرناهم وهذه البنائات قديمها كله من اخشاب ذو طهقتين او ثلاث نادراً وجددها من بناء اغلبه بالطوب المطبوخ الاحمر او الحجارة والمرمر متقاربة الشكل الحسن منها حسن الظاهر والباطن

وصورتها ان يدخل من الباب الى دهليز فيه درج قليلة يصعد منها الى الطبقة الاولى التي هي ايوان مثل وسط الدار مستوف مع بقية بيوتها وفيه ابواب هاتيك البيوت التي هي مربعة او مستطيلة وفيه ايضاً نحو المقعدين يميناً وشمالاً في الغالب ثم تلك الدرج تنبعث صاعدة الى الطبقة العليا التي هي على نحو التي تحتها وتختلف اشكال الدرج في كونها ذات فرع واحد الى آخرها او ذات فرع وفرعين وكل دار تشتمل على عدة مراحض جميلة الوضع نظيفة كل منها به محل للوضوء ومحل لمنديله بحيث ان الوضوء في هاتيه البلاد ايسر شيء على صاحبه مع نظافة المكان والحق ان جميع الديار بل وجميع احوال السكان نظيفة للغاية كل على حسب حاله عسراً ويسراً وقصور السلطنة ومساكن السلاطين قد اشتملت على اشكال البنات المستحسنة في أكثر البلدان واعظمها بهجة ورونقاً قصر دولما بجنشيه الذي هو الآن قصر السلطنة الرسمي فإنه له باب عظيم ذو اتقان وتزويق بالذهب لم أر مثله قط ضخامة وزخرفة في جميع اوربا وغيرها وهو يفتح الى بطحاء عظيمة امامه وفي مقابله جامع انيق له باب مقابل ذو بهجة وقريب من باب القصر في الحسن باب ثان يفتح الى طريق بشكطاش وكلا البابين يدخل الى بطحاء عظيمة بها باب القصر الذي هو منقسم الى ثلاثة اقسام في الحجم متصلة ببعضها اوسطها ارتفاعه بوازي ارتفاع القسمين الآخرين مرتين وهذا القسم الوسط كله ديوان واحد هو مجلس السلطان في الموكب فانظر الى هذا البيت الذي اتساعه قدر اتساع قصر تام سلطاني فان القسم الاول هو قصر ذو طبقتين وطبقة ثالثة سفلية نصفها تحت الارض ونصفها فوقها وتشتمل كل طبقة على دواوين واواوين وحجرات مزخرفة مكملة مزوقة بالذهب والفرش الفاخرة والثريات المتكاثرة وغير ذلك من الزخرفة والابهة التي تألق فيها السلاطين المباهاة وهذا القسم خاص بجيوس السلطان للرجال والقسم الثالث مثل هذا القسم وربما زاد عليه رونقاً في الفرش وهو مسكن حرم السلطان ثم عند الباب الاول في الذكر قصران يميناً وشمالاً لحاشية السلطان وخاصته وبطانته ووراء قسم الحرم قصر آخر مفصول عن السابق مثل احد القسمين السابقين هو مسكن ولي العهد لكنه لا يلقب بهذا اللقب وانما يقال فيه اكبر ابناء السلاطين بعد السلطان المستولي وهاتيه القصور انشأها السلطان المنعم عبد المجيد رحمه الله وتسمى دولما بجنشيه وقريب منه قصر آخر انشأه السلطان عبد العزيز يسمى تشارغان هو اشد رونقاً وزخرفة في داخله من الاول لكن الاول ابهج منظرًا والجميع على

شاطيء الخليج تفتح اليه رواشيتها المتكاثرة كما هو شان جميع الديار هناك فلا تجد بين الشباكين ازيد من نصف ذراع او ذراع وعلى نحو من هذين القصرين في قسم اسكودار قصر بناء السلطان محمود رحمه الله يسمي بكار بك وهو اصغر من الكل ثم قصر آخر بديع للغاية يسمي يقوز حجارته كلها داخلا وخارجا من المرمر الاحمر والاخضر فنصنه الاعلى اخضر والاسفل احمر وهناك قصور اخرى عديدة صغيرة دون هاتو. الأ قصر السلطاني الآن المسمي بيلدز الذي هو في الاصل مثل هاتيك الصغيرة لكنه لما رجحه السلطان المعظم عبد الحميد للانفراد فيه والسكنى به دائما تزايدت قصوره شيئا فشيئا حتى صار ابعي في الداخل من الكل وان كان من خارج لا يظهر منه الا القليل لوقوعه في وسط بستان متسع ملتف بالاشجار ومحيط به اسوار ومساكن للعساكر على جميع محيطه.



فصل

في مجمل تاريخ الدولة العثمانية

اعلم ان الدولة العثمانية كانت تأسست عند ما تفرقت الملوكة الاسلامية واستبد كل منهم بجهة مع الخروج عن العمل بالشرع بل اتبعوا الشهوات واسترقوا الرعية وتصرفوا في الاموال بحسب الاغراض فضعفت شوكة الاسلام وصارت ممالكهم طعمة للاجانب فرحل من وراء النهر اي نهر سيحون ويعنون بما وراءه ما كان على عدوتهم الشرقية قبيلة من مساهي الترك تحت رئاسة سليمان شاه جد عثمان خان ملتجئين الى السلطان السلجوقي لما شملهم من ظلم التنر فاطلمهم بالامن واسكنهم ارضاً بالاناضول واذن لرئيسهم ارطغرل بعد وفاة ابيه سليمان شاه بالغزو حيث كانوا قوماً شدادا مترنين على الحرب فافتتح بسيفه الباتر اراضي وبلداتاً وفوض امرها اليه السلطان السلجوقي والى ابنه عثمان من بعده فتلقب بالسلطان عثمان وذلك في سنة ٦٩٩ وقد نظم الجده الشيخ محمد بيرم الثاني قصيدة تشتمل على النموذج من تاريخ هاتو الدولة مع اسماء سلاطينها ذكرناها هنا لا يفاها بالمقصود وسماها " عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان " وهي

اقدم قبل القصد شكراً لمنعم
 على عز هذا الدين والملة التي
 واتبعه اذكى الصلاة مسلماً
 نبي له وصف النبوة ثابت
 ﷺ من قد اظهر الله دينه
 واعلاه بالانصار اذ حل طيبة
 وما زال محروس الجناب مؤيداً
 محوطاً الى ان آل تدبير امره
 لمي حلال يعصم الناس امرهم
 كرام فلا ذوالضعف يدرك تبلة
 ملوك بنى عثمان سلسلة العلا
 فلك ما قد شيدوا من بنائه
 لقد احكموا امر الجهاد بما اتوا
 فكان لهم والله يكلاً مجدهم
 وقدرت في ذا النظم جمع ملوكهم
 فأولم (عثمان) بأكورة العلا
 له فتحت برصا فاضحت سريرهم
 وثانيهم (ارخان) من قد اتت به
 شجاعته قد اظهرتها حروبه
 وثالثهم من نال فضل شهادة
 فذاك الذي قد فض ختم ادرنة
 ورابعهم شمس العلا (بايزيد) هم
 لئن كان مع تيمور ما انقذ القضا
 ولا عجب للاسد ان ظفرت بها
 فخرية وحشي سقت حمزة الردا
 وخامسهم نجر الملوك (محمد)
 وسادسهم ثاني (مراد) بن من رقى

علينا بما اربى على كل انعم
 وان لحقت فازت بفضل التقدم
 على اشرف المخلوق قدرا واعظم
 وادم بين الماء والطين فاعلم
 بمكة ذي البيت العتيق المعظم
 نجيا بوجه مشرق ذي تيسم
 بكل امام بالعلا ذي تهم
 وحفظ حماه بالخميس العروم
 اذا طرقت احدى الليالي بمعظم
 لديهم ولا الجاني عليهم بمسلم
 غصون نمت اذ فرعت عن غطيم
 وما هدموا للكفر من كل معلم
 باعظم صنع فيه من بعد اعظم
 بما فعلوا حق على كل مسلم
 وبعض مزاياهم لتروى فتعلم
 مذيق الردا من بأسه كل مجرم سنة ٦٩٩
 فكان لها في ذاك فضل التقدم
 كريمة من صلب الولي الأعظم سنة ٧٢٦
 فعنه بما تخار فيها تكلم
 (مراد) محلى القرن حمرة عندم سنة ٧٦١
 فذاقت به برد الهنا والتنعيم
 موافقه في الحرب مرة مطعم سنة ٧٩١
 فان ارتكاب الغدر منشأ التثلم
 كلاب الاعادي من فصيح واعجم
 وحنف علي من حسام ابن المبحم
 مجدد هذا الملك بعد التصرم سنة ٨١٦
 من العز مرقى لا ينال بسلم سنة ٨٢٤

تخلي عن الامر اخياراً. لشبلة
وسابعهم فحل الفحول (محمد)
عقيلة عن صيد الملوك تمت
لقد جاءها يخنال في العز مودعا
لدى اسد شاكي السلاح مقذف
فدحرج عنها سيد الروم خاسماً
وحل بها لما تنادت جنوده
وقدوسم السيف العدا في رؤوسهم
فما الحرب الا ماراً او من بلائهم
وثانهم فرع له (بايزيد) هم
وتاسعهم مفتاح فتح بمالك
(سليم) الذي قد حل بالشاه بأسه
ولاح بتبريز سناه فاصبحت
ومذ برقت بالشام انوار برقه
فسكن منها روعة بقدمه
وواجه مصرًا بالاذى اذ تلكأت
وقد غرها الغوري فغار بدابق
فاصبح مصلوباً بباب زويلة
ولم يبق من ابناه شركس ناعق
واضحى سليم للمقامين خادماً
وعاشرهم ذوالرأي والبأس والندا
قد انتظمت بغداد في سلك ملكه
وقد ظهرت آثاره فحديثها
فنها ويا لله غزوة رودس
وفي سكتوار بعد ان فتحت له
فلاحت بافق الملك طلعة شبلة
لمتته العليا قبرص اذعنت

وعاد لجبر الحال خوف تألم
له فتح اصطنبول اشرف مغنم سنة ٨٥٥
وكلهم يخفي وصلها ذو تهم
خبايا المفايا بين جيش عرمرم
له لبد اظفاره لم تقلم
لدى حيث القت رحلها ام قشع
بتكبير منشي العالمين ومعدم
كانهم قد خضبوا بعظم
وما هو عنها بالحديث المترجم
ابو الجود ما ذا سد خلة معدم سنة ٨٨٦
غدت في جبين الدهر غرة ادم
فادبر يطوي الارض من قرب جهنم سنة ٩١٨
عروساً تجلت في وشاح منم
دعته دعاء البانس المتظلم
وضمت عليه سورها ضم معصم
فاجرى بها نيلاً تدفق بالدم
واقبل طومان كذيب لضيم
يداس باقدام ويوطا بمنم
كانهم قد لامسوا عطر منم
بذاك ينادي للسلطين خدم
(سليمان) جراع العدا كاس علقم سنة ٩٢٦
فصار له امر العراقيين ينمي
حدادة الوري تحدو بها كل موسم
تغنى بها طير الفلا بترنم
اجاب الى المولى بقلب مسلم
(سليم) عظيم الملك فرع معظم سنة ٩٧٤
تقابل مساهم بوجه مقسم

وفي يمن من بعد بدء فتوحه
واحيا به الرحمن تونس عند ما
فشد بضبعي سعدها فاقامة
ومن بعده قد بايع الناس فرعه
ويتلوه في دست الامامة شبلة
اقام على اغرى فابدى بافتها
وعقر للرحمن في الارض وجهه
وقام ابنة ذوالحسن (احمد) بعده
ومن بعد هذا (مصطفى) بن محمد
فبويج (عثمان) بن احمد بعده
وقد عاد بعد الخلع خاقان مصطفى
فجاء (مراد) فجل احمد بعده
اطل على دار السلام بيشه
وقد لبست ما زانها لاسرقه
وعادت الى عاداتها دار سنة
وقد قام (ابراهيم) وهو ابن احمد
بكندية منه وقد جاس ارضها
اقاموه عن كرسيه وتقدموا
(محمد) فرع منه فانصدع البنا
ولكنه لما تكامل واستوى
فتم فتح سنة والد له
وناهيك من فتح يضيقي بيانه
ومن بعد هذا تم بالخلع امره
فقام (سليمان) اخوه مقامه
ومن بعده قد قام (احمد) صنوه
واعقب هذا (مصطفى) بن محمد
فقام اخوه (احمد) بعد خلع

لوالده الارضي اتى بالتمم
غدت بعد عزه شاخ في تحطم
وكان يقهر الاسر صاحب نجم
(مرادا) كريم النفس وابن مكرم سنة ٩٨٣
(محمد) مغضي الطرف عن فعل ما ثم سنة ١٠٠٣
سحائب حرب امطرت كل لهدم
فاب بفتح للطواغيت مرغم
يحيي يبدر تحت تاج منظم سنة ١٠١٢
اقيم ولكن عقده غير مبرم سنة ١٠٢٦
وانزل عن قرب لامر محتم سنة ١٠٢٨
وانزل بعد العود مثل المقدم سنة ١٠٣١
فكان كعلم لاح اثر توم سنة ١٠٣٢
فانقذها من رانضي مذموم
والقت بما قد شان من ثوب ماتم
تجرر اذبال الهنا والتنعم
فلله من حزم وحسن تونس سنة ١٠٤٩
باسياف اجناد لها نهش ارقم
لمن هو في عهد الصبا والتعلم
وهب من الكفار كل تضرم سنة ١٠٥٨
بدا منه حزم فاضح كل احزم
بكندية اعظم به من متمم
عن النظم فانظر في التواريخ تعلم
فيالك من فعل قبيح مذموم
ولم يال جهدا في صلاح المحطم سنة ١٠٩٩
فبات جراح لا تداوى برهم سنة ١١٠٢
واخر عما ناله من تقدم سنة ١١٠٦
وسلم لما شام برق التالم سنة ١١١٥

وقد فتحت تبريز قهراً ومورة
 فبويج للسلطان (محمود) بعده
 سنة ١١٦٨ ومن بعده قد قام (عثمان) صنوه
 الى الموسقواذ وجه العزم نحوه
 ومن بعده (عبد الحميد) اماننا
 ابان له الله الهدى وانه
 فهاك سلاطين الزمان جمعهم
 وعدتهم سبع وعشرون قد غدت
 ودولتهم خمس الهنيدات عمرت
 وذا في ثمان بعد تسعين ضمها
 وناظمها العبد الفقير محمد
 يقول تناديني المعالي بقولها
 ايا دولة اربت على كل سابق
 وقد سلمت حتى رأت في سريرها
 (سليم) ابن خاقان الخواقين مصطفى
 فلا زال منها قائم اثر قائم
 يقول حفيد الشيخ قدس سره
 لقد انجح الدعوى بفضل نواله
 بتسليم هذا الامر لليث (مصطفى)
 ولما قضى نجحاً قتيلاً من الاولى
 تعالى الى دست الخلافة حازماً
 له صولة في روسيا مع بغاته
 ومن بعده قام ابنه من لمجدهم
 ألا انه (عبد الحميد) وحيدهم
 بحرب القريم الخطب دام مصابراً
 ونظم قانوناً الى الخير راشداً
 فاصبح وجه للبسيطة مبهجاً

بايامه وجه الزمان المظلم
 هو ابن اخيه مصطفى المتقدم سنة ١١٤٣
 ومن بعد هذا مصطفى ذو التقدم سنة ١١٧١
 وجرى في حرب له كل اصرم
 اخوه عظيم من عظيم منجم سنة ١١٨٧
 رشاداً وتسديداً لدى كل مبهم
 بنظم كسبط باللاكي منظم
 سماه العلام منهم تضيءً بأنجم
 وفي طول هذا العمر لم تك تهميم
 الى مائة من بعدها الالف تعلم
 اقل الورى المشهور فيهم بيبرم
 اليك الذي قد قلت فيهم به اختم
 عليها لعز الدين والملة اسلم
 هاماً به الدين الحنيفي يحتمي
 لديك يا مولاي سنة وسلم سنة ١٢٠٣
 الى زمن المهدي وعيسى بن مريم
 موافقه في الاسم لا في التعلم
 كريم له النعمى على كل مسلم
 لعبد الحميد الفرد لقب بابن سنة ١٢٢٢
 اضاعوا التقى واستبدلوا الامن بالدم
 اخوه الرضى (محمود) خير ميم سنة ١٢٢٣
 فارواهم ماء الردى والتقسم
 غدى ينشر الاعلام في كل معلم
 له النصره الغراء في كل معظم سنة ١٢٥٥
 فنال المنى من بعد طول تجهيم
 وتمم ما ابداه رأيه المقدم
 بما نالها من فرط عدل متمم

ومن بعد ذا وافى الى الدست ضيفم
فذاك الذي عم البسيطة عزه
وان رمت عداء الغاثر تكبتي
لقد خضعت سود الجبال لعزمو
ومذ ارتقى فوق السرير تتوجت
لذاك تبشير الولاية ارخت
ولكنما قد حل ما جل امره
فتم باهل الحل والعقد خاعه
(مراد) ولكن لم يطق عبء حملها
فنادوا سراعاً مجمعين باسرم
الا انه رحمه الله عبد الحميد امامنا
فاربى على كل الملوك مفاخرًا
تلافي بحسن الرأي ماجل خطبه
فارجع قهراً طاعة الصرب بوسنا
كذا الجبل المسودلان عن بكرة
فكان الى الروس الطفاة معاضداً
وابقى اله العرش حوط الخلافة
فاسدى لها سلطاننا فيض عدله
ولا زال يبدي كل يوم فضاءلاً
فنسأل من فيض الكريم له حمى
ودونك بشرى للولاية ارخت
وان رمت بشرى الحال تاريخها اذا

فتضمنت قصيدة الجد المشار اليه عليه سحائب الرحمة تاريخ السلاطين الذين
اولهم السلطان عثمان و آخرهم السلطان سليم ابن السلطان مصطفى كما تضمنت تذييلنا
تاريخهم من السلطان مصطفى الى سلطاننا الخاقان عبد الحميد ايده الله وتبين بما سبق
ان الدولة العلية لم تنزل منذ ستائة سنة والله الحمد قائمة معتبرة بين الامم غير انها منذ نحو
مائتي سنة تناقصت سطوتها عما كانت عليه لا سيما في حروبها مع روسيا لان الدولة

له مفخر اربى على كل ضيفم
وساطانه فاق السوى بالنظم
بذكر اسمه (عبد العزيز) مترجم
فاضحت لغز بالخلافة يأتي
بافعاله هام الزمان بانعم
حسيد به الاسلام مازال يجتمعي سنة ١٢٧٧
تخفيف من الخطب العظيم المطهم
ونادوا بنجل للعام المقدم
لاخلال شرط بالامامة مخرم سنة ١٢٩٣
بين يحسم الاهوال في كل معظم
عماد الورى والدين نجل المكرم
تحلى بها الافاق في كل موسم
بدس العدو الموسيقى المذم
وهرسك بلغاريا بنصر متم
بفتك وحلم ثم عاد لاعظم
وحل القضا اعظم به من محتم
بابقاء جبل للمالك محمدي
باجرائه تأسيس عدل منظم
نترجم عن شد النهى والتقدم
بنصر لاعلام الخلافة مبرم

مفتح ابواب الصفا والتقدم سنة ١٢٩٣
لعيد الحميد اسعد موسم سنة ١٢٩٧

الروسية منذ ولها بطرس الاكبر في سنة ١٦٨٢ جعلت مطمح نظرها توهين شوكة
الذولة العلية والاستيلاء على ما يسمح لها من ممالكها ثم الاستيلاء على بقية المعمور اقتداء
بذولة الرومان في استيلائها في عنفوانها على سائر المعروف من الكرة اذ ذلك ويبرهن
لهذا صريح الوصية المنسوبة الى ذلك القيصر واول من اشهرها في اوربا هو فريدريك
كياردي سنة ١٨٣٦ وهذا تعريبها

من بطرس الاول الخ - الى كل من يخلفني على تخت روسيا التحية . فان الله
سبحانه لم يزل منذ بداية الابد في اعانتنا واسدل فضله علينا بما حملني على الاعتقاد بان
الامة المسكوبة نتسلط ان شاء الله على الممالك الاورباوية (لا قدر الله) والدليل على
ذلك ان الامم الاورباوية قد هرم اكثرهم واخذ البعض منهم في التلاشي فان ادركت
الروسيا تمام قوتها لا شك انها نتغلب على سائر الممالك لما لها من شوكة الصغر وعندني
ان هجوم الامم الشمالية على اوربا من احكام القدرة الالهية التي لا بد من نفوذها كما
وقع سابقاً عند هجوم الامم المذكورة على مملكة الرومانيين فاجتاحتها بعد اضمحلالها وانا
وجدت روسيا جدولا صغيراً فتركتها نهراً وارجوانه باعثناء من يخلفني تصير بحراً
عظيماً يغطي بياحه اوربا باسرها ولا يتعرض لسيلانه عرمم فحملني هذا الاعتقاد على
ان اقرر هنا الاصول التي لا بد من اتباعها نظراً الى ادراك هذا المقصود المعتبر وهي

اولاً

على ملوك روسيا ملازمة الحرب لتكون جيوشهم دائماً على حال الرياضة
والاستعداد فلا يكفوا عن الحرب الا لاصلاح شأن المالية وجبر ما نقص من العساكر
وتربص فرصة المهجوم على الاعداء فالحرب والصلح يتناوبان حسبما تقتضيه الحاجة نظراً
الى توسيع دائرة شوكتنا وفلاح البلاد

ثانياً

عليهم ان يجلبوا من سائر الاقطار الاورباوية العارفين بالفنون الحربية مدة الحرب
واما مدة الصلح فليهم جلب من اشتهر من العلماء لتنفع روسيا بما يلائم الاخرى من
دون خسارة ما لها طبيعة

ثالثاً

عليهم التداخل في سائر احوال الممالك الاورباوية وخصوصاً المانيا لقرنها اليها

رابعاً

التداخل في احوال بولونيا وفي انتخاب ملوكها حتى لا ينتخب الا المحب للروسيا
وادخال جيوشنا بها لحماية هولاء الملوك الى ان يتيسر التسلط على البلاد راساً فان
تعرضت الدول الاخرى يجب الاجابة الى مطالبهم الى ان تقدر على استرجاع ما سلمناه

خامساً

نأخذ من مملكة السويد ما يمكن اخذه ونجعل بينهم وبين الدانمرك عدواناً دائماً

سادساً

لا يتزوج اهل بيتنا الا بنات ملوك المانيا لتأكد المحبة بين روسيا و المانيا وتكثير
وسائل المواصلة بينها

سابعاً

يجب الاعناء بمخالفة انكلترا لما لها من الحاجة الى اشجارنا لسفنها ولما نستفيدة
منها نظراً الى اصلاح شأن اسطولنا فضلاً عن تبديل فائدة تبديل ما لنا من الخشب
وغيره من النتائج بذهب انكلترا وما ينشأ منه من كثرة المواصلة بين تجارها وتجارنا

ثامناً

نتمد بقدر الامكان من جهة الشمال وعلى شواطئ البالتيك كما يجب السعي
بالامتداد من جهة المغرب وعلى شواطئ البحر الاسود

تاسعاً

نقرب من القسطنطينية والهند بقدر الامكان فن ملك القسطنطينية فقد ملك الدنيا
فبناء على ذلك ينبغي ملازمة الحرب مع الترك ومملكة الفرس وجعل ترسخانات
بشواطئ البالتيك والبحر الاسود وهذا من اللازم لنجاح ما قصدناه وينبغي ايضاً
تعجيل مملكة الفرس من الاضمحلال وتنشيط التجارة التي كانت بين الشام وجبل قاف
فنتقدم الى الهند التي هي مخازن الدنيا وان حصلنا على ذلك لا حاجة لنا بذهب انكلترا

عاشرًا

يجب السعي في تأكيد المحبة مع دولة النمسا باسعاها ظاهراً على ما قصدته من
التسلط على المانيا مع اننا نعرض عليها ملوك المانيا سرًا

حادي عشر

نشارك النمسا فيما قصدناه من اخراج الترك من اوربا فان ظفرنا بالاستيلاء على القسطنطينية واطهرت دولة النمسا شيئا من الغيرة لاجل ذلك فاننا نحث دولة من دول اوربا على محاربتها او نسلم لها جانباً مما حصلنا عليه ونسترجع في اول فرصة

ثاني عشر

نجمع سائر الاغريق ببولونيا وبمالك النمسا ونسعفهم بقدر الامكان بالحماية والدفاع عنهم حتى يكونوا لنا احباء ما بين الاعداء

ثالث عشر

بعد الاستيلاء على مملكة السويد وغلبة الفرس وبولونيا والتسلط على الممالك العثمانية وجمع جيوشنا ودخول اساطيلنا بالبالتيك والبحر الاسود نشرع في المفاوضات السرية مع فرنسا ودولة النمسا في قسمة الدنيا بيننا فان ارتضت احدي الدولتين ما نعرضه عليها نستعين بها على قهر الاخرى ثم نهجم عليها ونغلبها ولا يصعب علينا ذلك حينئذ حيث يكون بيدنا ملك المشرق ومعظم اوربا

رابع عشر

ان امتنعت كلا الدولتين المذكورتين مما نعرضه عليها وهذا مما يبعد وقوعه يجب السعي بتجريض احدهما على الاخرى فنربص الفرصة ونهجم على المانيا بجيش عظيم ونوجه اسطولين الى البحر المحيط والبحر الاوسط للاستيلاء على فرنسا وبعد قهر فرنسا ومانيا لا يصعب الاستيلاء على بقية ممالك اوربا . اهـ
وهاته الوصية وان انكرتها رجال الدولة الروسية لكن السيرة السياسية والعسكرية الموجودة في الخارج من ذلك التاريخ الى الآن تصدق وجودها اذ هي مطابقة لها مطابقة النعل للرجل فلا زالت تمتد سطوتها في اسيا واوربا ولما كانت الدولة العلية هي الدولة ذات الشأن المجاورة لها في كل من القارتين مع مخالفة الديانة جعلتها مطمح نظرها ووجدت سبيلاً لمخادعة الدول الاورباوية بالانتصار للمسيحيين الموافقين لهم في الديانة لما تدعيو من التعدي عليهم فريد تحريرهم من استيلاء الدولة العلية عليهم على ما سيرد بسطة في الفصل الاول من الخاتمة فجعلت تثير ثورات في احد الاقسام ثم تنتصر له بان يجعل له ادارة مستقلة في داخلية وبعد مدة تغريو بالاستقلال وتنتصر له فاذا تم

استقلاله لا تلبث ان تبطله ثم تنتقل الى قسم آخر يوالي وهكذا ولما تفتتت الدولة العلية الى هذا المقصد تداركت الامر باصلاح الادارة على حسب ما تقتضيه الاصول الشرعية ويزيل تلك الاعتراضات حتى تقوى وتمتع نفسها وتستميل بقية الدول الاورباوية الى انصافها من مشاقتها فتعاطى المرحوم السلطان محمود مبادي الانتظام بعد ان لاقى متاعب شديدة مع العساكر الينكشارية الذين كانوا اعظم اسباب التخضرم في الممالك العثمانية العلية حيث عاثوا في الارض بظلم الرعية والاستيلاء على الاحكام السياسية في القاعدة وانحاء الممالك وخروجهم عن طاعة السلاطين وتلاعبهم بهم هذا بعد ان كانوا هم عدة الاسلام وناشري اعلام انتصاره عند ما نظمته الدولة الى خلال القرن الحادي عشر فابتدأوا بما سبق ذكره وتمادوا عليه الى ان وهنت الشوكة وتداركها السلطان محمود فزال ذلك الصنف بالمرّة بعد حرب ذريعة ونظم عوضهم العساكر النظامية على نحو انتظام العساكر الاورباوية في الممالك المتقدمة مع انه كان اذذاك في تعب عظيم من حرب روسيا التي كانت خاتمتها معاهدة ادرنة الموهنة لتامر استقلال الدولة العلية والجماعة لروسيا اليد في احوال الممالك العلية وكذلك كان السلطان في مهم من ثورة الاغريق في جزيرة مورا واضيف اليه صدر الاسطول الانكليزي باسطوله واساطيل الولايات التابعة للخلافة كصروتونس والجزائر اذ بينا تلك الاساطيل العظام راسية في بحر الجزائر الاحتراس في شأن ثورة مورة واذا بالاسطول الانكليزي وارد عليها في صورة المعاضد لان السلم متأكد بين الدولتين ولم تكن بينها شائبة حرب بالمرّة و اشارت الاساطيل الى بعضها بعلمات السلم فلم تلبث ان تخلت بين الاساطيل العثمانية حتى اذا تم تمكثها منها اطلقت عليها النيران من جميع الجهات في آن واحد مع شدة الالتحام والتداخل والمسلمون في حال الدعة اعتماداً على السلم المحقق فهلك جميع تلك الاساطيل وغرقت في لجة البحر دفعة واحدة من فيها فكانت حادثة لا تنسى ولا تنمحي من صفحات التواريخ حتى ان اعضاء مجلس الاعيان ومجلس النواب من الانكليز انفسهم هاجوا وماجوا على دولتهم من تلك الفعلة والزمو الوزراء بالمحاكمة والقصاص فانكر وزير البحرية اذنه بذلك وقال ان فعل رئيس الاسطول لما فعل هو افتيات منه ولا علم للدولة به فألزموا احضاره والحكم عليه بالقتل وعند ما احضر وروفع في مجلس الحكم وصدر الحكم بقتله وعلم انه لم يبق له مفر اقبل على وزير البحرية وساره في اذنه بقوله ايها الوزير ان تلك البطاقة التي بخطك قد نسيت ان احرقها وها هي الآن في جيبى فهبت وجهه واطرق صامتاً ثم عقد جلسة

سريّة واطلاق سبيل الرجل ويقال ان الحامل على ذلك ما هو مركز في طباع الدول سيما اذا كان القصد هو ركاس المسطوع عليه لما يأتمر به الساطي بيد ان الدولة الانكليزية لم تنزل من ذلك الوقت الى الآن تعاضد الدولة العليّة وتنصح لها وتظاهرها متى استطاعت كما ياتي ومع هاتو الشدائد التي تقدمت الاشارة الى بعضها فالسلطان محمود رحمه الله ونعمه لم يزل جالداً مقداماً حتى انه لما بلغه خبر الاسطول وهو يحدث احد كبراء دولته لم يزد على سؤاله عن تحقق الامر من غير انزعاج ثم عاد لحديثه الذي كان فيه وشمر عن ساعد الجد في تجديد الاسطول واقرار الراحة بانتظام العساكر النظاميّة والاحكام السياسيّة والشرعيّة فاخترته المنية قبل الاستتباب وتسلطن ولده السلطان عبد المجيد فاخذ في السعي في الانتظام وتغيير السيرة القديمة الى التهذيب الوفي الذي هو موافق للشرع العزيز كما ياتي في الفصل الرابع من الخاتمة واصرر فرمان العالي المحدث للتنظيمات وتعريبه هو

من المعلوم عند الجميع ان دولتنا العليّة لم تنزل من مبدأ ظهور امرها معنيتية بكال الرعاية للاحكام القرآنيّة الشريفة والقوانين الشرعيّة المنيفة وان سلطنتنا السنيّة قد وصلت بذلك الى الدرجة القصوى من القوة والمكانة ورفاهية الرعايا وعمارة المدن والقرى الا انها منذ مائة وخمسين سنة تناقصت قوتها ومعموريّة ممالكها واخذت في التاخر والضعف وذلك لغوائل متعاقبة واسباب متبوعة نشأ منها تجاوز الحدود الشرعيّة والقوانين المرعيّة ولا يخفى ان الممالك التي لا تنسج ادارتها على منوال القوانين الشرعيّة لا تدوم استقامتها فلذلك لم تنزل افكارنا منذ جلوسنا على سرير الملك مصروفة الى تدبير وسائل عمارة الممالك ورفاهية الاهالي مما يحصل به المطلوب في مدة يسيرة بعون الله تعالى نظراً الى حسن الموقع الجغرافي المحنوي على ممالك دولتنا العليّة ذات الاراضي الخصبة والاهالي ذوي الاستعداد وتمام القابليّة الى ان راينا من المهم وضع قوانين جديدة مؤسّسة على القواعد الشرعيّة المشيدة واعتمادنا في وضع ذلك على العناية الربانيّة متوسلين بحرمة سيد البريّة صلى الله عليه وسلم ومدار القوانين المشار اليها على وجوب حفظ النفس والعرض والمال وعلى بيان المرجع في تعيين الاداء وجلب العساكر اللازمة اما وجوب حفظ النفس والعرض فلكونهما اعز الامور الدنيويّة فاذا خشي الانسان عليهما اضطر الى التشبث بمن يرجو به وقايتها كائنًا من كان وان لم يكن في اصل فطرته مجبولاً على الخيانة ولا يخفى ان ذلك ما يضر بالدولة والمملكة بخلاف ما اذا كان آمنًا

على نفسه وعرضه فإنه لا يجيد عن طريق الصدق والاستقامة وصرف المهمة الى حسن الخدمة لدوائه وملته. واما المال فان من نقد الامن عليه لا يتأتى له القيام بحقوق دولته اذ لا يخلو دائماً من شغل بال واضطراب حال بخلاف ما اذا كان آمناً على ماله فإنه يشغل نفسه بما يعنيه في دينه ودنياه وينظر في توسيع دائرة معارفه وعيشه وبذلك يتمكن من قلبه حب الوطن وتشتد غيخته عليه وعلى دولته ويكون سعيه على حسب ذلك واما تعيين الاداء فالمرجع فيه ان كل دولة تحتاج في حفظ ممالكها الى القوة العسكرية كما تحتاج في ضبط تصرفاتها الى مصاريف لازمة فلا بد لها من مبلغ وافر من المال بحسب احتياجها واما يتحصل ذلك بما يضرب على اتباع تلك الدولة فلزم ان يوضع للاداء المشار اليه طريقة مستحسنة وذلك ان الاستبداد وان بقيت معه ممالكها سالمة والحمد لله على ذلك لكن ظهرت آثاره من الاخلال والخراب وذلك لان جعل زمام مصالح المملكة السياسية وامورها المالية بيد شخص واحد موكولة الى اختياره بل لا مانع ان يقال موكولة الى قهره وجبره يتسبب عنه ما ذكر خصوصاً اذا لم يكن ذلك الشخص من اهل الخير فإنه يوتر منفعته على منفعة الغير وتكون تصرفاته مبنية على الظلم والظير فوجب لذلك ان يبادر بترتيب معيار مضبوط يعتبر في توزيع الاداء على الاهالي مراعى فيه قدر المكاسب واليسار بحيث لا يؤخذ من احد ما فوق مقدوره بعد ان يجعل لمصاريف الدولة اللازمة للعساكر وغيرها حد محدود بقوانين لا تفتدها واما جلب العساكر فهو من اهم ما يتوقف عليه حفظ الدين والوطن والذب عنها فيلزم الاهالي ان يقدموا اشخاصاً منهم للخدمة العسكرية لكن الطريقة الجارية في ذلك الى الآن معها من عدم الانتظام تؤدي الى اختلال اصول الزراعة والتجارة والى قلة التنازل (فيقع النقص في الاموال والافس والثرات) ومنشأ ذلك عدم اعتبار عدد النفوس الموجودة ببلدان المملكة فيؤخذ من بعضها اكثر من المقدور ومن بعضها اقل من الميسور واستمرار الجندي في الخدمة العسكرية مدة حياته وبذلك يقل النسل ويحصل الضجر المخل بفوائد الخدمة المذكورة فبناء على ذلك نرى من اللازم اذا مست الحاجة لاخذ العسكر من المالك ان يوضع لذلك اصول مناسبة جارية على منهج المساواة المطلوبة ثم يسلك في الاستخدام العسكري طريقة المناوبة بحيث لا يبقى الشخص في الخدمة المذكورة اكثر من خمسة اعوام مثلاً فهذه الاصول التي عليها مدار القوانين والتنظيمات يحصل بمعونة الله نمو العمران والقوة والامن والراحة فلذلك نقول يلزم من الآن فصاعداً ان لا يعامل احد

من ارباب الجرائم والجنايات بما يفضي الى اتلاف نفسه من سم ونحوه بدون مبالاة بل لا يحكم عليهم الا بما تقتضيه القوانين الشرعية وان لا يسلط احد على الوقوع في عرض آخر وهتك حرمة وان يتصرف كل انسان في امواله واملاكه بغاية الحرية وعدم المعارضة وان من جنى جناية لا يحرم ورثته من حق وراثته بالاستيلاء على امواله للجناية التي هم براء منها وهذه المساعدة منا جارية في حق المسلمين وغيرهم من اهل الملل التابعين لسلطنتنا بدون استثناء احد منهم ولا تمام الامان وتعميم الاطمئنان يزداد في اعضاء مجلس الاحكام العدلية قدر ما يلزم للنظر في سائر اللوازم وفصلها بما يتفق عليه الاكثر وعلى وكلاء دولتنا العلية ان يحضروا المجلس المذكور في بعض الايام ويدي كل واحد ما يستصوبه دون تحاش ولا مداراة واما المناقضة في شأن التنظيمات العسكرية فانها تكون بدار الشورى الكائنة بمجلس السر عسكر وكل ما يستقر عليه الرأي من القوانين يعرض علينا لنوشئ بالخط الميمون ويكون دستور العمل الى ما شاء الله وحيث كان وضع القوانين الشرعية المشار اليها انما هو لاحياء الدين والدولة والملك والملة اكدنا ذلك بالعهد والميثاق من طرفنا الملكي على ان لا يصدر منا شيء يخالفها واقسمنا على ذلك في بيت الخرقفة الشريفة بحضور جميع العلماء والوكلاء وسيجلف كل منهم على ذلك فاذا صدر بعد ذلك من احد الوزراء والعلماء ما يخالف تلك القوانين الشرعية فانه يجازى بالنأديب المناسب لجريمته الثابتة بدون التفات لرتبته ولا مراعاة لذاته وحيث ان مأموري الدولة لهم مراتب كافية ومن ليس له ذلك الآن سيرتب له ما يكفيه وجب ان نشدد في قطع مواد الرشوة المستبشرة طبعاً وشرعاً بوضع قانون يخص عقوبتها ولاستبقاء التنظيمات المشار اليها والاصول المبنيّة هي عليها المغيرة للعوائد الجوروية القديمة وجب ان ننشر هذه الاوراق السلطانية الى سفراء الدول المتحابة المقيمين بالاستانة العلية ليكونوا شاهدين على امضاءها كما ننشرها الى اهالي الاستانة وسائر ممالكنا المحمية فمن سعى في حل عرى هاتو القوانين الموضوعه على اساس شرعي متين فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا ينال فلاحاً الى يوم الدين ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لاجراء هذا الخير العميم آمين " ١٠٥

ثم ان الجهلاء واصحاب الفوائد الشخصية من المنتسبين للعلم او من اهل السياسة كادوا ان يجدثوا تحويراً في المالك باشاعة ان التنظيمات تضاد الديانة الاسلامية فاضطر المرحوم السلطان عبد المجيد الى ازالة هذا الوهم من الافكار بارساله شيخ الاسلام احمد عارف الى المالك فقام فيهم خطيباً يشرح ان الشرع المحمدي لا يخالف التنظيمات بل

يقتضيه ولما كان هذا العالم معروفاً بالرسوخ في العلم والورع اتقادت العامة لمواعظِهِ اما
 ذوو الغايات الخصوصية من ذوي الرياسات فلم يأنوا جهداً في تعطيل اجراء التنظيمات
 بالفعل الى ان وجدت روسيا سبيلاً الى المداخلة سنة ١٢٧٠ فاضطرت الدولة العلية الى
 حربها المعروفة بحرب القريم وظهرها كل من دولتي فرنسا وانكلترا وسردانيا حيث
 توجه نامق باشا الى فرنسا والتي على مسامع الامبراطور نابليون الثالث باعانة وزيره
 دوروان دولوز ان غرض النظر عن تطاول روسيا لا تأمن بوائقه الدول الغربية لان
 روسيا لا تسمح الله لو تسلطت على الاستانة اما حسناً او معنىً للملك التسلسل على البحر
 المتوسط وحجرت التجارة عن سائر الممالك الشرقية من الممالك الغربية وايضاً تحصل على النفوذ
 السياسي الذي تخضرم به الدول الغربية اذا لم نقل انها تستولي عليها وحيث كانت فرنسا
 ناشرة راية الفخر في المعمور لا يسوغ لها اغضاء النظر عن هذا الحادث وترك الدولة
 العلية منفردة مع خصمها الالدي وبسط هذا المعنى بجمرة نفس حركت الخطوة الفرنسية في
 الامبراطور فاجابه الى معاضدة الدولة العلية و اشار عليه بان يستوثق من انكلترا بحالقتها
 ومعاضدتها فما وصل الى لندن حتى وجد القوم في قلق من انتظاره وكادوا ان يحملوه
 على الاعتناق وفتح دار الندوة لمطلبه وتلقاه اهلها بالرحب والقبول وحمية الذمار فلم
 تلبث الحرب بضع اشهر حتى اعلنت فرنسا وانكلترا حربهما للروسيا وانضمت اليها دولة
 سردانيا اذ كان ذلك تسبباً منها لاتحاد ايطاليا ودخولها في زمرة الدول العظام وامتدت
 الحرب واستمرت نيرانها الى ان سلمت روسيا للصلح على شروط معاهدة باريس ومضمونها
 هو ابقاء استقلال الدولة العلية في جميع اجزاء ممالكها واستقلالها نيافة سائر تصرفاتها
 الداخلية التي يشترط فيها الحرية والامن التام لرعاياها على اختلاف اصنافهم واما الممالك
 التي لها استقلال في ادارتها وهم من النصارى كالصرب والجبل الاسود والافلاق
 والبغدان فتبقى متمتزة تؤدي الخراج للدولة تحت حمايتها واما البحر الاسود فيكون حائداً
 حتى لا يسوغ لاحدى الدولتين المالكين لشطوطه جعل سفن حربية فيه سوى عدد
 يسير لمجرد حفظ الراحة الداخلية وكذلك نهر الطونة يكون نهراً تجارياً فقط تحت مناظرة
 جمعية اورباوية ومن ذلك الوقت نخلصت الدولة العلية من ائقال روسيا السابقة ودخلت
 في سلك الدول الاورباوية العظام وتكفلت الدول باستقلالها ومن سوء الحجت لم يزل
 اغلب المتوظفين في غفلاتهم مصرين على السيرة الاستبدادية والعدو منهم بالمرصاد
 فالف جمعيات سرية في قواعد مملكتهم وارسلت عملها الى الولايات العثمانية التي اغلب

سكانها نصارى والقوادسائهم بتعلم الثوران والقاء العداوة بين الراعي والرعيّة هذا وسفير روسيا في قاعدة الخلافة يحسن اوجه التودد الى روسيا والاستماع الى نصائحها الملائمة لطباع من استماله من الرجال من الاستمساك بالسيرة الاستبدادية التي هي سيرة روسيا لكن على شرط التسليم في الولايات التي يسكنها الصقالبة وبذلك تعقد دولة روسيا مع الدولة العليّة معاهدة على الذب والاقدام وتعضها بمعاضدتها ممالك اسلامية عوضاً عما يخرج من عندها وتساعدوا ايضاً على الخط من ديونها الى المقدار الذي يظهر لها فاثرت هذه الوسوس واعلنت الدولة العليّة بعدم اقتدارها على دفع فائدة ديونها حتى اغتازت منها سكان اوربا واستعمل الاهمال في شأن تلك الجمعيات السرية حتى ثارت ولايتا بوسنه وهرسك ثم البلغار ثم الجبل الاسود ثم الصرب وتدارك رجال الدولة الصادقين الخطب بتفطنهم الى الدسائس الباطلة التي ليس القصد منها الا اضعاف الدولة بيدها وجعلها في قبضة عدوها وفرادها عن الدول الناصحة لها مع انها استقرضت من رعاياها منذ سنة ١٢٧٠ نحو خمسة الاف مليون فرنك ولم يحصل منها ومن مداخيل الدولة التي هي نحو عشرين مليوناً ليرة في السنة على مر تلك السنين التي هي ثييف وعشرون سنة مما يصح ان يعد الا ما تضمنه التقرير الذي قرأه الصدر الاعظم بحضر السلطان عبد العزيز في الباب العالي وهذا مضمونه « انه قد اتخذ جميع الوسائل اللازمة لاصلاح شأن المجالس الحكيمية واثقان تنظيمها وترتيب خدمتها على اعدل وجه ممكن حتى ينال جميع رعايا الدولة منها غاية ما موهوم من حسن المعاملة والانصاف من غير مراعاة الجنسية ولا المذهب وانه بذل جهده في اصلاح قوى الدولة وتنظيمها على ما يعادل تنظيمات الدول الاخرى وان جملة العساكر مع الرديف تبلغ الآن ثمانمائة الف نفر مجهزة الجهاز التام ومصحوبة بما يلزمها من المدافع المتقنة حسب الاختراعات الجديدة وان الاساطيل اعنى باصلاحها غاية الاعناء حتى اصحبت الدولة العثمانية الآن عندها منها ما يجعلها بمنزلة الدول البحرية الكبار وانه متى نجرت السفن المشروع الآن في انشائها في الترسانة العليّة يكون للدولة من الفرقاطات المدرعة والمونيتور (وهي سفن ذات ابراج) سبعة عشر فلذلك وانه ابرز الاوامر اللازمة لتحصين سائر حدود السلطنة بالابراج والحصون حسبما تقتضيه ضروريات الوقت وانه جهز ترسانات الدولة بالادوات والمكينات والمهمات اللازمة حتى صارت الآن تستطيع ان تجاري ترسانات اوربا في انشاء السفن الحربية او اصلاحها وانه يفرغ عما قريب من انشاء المصنع الجديد الذي شرع في انشائه

منذ مدة في الطوبخانة وهو مصنع يستطيع ان يصب ثلاثمائة مدفع في كل عام من أحسن مدافع الشيشخان وان اهتمامه الآن بمساعدة وزير المعارف واقرانه الوزراء الاخر موجه الى تكثير عدد المكاتب والمدارس توفيراً لاسباب التعليم وترتيبها على وجه يمكن سائر الناس من الانتفاع بها الانتفاع المطلوب وان الاعمال المتعلقة بالسكك الحديدية والطرق المعدة لسير العجلات واقع الاهتمام بها من غير انقطاع ولا توان وان في اواخر اغسطس الآتي تكمل سكة الحديد المشروع في انشائها بين اسكودار وازميد وان الحرائث لا يزال موجهاً اليها كل ما تستحقه من عظيم اعنائه واهتمامه وتنال يومياً من التسهيلات سائر ما تحتاج اليه منها دوام اغفاء الادوات والآلات اللازمة لها على اختلاف انواعها من اداء رسوم الكرك على الاطلاق في سائر اقاليم السلطنة وهذا كله لزيادة ترغيب الناس في الاشتغال بها حالة كونها هي اعظم ينابيع الثروة في الممالك وختم الصدر الاعظم تقريره بقوله ان مآلة الدولة باقية على ما كانت عليه . هذا وبعض التقرير لم يكن في الخارج طبق ما ذكر ولهذا تنافس الامر فيما بعد الى ان استندت رجال السياسة والعساكر الى فتوى من شيخ الاسلام في اخلال فكر السلطان واولوا السلطان مراداً وحيث كان ضعيف المزاج وانزعج بكيفية ولا يتوهم وبوت عمه وبالثورة على الوزراء من بعض المعينين لم يطق تحمل عبء الخلافة فاستند اهل الحل والعقد الى فتوى ايضاً واولوا سلطاننا عبد الحميد ايده الله فتدارك امر الادارة باصداره الخط الهمايوني عند تقلده البيعة وهذا تعريبه " انه لما اعتزل اخي الاكرم حضرة السلطان مراد الخامس عن مشاغل السلطنة والخلافة وفرغ منها جلسنا بموجب القانون العثماني على تحت اجدادنا العظام وقد وجهنا لعهدتكم مسند الصدارة العظمى ورياسة مجلس الوكلاء ابقاءً وتجديداً بناء على ما لذاتكم من الروية المسلم بها والحمة المجربة وما لكم من الوقوف والاطلاع على مهم امور الدولة وكذلك اقررنا جميع الوكلاء على مناصبهم وانني شديد الاتكال في جميع الاحوال على تسهيلات جناب موفق الامور (هو الله سبحانه وتعالى) وتوفيقاته الصمدانية وقصارى آمالي ومقاصدي معطوفة بالحصر لتأييد اساس شوكة دولتنا ومكنتها بحيث تنال صنوف تبعتنا بلا استثناء الحرية ويتنعمون جميعاً بنعمة العدالة والرفاهية فاؤمل بثقة تامة ان جميع وكلاء دولتنا وعالمها يشاركوننا في هذا الاثر ويعاونوننا عليه وقد عرف الناس اجمع بان حال الجحران والاغشاش الملم بدولتنا له جهات واسباب متنوعة وصور واشكال متعددة فاذا امعنا النظر في ذلك من اي جهة كانت تجتمع مبادئه واسبابه في نقطة واحدة وهي عدم

جريان القوانين والنظامات المؤسسة على الاحكام الجليلة الشرعية التي هي المسند الاساسي في دولتنا على حقها وتمامها واتباع كل فرد اهواء نفسه في ادارة الامور اما اتساع ميدان عدم الانتظام الطارىء على ادارة دولتنا ملكاً ومالاً وما حصلت عليه امور ماليتنا من عدم الامنية في الافكار العمومية وتعذر وصول المحاكم الى الدرجة المتكفلة بتأمين حقوق الناس وتاخر استفادة مملكتنا حالة كونها قابلة لانواع وسائل العمران كالخرف والصنائع والتجارة والزراعة كما هو مسلم فهو من عدم الثبات الذي وقع على كل ما شرع به من الاجراءات وكل ما حصل من التثبثات الصادرة عن نية خالصة لمقصد اعمار مملكتنا ورفاهية حال رعايانا وتبعتنا وسعادة حالهم ونوالم بدون استثناء الحرية الشخصية وكون ذلك باجمعه صار عرضة لتغييرات متنوعة منعت انتاج المقصد الاصلي فلا ريب في انه تولد ونشأ عن عدم الثبات باتباع القانون والنظام ولذا كان من اهم ما يلزم ان التدابير الواجب وضعها اولاً فاولاً في مطلب قوانين المملكة المقترضي وضعها وتنظيمها في صورة لتكفل بامنية العموم وثقتهم ينبغي ان يتدباها من هذه القطعة المهمة وهي ان يترتب مجلس عمومي تكون افعاله وآثاره مستوجبة اثقة العموم واعتمادهم ويكون موافقاً لقبليّة مملكتنا واخلاق اهلها كافلاً باتمام تأمين اجراء القوانين حرراً بحرف سواها كانت القوانين الموجودة او التي نئأسس من الان فصاعداً توفيقاً (موافقة) لاحكام الشرع الشريف المقدسة ولما هو بالحقيقة ضروري ومشروع لمملكتنا وملتنا وناظرًا في موازنة وارادات الدولة ومصاريفها فليبحث الوكلاء في هذا المطلب ويتذكروا فيه بتدقيق وتأمل ويعرضوا قرارهم لدينا ويستأذنوا عنه ثم لما كانت مسألة توديع الماموريات الى غير اهلها من المامورين وتبدلاتهم المتوالية من غير سبب مشروع هي من جملة الامور الباعثة على ايقاع جريان القوانين والنظامات كما ينبغي في حيز الاشكال وهذا ممّا ياتي بكبر المضرة ملكاً ومصحة فينبغي ان يتعين من الان فصاعداً مسلك مخصوص لكل نوع من الخدم والماموريات وتنفذ قاعدة ثابتة يستخدم بمقتضاها في كل عمل من يكون اهلاً ولا يعزل احد او يبدل من ماموريتهم بلا موجب على وجه ان تكون كافة الوكلاء وماموري الدولة كباراً وصغاراً مسئولين عن الوظائف الموكولة لهم كل بحسب درجته وكما هو معلوم لدى الخائفين ان ترقية ملل اوربا المادية والمعنوية انما هي حاصلة بقوة الفنون والمعارف ولما كان استعداد كافة صنوف تبعتنا وما فطروا عليه من الذكاء والحمد لله يؤهلهم من كل وجه للترقيات واهم ما لدينا من الامور

الاسراع بتعميم المعارف فاخص ما نمتناه والحالة هذه ان يحصل الاجتهاد بإبلاغ تخصيصات المعارف إلى الدرجة الكافية جسماً يساعد الامكان وان تستحصل الوسائل الموصلة لتعميم نشر اصول المعارف على النور ويبادر عاجلاً لاصلاح الاصول الملكية والمالية والضبط في الولايات بحيث توضع ضمن دائرة الانتظام في صورة مناسبة للقاعدة التي نتخذ في المركز وحيث ان الحادثة التي ظهرت في العام الماضي في اطراف هرسك وبوسنة باغراء ارباب الاغراض قد انضم لها ايضاً مسألة عصيان الصرب والدم المهرق من الطرفين انما هو دم اولاد وطن واحد وكان دوام هذه الحال التي يرثى لها موجب لكدونا وناثرنا الشديد يلزم التشبث بالتدابير المؤثرة المفضية لاستئصالها وفيما نؤيد مجدداً كافة احكام المعاهدات المنعقدة مع الدول المتحابه نؤثر رعايتها على الوجه الحسن فينبغي الثابرة بالاجتهاد على ازدياد روابط الحب والمسالمه المتبادلين بيننا وبين الدول ونسئل حضرة الرب المتعال ان يقرن مساعينا جميعاً بتوفيقاته السجانية في كافة الاحوال آمين . يوم الاحد في ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٣ »

ثم اعلم الحزم في الثورة وتمر جميع العصاة في سائر الانحاء وعند ما رأته روسيا تهمل الوسائل التي اعدتها لم تطق صبراً حتى جيشت الجيوش ووقفت على قدم الحرب بدعوى ان تعهدات الدولة العلية في حق النصارى لم تجر وانهم لا زالوا في الظلم من الولاة والتعدي من المسلمين وان تعهداتها الجديدة الموافقة للاتحة الكونت اندراسي وزير النمسا التي قدمها على وجه المودة والنصح والمساعدة للدولة العلية للاصلاحات المطلوبة للولايات النائرة هي غير كافية ولم ترضهم فتريد اذاً الدولة الروسية ان تطلب الاستقلال في الادارة لتلك الولايات على ان تكون تحت حمايتها وانها تنفذ هذا بقوة السلاح لولا ان انكلترا جاشت في حلقها وصرحت لها عند ما كانت تمد النافرين حساً ومعنى انها ان لم تكف عن هذا الحرب السري فانها تدخل معها في الحرب الجهري وكذلك دولة النمسا اظهرت التحرش من جهتها خوفاً من كل منهما على مصالحها اذ دولة الانكليز تخاف من تملك روسيا خليج فارس وخليج السويس وبذلك تسقط من يدها مستعمراتها في الهند ودولة النمسا تخشى ان يكو عب الصقالية بمجوارها فيظهرون عليها وتلاشى فيما بينهم مع ساقية التآلف بين العثمانيين والهنگاريين الذين هم قسم مستقل من مملكة النمسا حتى ان رئيس الدولة يلقب بامبراطور النمسا وملك هنگاريا وهذا التآلف جاء من مساعدة العثمانيين لهم عند ما كان قسم النمسا فاهراً لهنگاريا ومستبداً عليها في التصرفات السياسية غير

انه منع كل من الدولتين مانع من انفاذ قصدها بالفعل . فاما دولة انكلترا فانها لما كانت دولة حرية بحتة لم يكن في قدرتها التصرف الأعلى طبق ارادة الامة وامتها منقسمة الى حزبين احدهما يسمى حزب المحافظين والثاني يسمى حزب الاحرار وتقدم بسط هذه التسمية في الكلام على انكلترا وكان الحزب الثاني مضاداً لانتصار دولته للدولة العلية حتى انه لما كان ييده زمام التصرف في سنة ١٢٨٨ وانتهزت روسيا الفرصة من حرب جرمانيا وفرنسا فطلبت تغيير معاهدة باريس فيما يتعلق بتقوية شأنها في البحر الاسود ساعدت اذ ذلك دولة انكلترا على ذلك المطلب وغير شرطه وفي هاتين النازله المتكلم عليها كان التصرف بيد حزب المحافظين لكن الحزب الآخر مضاد لهم وكاد ان يجذب اليه الحزب الآخر فلم يكن في وسع زعماء هذا الحزب الذين ييدهم زمام تصرف الدولة ان يخالفوهم بالمره سيما والباعث على انفاذ سياستهم مع المخالفة لم يحصل في هاتين المسألة كما يفقهه البصير واضف الى ذلك عدم تحقق محالف ذي قوة برية معتبرة يمكن لانكلترا ان تعاضد معه للانتصار للدولة العلية لان فرنسا الوحيدة لمثل ذلك لم يكن في وسعها الارتباك في الحرب لما تقدم في الفصل الثالث من المقصد في الكلام على فرنسا وهذا السبب المتعلق بفرنسا ذاته هو الذي نكص دولة النمسا عن انفاذ قصد الهنكارين في معاهدة الدولة العلية حيث ان الموازنة الاورباوية تغيرت وتحالف الامبراطرة الثلاثة اي امبراطور المانيا وروسيا والنمسا اما حقيقة واما حكماً على مساعدة بعضهم ونفهم كما بينته الحوادث فلاجل الجواذب المتباينة المشار اليها غاية ما استطاعته كل من انكلترا والنمسا لكبح روسيا ان عقدوا مؤتمراً في الاستانة للاتفاق ما بين الدول الموقعين على معاهدة باريس على ما ينصلح به الحال ويرجع السلم بين الدولتين المتنافرتين فأرسي امرهم فيه على ان طلبوا من الدولة العلية ما يأتي

اولاً . تغيير حدود الجبل الاسود باعطائه بعض اراضي من المملكة العثمانية . ثانياً تشكيل لجنة من مرخصي الدول الاورباوية لتعيين تلك الحدود الجديدة . ثالثاً ابقاء حكومة الصرب على الحالة السالفة بأن تكون لاهلها ولا عليها وتقرر حدودها من جهة بوسنة عملاً بمقتضى الخط السلطاني الصادر سنة ١٢٣٢ . رابعاً الولاية الذين يتعينون الى بوسنة وهرسك والبلغار ينتخبون من جانب الباب العالي مع موافقة دول اوربا في ذلك وابقائهم في مأورياتهم مدة خمس سنين . خامساً نظراً الى الموقع الجغرافي تقسم تلك الولايات الى الوية ويتعين لها متصرفون من جانب الباب العالي بعد انتخاب اولئك الولاية لهم . سادساً

انشاء مجلس مركب من ثلاثة اعضاء بكل من الولايات تنتخبهم مجالس الولايات لتحرير دخل الولاية وخرجها وانتخاب اعضاء مجالس الادارة وتوزيع الضرائب السلطانية على الاهالي ما عدا رسوم الكرك والدخان الراجعة للدولة العلية . سابقاً ابطال طريقة التزام مداخيل الدولة واسقاط البقايا السابقة بكل من الولايات الثلاث . ثامناً دخل الولايات المذكورة عدا ما هو راجع للدولة كالدخان والكرك يعطى منه قسط لخزينة الدولة العلية والقسط الباقي يصرف في مصالح الولايات المذكورة وينظم لكل منها دستور للعمل بذلك . تاسعاً ترتيب المحاكم النظامية . عاشرًا اعطاء حرية الاديان . حادي عشر تنظيم الحرس الاهلي . ثاني عشر الغفو العمومي عما سبق من الجنايات السياسية . ثالث عشر اعطاء رخصة للاهالي في شراء الاراضي السلطانية . رابع عشر الشروع في تنفيذ تلك الشروط قبل مضي ثلاثة اشهر . خامس عشر تعيين لجنات من طرف دول اوربا للاحتساب على اجراء تلك الشروط . غير ان الدولة العلية امتنعت من قبول الاقتراحات المذكورة مخرجة بانها صارت دولة قانونية حرية للجميع اصناف رعاياها على السواء بالقانون الاساسي الذي احاط به المملكة السلطان الغازي عبد الحميد ايد الله ملكه وقد سبقت الاشارة اليه في فرمان الذي اصدره عند البيعة العامة وابرزه للعمل بالفعل عند ما كان المؤتمر في مفاوضاته واصحبه بالخط الشريف الآتي نص تعريبه في موكب مشهود وكانت تلاوته في يوم كانه يوم عيد وهو

” وزيرى سيمير المعالي مدحت باشا

” ان سطوة سلطتنا كانت في حالة القهقرة في الايام السالفة واسباب ذلك التقهقر لم تكن ناشئة عن المشاق الخارجية فقط بل انما وقعت لاجل الانحراف عن الطريقة المستقيمة في الادارة الداخلية حتى ضعفت امانى وثوق الرعايا بالدولة ولذلك كان المرحوم والدنا الماجد السلطان عبد الحميد منح بعض اصول في تحسين الادارة معروفة بالتنظيمات الخيرية اشتملت على تأمين جميع الرعايا في انفسهم ومالهم وعرضهم وشرفهم طبقاً لقواعد شريعة المطهرة والتنظيمات المذكورة هي التي كانت سبباً لابقاء السلطنة محافظة على لوازم الامنية الى الآن ومن آثارها المشكورة انها سهلت لنا نجاح مساعينا في تأسيس هذا القانون الجديد الذي اقتضته اراء رجال دولتنا التي نتجت عنهم بحريتهم حيث استبدوا الى تلك الامنية وقد تيسر لنا في هذا اليوم الاعلان به . ولما كان هذا اليوم من الايام السعيدة فانه يلزمي ان نذكر الان المقدس المرحوم والدنا ونصفه بعنوان محيي الدولة وان نذكر

مقاصدهُ الحسنة ولا شك انه كان سعى بنفسه في ادخال السلطنة في العهد القانوني الذي سنستظل به الان ولو توفرت مدة تأسيس التنظيمات الخيرية الاسباب المتوفرة الان لكان والدنا المرحوم اسس اذ ذلك احكام هذا القانون الاساسي ولكن العزة الالهية قدرت ان يكون هذا التبديل السعيد الذي هو الكفالة العظمى خير رعايانا في مدة ولايتنا والله المنة على ذلك، ومن المعلوم المقرر ان اصول ادارة الدولة صارت مغايرة للتبديلات المتتابعة التي وقعت شيئاً فشيئاً في تصرفاتنا الداخلية وفي زيادة خلطتنا مع الدول الاحباب وغاية مرغوبها ازالة جميع الاسباب المانعة للامة وللبلاد من الانتفاع بالنتائج الطبيعية التي لهم حق فيها كما يلزم وان نرى جميع رعايانا قد جاوزوا الحقوق التي من علائق الاسم المهدبة بحيث يكون كلهم متعاضدين بنية سالمة في التقدم والالفة والاتحاد فكان من الواجب اتخاذ طريقة نافعة مستقيمة للحصول على المقصد المذكور ووقاية حقوق الدولة ومحو الخطيئات والغلطات الناتجة من الاعمال الغير المباحة الناشئة من وجود التصرف الاستبدادي بيد نفر واحد او بعض انفار وان نمنح حقوقاً متساوية لجميع الطوائف المركبة منهم الامة وان نجعلهم في حالة يمكنهم معها الانتفاع بخير الحرية والعدل والتسوية ولا فرق بينهم في ذلك وهذا هو الوجه الوحيد الصالح لحماية جميع المصالح وضماناتها وهذه القواعد الكلية التي تجت وجوب عمل آخر مفيد للغاية وهو وجوب تقييد اساس ادارتنا بصورة شورية قانونية ولذلك لما اصدرنا خطنا عند صعودنا على كرسي السلطنة قررنا لزوم احداث مجلس للامة (وفي الاصل برلمنتو) وقد اشغلت جمعية خاصة مشكلة من رجال دولتنا واهل العلم والمتوظفين الاعيان في تأسيس اصول هذا القانون بغاية التدقيق ثم وقع التامل منها بمجلس وزرائنا والمواقفة عليها وهذا القانون اشتمل على اثبات الحقوق الراجعة للذات السلطانية وحرية جميع الرعايا العثمانيين السياسية والعرفية وتسويتهم لدى الاحكام السياسية والعرفية ايضاً وبيان مسئولية الوزراء والمتوظفين ومتملقات وظيفتهم وحق مجلس الامة في الاحساب على اعمالهم واستقلال المجالس الحكومية في خدمتها والمعادلة بين دخل الدولة وخرجها معادلة حقيقية وقسمة التصرفات الحكومية بالاطوان مع بقاء النظر الاعلى فيها للدولة وجميع هذه الاصول المطابقة لاحكام الشريعة المطهرة ولضروريات الوقت ولمرغوبنا قابلت النية الحسنة التي شأنها تحقيق خير الجميع حيث ان ذلك غاية المراد وقد جعلت اتكالي على الله وعلي امداد رسوله في ذلك وانطت لعهدتهم هذا القانون بعد ان وافقت عليه بامضائي السلطاني ويقع العمل به حالاً بحول الله في جميع جهات السلطنة

فلا ن ارادتنا انكم تعلموا بهذا القانون وتجروا العمل بمقتضاه من هذا اليوم كما يجب عليكم ايضاً اتخاذ جميع الوسائل اللازمة المتأكدة للاشتغال في تهيئة الترتيب التي تضمن ذكرها القانون المذكور والله تعالى المسئول ان يقارن بالنجاح سعي كل من اشتغل فيما يؤول الى نجات السلطنة والامة وكتب في ٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٢٩٣ .

غير ان اعضاء المؤتمر لم يقنعهم ذلك وسافروا جميعاً من الاستانة دفعة واحدة مظهرين الضدية للدولة العلية والدولة لم تكثر بذلك حيث ان ما فعلته من الرفض لمطلبهم كان عن رأي الامة لانها عقدت مجلساً عاماً من جميع وجوه اصناف رعيتهما حتى انه حضره المعروف بالدراية والديانة امير الامراء (الفريق) رستم باشا وزير الحربية اذ ذاك في المملكة التونسية حيث كان رسولا عن اميرنا في تهيئة حضرة السلطان بالولاية واجمع جميع اولئك الاعيان على اختلاف ديانتهم على رفض تلك المطالب بل ان النصارى واليهود منهم قالوا نوثر ارافة آخر نقطة من دمنا وصرف آخر درهم من مالنا على حفظ شرف مملكتنا من الالهانة بالتجزئة وان كان هذا لم يبد فيما بعد حقيقة الأمن البعض دون البعض هذا بعد حين كان عرف جميعهم الرجل الوحيد مدحت باشا صاحب الصدارة اذ ذاك بعواقب الانفراد عن الدول واحتمال تعصبهم جميعاً لكي يتبصروا وليعلم حقيقة ضميرهم فلم يتزحزحوا شيئاً فانفذ السلطان ووزيره هذا الرفض والله درهم من رجال اذ لم يسع سائر الامم الا انصافهم والاذعان بان لهم الحق في رفض ذلك الاقتراح بل ان اللورد والسبوري اشد المخاصمين في المؤتمر قال عند ما استقر بمجلس الوزراء في انكلترا لقد انصف القوم في رفضهم للمطالب نعم ان الخصم زاد تألباً وأعلن بان الدولة العلية اهانت اوربا لكي يموه احقاقه في اشهار الحرب بيد ان انكلترا مع ذلك لم تسمح له بما اراد وألحت على التعلل للدولة العلية واجتمع سفراء الدول في انكلترا واستقر امرهم على لأحة هذا نص تعريبها « ان الدول التي تعاطت عموماً اسباب سلم المشرق واشتركت لهذا المقصود في مؤتمر الاستانة قد رأت ان الطريقة الوحيدة في بلوغ المقصد الذي اعتمدت عليه هي المحافظة على التوافق الذي وقع من حسن البخت بينهم ومع ذلك يجددون تقرير امر بهم وهو من مصالح العموم اعني تحسين حالة امم النصارى بالمالك العثمانية واجراء الاصلاحات في بوسنه وهرسك والبلغار حسبما قبله الباب العالي على ان يجرىها من عند نفسه ولذلك اعتمد عقد الصلح مع الصرب حجة اما ما يتعلق بالجبل الاسود فان الدول تعتبر عقد الصلح معه امراً مرغوباً فيه ولا بد له من توطيد به يقع تعديل الحدود وتعطي حرية الجولان في

نهر البويانة لان الدول تعتبر التاويلات التي تقع او ستقع بين الباب العالي وهاتين الولاياتين
 كما انها تقدمت خطوة الى السكون الذي هو الداعي لرغبتهم العمومية ولهذا يستدعون الباب
 العالي لتوكيده بترجيح العساكر على قدم السلم ولا يبقى منها هنالك غير عدد العساكر اللازمة
 لتقرير الراحة وبيادر الى اجراء الاصلاحات اللازمة للراحة وخير الولايات في اقرب
 وقت حتى يقع ما اشتغل به المؤتمر وقرروا بمقتضاه ان الباب العالي حاضر الى اجراء
 القسم المهم من تلك المطالب واتخذوا منشورهُ المؤرخ في ١٣ فبراير سنة ١٨٧٦ وما
 قررتهُ الدولة العثمانية في المؤتمر حجة سيما وذلك كان علي يد وكلائها وقد كان ظهر للدول
 بالنظر الى استمدادات الباب العالي الحسنة ومصالح الحقيقة في اجرائها انها متيقنة بما
 املته من ان الباب العالي حيث انتهز هذه الفرصة الحاضرة فانه يقوم بحزم لاجراء الوسائل
 المعدة لتحسين حال النصارى حقيقة وهذا المطلوب من الامور الضرورية لراحة اوربا
 وحيث سلك هذه الطريقة علم يقيناً ان من شرفه ومصالحه ان يجتهد في ذلك بعزم على
 وجه مستقيم فتطلب الدول اذ ذلك ان تلاحظ كيفية اجراء الدولة العثمانية مواعيدها
 بواسطة وكلائهم في الاستانة ونوابهم واذا بات ما ملهم عديم النجاح مرة اخرى بان لم
 تخمن حال النصارى رعايا حضرة السلطان بكيفية تمنع رجوع التشعبات التي تضطرب
 بها دائماً راحة المشرق فالعلم سيظهر لهم من الواجب ان يقرروا ان مثل هذا الحادث
 لا يوافق مصالحهم ومصالح اوربا عموماً وفي هذا الحال لتخفف الدول باعلان ما يرونة
 عموماً من الطرق التي ستظهر لهم التزاماً لتقرير خير الامم النصارى ومصالح السلم العمومي .
 وكتب في لندن في ٣١ مارس سنة ١٨٧٧ »

وارسلوها للدولة العلية كالبلاغ الاخير فرفضتها وباليتمها قبلتها اذ هي مطابقة لما كان
 اصدرته من فرمان المطابق لللائحة الكونت اندراسي والمراقبة من الدول اذا كان اجراء
 الاصلاح حقيقة مقصوداً لا ضير فيها سيما ونفس معاهدة باريس المصرية بكامل استقلال
 الدولة العلية في ادارة ممالكها هي ايضاً مصرحة باشتراط اصلاح الادارة المتضمن لمراقبة
 الدول لها اذ لا معنى لجعلها شرطاً في معاهدتهم الا ان يكون لهم حق في طلب اجرائها كما
 يطالبون اجراء سائر شروط المعاهدة نعم في ذلك ما بنا في النخوة لكن باب ارتكاب
 اخف الضررين لا ينسى ولا يخفى ان دولة روسيا تشمل ما ينيف عن الثمانين مليوناً
 واذا اضيف لها مظاهروها من اتباع الدولة العلية كانت نحو تسعين مليوناً من النفوس
 وهي مرتاحة من الحرب وتهدأت لها منذ عشرين سنة واوصلت سلك الحديد الى اطراف

ممالكها التي يعتنى بها ولا ينسى انه منذ ثلاثة وعشرين سنة فقط قد جاريتها اربع دول
معاً وكانت الحرب بينهم سجالاً والدولة العلية لا تشمل أكثر من اربعين مليوناً منهم خمسة
عشر مليوناً أكثرهم معاضد لعدوها بالمال والرجال واقلمهم لا يعينون بالمال إلا عن مفض
فضلاً عن الانفس وقد كانت اذ ذاك في حرب اهلية دامت نحو السنين ولم تنهياً بكال
الاستعداد لتقوم انتصار الدول لها فاذا هم قد انقردوا عنها وتركوها وخصمها فقامت
الحرب على ساق وظهر من صناديد العثمانيين ما هو معروف حتى اقر سائر الاجناس لم
بانهم امة لم تزل حية سيما ما بدا من عسكر البطل الغازي عثمان باشا المشير فانه قاتل
في بليفتنا التي صيرها حصناً عظيماً في مدة حربه بجيش لا يبلغ الاربعين الفا جيشاً عرمرماً
من الروس والرومانيا يتجاوز المائة والعشرين الفا وقتل منهم ما ينيف على عدد جيشه
ولولا سببية القدر بعدم انجاده لما تيسر للروس مجرد حصار جيشه حتى اضطر الى
الهجوم فخرق الحصار بن بقي سليمان من جيشه الذي قدره سبعة وعشرون الفا فراكمت
عليه مائة الف او يزيدون الى ان خرج واضطر للتسليم فاقبل عليه القيصر نفسه ولما سلم
له سيفه قال له " ان مثلك ايها البطل يحق له الفخر الدائم " ورد اليه السيف وكفى بذلك
شهادة له فصحى الجو للروسيا ولقد تمت الى ان بلغت جوار القسطنطينية وامتنعت من
توسط الدول في الصلح حتى طلبته الدولة العلية منها رأساً وعقد على شروط تضمنتها
معاهدة سان استيفانوس وهذا نص تعريتها

« الشرط الاول انه بموجب الخريطة المربوطة بهذه المعاهدة وبمقتضى الشروط
والوجوه الاتي ذكرها تقرر تصحيح حدود ممالك الدولة العلية والجبل الاسود وذلك
لاجل انتهاء المنازعات والمصادمات المتتابة الوقوع فيما بينها فالحدود تمتد من جبل
دوبروزيجه على الوجه الذي عينه المؤتمر الذي كان حصل في الاستانة الى غوربتو ويملكه
والحد الجديد يستطيل الى غاجقة وعلى هذا متوتركيا غاجقو تبقى سيفي تصرف الجبل
الاسود وتمتد الحدود ايضاً من مجمع انهر بيوه وثارة وتمر من نهر درين الى جهة الشمال
وتنتهي الى مجمع هذا النهر مع النهر المعبر عنه فيم واما حدود الجبل المذكور الشرقية
فتبتدي من نهر فيم الى بريرة بولرة ومن روستراق الى سوق بلاتينا وبيهور وروستراق
تبقيان داخل الجبل فعلى ذلك يكون تحديد الخطوط هكذا اعني من الجبال المسلسلة
الجامعة لروغوة وبلاو وكوزنره الى شلب باقليني ومن رؤوس جبال قوبريونيق وباباور
وبورور حذاء حدود بلاد الارناوط الى اعلى ذروة جبل بروقليتي ومن هذه النقطة الى

كثيب يسقاشيق وينتهي الحد على الخط المستقيم الى عين الماء في جيسي هوتي ويفصل فيما بين جيسي هوتي وجيسي قاستراني ويتجاوز ماء اشقودرة الى ان ينتهي لنهر بويانة وهكذا مع النهر الى مصبه في البحر وبموجب ذلك تبقى نكسيك وغاشقه واشبوزي وبودغوريجية وزابلياق وبارضين الجبل المذكور وقد يصير تعيين حدود امارة الجبل قطعياً بمعرفة لجنة مركبة من بعض مأموري دول اوربا بشرط ان تكون وكلاء الباب العالي والجبل معهم ايضاً فهذه اللجنة تلاحظ منافع الطرفين وامنية البلاد الكائنة في الجهتين ثم تشير في الخريطة الى التعديلات التي ترى لها لزوماً وتعلم انها هي الحق وتوضح في ذلك ما رآته من صالح الجهتين ثم لا يخفى ان امر سير السفن في نهر بويانة لم يزل يجلب النزاع فيما بين الباب العالي والجبل الاسود فلاحل قطع هذا النزاع يصير تحرير نظام ذلك بمعرفة اللجنة المذكورة

الشرط الثاني. ان الباب العالي يثبت استمالة امارة الجبل الاسود على الوجه القطعي ثم فيما ياتي نتقرر فيما بين دولة روسيا والدولة العلية والامارة المذكورة كيفية المناسبات التي ستكون بين الباب العالي والجبل وقضية تعيين وكلاء من طرف الامارة في الاستانة وفيما يقتضيه الحال من ممالكها ويتقرر ايضاً امر اعادة ارباب الجنايات الذين يفرون من بلاد الدولة العلية الى الجبل ومن الجبل الى بلاد الدولة وامر اطاعة اهل الجبل المقيمين او المارين في بلاد الدولة العلية واقتيادهم الى نظمات ومأموري الدولة طبق الحقوق الجارية بين الدول والعادات والمعاملات القديمة التي كانت تجري بمقتضى في بلاد الدولة وستنقد ايضاً مقابلة فيما بين الباب العالي والجبل الاسود لاجل توضيح وتنظيم المسائل المتعلقة بالانشآت العسكرية في قرب الحدود واحوال ومناسبات الاهالي المتجاورة هناك واذا اختلف الباب العالي مع الجبل في بعض مسائل ولم يكن فصلها باتفاقها فتحكم بينهما دولتا روسيا واوستريا ومن بعد هذه المعاهدة اذا وقعت مباحثة او مصادمة فيما بين الباب العالي والجبل ما عدا المطالب الملكية الجديدة ينبغي ان يفوض امرها الى دولتي روسيا واوستريا وهما باتفاقها يفصلانها بينها وقد تقرر انه من بعد امضاء مقدمات الصلح الى عشرة ايام يجب على عساكر الجبل الاسود ان تخرج من البلاد الغير الداخلة ضمن الحدود المذكورة اعلاه

الشرط الثالث. ان امارة الصرب تكون مستقلة ويكون حدها بموجب الخريطة المربوطة لهذه المعاهدة مجرى نهر « درين » وتبقى « كوجك ازورنيق » و « سقار » في

ادارة الصرب ويمتد هذا الحد الى منبع نهر « روزه وه » الكائن جوار « استايلاق » على حسب الحدود القديمة وتبتدي الحدود الجديدة من هنا اعني مع مجرى نهر رزوه الى نهر راسقة ومنه الى « يكي بازار » ومن يكي بازار يصعد الخط الفاصل ويمر من جوار قريتي « مهنتره » و « ارغويج » الى اعلى النهر المذكور حتى ينتهي الى منبعه ويمتد الى بوسور بلاتينا الكائنة في وادي ايار وينزل مع الماء الجاري الذي يصب في النهر المذكور ومنه يسير مع انهر ايار وسيدج ولاب الى منبع نهر ياتسه الكائن في جبل غرابا شينجبة بلاتينا وبعدها يمر من التلال الفاصلة بين نهري قريوه وتريجيه ومن اقصر الطرق الموجودة على مصب نهر ميوا واجقة حتى ينتهي ايضا الى نهر ويرنجيه ويسير مع هذا النهر ويقطع ميوا واجقة وبلاتينا ويصل الى جهة مورواة في قرب قرية قاليانس ومن هنا يسير الى قرب قرية استابقوجي ويجمع هناك مع نهر بلوسينه وهكذا مع النهر الى مورواة ويمتد مع النهر الى اعلى حتى يصل الى « قونقاويجه » ويقطع سوق بلاتينا ويجمع بنهر نيساوة ويتصل بقرية قرونجاچ ومنها يمر من اقصر الطرق ويمتد على حدود الصرب القديمة الى جنوب شرق « قره ول بور » وعلى هذا الخط يتصل بنهر الطونة وتقرر اخلاء « اطه قلعة » وهدمها وترتيب لجنة مركبة من «أموري الدولة العلية والصرب لاجل تعيين خط الحدود على الوجه القطعي في برهة ثلاثة اشهر ويكون ذلك بمعاونة مأمورين من طرف دولة روسيا وهذه اللجنة تفصل ايضا المسائل المتعلقة بجزائر نهر « درين » ونقطتها وحيثما تبتدي هذه اللجنة بتعيين الحدود الفاصلة بين بلاد الصرب والبغار ينبغي ان يكون وكيل واحد من طرف البغار بين يشترك معهم في هذا الامر

الشرط الرابع. ان المسلمين الذين لم املاك في البلاد التي صار الحاقها بالصرب اذا لم يريدوا الاقامة هناك فلهم الخيار ان احبوا اجرؤا املاكهم وان احبوا اقاموا وكلاء من طرفهم لاجل حفظها واستغلالها والمسائل المتعلقة باموالهم الغير المنقولة تفصلها لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والصرب باعانة مأمورين من طرف دولة روسيا في ظرف سنتين وهذه اللجنة تفصل ايضا في برهة ثلاث سنين امر فراغ املاك الدولة والاوقاف والمسائل المتعلقة ببعض الاشخاص الذين لم علاقة ونفع في الاملاك المذكورة وذلك يكون غب انعقاد المعاهدة فيما بين الدولة العلية والصرب والانس المقيمين او الذين يجولون في بلاد الدولة العلية من تبعه الصرب تكون المعاملة معهم على القواعد الكلية بمقتضى الحقوق الكائنة بين الدول وقد تقرر انه من بعد امضاء مقدمات الصلح الى خمسة عشر يوماً

يجب على عساكر الصرب ان تخرج من البلاد التي ليست داخلية في ضمن الحدود المذكورة اعلاه

الشرط الخامس . ان الباب العالمي قد اثبت استقلال رومانيا اعني المملكتين ولها ان تطلب من الدولة العلية غرامة الحرب وتجري المذاكرة بهذا الشأن فيما بينهما وعند ما تنعقد المعاهدة بين الدولة العلية ورومانيا تنال تبعة رومانيا الامن والامتياز طبق تبعة دول اوربا الشرط السادس . نقرر ان تكون البلغار امانة مختارة في ادارتها تدفع مبلغاً معلوماً الى الدولة العلية ويكون مأمورو الحكومة والعساكر الاهلية من المسيحيين ويصير تعيين حدودها على الوجه القطعي بمعرفة لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والروسيا وذلك قبل خروج عساكر الروسيا من الروم ابلي وهذه اللجنة تبين هناك في الخريطة التعديلات التي ينبغي اجراءها وتلاحظ ملية أكثر الاهالي وتوضح المنافع المحلية تطبيقاً لفن تخطيط الاراضي وتقرر تعيين وتبين مقدار اتساع ملك الصقالية في خريطة وجعلها اساساً في قطع الحدود وخط الحدود يبتدىء من حدود الصرب الجديدة ومن غرب « وراجه » الى سلسلة الجبل الاسود ومن جهة الغرب يمر من غرب « قومانوه » و « قوجاني » و « قلقان دن » الى جبل « قوارب » ومن هناك يمر من نهر « بوجيجه » الى درينه ويلتفت الى جهة الجنوب الى حدود غرب قضاء اخرى حتى ينتهي الى جبل ليتاس ومنه يمر من غربي كوريجه واستاوره ويتصل بجبل غراموس وكذلك يمر من ماء « قاستريا » ويلتصق بنهر موغليجه ويسير مع النهر الى « بيكيجه » ويمر من نهر وارديكيجه ومن مصب نهر « واردار » وقريه « غاليقو » الى قراء « بارزه » و « صاري كوي » وهناك يمر من وسط عين الماء المعبر عنه « بشيك كل » الى مصب نهر « استروما » و « قوه صو » ومن السواحل الى « بوروكل » ويمتد الى الشمال الغربي ويمر من سلسلة جبل « رودوب » الى جبلي « جالته » و « اشوه » ويمر من جبال « اشك قولاج » و « جيبلون » و « قوه قولاس » و « جيقار » الى « نهر ارده » ويلتفت لجهة الجنوب ويمر من قراء سوكونلين وقوه حمزة وارناود كوي واقارجي وايجه الى « تكه دره سي » في قرب « ادرنه » ومن تكه دره سي و « جورلي دره سي » الى « لوله برغوسي » ومن هنا وعن نهر « صوجق دره » الى قريه « سوركن » ومنها من التلال ويقطع « حكيم طايه سي » حتى يتصل في ساحل البحر الاسود وابتدى أيضاً من « منقاليه » ويترك السواحل ويمر من شمال حدود لوا طولجي ومن فرق راسوه الى نهر الطونه

الشرط السابع . ان امير البلغار يصير انتخاباً من طرف الاهالي بالحرية التامة والباب العالي يثبتهُ بانضمام اراء الدول ولا يجوز انتخاب احد من اقارب ملوك دول اوربا الجالسين على سرير الملك للامارة المذكورة وحينما تنحل الامارة كذلك يكون انتخاب الامير الجديد على هذا المتوال وهاتيه الشروط وقد تقرر انه ينبغي من قبل انتخاب الامير ان يجتمع مجلس معتبري البلغار اما في « فله » واما في « طرفونا » تحت نظارة مامورين من طرف روسيا وفي حضور مامورين من طرف الدولة العلية وتؤسس نظمات هذه الادارة المستقلة توفيقاً لامثالها اعني لنظامات المملكتين التي تنظمت في سنة ١٨٣٠ غب انعقاد مصالحة « ادرنه » وعند تاسيس تلك النظمات ستصير نهاية حقوق ومنافع الاهالي من المسلمين والروم والادولاخ وغيرهم الموجودين والمختلطين مع البلغار بين وتقرر ايضاً احالة تاسيس هذه الادارة الجديدة في البلغار مع ما يلزم من النظر في صور اجرائها لهيئة مأمورين موظفين من طرف دولة روسيا من هنا الى سنتين وفي انقضاء السنة الاولى من تاسيس الادارة الجديدة اذا لم يحصل اتفاق بهذا الشأن فيما بين روسيا والباب العالي ودول اوربا يكون للدول المشار اليهم حق ان يوظفوا مأمورين يرافقون المأمورين الروسيين

الشرط الثامن . ليس لعساكر الدولة العثمانية حق بعد هذا . للاقامة في البلغار وسيصير هدم القلاع القديمة الكائنة هناك بمعرفة الحكومة المحلية وان الباب العالي له حق ان يتصرف بالادوات الحربية الموجودة في قلاع الطونة التي صار اجلاؤها من العساكر بموجب سند المتاركة الذي تحرر في ٣١ يناير والآلات الحربية الكائنة في مدينتي شمخني وواريه وجميع الاملاك المتعلقة بالحكومة العثمانية كيفما شاء وتبقى عساكر روسيا في البلغار مقيمة الى ان ينتهي ترتيب العساكر الاهلية الكافلة لحفظ الراحة وتوطيد الامنية واذا اقتضت الحال يقومون فعلاً باعانة المأمورين وسيصير تعيين عدد العساكر الاهلية بالاتفاق فيما بين الدولة العلية ودولة روسيا وان مدة اقامة عساكر روسيا في البلغار تكون سنتين والعساكر التي تبقى هناك بعد خروج جميع العساكر الروسية من بلاد الدولة العلية تكون عبارة عن ست فرق مشاة وفرقتين خيالة وجميعها مخسون القاء ومصروف هولاء العساكر يكون على البلغار ويكون لها طرق مراسلات في المملكتين في شطوط البحر الاسود من جهة واردة وبرغوس وفي مدة اقامتها هناك يكون لها المخازن المقتضية على الشطوط المذكورة

الشرط التاسع . ان المرتب السنوي الذي يلزم على البلغار ايفاؤه للدولة العلية يتسلم الى البنك الذي يعينه الباب العالي وهذا البنك يصير تعيينه بمعرفة دولة روسيا والدولة العلية وسائر الدول وذلك في انتهاء السنة الأولى من ابتداء اجراء اصول الادارة الجديدة ومقدار ذلك المرتب يتأسس بالنظر لايراد البلاد والاراضي التي تكون في ادارة الامارة على الحساب المتوسط والبلغار نتعهد بالقيام في التعهد الذي على الدولة العلية الى شركة سكة الحديد في طريق وارنة وروسجق غب المذاكرة مع الباب العالي وادارة الشركة المذكورة ومسألة سكة الحديد الاخرى الموجودة ضمن الامارة يصير فصلها بمعرفة الدولة العلية وحكومة البلغار وادارة الشركة

الشرط العاشر . ان الباب العالي له حق في مرور العساكر ونقل المهات والذخائر من الطريق المعينة في داخل البلغار الى الايالات العثمانية التي وراء البلغار ولاجل عدم وقوع مشاكل في هذا الخصوص وتأمين الايجابات العسكرية العثمانية سيوضع نظام بالاتفاق مع الباب العالي والامارة من ابتداء تعاطي هذه المعاهدة الى ثلاثة اشهر في ذلك وهذا الحق المتعلق بالمرور والعبور يختص بالعساكر النظامية فقط دون الباشبوزق والجراسك والعساكر المعاونة والباب العالي كذلك له ان يتعاطى البوسطة عن طريق الامارة ويستعمل مسالك التلغراف في مخابراته فهذان الامران كذلك يصير تعيينهما وتنظيمهما في المدة والشروط المحررة اعلاه

الشرط الحادي عشر . ان المسلمين وغيرهم من اصحاب الاملاك اذا ارادوا الاقامة في خارج الامارة لهم ان يحفظوا املاكهم ويؤجروها او يفوضوا امر ادارتها الى من يريدونه ثم ان مأمور الدولة العلية ومأمور البلغار بين يجمعان تحت نظارة مأمور روسيا ويفصلون المسائل المتعلقة بتصرف الاملاك وفي منافع مسلمي البلغار وذلك يكون في ظرف سنتين واملاك الدولة والاقواف يصير تعيين امرها اما بالبيع واما باستعمالها على الوجه الذي يكون فيه النفع الزائد لجهة الباب العالي ويصير تعيين ذلك بمعرفة لجان مخصوصة محدودة في السنتين المذكورتين والاراضي التي تبقى بدون صاحب عند انقضاء السنتين تباع بالمناداة والمزايدة ويؤخذ ثمنها ويدفع الى ايتام وارامل المصابين في الاحوال الاخيرة من المسلمين والمسيحيين

الشرط الثاني عشر . ان القلاع الكائنة على نهر الطونة يصير هدمها جميعاً ولا يبقى من بعد هذا على سواحل نهر الطونة قلعة ما مطلقاً ولا يجوز وجود سفن حربية في مياه

رومانيا والصرب والبلغار سوى السفن الصغيرة والزوارق المخصصة والمستعملة في الامور الانضباطية فقط وحقوق ووظائف وامتيازات لجنة الطونة المختلطة تبقى بتمامها على اصلها الشرط الثالث عشر . ان الباب العالي يتعهد بتنظيف البحر في مضيق « سنه » وارجاعه الى حاله السابق ليصلح لمرور السفن منه ويتعهد ان يضمن العطل والضرر الذي حصل للتجار بسبب منع مرور السفن من نهر الطونة مدة الحرب وسيصير فصل ٥٠٠٠٠٠٠ فرنك من اصل دين لجنة الطونة الى الباب العالي لاجل هذا الامر الشرط الرابع عشر . ان الاصلاحات التي قدمت الى مرخصي الباب العالي في اول جلسة مؤتمر الاستانة ينبغي حالاً اجراؤها بالفعل في بوسنة وهرسك مع التعديلات التي ستقرر فيما بين دولتي روسيا واوستريا ويجب ان لا يطلب من هاتين الايالتين بقايا الخراج وان لا يؤخذ شيء من الواردات الى ابتداء شهر مارس سنة ١٨٨٠ بل تصرف كلها في الاحياجات المحلية ويسد بها عوز الاهالي والعيال الذين اصيبوا في الاحوال الاخيرة ومن بعد انقضاء المدة المذكورة يتعين المبالغ الذي يلزم على الاهالي دفعه في كل سنة الى الحكومة المركزية بالاتفاق فيما بين الدولة العلية ودولتي روسيا واوستريا الشرط الخامس عشر . يتعهد الباب العالي باجراء احكام النظام الاساسي الذي وضع في سنة ١٨٦٨ المخصص بجزيرة كريد طبقاً لمطوب الاهالي الذي بينوه مقدماً ويلزم اجراء الاصلاحات الماثلة لنظامات كريد في « ترحاله » و « يانيه » وفي سائر جهات الروم ايلي التي ليس لها نظامات مخصوصة ويصير تشكيل لجنة مركبة من الاهالي المحلية في كل ايالة لاجل ترتيب وتأليف النظامات الجديدة ثم يصير تقديمها الى الباب العالي ليتذكر مع دولة روسيا في ذلك

الشرط السادس عشر . ان خروج عساكر روسيا من ارمينية وارجاع تلك البلاد الى الدولة العلية يمكن ان يفضي الى المناقشة والاختلاف فيما بينهما فلهذا يتعهد الباب العالي حالاً باجراء الاصلاحات على حسب الاحياجات المحلية في الولايات التي سكانها ارمين وتأمين المسيحيين من تعدي الاكراد والجرأكسة الشرط السابع عشر . ان الباب العالي سيعلم العفو العمومي عن المتهمين في الاحوال الاخيرة ويطلق سبيل المحبوسين والمنفيين بسبب ذلك الشرط الثامن عشر . ان الباب العالي يتعهد بالتبصر بعين الدقة الى ما بينه وكلاهما الدول المتوسطة في خصوص قضاء قوتور وتعيين الحدود الايرانية على الوجه القطعي

الشرط التاسع عشر. ان مبالغ الغرامة الحربية التي طلبها قيصر روسيا هي في مقابلة الاضرار والخسائر التي تكبدتها دولة روسيا بسبب هذه الحرب والباب العالي قد تعهد بدفعها فمن هاتيه المبالغ (اولاً) ٩٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل في مقابلة مصروف العساكر والادوات الحربية والاشياء التي بليت . (ثانياً) ٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل لاجل الاضرار الحاصلة في سواحل بلاد روسيا الجنوبية وفي اخراجات البضائع التجارية وفي طرق الحديد (ثالثاً) ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل بمقابلة الضرر الحاصل من الهجوم على قوقاس (رابعاً) ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل لاجل الخسائر التي حصلت لتبعة روسيا المقيمين في الممالك العثمانية ولتأسيساتها فعلى ذلك تكون هذه المبالغ من حيث المجموع عبارة عن ١.٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل يعني ٣٩١ ر ٢١٧ ر ٢٤٥ ليرة عثمانية وريال مجيدي ايض ونصف هذا وان القيصر المشار اليه قد لاحظ ضيق حال الدولة العلية من جهة المال وتامل في مقاصدها التي لوهدت عنها في هذا الشأن ووافق بالقبول على ان تدرك الدولة العلية الاراضي المحررة اسمائها ادناه عوضاً عن القسم الاكثر من المبالغ المذكورة . (اولاً) . لواء طولجي يعني قضاء كيليا وسنه ومحمودية وايساقجي وطولجي وماجين وباباطاغى وخرسوه وكوستنجة ومجيديه والجزائر الكائنة في نهر الطونة قد تركتها الدولة العلية جميعاً لئلا ان الدولة الروسية ليس لها فكر بالحاق هاتيه البلاد الى ملكها بل انها تحفظ حق مبادلة هذه البلاد بقطعة بساراييا التي اخذت منها بموجب معاهدة سنة ١٨٥٦ فحدود قطعة بساراييا من جهة الجنوب طرف من اراضي كيليا ومصب نهر الطونة والجهات التي يصطادون بها السمك في النهر يصير تفريقها بمعرفة مامورين من طرف الروسية ومن حكومة المملكتين في برهة سنة واحدة اعتباراً من تاريخ تعاطي هذه المعاهدة . (ثانياً) . اردهان وقارص وباطوم وبايزيد مع الاراضي الحاوية عليها الى جبل صوغانلي سيصير تسليمها الى دولة روسيا وحينئذ الحدود الفاصلة تكون هكذا اعني بتبدي الخط الفاصل من الجبال التي فيما بين المياه الجارية والمنصبه في نهري « هوبا » و« جورق » ويمر من الجبال المتسلسلة الواقعة في جنوب قضاء « وارتوين » ومن جوار قريتي « والات » و« بشاكت » ومن فوق « درونيك » و« كتي » و« هوجه زار » و« بمجقين طاغ » ومن الجبال الفاصلة للمياه التي تختلط بنهري « تورق » و« جورف » ومن فوق قراء « يالي » و« هين » و« لم كليسا » الى ان ينتهي الى نهر تورق ومن هنا يمر من سيوري طاغ ومن مضيق سيوري طاغ ويتصل بقريه نرمان ويلتفت الى جهة الجنوب حتى يصل الى « زوين » ومن زوين يمر

التي ينالها القسيسون والزوار من تبة سائر الدول سويةً وسفارة روسيا الكائنة في الاستانة وقناصلها يحمون حقوق الاشخاص المذكورة وذواتهم ومؤسساتهم والرهبان وغيرهم الموجودين في الاماكن المقدسة وبالخصوص في « اينوروز » فهم حائزون حقوقهم التي كانوا حائزين عليها في السابق ويحفظون الديورة الثلاثة الكائنة في اينوروز مع مشتلاتها المتعلقة بهم كسائر الديورة والمؤسسات المذهبية الكائنة لغيرهم هناك سويةً

الشرط الثالث والعشرون . ان المعاهدات والمقاولات التي كانت موجودة فيما بين الدولة العلية والروسية المتعلقة بالتجارة والمحاكمة وبتبعية الروس المقيمين في بلاد الدولة العلية وتعطلت احكامها بسبب هذه الحرب ينبغي ان تجري احكامها كما في السابق وان دولتي الروسية والعثمانية قد اعدوا المناسبات التي كانت قبل هذه الحرب في الامور التجارية وغيرها بمقتضى احكام المعاهدات والمقاولات المذكورة ما عدا المواد التي نسيختها هاته المعاهدة

الشرط الرابع والعشرون . ان خليج الاستانة وخليج جنات قلعه سواء كان في زمن الحرب او زمن الصلح يكون مفتوحاً للسفن التجارية التي تريد المرور منه الى بلاد روسيا من الدول التي تكون على الحيادة والباب العالي ليس له من بعد هذا ان يضع الحصر الغير المؤثر على الشطوط الموجودة فيما بين البحر الاسود وبحر الازاق والمخالف لمضمون معاهدة باريس التي صار امضاؤها في ٤ ابريل سنة ١٨٥٦

الشرط الخامس والعشرون . ان عساكر الروس يخرجون من بلاد الدولة العلية الكائنة في اوربا (الروم ايلي) ما عدا البلغار وذلك من تاريخ انعقاد الصلح القطعي الى ثلاثة اشهر هذا وان العساكر المذكورة لهم ان يأتوا الاساكن الموجودة في البحر الاسود وبحر مرمرة عند السفر للركوب في السفائن التي تحضرها او تستأجرها دولة روسيا حتى لا يكونوا مجبورين على اطالة مدة الاقامة في الممالك العثمانية وفي رومانيا واما خروج عساكر روسيا من الاناطول فيكون بعد انعقاد الصلح القطعي بستة اشهر ولهم ان يأتوا الى طرابزون لاجل الركوب في السفن ومن هناك يسافرون الى القرى او القوقاس

الشرط السادس والعشرون . ان اصول الادارة والاوامر التي وضعتها دولة روسيا في البلاد التي دخلتها عساكرها والتي ينبغي تسليمها الى الدولة العلية بموجب هاته المعاهدة تكون باقية وجارية الى حين توجه العساكر منها وليس للباب العالي المشاركة في الاحكام ولا للعساكر العثمانية الدخول اليها قبل ذلك بناء على هذا

ان امير العساكر الروسية يجبر الضابط الذي يعينه الباب العالي عن سفر عساكر الروسية وليس للباب العالي ان يجري الاحكام من قبل ان ننسلم له القلاع والابالات الشرط السابع والعشرون. ان الباب العالي لا يجازي احداً بسوء من تبعته الذين دخلوا في المناسبات مع دولة روسيا في زمن الحرب وليس للمأموري الدولة العلية ان تمنع او توقف احداً من الاهالي الذين يرغبون ان يسافروا مع العساكر

الشرط الثامن والعشرون. ان اسرى الحرب يصير ارجاعهم تحت نظارة مأمورين مرتبين من طرف الدولتين وذلك عقيب تعاطي مقدمات الصلح وهؤلاء المأمورون يسافرون الى اودسا وسياستبول واما مصروف اسراء العساكر العثمانية تدفعها الدولة العلية في ظرف ست سنوات تحت ثمانية عشر قسطاً بموجب الدفتر الذي يجره المأمورون المذكورون واما قضية مبادلة الاسرى فيما بين حكومتي رومانيا والصرب وامارة الجبل الاسود فيصير اجراؤها على هذا الاساس لكن يطرح مقدار الاسرى الذي عند الدولة العلية من مقدار اسرى عساكرها ولا تلزمها فيه تلك المصاريف

الشرط التاسع والعشرون. ان حضرة امبراطور روسيا والحضرة الملوكانية سيثبتون هذه المعاهدة وامضاء ثبوتها يكون في بطرسبرغ في ظرف خمسة عشر يوماً او بوجه اسرع من ذلك ان امكن وكذلك يجري التصديق رسمياً على الشروط المذكورة في هذه المعاهدة على حسب الاصول الجارية في المعاهدات الصلحية وان الدولتين المتعاهدتين من تاريخ تعاطي المعاهدة يعدون انفسهم رسمياً بانهم متعهدون بان مرخصي الطرفين قد امضوا هذه المعاهدة كما يأتي تصديقاً لمضمونها. — حرر في اياستفانوس في ١٩ شباط الرومي (فبراير)

و ٣ ايار (مارس) الانجليزي سنة ١٨٧٨ الامضاء

الكونت اغنايف صفوت نليدوف سعدالله

لكن انكثرا لم تسمح بالاقرار بذلك حتى ادخلت اسطولها بحر مرمر وعاضدتها بقية الدول في طلب تعديل تلك المعاهدة وعقدوا لذلك مؤتمراً في برلين وارسي الامر فيه على معاهدة نص تعريبها

بسم الله القادر على كل شيء

لما كان حضرة سلطان العثمانيين وحضرة ملكة مملكة بريطانيا العظمى واراندة وامبراطورة الهند وحضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وحضرة امبراطور اوستريا وملك بوهيميا وملك هنكارييا وحضرة رئيس جمهورية فرنسا وحضرة ملك ايطاليا وحضرة

امبراطور جميع روسيا يريدون لاجل اقرار الراحة العامة في اوربا انهاء المسائل التي ظهرت في الشرق بسبب تقلبات الاحوال فيها في هذه السنين الثلاث وبسبب الحرب التي عاقبتها معاهدة اياسطفانوس استقر رأيتهم جميعاً على عقد مؤتمر يكون احسن الوسائل لاجل الاتفاق بحسب ما تقرر في معاهدة اياسطفانوس وبناء على ذلك عينت الدوات الملكية المشار اليهم وحضرة رئيس جمهورية فرنسا مرخصين وهم حضرة ملكة مملكة بريطانيا العظمى وارلاندا وامبراطورة الهند عينت الاونورايل بنيامين دزرايميلي الذي هو كبير وزراء انكاترا والاونورايل روبرت ارثر تالبت عاسكون سيسل مركيز صالسبري الذي هو ناظر خارجية انكاترا والاونورايل لورد اود وليم ليوبولد روسل الذي هو سفير من الطبقة الاولى لانكاترا لدى حضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا

وعين حضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا البرنس بهمارك كبير الوزراء في بروسيا وبرنارد ارنتس دو بولوى مستشار الخارجية والبرنس هو هنلوه شانغفورست سفير المانيا لدى رئيس جمهورية فرنسا

وعين حضرة امبراطور اوستريا وملك بوهيميا وملك هنكاري الكونت اندراسي وزيره الخاص ووزيره في الامور الخارجية والكونت لويس كاروليني سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا والبارون هنري دوهايمل سفيره لدى ملك ايطاليا وعين حضرة رئيس جمهورية فرنسا موسيو وليم هنري وادانطون احد اعضاء مجلس الاعيان ووزيره في الامور الخارجية وشارل رايموند كونت دوصان فاله من اعضاء مجلس الاعيان وسفير فرنسا لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وفيكس ديسبرز المكلف بادارة الامور السياسية في دائرة الخارجية

وعين حضرة ملك ايطاليا الكونت لويس كورتي احد اعضاء مجلس الاعيان ووزيره في الامور الخارجية وادورد كونت دولوني سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وعين امبراطور جميع روسيا البرنس الكسندر غورجيف ووزيره في الامور الخارجية والكونت دوشوفالوف من قراء الحضرة الامبراطورية ومن اعضاء المجلس الخاص وسفيره لدى دولة بريطانيا وهول دو بربيل سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وعين حضرة سلطان العثمانيين الكسندر قره تيودوري باشا وزيره في الامور النافعة ومحمد علي باشا المشير في عساكره وسعد الله بك سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك

بروسيا فاجتمعوا في برلين بحسب اشارة دولة اوستريا هنكارييا وبوجب استدعاء دولة
جرمانيا ومعهم سائر المحررات المؤذنة بالتاريخيص فبعد ان وجدت مطابقة للاصول وقع
بينهم الاتفاق على المواد الآتية

(المادة الاولى) صارت لأن البلغار امارة مستقلة في امورها الداخلية (ادارة مخنارة)
تدفع خراجا في كل سنة الى الباب العالي وتكون تحت تابعة الحضرة السلطانية ويكون
لها حكومة مسيحية وعساكر وطنية

(المادة الثانية) تكون امارة البلغار عبارة عن الاراضي الآتية ذكرها وهي ان
حدود تلك الاراضي من جهة الشمال تبتدئ من حدود الصرب القديمة وتمر عن يمين
ساحل نهر الطونة وتنتهي الى محل في شرقي سيلستريا وهذا المحل سيصير تعيينه من طرف
المؤتمرا الذي يشكل من ماموري دول اوربا ومن هنا ايضا يتصل الحد في البحر الاسود ويمر
من جنوب منقاليا التي صار الحاقها برومانيا اما من جهة الجنوب فانه يبتدئ من مصب
النهر ويمر من جوار القرى المسماة « هوجه كوي » و « سلامكوي » و « ايواجق »
و « قولبة » و « صوجياق » على شاطئ النهر الى جهة فوق المحاذية « وادي قامجق »
ومن جنوب « بليمة » و « كمانلق » على بعد من « جنكة » مقدار متر ٢ ونصف ويتجاوز
« دلي قامجي » ويمر من شمال « حاجي محله » و يصعد الى ذروة المحل الكائن فيما بين « نيكناك »
و « ايدوس برهسا » ومنه الى بلقان « قرين اباد » وبلقان « ويره زويقه » ومن بلقان
« قرغان » الواقع في شمال المحل المسمى « قوتل » الى ان يتصل بمحل « تيورقبو » وعلى
هذا يكون مروره من سلسلة البلقان الكبير الاصلية ويمتد على جميع مساحته الى ان
ينتهي الى ذروة « قوزيقه » ومن هنا يترك ذروة البلقان ويلتفت الى جهة الجنوب ويسير
من بين قريتي « بيرتوب » و « دوزنجي » ويفادر قرية بيرتوب المذكورة الى البلغار
وقرية دوزنجي الى شرق الروم ايلي ويتصل بنهر « طوزلي دزه » ويسير مع مجرى النهر
الى مصبه في نهر « طوبولينجه » ثم الى نهر « اسموسكيو » الذي يصب في نهر طوبولينجه
المذكور بجوار قرية « هاريجوه » ويترك من الاراضي الكائنة فوق نهر اسموسكيو المذكور
مقدار كيلومتر ٢ الى شرقي الروم ايلي ويمر من مقسم المياه فيما بين اسموسكيو ونهر
قامنيقه ويلتفت الى الجنوب الغربي من التل المسمى وونجاق وينتهي رأسا الى النقطة
المذكورة في خريطة ارکان حرب دولة اوستريا عدد ٨٧٥ ومن هنا يقطع بخط مستقيم
الجهة العليا من وادي اهتمان ويمر من بين بوغدينه وقره ولي ويتصل بالخط في مقسم انهر

المرجح فيما بين اسقر وقرلي وحاجيلر ويسير مع الخط المذكور من تلال « ولنيا » و « موغيللا » الى المر الواقع في نقطة عدد ٥٣١ والى المحلات المسماة « ازامايليقا » و « ره وسومناتيقه » ويدخل من بين « سيوري طاش » و « قادرته » ويتصل بمحدود لواء صوفية ومن هنا يتبدى من « قادرته » الى جهة الجنوب الغربي ويمر من بين نهر قره صو ونهر « استروما قره صو » ويسير مع خط مقسم المياه ومن تلال الجبال المسماة « تيمورقبو » و « اسقوفنيه » و « فاضيسار بلقان » و « حاجي كدك » تجاه بلقان قابنتيق ويتصل بمحدود لواء صوفية القديمة وكذلك يمر من بلقان قابنتيق المذكور ومن بين وادي « ريلسقارفا » و وادي « بسقارفا » ويسير مع خط مقسم المياه وبدور تل « ودينجه بلانينا » وينزل الى وادي استروما في المحل الذي يختلط به نهر استروما مع نهر ريلسقارفا ويدع قرية « برافلي » للدولة العلية ويصعد من جنوب قرية « بلشيتقة » الى فوق ويمر من اقصر خط الى سلسلة « غولما بلانينا » وتل « غيتقة » ويتصل بمحدود لواء صوفية ويترك كامل منشا صوهارقا للدولة العلية وينتفت الى جهة الغرب من جبل « رجينقا » وبدور جبال قارونا يابوقه وحدود لواء صوفية القديمة من جبل « قرني وره » ويمر من فوق مياه « آكريصو » ولبنيقه ويطلع الى تلال « بابنابولانا » حتى ينتهي ايضاً الى جبل قرني وره المذكور ومن هذا الجبل يمر من تلال « استارزر » و « وبله غوصو » و « مسيد بلانينا » ومن بين « استروما » و « موراوه » مع خط مقسم المياه الى غاسينا وقرنه طراوه ودار قوسقة ودرانيقة بلان وبعدها من فوق دوشا قلاذائق ومن مقسم انهر صوقوه وموراوه ويذهب رأساً الى المحل المدعو « استول » ومن هنا ينزل الى الطريق الموصلة الى صوفية ويبروته ويقطع في هذه الطريق الف متر ومنه عن طريق ويديا بلانينا ويصعد على خط مستقيم الى جبل « رادوجينا » الكائن في سلسلة البلقان الكبير ويترك قرية دويقجي الى صربستان وقرية سناقوس الى البلغار ثم ينتفت الى جهة الغرب وبدور تلال البلقان المسمى سبروق من صوب استاره بلانينا ويتصل بشرقي حدود امارة الصرب القديمة بجوار « تولا اسميلوه قوفة » ويسير على هاتيه الحدود حتى ينتهي الى نهر الطونة عند « راقويجه » ثم ان هذه الحدود جميعها سيصير تعيينها بمعرفة لجنة مركبة من وكلاء الدول الممضية على المعاهدة وحصل الاتفاق اولاً على ان هاتيه اللجنة تنظر بالاعضاء في خصوص محافظة حدود بلقان شرقي الروم الي الكائن تحت سلطة الدولة العلية وثانياً ان لا يصير انشاء استحكام في اطراف « صماقو » بمسافة ١٠ كيلو متر

(المادة الثالثة) يكون انتخاب امير البلغار من اهله بجرية تامة واقرارهُ من الباب العالي برضى دول اوربا العظام ولا يصح انتخاب امير عليها من بيوت الدول المذكورة فاذا توفي عن غير ولد يكون انتخاب امير بعده على الشروط والاصول المقررة (المادة الرابعة) بعد انتخاب الامير تجتمع اعيان البلغار بين في طرئونا لترتيب احكام ونظامات تخص الامارة وفي الجهات التي تكون سكانها من الترك واهل رومانيا والروم وغيرهم يلزم مراعاة حقوقهم ومصالحهم فيما يتعلق بقضية الانتخاب وترتيب الاحكام الاساسية

(المادة الخامسة) المواد الآتية تكون اساساً للحقوق العمومية في البلغار وهي « ان الاختلاف في المذاهب والاعتقادات لا يخرج احداً من الاهلية والجدارة من تمتعه بالحقوق المدنية والسياسية او بدخوله في الوظائف الميرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فان الحرية ومباشرة جميع الاعمال الدينية ينبغي تأمينها لجميع الناس القاطنين في البلغار من اهله ومن الاجانب ايضاً ولا يسوغ اتخاذ مانع ما لترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او لعلاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين » (المادة السادسة) تكون ادارة « البلغار الموقته » تحت ادارة مأمورين من دولة الروسية الامبراطورية الى ان تنتظم فيها القوانين الاساسية ويستدعى مأمور من طرف السلطنة العثمانية والقناصل الذين تنتخبهم الدول الذين وقعوا على هذه المعاهدة بقصد مراقبة اعمال « الادارة الموقته » المذكورة فاذا حصل خلاف بين القناصل المذكورين فابرام العمل يكون على حسب اكثرية الاراء كما انه اذا حصل خلاف بين اكثرية ارء المذكورين والمأمورين من طرف امبراطورية الروسية او المأمورين من طرف الحضرة السلطانية تجتمع سفراء الدول بالاستانة الذين وقعوا على هذه المعاهدة في مؤتمر (كنفرانس) ليقرر رأيهم على انتهاء الخلاف المذكور

(المادة السابعة) تشكيل « الادارة الموقته » المذكورة لا يبق اكثر من تسعة اشهر اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة وبمجرد انتخاب الامير تضح مباشرة اجراء الاحكام الجديدة فتصير تلك الاحكام دستوراً للعمل وتكون الامارة قد حازت استقلاليتها الادارية (ادارتها المخزارة) جوازاً تاماً

(المادة الثامنة) جميع المعاهدات التجارية والسفريّة والاتفاقات التي جرت بين الدول الاجنبية وبين الباب العالي والتي لم يزل عملها جارياً تبقى مرعية الاجراء مع امارة

البلغار فلا يصح تبديل شيء منها مع احدى الدول المذكورة بدون رخصة منها ولا يسوغ وضع شيء من الضرائب على البضائع التي ترسل الى احدى الجهات في مرورها على البلغار وتكون معاملة جميع الاهالي ورعايا الدول وتجارهم في الامارة على قدم مساواة تامة وتبقى امتيازات وخصائص الاجانب المقررة في المعاهدات (التي امضيت بين الدول والباب العالي) مرعية الاجراء في الامارة ما دام لم يحصل تعديلها برضى الدول (المادة التاسعة) الويركو السنوي الذي يجب على امارة البلغار ان تدفعه في كل سنة الى متبوعها الحضرة السلطانية يكون دفعه الى البنك الذي يعينه الباب العالي ويكون تعيين المبلغ عند ختام السنة الاولى من جريان نظاماتها الجديدة باتفاق بين الدول الموقعين على هذه المعاهدة وهذا الويركو يحسب بمناسبة ايراد الامارة وحيث انها ستتحمل جانباً من ديون السلطنة العمومية يلزم للدول ايضاً ان يتذكروا على مقدار الدين الذي يعين على الامارة وذلك عند مذكرتهم في امر الويركو

(المادة العاشرة) جميع التعهدات والاتفاقات التي وعدت السلطنة العثمانية باجرائها مع شركة سكة الحديد بين وارند وروسينجى تدخل في عهدة امارة البلغار اعتباراً من مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة اما تسوية الحسابات السابقة التي كانت بين الشركة المذكورة وبين الباب العالي فامرها يكون بين الباب العالي وحكومة البلغار والشركة المذكورة وكذلك دخل في عهدة البلغار سائر تعهدات الباب العالي مع دولة اوستريا وهنكاريا ومع الشركة المنوط بعهدتها تشغيل سكك الحديد في الروم الي فيما يتعلق باتمام السكك المذكورة واتصالها في الاراضي التي دخلت الآن في حوزة البلغار ويكون عقد شروط الاتفاقات اللازمة لتسوية هذه المسائل بين دولة اوستريا وهنكاريا والباب العالي والصرب وامارة البلغار عند اقرار الصلح

(المادة الحادية عشرة) بعد هذا لا تبقى العساكر العثمانية في البلغار وهدم سائر القلاع والحصون يكون على مصروف حكومة الامارة في ظرف سنة واحدة او اقل من ذلك ان امكن وينبغي لتلك الحكومة ان تتخذ وسائلاً ممكنة لذلك ولا يسوغ لها ان تبني بها حصوناً جديدة ويكون للباب العالي حق في ان يتصرف في المهات الحربية وغيرها من الاشياء التي هي ملك له الباقية في حصون الطونة التي اختلتها العساكر العثمانية بموجب الهدنة التي حصلت في ٣١ جنوارى (كانون الثاني) وكذلك التي في شملة (شبنى) ووارنه (المادة الثانية عشرة) المسلمون وغيرهم الذين لهم املاك في البلغار ويريدون السكنى

خارجاً عنها يقعون ممتعين باملاكهم فيمكنهم والحالة هذه ايجارها الى غيرهم وادارتها بمعرفة من ينتخبونه وتشكل لجنة مؤلفة من الترك والبلغاريين لتسوية جميع المسائل المتعلقة بكيفية نقل وتشغيل املاك الوقف لحساب الباب العالي والمسائل المتعلقة بالذين لهم مصالح فيها وهذه التسوية تكون في ظرف سنتين ثم ان البلغار بين الذين يسافرون يسكنون في باقي اطراف الممالك العثمانية يكونون تحت الاحكام والقوانين العثمانية

(المادة الثالثة عشرة) تشكل على جنوب البلقان ولاية تحت اسم « ولاية الروم ايلي الشرقية » وتكون تحت تابعة الحضرة السلطانية تابعة سياسية وعسكرية بشرط ان تكون مشمولة باستقلالية ادارتها ويكون واليها نصرانياً

(المادة الرابعة عشرة) حدود « ولاية الروم ايلي الشرقية » تكون متصلة بحدود البلغار من جهتي الشمال والشمال الغربي والولاية المذكورة تكون عبارة عن الاراضي الكائنة ضمن الدائرة الآتي ذكرها « فحد هذه الولاية يبتدىء من البحر الاسود ويسير على النهر الواقع في جوار القرى المسماة هوجه كوى وسلام كوى وايواجق وقولبه وصوجيلق » الى جهة فوق محاذياً لوادي « دلي فاجحق » ويمر من فوق « چككنه » مقدار مسافة كيلومتر ٢ ونصف تقريباً ويتصل بجنوب قراء « بلبيه » و « كحالحق » ثم يصعد الى الثل الكائن فيما بين « تبكنلك » و « ايدوس بره سا » ويمر من بلقان « قرين اباد » و « بره زويجه » و « قوزغان » حتى يصل الى « تيورقبو » بالجهة الشمالية من « قوتل » وبعدها يدور جميع سلسلة البلقان الكبير وينتهي الى تل « قوزيقه » وفي هذه النقطة اعني من ذروة البلقان الكائن على غربي حدود الروم ايلي ينزل الى جهة الجنوب ماراً من بين قرية بيتروب التي تراك للبلغاريين قرية دوزانس الباقية في الروم ايلي ويصل الى نهر « طوزلي دره » ويسير مع النهر الى مجمه مع نهر طوبولينقا وكذلك يمر مع هذا النهر الى مجمه مع نهر « سمووسقيور » في جوار قرية « بنديسوا » وعلى هذا يترك لروم ايلي الشرقية في شطوط مجاري هاتم الانهر محلاً مقدار كيلومتر ٢ ثم يتبع الخطوط الفاصلة للمياه المذكورة ويسير الى جهة فوق على طول انهر « سمووسقيور » و « قامنيقا » ويلتفت الى الجنوب الغربي في تل « ووانجاق » ويصل الى المحل المبين في خريطة ارکان حرب دولة اوستريا عدد ٨٧٥ ثم يقطع على خط عمودي مجرى نهر « ايجمان دره » من الاعلى ويمر من بين « بوغدينا » و « فارولا » حتى يصل الى الخط الفاصل الكائن فيما بين نهري « اسقر » و « ماريقا » ويسير على طول الخط الموضح في الخريطة المذكورة تحت رقم ٥٣٠

من تلال « وولينا موجيلا » و « جمابليقا » و « روه سومناتيقا » ويجمع بمحدود لواء صوفيه فيما بين « سيوري طاش » و « قادر تبه » فعلى هذا تفرق حدود الروم ابلي والبلغار من جبل « قادر تبه » ثم الخط الفاصل المذكور يمر الى قدام من بين انهر ماريقا وتوابعه ريبين انهر « مستاقره صو » واتباعه تابعاً استقامة الخطوط الفاصلة لهذه المياه ويتوجه الى جهتي الجنوب الشرقي والجنوب ماراً من تلال جبل « دسبوت » الى صوب جبل « كروشوا » وهذا الجبل كان مبدأ الحدد التي عينتها معاهدة اياسطفانوس ثم الخط المذكور يتبع الخط المامين في المعاهدة المذكورة اعني انه يبتدئ من هذا الجبل ويمر على سلسلة « قره بلقان » من تلال « قولاقلي طاغ واشك جبلي وقره قولاس » وايشيقلر ويسير جهة الجنوب الشرقي حتى ينتهي الى نهر « واردا » ويسير مع هذا النهر على طولهِ حتى يصل الى قرية « اطه قلعه » وتبقى هذه القرية في سلطة الدولة العلية ومن هنا يصعد ذروة جبل « بش تبه » ثم ينزل ويمر من جسر « مصطفي باشا » ويتجاوز نهر المريخ من جهة فوق بمسافة خمسة كيلومتر ثم يتوجه الى جهة الشمال مع بين الانهر الصغار التي تصب في نهري « خانلي دره » و « مريخ » ويسير على خط مقسم المياه الى المحل المسمي « كودلر بايري » ومن هنا يلتفت الى جهة الشرق ويمتد الى « صقار بايري » ومنه الى وادي « طونجه » والى « بيوك دربند » ويترك « بيوك دربند » « و صوجاق » الى جهة الشمال ثم يسير من بين الانهر التي تصب في نهر طونجه من جهة الشمال وفي نهر المريخ من جهة الجنوب على خط مقسم المياه ويصعد الى تل « قبيلر » وتبقى قبيلر في الروم ابلي الشرقية ثم يلتفت الى جهة الجنوب ويمر من بين المياه الكائنة فيما بين نهر المريخ من جهة الجنوب وبين قريتي « بلورن » و « التلي » التي تصب في البحر الاسود ويصل الى جنوب قرية « المالي » ويدور تلال « ووسنه » و « زواق » من شمال المحل المسمي « قراكلق » ويسير مع الخط الفاصل فيما بين نهري « دوكة » و « قره اغاج » حتى يتصل بالبحر الاسود

(المادة الخامسة عشرة) يكون للحضرة السلطانية حق في ان تبشر محافظة الحدود البرية والبحرية وذلك بان تبني في تلك الحدود استحكامات وتقيم فيها عساكر ولتأمين الراحة العمومية في ولاية « الروم ابلي » الشرقية يشكل فيها ضبطية وعساكر داخلية ومذاهب الاهالي الذين تواف منهم هذه العساكر والضبطية تكون مرعية ويكون تعيين ضباطهم من طرف الحضرة السلطانية وقد تعهدت الحضرة السلطانية بان لا توظف في

حصول الحدود عساكر غير نظامية كالباشي بوزق والجراسكة وفي جميع الاحوال لا يسوغ للعساكر النظامية المذكورة ان تتعدى على الاهالي وعند مرورهم في الولاية (لاستقرارهم في الاستحكامات) لا يسوغ لهم الافامة فيها

(المادة السادسة عشرة) يكون للوالي حق في ان يستدعي العساكر العثمانية اذا حصل ما يخل بالراحة الداخلية والخارجية فاذا وقع ما يوجب ذلك يخبر الباب العالي نواب الدول بالاستئانة عن قراره وعن السبب الذي احوجه اليه

(المادة السابعة عشرة) يكون تعيين والي «ولاية الروم ايلي الشرقية» مدة خمس

سنين من طرف الباب العالي باتفاق الدول

(المادة الثامنة عشرة) بمجرد مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة تشكل لجنة اورباوية

لتنظر في ترتيب ادارة «ولاية الروم ايلي الشرقية» بالاتفاق مع الباب العالي ومن خصائصها ان تبين في ظرف ثلاثة اشهر وظيفة امورية الوالي وماله من الاستطاعة وترتيب الولاية الادارية والنظامية والمالية ويكون ابتداء اشغالها تنظيم اختلاف احكام الولايات وما حصل عليه المذكرة في الجلسة الثامنة من المؤتمر الذي عقد في الاستئانة وبعد ان يحصل القرار على جميع المصالح المتعلقة بالولاية المذكورة يصدر فرمان من طرف الحضرة السلطانية فيبلغه الباب العالي الى الدول

(المادة التاسعة عشرة) يناط بعمدة اللجنة الاورباوية المذكورة بالاتفاق مع الباب

العالي ادارة المالية في الولاية الى ان تنجز القوانين الجديدة المراد وضعها

(المادة العشرون) جميع المعاهدات والاتفاقات والمعاملات التي جرى تداولها بين

الباب العالي والدول الاجنبية او التي ستعقد فيما بعد يكون معمولاً بها في «ولاية الروم ايلي الشرقية» كما هو جار في سائر السلطنة العثمانية وجميع الامتيازات والخصائص التي حازتها الاجانب على اختلاف وظائفهم ومصالحهم تبقى محتومة في الولاية المذكورة وقد تعهد الباب العالي بان جميع احكام السلطنة هناك فيما يخص المذاهب المختلفة يكون معمولاً بها ومرعية الاجراء

(المادة الحادية والعشرون) تبقى حقوق الباب العالي وتعهداته فيما يتعلق بسكك

الحديد في الروم ايلي الشرقية معمولاً بها ومرعية الاجراء

(المادة الثانية والعشرون) تكون قوة الروسية في البلغار وفي «ولاية الروم ايلي

الشرقية» مؤلفة من ست فرق من المشاة وفرقتين من الخيالة وجميع ذلك لا يزيد على

٥٠٠٠٠ نفر وتكون مصاريفهم على الولايات التي يتبوأونها وتبقى علاقتهم ومواصلتهم مع روسيا بواسطة رومانيا بحسب الاتفاق الذي يحصل بين الحكومتين المذكورتين وفضلاً عن ذلك تكون بواسطة مراسي البحر الاسود مثل وارنه وبورغاس حتى يمكن لهم ان يتخذوا هناك مخازن للوازمهم مدة اقامتهم وتقرر ايضاً ان اقامة العساكر الامبراطورية في « ولاية الروم ايلي الشرقية » والبلغار تكون مدة تسعة اشهر اعتباراً من يوم مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة وقد تعهدت دولة الروسية الامبراطورية انه قبل انقضاء هذه المدة تمنع مرور عساكرها من رومانيا فتخلو منهم امانة البلغار

(المادة الثالثة والعشرون) قد تعهد الباب العالي بان يجري في جزيرة كريد النظامات التي تقرر فيها في سنة ١٨٦٨ والتعديلات التي يرى من العدل اجراؤها وكذلك يجري في بقية الولايات نظامات وقوانين على ما تقتضيه المصالح الداخلية كما في كريد مما لم ينص عليه في هذه المعاهدة نصاً خصوصياً الا فيما يتعلق بالغناء الضرائب كما هو جارٍ الآن في كريد ويشكل من طرف الباب العالي لجنات. مخصوصة يكون اكثر اعضائها من الاهالي للنظر في متعلقات النظامات اللازم اجراؤها في كل ولاية ثم تعرضها على الباب العالي للتروي فيها وقبل ان يعمل بها وتجعل دستوراً للعمل يلزم الباب العالي ان يستشير اللجنة الاورباوية المنعقدة للنظر في احوال الروم ايلي الشرقية

(المادة الرابعة والعشرون) اذا فرض انه لم يقع اتفاق بين الباب العالي ودولة اليونان فيما يتعلق بتعديل الحدود كما تقرر في المادة ١٣ من مضبطة مؤتمر برلين فدخل جرمانيا واوستريا وهنكاريا وفرنسا وبريطانيا العظمى وايطاليا والروسية تحفظ لنفسها عرض التوسط بين الفريقين تسهيلاً للمذاكرات

(المادة الخامسة والعشرون) تتبوأ عساكر اوستريا وهنكاريا ولايتي بوسنه وهرسك ويناط بها ايضاً امر ادارتهما وحيث انها لا تريد ان تتولى ادارة سنجيقة يكي بازار الممتدة بين الصرب والجبل الاسود على الخط الجنوبي الشرقي ما وراء ميروونسه فالادارة العثمانية تبقى ممولاً بها هناك وحيث ان المراد اقرار الاحوال السياسية الجديدة وحرية المواصلات وتأمينها فدولة اوستريا وهنكاريا تحفظ لنفسها الحق بأن يكون لها قشل وطرق تجارية وعسكرية في جميع الجهات المذكورة ولهذا الغاية تحفظ لنفسها هي والدولة العثمانية ان تتفقا على المواد المتعلقة بهذه المسألة

(المادة السادسة والعشرون) قد اعترف الباب العالي استقلال الجبل الاسود

وكذلك اعترفته بقية الدول الموقعين على هذه المعاهدة الذين لم يعترفوه سابقاً (المادة السابعة والعشرون) اتفق الموقعون على هذه المعاهدة على ان استقلال الجبل الاسود يكون مربوطاً بالمواد الآتية وهي « لا يسوغ التمييز في الاعقادات الدينية في الجبل فلا يخرج احداً من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتعهم بالحقوق المدنية والسياسية او بدخوله في الوظائف البرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فلجميع الاهالي التابعين للجبل الاسود وللأجانب أيضاً الخربة الناهة في جميع المتعلقات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين »

(المادة الثامنة والعشرون) قد صار تعيين حدود الجبل الاسود كما سيأتي وهي انها تبتدئ من « ايلينو برودو » وتسير الى شمال « قلوبوق » وتمر من فوق « تره بنيجه » وتصل بمحل « غرانقارو » وتبقى غرانقارو ضمن لواء هرسك ومنها يصعد الخط الفاصل الى جهة فوق من نهر غرانقارو ويصل الى محل يبعد عن النهر الذي يصب في « سيلقه » مقدار كيلو متر فقط ومن هنا يسير على اقصر طريق ويصعد الى التلال التي في جوار « تره بنيجه » ثم يذهب الى « بيلاتوه » ويترك هذه القرية للجبل يسير من التلال الى جهة الشمال وعلى قدر الامكان يمر بعيداً عن طريق « بيلكه » و « قوربتو » و « حاجقه » مقدار ٦ كيلومتر ويصل الى الطريق الكائنة فيما بين « سويبا بلانينا » وجبل قوريله ومنها عن جهة الشرق يمتد الى جبل اورلين ويترك قرية « وارنقويجي » لهرسك ثم يمتد من الشمال الشرقي ويدع « روانه » داخل الجبل ويمر من تلال « لبرسليك » و « ولجاق » ويسير من اقصر طريق وينزل الى نهر « بيوه » ويتجاوز هذا النهر ويصل الى « تاره » الكائنة بين « قروقيه » وبين « نندوينه » ومن تارة يصعد الى « موجقواق » ويتصل بمحل « سقوج زرو » ومن هنا الى قرية « صوقولار » ويجمع بالحدود القديمة ثم يمر الى تلال مقرا بلانينا وتبقى قرية مقرا داخل الجبل ويمر أيضاً من السلسلة الاصلية الى الطريق المذكور في خريطة اركان حرب اوستريا تحت رقم ٢١٦٦ ومن فوق مقسم المياه الواقع بين « ليم » و « درين » وبين « سيونه زم » ثم يتصل بالحدود الجديدة بعد مروره فيما بين قبيلة « قاجي دره فالويجي » وبين قوسقارجنه « و « قلامتي » و « غرودي » وبعد ذلك ينزل الى صحراء بودغوريجيه ويترك قبائل قوسقارجنه وقلامتي وغرودي وهوتي لبلاد الارناووط ويتصل « ببلاونيقه » ومن هنا يمر من جوار جزيرة « غوريقه طوبال »

ويتجاوز ما اشقودره ويسير رأساً من « غوريقه » طوبول الى التلال ويمر من مقسم المياه الكائن فيما بين « مغورد » و « فاليمد » مع خط المقسم المذكور ويترك « ميروفيتي » داخل الجبل وينتهي الى بحر ونديك (فينيسيا) عند قرية « فروجي » ثم يلتفت الى الشمال الغربي ويمر في الساحل من بين قري « شوسانه » و « زويسى » ويتصل بمنتهى الحدود الجديدة في جهة الجنوب الشرقي فوق « ورسوته بلانينا »

(المادة التاسعة والعشرون) انضمام انتواري (باري) وشطوط البحر التي تخصها الى الجبل الاسود مشروط على الصورة الآتية وهي ان يعاد على الدولة العثمانية الاراضي الكائنة على جنوب تلك الجهة الى بويانا من ضمنها دولسنجو ويضم الى دلماتيا مرسى سبزا والاراضي المتعلقة بها الى غاية حدودها الجنوبية كما هي مبينة بالتفصيل في الخريطة ويكون للجبل الحرية المطلقة التامة للسفر في نهر بويانه ولكن لا يسوغ له ان يبني على النهر حصوناً او استحكامات الا ما لزم للمحافظة على اشقودرة خاصة فتكون تلك الحصون والحالة هذه غير خارجة عن دائرة مسافتها حول المدينة المذكورة بستة كيلومتر (٦٠٠٠ متر او نحو عشرة اميال) ولا يكون له بواخر حرية ولا راية ولا يسوغ لاي دولة كانت ان تدخل بواخرها الحربية الى مرسى انتواري اما الحصون الكائنة في ارض الجبل بين النهر وشط البحر فتمدم بالكلية ولا يسوغ اعادة بنائها وبفوض لهده اوستريا وهنكاريا ادارة البحرية والصحية في انتواري وفي شطوط الجبل وعلى الجبل ان يستعمل القوانين والاصطلاحات البحرية على موجب القوانين والاصطلاحات الجارية في دلماتيا (باوستريا) وقد تعهدت اوستريا وهنكاريا بان تحمي بواخر الجبل الاسود التجارية ويلزم للجبل ان يتفق مع اوستريا وهنكاريا على مد سلك الحديد وانشاء طرق عادية في الاراضي التي دخلت حديثاً في حوزته وعلى تأمين حرية المواصلة عليها

(المادة الثلاثون) المسلمون وغيرهم الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى الجبل الاسود ويريدون ان يستوطنوا خارجاً عن الامارة لم يحق بان يبقوا مالكيين عقاراتهم بايجارها او تشغيلها بواسطة من يبخارونه وتشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين واهل الجبل الاسود لتسوية المسائل التي تتعلق بكيفية نقل الاملاك او حرثها او ادارتها سواء هي من املاك الوقف او الاملاك الميرية التي للباب العالي فتجري تسوية جميع متعلقات الذين لم مصلحة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين

(المادة الحادية والثلاثون) على امارة الجبل الاسود ان تتفق مع الباب العالي على

ما يتعلق بتعيين وكلاء من طرفها في الاستانة او في جهات اخرى من السلطنة العثمانية
مما يرى لازماً اما اهل الجبل المقيمون في السلطنة العثمانية او المسافرين فيها فيكونون
تحت احكام الدولة العثمانية على حسب الاصول المقررة بين الدول وعلى حسب العوائد
المقررة مع الجبل

(المادة الثانية والثلاثون) يلزم ان عساكر الجبل الاسود تخلي الاراضي التي هم
الآن مسئولون عليها مما لم يدخل في حدود امارة الجبل الجديدة وذلك في ظرف عشرين
يوماً اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة او اقل من هذه المدة اذا امكن كذلك
يلزم للعساكر السلطانية ان تخلي في المدة المذكورة الاراضي التي دخلت الان في
حوزة الجبل

(المادة الثالثة والثلاثون) حيث انه يلزم الجبل الاسود ان يتحمل جانباً من
الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي دخلت في حوزته بموجب
شروط الصلح تعين نواب الدول الاجنبية في الاستانة هذا المبلغ بالاتفاق مع الباب
العالي على اصول عادلة

(المادة الرابعة والثلاثون) لما كان الموقعون على هذه المعاهدة معترفين باستقلالية
امارة الصرب ربطتها بالشروط المحررة في المادة الآتية

(المادة الخامسة والثلاثون) لا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في الصرب ضد
احد حتى يخرج من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتعهم بالحقوق المدنية والسياسية
او بدخولهم في الوظائف المبرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع
والحرف المختلفة كيفما كان مقره فجميع الاهالي التابعين للصرب والاجانب ايضاً الحرية
التامة في جميع المتعلقة المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات ارباب
المذاهب المختلفة او في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين

(المادة السادسة والثلاثون) امارة الصرب تكون مالكة للاراضي الموجودة في ضمن
الحدود الآتي ذكرها وهي ان الخط الفاصل يمر على طول الخط الحالي ومن مصب نهر
« درينا » في نهر صاوا ويذهب مع الجرى ويترك « ازرونيق وزخار » للامارة ولا يترك
الخط المذكور اعني الحدود القديمة الى « قابونيق » ثم يفترق سيف ذروة جبل قابونيق
عن الخط المذكور ويسير من جنوب الجبل على طول حدود نيش الشرقية ويمر من
تلال « ماريقا وماردار بلانينا » وهذه التلال هي الخط الفاصل بين انهر « ايلباروسيتيقا

وطوليقا» وعلى هذا تبقى « بره بولاد » للدولة العلية وبعدهُ يسلك خط مقسم المياه الى جية الجنوب من بين « برونيقا » ومدودجا ويترك وادي مدودجا كما: للضرب ويصعد الى نل « قولجاق بلانينا » ويكون هو الخط الفاصل فيما بين الانهر المسماة « بولجنيقا وترنيقا وموراوا » ويصل الى نل « بولجنيقا » ثم يذهب من تجاه « قابينا بلانينا » الى مجمع انهر « قوانسقا وموراوه » ويتجاوزهُ ويسير على الخط الفاصل فيما بين مياه النهر الذي يخنلظ بنهر موراوه في جوار « قوانسقا ونزه دوس » ويتصل « بيلانينا ايليجه » فوق « ترغو يست » ومن هنا اعني من ذروة جبل ايليجه يمتد الى ذروة جبل « قلاتروق » ويمر من المحلات المدروجة في الخريطة تحت عدد ١٥١٦ و ١٥٤٧ ومن « باينا غورا » وينتهي الى جبل « قرني وره » ثم يبتدئ من هذا الجبل ويجمع بحدود البلغار يعني يمر من تلال « استره سرو وبلوغلو ومسيد بلانينا » ويسير على خط مقسم المياه الواقع فيما بين استروما و « موراوه » وينتهي الى المحلات المدعوة « غاسينا وقرنه تراوه ودار قوسقوه ودرابنيقه بلان » وبعدها يمر من فوق « دشاني قلاتنق » ومن اعلى مقسم مياه « صوقوه وموراوه » ويذهب رأساً الى « استول » ومن هنا ينزل الى قرية « سفوزه » من جهة شمالها الغربي ويقطع طريق « بيروت » بمسافة مقدار الف كيلومتر عن صوفية ويصعد على خط مستقيم الى « بدليق بلانينا » ويمر من جبل « رادوجينا » الواقع في سلسلة البلقان الكبير ويترك قرية « دوفنجي » لامارة الصرب وقرية « سناقوس » الى البلغارستان ثم يسير من ذروة هذا الجبل الى جهة الشمال الغربي ويمر من بلقان « سيروق » ومن « استارا بلانينا » ويصعد الى تلال البلقان وفي جوار « قولاسمليجوه قوقا » يتصل بحدود الصرب الشرقية القديمة ويسير على هذه الحدود الى نهر الطونة وينتهي عند النهر في « راقويجه »

(المادة السابعة والثلاثون) لا يغير شيء في الصرب من الشروط الحالية فيما يخص العلاقات التجارية الكائنة بين الممالك الاجنبية وبين امارة الصرب الى ان يجري بدلها اتفاقات جديدة ولا يسوغ ان يؤخذ على البضائع التي تمر في الصرب مرسله الى جهة اخرى شيء من العوائد او الرسوم اما المزاي والامتيازات الشاملة الآن رعايا الدول الاجنبية في الصرب وحقوق الاحكام وحماية القناصل لرعاياهم على الاصول المعمول بها الآن فتبقى مرعية الاجراء الى ان يحصل اتفاق بين امارة الصرب والدول الاجنبية على تعديلها

(المادة الثامنة والثلاثون) للمعهدات التي تعهد بها الباب العالي مع دولة اوستريا وهنكاريا او مع شركة سكة الحديد في الروم ايلي او فيما يتعلق باتمام السكك الحديدية وتشغيلها في الاراضي التي دخلت في حوزة الصرب تبقى مرعية الاجراء عند امارة الصرب وعند التوقيع على هذه المعاهدة يجري اتفاق بين دولة اوستريا وهنكاريا والباب العالي والصرب وامارة البلغار على قدر ما يخصها لتسوية هذه المسائل

(المادة التاسعة والثلاثون) المسلمون الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى الصرب ويريدون ان يستوطنوا خارجا عن الامارة لم الحرية بأن يبقوا مالكي عقاراتهم بمواجرتها او تشغيلها بواسطة من يختارونه وستشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين والصربيين لاجل تسوية جميع المسائل التي تتعلق بكيفية نقل ادارة الاملاك المتعلقة بالموتف او الاملاك الميرية التي للباب العالي وكذلك تسوية جميع متعنتات الناس الذين لم يصلح فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين (المادة الاربعون) تكون معاملة رعية الصرب القاطنين في السلطنة العثمانية او المسافرين فيها بحسب اصول الاحكام والقوانين المتداولة بين الدول الى ان تحصل معاهدة بين الدولة العثمانية والصرب

(المادة الحادية والاربعون) يلزم امساكر الصرب اخلاء جميع الاماكن التي لم تدخل في حوزة امارتهم في ظرف خمسة عشر يوما اعتبارا من يوم التوقيع على هذه المعاهدة كذلك يلزم الامساكر السلطانية ان تنظفي في المدة المذكورة الاماكن التي دخلت في حوزة الامارة

(المادة الثانية والاربعون) حيث انه يتعين على الصرب حمل جانب من الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي حازتها بموجب هذه المعاهدة فسفراه الدول الاجنبية في الاستانة يعينون مبلغ قيمة الاراضي المذكورة على صورة عادلة بالاتفاق مع الباب العالي

(المادة الثالثة والاربعون) لما كان الموقعون على هذه المعاهدة معترفين باستقلالية رومانيا وربطتها بالشرطين الاتيين

(المادة الرابعة والاربعون) لا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في رومانيا ضد احد حتى يخرج من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتع بالحقوق المدنية والسياسية بدخوله في الوظائف الميرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف

المختلفة كيفما كان مقره فجميع الاهالي التابعين لرومانيا والاجانب ايضا الحرية التامة في جميع المتعلقة المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين فتكون معاملة رعايا جميع الدول سواء كانوا من التجار او غيرهم في رومانيا بدون تمييز في المذهب على قدم مساواة تامة

(المادة الخامسة والاربعون) امارة رومانيا تعيد على حضرة امبراطور الروسية ازاضي يسارايا التي كانت انفصلت من الروسية بموجب معاهدة باريس التي امضيت في سنة ١٨٥٦ وحدودها في الجهات الغربية من مجرى نهر البروث وفي الجنوب من نهر « كيليا » وفي « ستارى استانبول »

(المادة السادسة والاربعون) يضم الى رومانيا الجزر الثلاثة التي على الطونة وجزر « بلان طاغ » و« سنجية » وهي تشمل قضاة كيليا وسولينا ومحمودية وزانجه وطولجي وماجين وبابا طاغ وهرسوا وكوستنجه ومحمدية وما عدا ذلك يعطى لها ايضا الاراضي الكائنة على جنوب الدبروجه الى ان تصل الى وسط بيتدي من شرق سيليستريا ويمتد الى البحر الاسود على جنوب مغاليه ويكون تعيين تخوم تلك الحدود في تلك المواقع بمعرفة اللجنة الاورباوية المنوط بمهدتها تعيين حدود البلغار

(المادة السابعة والاربعون) مسألة تقسيم المياه والصيدا تعرض على لجنة الطونة الاورباوية لتكون حكما عليها

(المادة الثامنة والاربعون) لا يجوز وضع رسومات او عوائد في رومانيا على السلع التي ترد اليها بقصد ارسالها الى جهة اخرى

(المادة التاسعة والاربعون) يسوغ لرومانيا ان تعقد مع الدول الاجنبية اتفاقا لتسوية مسألة امتيازات ووظائف قناصلهم فيما يتعلق بحماية رعاياهم في الامارة الآن الحقوق الحالية تبقى مرعية الاجراء ما دام لم يحصل اتفاق عمومي بين الامارة والدول (المادة الخمسون) تبقى رعية رومانيا القاطنون في الممالك العثمانية او المسافرين فيها اورعايا العثمانيين المسافرين في رومانيا او القاطنون فيها متمتعين بالحقوق التي تشمل رعايا بقية الدول الاورباوية الى ان تعقد معاهدة لتسوية امتيازات القناصل ووظائفهم بين الدولة العثمانية ورومانيا

(المادة الحادية والخمسون) تعهدات الباب العالي ووظائفه فيما يتعلق باتمام الاشغال النافعة وما اشبهها في الاراضي التي دخلت في حوزة رومانيا تعود الى عهدة رومانيا

(المادة الثانية والخمسون) لاجل زيادة تأمين حرية السفر في نهر الطونة التي اعترف انما من المصالح الاوربوية. قرر رأي الموقعين على هذه المعاهدة بان جميع الحصون والاستحكامات الموجودة الآن على النهر من عند المحل الذي يقال له «ابواب الحديد» الى ثم النهر تهدم بالكلية فلا يسوغ بعد هذا بناء غيرها ولا يجوز سفر احدى البواخر الحربية على الطونة منحد «ابواب الحديد» الا البواخر الصغيرة المعينة لخدمة الضبطية في النهر وخدمة الجارك ولكن يسوغ لبواخر الدول الموجودة في نهر الطونة لاجل الحراسة ان تسافر في النهر الى غاية «غلاتس»

(المادة الثالثة والخمسون) تبقى لجنة الطونة الاوربوية مقررة في وظائفها ولرومانيا فيها نائب وتجري اعمال ووظائفها الى «غلاتس» بحرية تامة مستقلة عن مداخلة مأموري تلك الاراضي وتبقى ايضا سائر معاهداتها واتفاقاتها واشغلتها واعمالها وقراراتها فيما يتعلق بامتيازاتها وخصائصها ووظائفها ثابتة الاجراء

(المادة الرابعة والخمسون) قبل نهاية الاجل المقرر لبقاء لجنة الطونة الاوربوية بسنة واحدة يلزم للدول ان يتفقوا على تطويل سلطتهم او على التعديلات التي يرون اجرائها من اللازم

(المادة الخامسة والخمسون) جميع المنظمات المتعلقة بالسفر في النهر ووظائف الضبطية فيه من «ابواب الحديد» الى «غلاتس» يكون ترتيبها وتنسيقها من طرف اللجنة الاوربوية بمساعدة نواب من طرف الممالك الكائنة بسواحل النهر ويصير تأليفها بالنظمات الموجودة او التي ستحدث في امور النهر اسفل من غلاتس

(المادة السادسة والخمسون) يلزم للجنة الطونة الاوربوية ان تتفق مع الدول فيما يتعلق بتنوير الفنارات الكائنة على جزر «بلان طاغ»

(المادة السابعة والخمسون) قد فوض لاوستريا وهنكاليا الاشغال اللازم اجرائها لازالة موانع السفر التي تحدث من «ابواب الحديد» والشلالات ويلزم على المالك المجاورة النهر من الجهة المذكورة ان تجري جميع التسهيلات اللازمة لمصلحة تلك الاشغال اما المواد المقررة في المادة الرابعة من معاهدة لندرا التي اصبحت في ١٣ مارس سنة ١٨٧١ فيما يتعلق باخذ ضرائب موقته لسد مصاريف تلك الاعمال والاشغال فتبقى منوطة بدولة اوستريا وهنكاليا

(المادة الثامنة والخمسون) الباب العالي يسلم الى امبراطورية الروسية في اسيا

(الاناطول) اراضي اردهان وفارص وباطوم مع مرسى باطوم وجميع الاراضي الكائنة بين تخوم الروسية والتركية القديمة والتخوم الآتي بيانها وهي « الحدود الجديدة » تبثدي من البحر الاسود على حسب الخط المقرر في معاهدة اياستفانوس الى نقطة في الجهة الشمالية الغربية من « خورده » وعلى جنوب « ارتوين » وتمتد على خط مستقيم الى نهر « جوروك » وبعد عبوره هذا النهر يسير شرقي « اششين » ويستمر على خط مستقيم في الجنوب وهناك يلاقي حدود الروسية المشروحة في المعاهدة المذكورة وذلك في نقطة على جنوب « ناريمان » مع بقاء مدينة « اولني » في حوزة الروسية ثم يبتدي الخط بالقرب من « ناريمان » الى الجهة الشرقية ويكون مروره من « تربنيق » وبعد دخول مدينة تربنيق في حوزة الروس يسير الى « بنك شاي » مجارياً نهره الى ان يصل الى « باردوز » وبعد دخول مدينة باردوز ويكي كوي في عهدة الروسية يؤخذ نقطة من غرب قرية « قره اونجان » تجعل الحدود عليها على خط الى ان يصل الى « مجنجرت » ومنها على خط مستقيم الى ان يصل الى تلال « قباداغ » فيستمر على خط مصب نهر « الاركس » في الشمال ومصب نهر « مرادصوي » في الجنوب الى ان يصل الى حدود روسيا القديمة (المادة التاسعة والخمسون) امبراطور الروسية يصرح هنا بان غاية مقصده ان يجعل باطوم مرسى حراً (معنى حر ان تكون البضائع معفاة من جميع رسومات الدخول او الخروج)

(المادة الستون) تعيد الروسية على تركية اودية الشغراد ومدينة « بايزيد » التي سلمت للروسية بموجب المادة ١٩ من معاهدة اياستفانوس وقد سلم الباب العالي الى مملكة ايران مدينة « قطور » وارضها كما قرر عليه رأي اللجنة الانكليزية والروسية التي نيط بعهدتها تعيين تخوم تركية وايران

(المادة الحادية والستون) الباب العالي يتعهد بان يجري بدون تأخير في الولايات التي سكانها من الارمن سائر الاصلاحات والتحسينات التي تحتاج اليها امورها الداخلية وان يتعهد بتأمينهم من تعدي الجراكسة والاكراد عليهم ويفيد الدول الاجنبية المرة بعد المرة التشبثات التي اتخذها لهذه الغاية وهي تراقب كيفية اجرائها

(المادة الثانية والستون) حيث ان الباب العالي اظهر رغبته في ابقاء اصول حرية الديانة وتوسيع مداها توسيعاً مطلقاً فان الموقعين على هذه المعاهدة ينزلون هذه الرغبة منزلة الفعل فلا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في جميع اطراف السلطنة العثمانية

حتى يخرج احدًا عن الاهلية والجدارة بجميع ما يتعلق بتمتعهم بالحقوق المدنية والسياسية او بدخوله في الوظائف الميرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره ويؤذن لجميع الناس بان يؤدوا الشهادة في جميع المحاكم بدون تمييز احد في الدين واستعمال سائر الامور الدينية يكون بحرية فلا يكون مانع ما لترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او لعلاقتهم مع رؤسائهم ويكون الاكليروس (اصحاب الرتب الكنائسية) والزوار والرهبان من جميع الامم الذين يسافرون في الممالك العثمانية في الروم اليه والاناطول حائزين حقوقًا واحدة وامتيازات وخصائص واحدة وفوض الى القناصل ونواب الدول الاجنبية في تلك الممالك حق في حماية اولئك المذكورين وحماية محلاتهم الدينية واظهارية حماية رسمية في الاماكن المقدسة او غيرها اما الحقوق المسلمة لفرنسا فلم تزل مرعية الاجراء وصار من المعلوم المقرر هنا انه لا يسوغ تبديل حال من الاحوال الحاضرة في الاماكن المقدسة اما زوار جبل اثوس من اي جنس كانوا فيبقون حافظين لاملاكهم وامتيازاتهم ومنحهم السابقة وبقون ممتنعين بمساواة تامة في الحقوق والمزايا

(المادة الثالثة والستون) تبنى معاهدة باريس التي امضيت في ٣٠ مارس ١٨٥٦ ومعاهدة لندرة التي امضيت في ١٣ مارس ١٨٧١ مرعية الاجراء وذلك فيما يتعلق بالمواد التي لم تنسخها ولم تعد لها هذه المعاهدة

(المادة الرابعة والستون) يقع التصديق على هذه المعاهدة بعد ثلاثة اسابيع او اقل ان امكن وللشهادة بذلك اثبت الموقعون اسماءهم على هذه المعاهدة بعد ان وضعوا عليها اخطامهم

تحريراً في برلين في اليوم الثالث عشر من شهر يولييه (تموز) سنة ١٨٧٨

الامضاء

فون بسمارك	صالسبري	هايمول	شوفالوف
فون بولوى	اودروسل	وادنطون	دوبريل
هوهنلو	كورتى	سان فاليه	قره تيودورى
اندراسي	لاوني	دبيريس	محمد علي
كاروليي	غورجيقوف	بكنسفيلد	سعد الله

وعند الاخذ في العمل بمقتضى هذه المعاهدة طلبت الروسية عقد معاهدة نهائية لتصبح ما سلم من معاهدة سان اسٲيفانوس لتخرج عساكرها من الاراضي العثمانية فاستقر الامر على معاهدة تعريبها

(المادة ١) يقع بعد هذا صلح ووداد بين السلطنتين

(المادة ٢) قد وقع الاتفاق بين الدولتين على ان تصرحا بان المواد التي تضمنتها معاهدة برلين التي صار اجرائها بموجب توسط الدول السبع جرى العمل بها عوضاً عن شروط صلح معاهدة اياسطفانوس التي صار تعديلها او تبديلها في مؤتمر برلين

(المادة ٣) جميع مواد معاهدة اياسطفانوس التي لم يحصل تبديلها او تعديلها او التاؤها في معاهدة برلين جرت تسويتها في المواد الآتية من هذه المعاهدة تسوية قطعية

(المادة ٤) بعد اسقاط قيمة الاراضي التي سلمتها تركية الى الروسية بموجب معاهدة برلين يبقى مبلغ الغرامة الحربية المتعين على الباب العالي اداؤه ٨٠٢ر٥٠٠ر٠٠٠ فرنك وكيفية اعطاء هذا المبلغ والضمان عليه تكون بالاتفاق بين دولة الحضرة العلية السلطانية ودولة قيصر الروسية ما عدا ما صرح به في المضبطة الحادية عشرة من معاهدة برلين فيما يتعلق بالغرامة الارضية والحقوق الاولية المختصة بالدين لم مطالب على الدولة العلية

(المادة ٥) مطالب رعية الروسية القاطنين في تركية بصفة تمريض عن الضرر الذي حصل لهم في مدة الحرب الاخيرة تعطى عند وئيتها وتسويتها بمعرفة سفارة الروسية بالاستانة واطلاع الباب العالي عليها وعلى كل حال لا يمكن ان تزيد على ٢٦ر٥٠٠ر٠٠٠ فرنك ويلزم تقديمها الى الباب العالي في ظرف سنة واحدة اعتباراً من يوم مبادلة هذه المعاهدة المصدق عليها وبعد مضي سنتين لا يقبل الباب العالي شيئاً منها

(المادة ٦) يعين من طرف الباب العالي ومن طرف دولة الروسية مأموران مخصوصان لتسديد حساب تموين العساكر العثمانية الذين كانوا اسرى في الحرب الاخيرة وهذه المصاريف تعين الى يوم التوقيع على معاهدة برلين ويسقط منها المبلغ الذي صرفته الدولة العثمانية على مؤونة الروس الذين كانوا اسرى عندها وبعد تسوية هذا الحساب يدفع الباب العالي المبلغ الى الروسية في احد وعشرين قسطاً متساوية يكون دفع آخر قسط منها في ظرف سبع سنين

(المادة ٧) سكان الاماكن التي احقت بالروسية الذين يريدون الإقامة في غيرها يسوغ لهم الخروج منها بحرية تامة كما انه يسوغ لهم ايضاً بيع املاكهم وعقاراتهم « الغير المنقولة » ولاجل هذه الغاية تعطى لهم مهلة ثلاث سنين اعتباراً من يوم التصديق على هذه المعاهدة فاذا انقضت هذه المدة ولم يخرجوا من الاماكن ولم يبيعوا عقاراتهم يصيرون رعية للروسية

(المادة ٨) قد تعهد الموقعون على هذه المعاهدة بان لا يعاقبوا او يسببوا معاقبة رعية الدولتين الذين كان لهم علاقة او مشاركة مع عساكرها في الحرب الاخيرة واذا اراد احد من العثمانيين ان يتبع عساكر الروس عند خروجهم من ارض الدولة العلية فلا يسوغ للمؤري هذه الدولة ان يمنعهم

(المادة ٩) منحت رعية الدولة العثمانية الذين اشركوا في الانقلاب الاخير الذي وقع في ولاياتها بالروم ابلي الامان والعمو التام بحيث ان كل من حبس منهم لهذا السبب او نفي او ابعد من بلاده يعفى عنه وينحول الحرية التامة

(المادة ١٠) جميع المعاهدات والاتفاقات والتعهدات التي كانت حاصلة بين الموقعين على هذه المعاهدة فيما يتعلق بالاحكام وحال رعية الروسية القاطنين في تركيا ثم الفيت بسبب الحرب الاخيرة تصير معمولاً بها كما كانت سابقاً فتبقى علاقة كل من الدولتين من جهة تعهداتها وعلاقتها التجارية وغيرها على الحالة التي كانت عليها قبل الاعلان بالحرب ما عدا ما صرح به في هذه المعاهدة او في معاهدة برلين

(المادة ١١) يتشبهت الباب العالي بالوسائط الفعالة لتسوية جميع الدعاوي والمنازعات المختصة برعية الروسية الموقوفة منذ بعض سنين ويعطى لهم تعويض اذا اقتضتها الحال مع المبادرة الى انهاء جميع الدعاوي التي صدر بها لم اعلامات وقرار من المجالس

(المادة ١٢) بعد التصديق على هذه المعاهدة يقع تبادلها في صان بطرسبرج في ظرف اسبوعين او اقل اذا امكن

تحريراً بالاستانة العلية في ٨ شباط (فبراير) ١٨٢٩

فتلخص مما تقدم ان سائر الممالك العثمانية هي آمنة للوارد عليها واحكام الدولة المعلنة بها لكل من حوثة ممالكها شرعية سياسية منظمة ولها مجلس شورى ومجلس اعيان

ومجلس مبعوثان (نواب) وان اعترض الآن من القلائل الخارجية ما اوجب تأخير
اجتماع المجلسين الاخيرين لاتمام اجراء الاصلاحات حقيقة واما تعيين قواها البرية
والبحرية والدخل والخرج فقد تقدم ذكره مع بقية الدول

❖ الى هنا وقف بالمؤلف رحمه الله القلم * وبذلك اختتم هذا الكتاب وتم ❖



تقاريط

* كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار *

مكتوب

وارد من فخر العلماء والاشراف السيد علوي السقاف شيخ السادة بمكة المكرمة سابقاً حرسة الله
الحمد لله تعالى

حضرة العالم العلامة والخبير الفهامة الملاذ الانغم والماجد الهمام الاكرم مولانا الشيخ
محمد بيرم ادام الله النفع به امين
بعد اداء تجليات عاطرة . واشواق متكاثرة . هو اني بعد ان تشرف ناظري بالمرور
على جملة سالحة من تحريراتكم البديعة العالية المنار . وجدتها جديرة بما سميت به من صفوة
الاعتبار . بمستودع الاقطار والامصار . اضاء بسياحتي فيها ناظري . وتنزه من الغيوم
يجولاني بها خاطرني . كيف وهي خريده غراء عربية الا انها غريبة نيف بلاد الروم .
وعروس تجلت في منصتها الا انها لا يكافئها كل خاطب لها يروم . اشرفت فيها كواكب
التدقيق . واضاءت في آفاقها شمس التحقيق . ابدعت معانيها واحسنتم . واحكمت مبانيها
واقنتم . فشكر الله تعالى لكم حسن هذا الصنيع . واساله تعالى دوام النفع بكم لكل وضيع
ورفيع . وها هي بيد الخادم عائدة اليكم . بعمية عرضتنا هذه النائية عنا في لثم اباديكم .
ودمت . في عز كما رمت

مستمد دعواتكم الصالحة

في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٠٠

علوي بن احمد السقاف



ترجمة مكتوب

وارد عن لسان صاحب المحنة ملك السويد والتوروج اوسكار الثاني من مدينة اوبسالا
بتاريخ ٧ سبتمبر سنة ١٨٨٩

حضرة السيد

بأمر من جلالة الملك اتشرف بأن اخبركم بورود تأليفكم الموسوم بصفوة الاعتبار
الذي تفضلتم بتقديمه الى مقامه السامي بصفة كونه حامياً ورئيس شرف للمؤتمر الثامن
الدولي للمستشرقين وقد كلفني جلالتك بان ابلغ سيادتكم جزيل شكره على هذه الهدية
النيسة وتفضل باحضرة السيد بقبول فائق اجلالي واحترامي رئيس الكتاب
❖ دوسيلسنغ ❖

واسم الكتاب المذكور في الصحيفة ٦٢ من فهرسة الكتب التي قدمت الى جلالة الملك المشار اليه بتلك المناسبة

ترجمة مكتوب وارد باللغة التركية

من اكتب كتاب عمرو الوزير المرحوم سعدالله باشا سفير الدولة العلية في ويانه سابقا
من مدينة ويانه بتاريخ ٤ مايس ١٨٨٨

فضيلتو افندم حضرتلري

وصلت ليد الاعزاز نبيقتكم الكريمة واني لفي غاية الابتهاج بما تفضلتم باظهاره في
حق هذا العاجز من آثار توجهاتكم الودادية وارجوكم قبول عذري لتأخري عن المبادرة
بالاجابة. هذا واني اتباهى بوقوفي بالخبر على ما كنت اسمعه بالخبر عن فضائل ذاتكم العالية
وكالاتكم المشهورة وانكم فخرير صاحب قلم اوفقتموه لخدمة الملة والمدنية الاسلامية واقبالها
وترقيها وقد حفظت ذكرى ملاقاتنا التي تشرفت بها عند ما حضرتم الى اوربا لتبديل
المواء واهنيكم على توفيقكم لتحرير رحلتكم المسماة بصفوة الاعتبار المشحونة بالفوائد العبيمة
التي اتحفتموني بنسخة منها لطفاً منكم وتكرماً « فخير الناس من ينفع الناس » واني ارجو
ان لا تنسوني من دوام توجهاتكم والامر لسيدي في كل حال ❖ سعد الله ❖

ترجمة

المرحوم السيد محمد بيرم الخامس

هو السيد محمد بن مصطفى بن محمد الثالث بن محمد الثاني بن محمد
 الاول بن حسين بن احمد بن محمد بن حسين بن بيرام حضر الى تونس
 قائداً على احدى فرق الجيش العثماني عند فتحها من يد الاسبانيول على
 يد الصدر الاعظم سنان باشا سنة ٩٨١ هجرية وقد تزوج بيرام بنتاً من آل
 ابي عبد الله بن الابار القضاي صاحب كتاب التكملة وإعتاب الكتاب
 وهو الذي ارسله صاحب بننسية زيان بن ابي الحملات الى صاحب افريقية
 (تونس) ابي زكريا يحيى بن ابي حفص يسنيث به لما حاصره ملك برشلونة
 الاسبانيولي فانشده قصيدته المشهورة التي اولها

ادرك بجيالك خيل الله اندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا
 وقد قدر الله ان الاسطول الذي ارسله صاحب تونس لم يصل في
 الوقت المناسب لانجاد الاندلسيين فرجع ابن الابار لتونس حيث استوطن
 بها سنة ٦٣٥ وقد امهرها بيرام اربعة آلاف ريال هذا هو المنشأ الاصيلي
 لهذه العائلة

وقد ولد السيد محمد بيرم بمدينة تونس في الحرم سنة ١٢٥٦ هجرية الموافق
 لمارس سنة ١٨٤٠ ميلادية وامه بنت الفريق محمود خويجه وزير البحرية
 بالايالة التونسية وامها بنت النهاد ذي الشرف المعروف ويتصل نسب آل بيرم

ب

بالسادة الاشراف من جهات اخرى ايضا اهمها جهة محمد بيرم الاول فان والدته بنت السيدة الشريفة حسينة بنت محمد بن ابي القاسم بن محمد بن علي بن حسن الهندي الشريف وهذا السيد قدم الى تونس واجمعت عامتها وخاصتها على الاعتقاد بنسبه الطاهر والتبرك به ونسله فيها بركة اهل تونس الى الآن اما نسبه فيتصل الى الحسين السبط عليه السلام وقد تولى محمد بيرم الثاني نقابة الاشراف في حياة ابيه مضافة الى خطة القضاء التي كانت بيده سنة ١٢٠٦ واستمرت النقابة في يده ولده محمد بيرم الثالث وحفيده محمد بيرم الرابع الى حين وفاته سنة ١٢٧٨ كما ان رئاسة الفتية الحنفية المبرع عنها في تونس بمشيخة الاسلام استمرت في يدهم ويد ابيهم محمد بيرم الاول من ذي القعدة سنة ١١٨٦ الى ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٧٨ اي احدى وتسعون سنة وستة اشهر ولم تنقطع الا مدة قليلة بين وفاة بيرم الاول وولاية بيرم الثاني . وكان جميع آل بيرم منخرطين في سلك العلماء مفتخرين بخدمة العلم الا القليل منهم فقد دخروا في الخدمة العسكرية فاجتمع لهذه العائلة خدمة الدين من الطريقين طريق العلم وطريق الجهاد حتى ان احمد بيرم توفي بجراحة اصابته في محاربة الجزائر بين لمراد باي امير تونس اذ ذاك سنة ١١١٢ وكان هذه الخدمة السياسية اثرت في صاحب الترجمة مع قرابته لوزير البحرية حينئذ فصار له ميل كلي للتدخل في الامور الملكية ومعرفة احوال الحكومة وقد كان جده محمود خوجه رام ادخاله في الخدمة العسكرية لولا ممانعة عمه شيخ الاسلام بيرم الرابع فدخل صاحب الترجمة الى جامع الزيتونة وقرأ على مشايخ الوقت المدودين ولم ينعم ذلك عن اشغال فكره بما يهواه من

ترجمة المرحوم

ج

امور الادارة مع تباعد اهل العلم عادة عن كل ما هو خارج عن دائرة دروسهم وقد جرت عادة الكثير من العلماء والادباء بتونس ان يكون لكل واحد منهم سفر شبيه بالسفينة يسمونه "كناشا" يجتمعون فيه ما يجلو لديهم جمعة من انشأتهم او انشآت غيرهم علمية وادبية نفاً ونثراً متضمنة انقوائد المختلفة في فنون ومعانٍ شتى وقد خطى صاحب الترجمة على خطاهم وعمره سبعة عشر سنة واول ما افتتح به كتابه ما تجمع لديه من اوامر وقوانين وانظامات في شؤون الحكومة اصدرها اذ ذاك صهره الامير محمد باشا وهذا يدل دلالة واضحة لا شبهة فيها على ميل صاحب الترجمة وتملقه باحوال السياسة وقد كان في حال صباه يرى العربان يفدون على والده وهو مشغول بالزراعة يتضجرون ويتوجعون مما يصيبهم من ظلم الحكام وتشديدهم في نهب الاموال بسائر الطرق التي اخترعوها في ذلك الوقت مما هو مبسوط في الكلام عن سياسة تونس الداخلية في صفوة الاعتبار فاثر فيه نجيبهم وبكاؤهم فاوقف حياته من ذلك الهمد على الانتصار للرعايا وتخفيف الاستبداد عليهم والسعي وراء نشر القوانين وتأسيس المجالس النيابية والميل بكل جوارحه للحرية مع ما جرت به العادة من تباعد ذوي البيوتات عن مثل ذلك حتى لقد بانغ به الواقع بالحرية وحب المجالس الشورية ان تخالف رأياً يوماً وهو صغير السن لا يتجاوز من العمر عشرين سنة مع ابيه وابن عمه عندما افتتح الامير الصادق باشا المجلس الاكبر واسس قوانين عهد الامان (كونستيتسيون) فكان صاحب الترجمة ينتصر لهذه المستحدثات ويرسم فيها خيراً للبلاد وذلك يخالفنا مع ان احدهما كان من جملة اعضاء المجلس لما غرس في اذان اصحاب

البيوتات من التنحي عن مثل هذه المستجدات التي لا تروق في اعين
 حكامهم وبعد وفاة عمه الشيخ بيرم الرابع ولاء الامير مشيخة المدرسة النعنية
 في ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٧٨ فباشر التدريس فيها ومن عادة علماء تونس
 من مشايخ المدارس ان يقرأوا فيها صحيح البخاري خصوصاً في الاشهر الثلاثة
 المكرمة واعتباراً من ١٥ رمضان يبتدىء كل واحد منهم بحسب الدور بمختم ما
 قرأه وذلك بان يتلو الحديث الشريف الذي وقف عليه ويكتب عنه ما يعين
 له من الشروح والتعليقات ويكون لذلك مجلس حافل يستمر من العصر الى
 قريب الغروب وتوالي الاحتفالات المذكورة الى الليلة السابعة والعشرين
 من رمضان حيث يكون ختم جامع الزيتونة ودور المدرسة النعنية في اليوم
 الخامس والعشرين منه وقد حضر الامير بنفسه ذلك الختم في تلك السنة تشجيعاً
 للشيخ الجديد وكان حديث الختم قوله عليه الصلاة والسلام "ان امتي يدعون
 يوم القيامة غراً محجلين فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فيفعل" وفي ٩
 جمادى الثانية سنة ١٢٧٨ صار مدرساً في جامع الزيتونة من الطبقة الثانية
 وفي ١٥ رجب سنة ١٢٨٤ رقي مدرساً من الطبقة الاولى فاستمر مباشراً
 للتدريس مشغولاً بادارة املاكه وعقاراته واموره الخصوصية وتوفي والده
 الى رحمة ربه في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٢٨٠ وترك له ثروة عظيمة وفي
 تلك الاثناء ظهرت الفتنة العمومية في الايالة التونسية متسببة عما كان
 يتوقعه ويخشاه من عاقبة ظلم الرعية واستبداد الحكام وقبيل ذلك اقبلت
 المجالس الشورية التي كان صاحب الترجمة يتولع بها ويهاها ولا يتوسم
 لخير المملكة سواها وكان ذلك اثر عليه تأثيراً شديداً حتى انه كاتب احد

اصدقائه من امرء المسلمين اقيمين باوربا بما نص محل الحاجة منه " فيا لها من حال . يرثي لها من رام الزال . وقنخر لشدتها شامخات الجبال . الى ان قال فقد فاز من نهض بنفسه . واستراح من فتنة باطنه وحسه . اذ الآيات وردت على ذلك ناصة . فقال تعالى وانقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة . ففاز المخفقون . وابتلى المتأهلون . ووالله العظيم ونبيه الكريم . طالما نهضت عزائي الى الترحال . فاثقلني قيود العيال . مع ما انا عليه من الوحدة عن اخ شقيق . او قريب يخلفني فيهم عند الضيق . ولم استطع التخلص بكلي . لما لا يخفى مما يثقل كلي . واقسم بالقرآن . وصفات الرحمن . انني عرضت للبيع املاكي . لاتخلص بها من اشراكي . واستعين منها بالاثمان . فلم اجد من يصرف لهذا الوجه اي عنان . ولو من اعيان الاعيان . الخ " (والمكتوب كله منشور في الصحيفة ٣٦ من الجزء الثاني من صفوة الاستبصار) ومن ذلك الحين اشتد اتصاله بالوزير خير الدين باشا اذ كان هو رئيس المجلس الاكبر . الذي انفي وكانت مناسبة الوصلة بينهما حربية وتعميم الشورى في المملكة وهما كما لا يخفى القوتان الوحيدتان لحفظ استقلال البلاد من التلاشي ولذلك فانه لما تولى خير الدين باشا الوزارة الكبرى في تونس في رمضان سنة ١٢٩٠ كان صاحب الترجمة من اكبر انصاره ومحازبيه وتظاهر بذلك تظاهراً كلياً حتى نشر في الرائد التونسي الذي هو جريدة الحكومة الرسمية مكتوبين اظهر فيها انبساط الاهالي من تغيير الوزارة وبين غلط المنتصرين للحاكم السابق وانهم فئة قليلة لا تحب خير البلاد وكان بذلك اول تونسي جاهر بآرائه السياسية في الجرائد تحت امضائه على ما اذن وزاد

السيد محمد بيرم

و

على هذا التظاهر الادبي بان سعى في اعمال تظاهر مادتي وذلك بان اتفق مع علماء جامع الزيتونة على اقامة احتفالات في الجامع شكراً لله على انقاذ البلاد من عهد الجور وادخالها في عصر الاطمئنان والرجوع لهد الامان وحمل بالفعل ذلك الاحتفال واعقبه كثير مثله في جهات الحاضرة وبقية بلدان المملكة فكانت نهضة حقيقية وطنية صادرة عن اخلاص نية حبا في الحرية واستقامة الاحكام ولما استقر الوزير المشار اليه في المنصب ووجه عزيمته لاصلاح الادارة رأى ان الاوقاف مشتتة قد استولت عليها ايدي الخراب والاطماع فرأى ان جمعها في ادارة واحدة يكفل حفظها ويجمع ريعها فيصرف في اوجه المشروعة وذلك على النحو الجاري في دار الخلافة السعيدة وقد رأى الوزير ان يهدى الى صاحب الترجمة امر هذه الادارة الجديدة لما يعده فيه من معرفته بالاحكام الشرعية واطلاعه على مقتضيات الوقتية فامتنع المرحوم اولاً من قبول اي وظيفة كانت لانه لم يكن يميل الى التقيد بشيء مما ينمعه عن السعي وراء ضالته المنشودة وهي الحرية للرعية ودخوله في الوظائف يجعله بلا ريب مقيداً مع الوزير بالآداب التي تقتضيها الوظيفة اما بقاؤه خارجاً عن دائرة الحكومة فيبقى على حريته التي تمكنه من تذكير الوزير بما عساه ينساه من تشييمه لما كان تعهد باجرائه هذا فضلاً عما كانت عليه سجة صاحب الترجمة من الهمة وابةاء النفس حتى كأن جده حسين بيرم المتوفي سنة ١١٥٥ قد نظر اليه بظهور الغيب لما ذهل البيتين الشهيرين

شيان لو بكت الدماء عليها عيناى حتى تؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيها فقد الشباب وفرقة الاحباب

بقوله

واشد من هذين ان يلقي الفتى ذل السؤال ووقفه الابواب
 ومع ذلك فقد تغلب اصحابه عليه وقبل ادارة الاوقاف في ١٧ صفر
 سنة ١٢٩١ ولم ينفرد مع ذلك بامرهابل شارك معه مجلساً مؤلفاً من ثلاثة
 اعضاء اقدم من رجال الادارة والاثنان الاخران من اعيان الاهالي والتجار
 وجعل نظرهم في الاوقاف على قسمين الاول الاوقاف الالهية اي التي هي
 موقوفة على ذرية الواقف او قرابته والثاني الاوقاف التي على اعمال البر
 مثل الخوامع وقراءة القرآن وغير ذلك فاما نظرهم في الاول فهو مجرد نظر
 ارشاد واما القسم الثاني فنظرهم عليه نظر تصرف مطلق والمباشر للاعمال هو
 الرئيس بعد اخذ رأي الاعضاء عنها وقد جمع الاوقاف كل نوع منها لجهة
 واحدة بان ضم مثلاً جوامع الخطب كلها لجهة والمدارس كلها لجهة واوقاف
 القرآن لجهة وهكذا الى آخر انواع الموقوف عليه وجعل لكل قسم وكيل
 خاصاً يباشر العمل في ذلك تحت النظر الاصلي فيقبض الوكيل ويصرف في
 اقامة الشعائر وفي اصلاح الموقوف والموقوف عليه ولكنه لا يعمل شيئاً الا
 بعد الاستئذان من رئيس المجلس وجميع حساباته ترسم في دفترين مخصوصين
 بشهادة عدلين احد الدفترين للحسابات اليومية والثاني للحسابات العمومية
 وانما جمع كل نوع من الاوقاف تحت نظر وكيل واحد لان الموقوف عليه
 مختلف الربع بعضه غني وبعضه فقير فاذا كانت ادارتها جميعاً متحدة فيصرف
 من دخل الغني على الفقير لانها من نوع واحد وبذلك تيسرت سهولة
 الاصلاح ثم انه في آخر كل اسبوع يقدم الوكلاء حساباتهم ويوردون

السيد محمد بيرم

ح

للخزينة العمومية كل ما زاد عندهم من الايراد على المصروفات الضرورية وهذه الخزينة لها ثلاثة مفاتيح اثنان منها ببقيان بطرف امين المال والثالث يحفظ عند الرئيس ولا تفتح الا بحضور الجميع ثم ان جميع اماكن الاوقاف لا يحصل تأجيرها الا بعد الاعلان والمزايدة علناً بمحضر القاضي ثم ان اموال الاوقاف اول ما يقام منها الوقف والموقوف عليه حسب نص الواقف ويقدم الالم على الهم وجميع مداوات المجلس ودفاتر الايراد والصرف في الخزينة العمومية يمضيها جميع الاعضاء مع الرئيس يومياً وكان يصرف من فوائض الاوقاف على الاوقاف التي لم يحضرها دخلها وذلك على وجه القرض ولما يحضر مالها تعيد ما استقرضته للخزينة العمومية ثم يدفع منها جميع مرتبات الحكام الشرعيين من قضاة ومفتيين في جميع المملكة والسادة الاشراف ويدفع منها ومصروفات نظارة المعارف من موظفيها ومرتبات مدرسي جامع الزيتونة ومصروفات دواوين الشريعة المطهرة ومصروفات المجلس البلدي بماضرة تونس واصلاح الطرقات وتنظيفها واقامة الجسور والقناطر ومصروفات المستشفى والمكتبة العمومية وغير ذلك من مصاريف بعض المهمات التي تحدث احياناً وترجع الى مصلحة عمومية ان كان في الفوائض ما يوفي بها وبسبب اجراء قوانين الاوقاف حقيقة بدون معجبة تحسن حالها وزادت ايراداتها حتى بلغت في السنة الخامسة من وجود هذه الادارة مليونين ومائة وخمسين الف ريالاً ونيقاً وكانت في السنة الاولى مليوناً واحداً ومائتي الف ريال ونيقاً زيادة على ما ظهر من الاوقاف التي كانت تلاشتها ايدي العدوان حتى بلغت الى مئات من قطع الاراضي والدكاكين والبيوت وآلاف من شجر

الزيتون كما هو مبسوط في العدد ١٨ من الرائد التونسي سنة ١٢٩٧ وظهرت
اوجه من الموقوف عليه لم تكن في الحسبان كالوقف على تنوير الاماكن
المظلمة في الليل والوقف على التقاط العقارب الى غير ذلك من اوجه البر.
وقد التزم الرئيس ان يفرغ جهده لاصلاح هذه الادارة المستجدة وتدريب
عمالها على العمل حسب المرغوب حتى انتزم في اول الامر ان يباشر جميع
الاعمال بنفسه جزئية وكلية ليلاً ونهاراً واستمر على ذلك مدة طراً عليه في
اثنائها مرضٌ عصبى لم يفارقه الى ان قضى عليه وكان ابتداء المرض في
صيف سنة ١٢٩٢ وبسبب هذا المرض عزم على السفر للتداوي في اوربا
فسافر اليها في شوال سنة ١٢٩٢ وكان ذلك سبباً لكتابه صفوة الاختبار ولم
تكن هذه الرحلة اول تأليف له بل قد سبق له كتابة رسالة سماها "تحفة
الخواص في حل صيد بندق الرصاص" ومضمونها احتواء عنوانها وسبب
تأليفها الخلاف الحاصل بين بعض العلماء في حل اكل الصيد المذكور من
عدمه والى ايضا في اول نشأته مجموعاً مختصراً مفيداً في فن العروض
وذلك عند بداية تعاطيه لنظم القريض وحرر مسألة فقهية في جواز اسدال
شعر الرأس وسببها ان الامير امر رجال حكومته باسدال شعرهم وكانوا
يحملونه فاستفتى في جواز ذلك من عدمه واختلف فتاوى العلماء خشية
القول بالتشبه بالافرنج فكتب المرحوم رسالته بالجواز مستنداً على عمل النبي
صلى الله عليه وسلم . وفي تلك السنة اي سنة ١٢٩٢ افتتحت في تونس اول
مدرسة على حسب النظام الجديد المتبع في اوربا سميت المدرسة الصادقية نسبة
للامير فكان المرحوم من اعضاء اللجنة التي رقت نظاماتها واهتم كثيراً باقناع

السيد محمد بيرم

ي

الناس على ادخال ابنائهم فيها وكان هو من اول العاملين بقوله فجعل ابنة كاتب هذه الاسطر من جملة تلامذتها وقد حصل في بداية الامر نفور الناس منها اذ ان العادة جرت بنفرة غير المؤلف ولم تنزل تلك المدرسة ناشرة فوائدها بين التونسيين واكثر المتولين مناصب الحكومة بتونس الآن هم من الشبان الذين تغذوا بلبان معارفها

وفي ١٠ جمادي الثانية سنة ١٢٩٢ عهدت اليه نظارة مطبعة الحكومة فنظمتها واصلح شأنها واصدر الرائد التونسي (الجريدة الرسمية) في مواعيده المعينة كل اسبوع مرة وكان لا يصدر الا بحسب التيسير ولما كان الرائد التونسي هو الجريدة الوحيدة التي تصدر في تونس بذل كل ما في وسعه لجمع له مفيداً لبني وطنه واستعان على تحريره بجهازة اعلام كاشيخ حمزة فتح الله المصري والشيخ محمد السنوسي التونسي ونشرت فيه مقالات رنانة حاثثة على الجامعة والوحدة والعدل والائتلاف لا سيما زمن الحرب بين الدولة العلية والروسيا وقد قسم المرحوم وقته فكان يتوجه لادارة الاوقاف صباح كل يوم ويتوجه للمطبعة بعد الظهر وفي تلك الاثناء نظم المكتبة الصادقية بازاء جامع الزيتونة وهي مكتبة جمعت آفاً من الكتب النفيسة في كل فن تبرع بجانب عظيم منها الوزير خير الدين باشا واكثرها كتب استولت عليها الحكومة من مملوكات الوزير القديم مصطفى خزندار وجعلها مفتوحة للمطالعة واستفادة العموم في جميع اوقات النهار بشرط ان لا يخرج منها كتاب وجميع مصاريف هذه المكتبة تحملت بها ادارة الاوقاف على ما مرّ بيانه

وفي سنة ١٢٩٣ لما ظهرت الحرب بين الدولة العلية والصرب بذل

صاحب الترجمة غاية مجهوده لمساعدة الدولة بالمال والخيل والبغال حيث لم نثيسر مساعدتها بالرجال لاسباب سياسية وموانع محلية وقد نشر صاحب جريدة الجوائب الصادرة بالاستانة قصيدة لصاحب الترجمة في الحث على التعاون والاتلاف عند تلك المناسبة قال فيها

يا امة الاسلام صونوا عزمكم	بتعاضد وتمدن وتنافس
يا امة الاسلام احيوا ذكركم	بتآلف وتودد وتانس
يا امة الاسلام نموا صينكم	بمعارف وصنائع ومجالس
يا امة الاسلام حوطوا امركم	بتشاور وتدبر وحوارس
يا امة الاسلام اجلوا فخركم	بديانة قد سترت بجنادس
يا امة الاسلام هبوا للفلا	ح ولا تضيعوا نجبكم بتقاعس
يا امة الاسلام عوا واستيقظوا	ان الهلاك مسارع للناعس
يا امة الاسلام زيدوا ثروة	بتعاون ومصانع ومغارس
يا امة الاسلام شيدوا مجدكم	بتناصر وتناصر وتجانس
يا امة الاسلام شدوا عزمكم	فثباتكم بين البرايا ما نسي

ولما خت وظيفة شيخ الاسلام بتونس عند وفاة صاحبها توجهت الانظار لتولية صاحب الترجمة عليها حتى ان المنصب المذكور بقي خاليا مدة شهرين لذلك فاعتذر بان الوقت غير مناسب لاعادة جاه هذا المنصب ورجوع عزه اليه كما كان عليه زمن عمه

ولما استعفى خير الدين باشا من الوزارة التونسية في رجب سنة ١٢٩٤ رام صاحب الترجمة التخلي عن وظائفه ايضا غير ان مداخلة الامير الشخصية

السيد محمد بيرم
ي ب

منعته من تنفيذ هذا العزم وقد رأى من الوزير محمد خزنة دار جميل العناية
كما يستدل عليه من المکتوب الآتي

”الهام الاوحد النحرير الشيخ السيد محمد بيرم رئيس جمعية الاوقاف
دام مجده اما بعد السلام عليكم وبركاته فالواصل اليكم ترجمة مکتوب ورد
من المكلف بامور دولة اسبانيا للاطلاع عليها وتعرفونا بما يجاب الرجل في
النازلة وفي امن الله دتم والسلام من كاتبه محمد في ٢٩ ذي الحجة سنة
١٢٩٤“ ومن ذلك الحين ايضاً صار الوزير مصطفى بن اسماعيل يظهر له كمال
التودد والتلطف وفي مصيف سنة ١٢٩٥ اثناء وجود المعرض الباريسي سنة
١٨٧٨ توجه المرحوم ثانياً الى باريس للمعالجة من مرضه الذي لم يفارقه
وفي هذه السنة زار لندره من بلاد الانكليز وعند عودته عرج على
الجزائر وفي مدة اقامته بباريس اكرمه المارشال مكاهون رئيس الجمهورية
الفرنسوية اذ ذلك باحضاره في الاوبره وهو التياترو الكبير في نفس لوجته
(حجرته) وحضر بعض الاحتفالات التي اقامها الوزراء اثناء المعرض
وبالجملة فان القوم اكرموا اكراماً فائقاً وفي تلك السفارة احتفل ولي
عهد الامارة بتونس وهو الامير الحالي بختن نجليه فكاتبه المرحوم بالتهنئة
وكانت بينها علاقة ودية قديمة فاجابه الامير بهذا المکتوب ونصه بهد
الهدية والتصلية

تبدت في حلا الحسن الجلي خريده ذات ثغر العسي
تجر مطارفاً وتميس تيباً ويسطو لحظها في كل حي
فيا لله ما احلى دلالاً واعذب لفظها شهد الشهي

ي ج

ترجمة المرحوم

فما للبحر لم يصبح فراتاً وقد امتت به زمن المني
فقلت لها انتم يا خود فخر فقات بنت فكر البيرمي
لقد حاز المعارف والمعالي وحيد الدهر ذو الحسب النقي
انت من نحوكم درر التهاني منظمة بسلك جوهرني
وكيف يفوت حظك بابتعاد وفي الاحشاء ذو ودّ خفي
وها ولدي الزكي يروم وصلاً لجانبكم بباريس السمي
واني ارتجى بشرى الشفاء وعودكما مع اللطف الخفي
الماجد الزكي العالم ابو عبد الله الشيخ السيد محمد بيرم حرسه الله تعالى .
اما بعد اتم السلام فقد ورد نظمكم الرائع . وما تضمنه من التاريخ الفائق .
في التهنئة بالختان واني اهنيك بذلك كما ارتجى هنيئك . بتمام شفائك . وانت
ان ترحت عن حمانا جسماً . فلم يزل ودك مرتسماً . بدفاتر الاحشاء رسماً .
والسلام من الفقير الى ربه امير الامراء علي باي امير الاحمال عني عنه

في ٢ رجب الاصب من سنة ١٢٩٥

ولما رجعت من هذه السفارة واستقرت مدة احب ان ينظم المستشفى التونسي
على النحو الذي رآه في اوروبا من ايقان المستشفيات والاعتناء بالمرضى
وتقسيمهم كل قسم على حدة وكذلك تحسين حال المجانين اذ ان المستشفى
التونسي واحد يقبل جميع المرضى واستعان على ذلك بحكام ماهرين اهمهم
الدكتور ماسكرو حكيم الاميرالخصوصي وقد حسن للوزير مصطفى بن
اسماعيل هذا العمل وتخصيص احدى القشلاقات العسكرية القديمة الواسعة
لهذا الغرض وكانت معطلة خاوية تدمي بفراغها واقفال ابوابها ما كانت عليه

السيد محمد بيرم

ي د

البلاد التونسية في العصر السالف من القوة والاستعداد والتأهب للمقاومة والجلاد والمدافعة عن استقلال البلاد والقشلة واقعة في حي مرتفع تقي الهواء وفي تلك الاثناء حصلت منازعة بين الحكومة التونسية واحد الفرنسيين المدعو الكونت دو صانسي على ارض فسيحة تعرف بهنشير سيدي ثابت كانت تنازلت له عنها الحكومة لتحسين حالة الزرع ونتاج الخيل ولما اخل بالشروط التي اعطيت له بمقتضاها وانتهت مدة التنازل رامت الحكومة استرجاعها وبينما هي تنازعه فيها اذا بالوزير وبعض اعوانه دخلوها عنوة فوق لذلك هرج ومرج وانتزها قنصل الفرنسيس الموسيو روستان فرصة لارهاب الامير والاستيلاء على الوزير وزيادة شوكة دولته في تونس فقطع العلاقات السياسية وطلب عدة مطالب للترضية اهما عزل الوزير والتعويض على الكونت . وكل مطلع على تاريخ تونس الحديث ملم بما كتب عن مصطفى بن اسماعيل في صفوة الاعتبار وغيرها يعلم انه لم يكن اهلاً لتقليد الوزارة ولا لمباشرة شؤون المملكة باي وجه من الوجوه وهكذا جرت سنة الخلق . كلما اخذت امة في الانحلال والاضمحلال تسلط عليها الوضيع . ونبذ الرفيع . وثقدّم الغافل . وتأخر العاقل . وتملك العبي . واحترق الذكي . وانتصر الجهل . وخذل الفضل . وقامت دولة الاوغاد والسفل . ليقضي الله امراً كان مفعولاً ولولا سيطرة الظلم والاستبداد من الحكام والجامم الاهالي بلجام من الجور والاعتساف . لما رفع مصطفى بن اسماعيل من حضيض الارض الى عنان السماء . ومن دائرة السوق الى منصب الوزراء والله الامر من قبل ومن بعد ولما كان الوزير المذكور يحس من نفسه بعدم

اللباقة لمركزه كان دائماً متوقفاً الشر من كل مقتدر على تفهيم الباي بحقيقة حاله وسوء اعماله ولذلك فان رستان علم ان لا شيء يقوده غير الارهاب فطلب عزله ارهاباً له فسهل عليه قيادته من ذلك الحين فصار في يده كالميت في يد غاسله وقد اسرع الوزير بترضية القنصل ترضية رسمية على الاعتداء الذي حصل منه فداءً لمركزه واستقر الرأي على تشكيل لجنة للتحكيم تحت رئاسة قاض فرنساوي يكون فيها عضوان تونسيان وعضوان فرنساويان تنظر في جميع مدعيات الطرفين وتصدر حكمها فيها فكان صاحب الترجمة احد ذينك العضوين التونسيين وقد ناضل عن حقوق حكومته بجميع قواه وبلغ به تعب الفكر والبدن منتهاه حتى عاد اليه المرض بعد ان كاد يشفي منه وقد اوصاه الحكماء الذين باشروا معالجته في باريس وفي مقدمتهم شاركو الشهير بان يقلل ما يمكن من الاشتغال بالفكر ويتباعد عن الانفعالات النفسانية اذ ان مرضه عصبي واقع في الاعصاب الواصلة بين المعدة والقلب مع ضعف شديد في الدم تطراً عليه ادوار غريبة في الوجع والالام التزم لتسكينها بتعاطي المرفين وهو روح الافيون وقد رجع من باريس آخر مرة وكاد يبطل استعماله بالمرة بل بقي عدة اشهر لا يستعمله اصلاً غير ان مسألة صانسي وما رآه فيها من حيف الاجنبي لاهتضام حقوق البلاد والتلاعب باستقلالها اعاد اليه المرض كله باشد مما كان عليه وقد صدر الحكم بحقوقية الحكومة التونسية كما هي العادة في جميع المسائل التي تقع من هذا القبيل في البلاد الشرقية في مثل هذه الاوقات

وفي تلك الاثناء انهي تنظيم المستشفى الجديد المسمى بالصادقي وهو على

السيد محمد بيرم ي و

قسامين احدهما مجاني للفقراء يسع مائة مريض والآخر للموسرين باجرة معينة زهيدة وافتتحه الامير بنفسه في موكب حافل حضره في يوم ١٠ فبراير سنة ١٨٧٩ (١٨ صفر سنة ١٢٩٦) وأعلن الوزير عن لسان الحكومة بحسن مساعي صاحب الترجمة في تنظيم هذا المستشفى بقوله في خطاب القاه على مسامع الامير في ذلك الاحتفال وهو "بمقتضى الاذن العلي وعناية سيدنا ادام الله تعالى بقاءه بمصالح بلاده وقع انجاز هذه المأثرة الجميلة التي هي احدى مآثر الحضرة العلية وهي هذا المستشفى الصادق الذي شرفه سيدنا ايداه الله تعالى بالحضور فيه هذا اليوم وقد اعنى الشيخ السيد محمد بيرم ببذل الجهد في انجازه وترقيته على الكيفية المشاهدة بما نرجو من الله تعالى ان يعجل ذلك من سيدنا محل الاستحسان" فاجاب الامير بالشكر والثناء واهدى الى صاحب الترجمة في ذلك اليوم علبة مرصعة ذات قيمة وافرة مكتوب عليها اسمه بالاحجار الكريمة. وفي اواسط تلك السنة تطاول احد اعوان الوزير على القاضي المالكي الشرعي بديوان الحكم وهو امر لم يهد له مثل في تونس حيث لم تنزل الاحكام الشرعية وحكامها مرموقين بعين التبجيل والاحترام اللائقين فهاجت البلاد لذلك وماجت واتفق الحكام الشرعيون على تعطيل الاحكام الى ان يسترضيهم الامير بعزل الوزير وعقاب تابه العقاب الصارم واجراء القوانين والمجالس الشورية في البلاد لتكون ضمانة كافية على عدم العود لمثل هذا الحادث المكدر وعدم تسليم الادارة لمن لا يكون كفوءا لها وبمد ان اتفقت كلمتهم على هذه المطالب وكادوا ان يحصلوا عليها دخل بين بعضهم داخل الغرور والتفرقة فتشتت آراؤهم وانحلت جامعهم ورضوا

بتبعيد التابع المتناول لاحدى معاقل المملكة في قابس الواقعة على حدود طرابلس وبتشكيل الامير لمجلس سماه مجلس الشورى للنظر في مهمات امور الدولة وجعله تحت رئاسة الوزير نفسه واعضائه بقية وزراء المملكة ومستشاروها وليس فيهم الا اثنان من الاهالي والباقي كلهم من ممالك الجراكسة وزاد عليهم اثنين هما السيد محمد بيرم والعربي باشا زروق رئيس المجلس البلدي وكانا من اشد المعضدين لعزائم الحكام الشرعيين في مطالبهم التي طلبوها وكان ذلك في ١١ رجب سنة ١٢٩٦ ولا يخفى ما في رضاه المشايخ بمثل هذا المجلس خصوصا بعد تعيين صاحبهم فيه من الايقاع بها والتغاضي عن صالح البلاد الحقيقي ولم تطل الايام حتى اختلق الوزير مأمورية لصاحب الترجمة وارسله بها الى فرنسا وحاصلها السعي لدي كبراء القوم وخصوصا غامبيتا رئيس مجلس النواب اذذاك وصاحب القول الفصل في بلاده لتغيير قنصلهم في تونس لانه اشتد على الحكومة اشتدادا لم يبق لها حرية للعمل في شؤونها الداخلية قط ولم يقف عند حد في القاء الدسائس والفتن وتوغير الصدور بين الراعي والرعية حتى انه لما طلب اعيان الاهالي التونسيين ما طلبوه من تأسيس الحرية والشورى في بلادهم كان الموسيو رستان نائب الجمهورية الفرنسية ينصح الامير بعدم الاصغاء الى هذا الطلب وان العساكر الفرنسية بالجزائر مستعدة لمعاضدته وكسر شوكة الاهالي واذلالهم عند اللزوم وهي سياسة قديمة اتبعها فرنسا في تونس فان قوانين عهد الامان السابق ذكرها المؤسسة في تونس سنة ١٢٧٤ كانت بمساعي فرنسا وانكثرا ظاهرا وتهديدها للامير باسطوليها الذين حفروا لذلك الغرض

السيد محمد بيرم

ي ح

وكان ذلك لمجرد قتل يهودي في اقامة حدٍ اقتضته الشريعة ولما اجريت تلك القوانين بالفعل سنة ١٢٧٧ وتوجه الامير لمقابلة الامبراطور نابليون الثالث في الجزائر واهدى اليه نسخة من تلك القوانين اقبلها منه بالشكر ظاهراً ولما اختلى الامبراطور بقنصله ايون روش وبجته توبيخاً شديداً على مارواه المرحوم الجنرال حسين وافهمه غلظه من المعاضدة على اجراء القوانين الشورويّة في تونس حقيقة وقال له ان العرب اذا تأنسوا بالعدالة والحرية فلاراحة لنا معهم في الجزائر مطلقاً ومن ذلك الحين وجه القنصل هتة لاقناع الوزير مصطفى خزنة دار بالغاء تلك القوانين ووجد منه اذناً صاغية فالغاها وبقيت كذلك الى هذا الوقت . وقد قبل السيد محمد بيرم مأموريته كما قبل المرحوم حسين باشا وزير المعارف اذ ذاك بتونس مثلها لدى البرنس بمارك ولما توجه صاحب الترجمة للسلام على الامير سلام الوداع واجعه بكلام اللوم والعتاب على ما جرى منه من تعضيد المطالب الاهلية فاجابه الشيخ بيرم بكلام اثر في نفسه تأثيراً لم يزل يكرّره بتوجع الى آخر مدته وهو انه قال له اننا نطلب الحرية التي قال سيدنا انه لا يعطيها لنا غيره فاجابه الامير لمن اعطي الحرية للتجار والحداد ام لك او لهذا (واشار الى احد كبار الحاضرين) فان التجار والحداد اذا اعطيا الحرية اساءوا التصرف بها ولم تبق لنا معها راحة فقال له السيد بيرم ان الحرية التي يعطيها سيدنا للحداد والتجار تصيرها مثلي انا ومثل هذا واثار الى ذلك الوجيه وسبب انزعاج الامير من هذا الجواب هو تكرار لفظة الحرية فيه ولم يهد انه سمعه من قبل حتى ان امراء تونس قديماً كانوا يعتقدون انهم يمتلكون البلاد بين فيها من

ي ط

ترجمة المرحوم

الارزاق والالعام والسكان امتلاكاً شرعياً لا ينازعهم فيه منازع واورد المؤرخ اللبيب الشيخ احمد بن ابي الضياف في تاريخه نادرة جرت له مع امير تونس حسين باشا الثاني في هذا الموضوع كادت ان تورده حنفة رحمة الله . ولما وصل صاحب الترجمة هذه المرة الى باريس وكان ظاهر امره انه توجه لتداوي اجتمع بالموسيو غاميتنا وفاوضه في المسألة التي كلفه بها الوزير وسلمه تقريرا فيها هذه صورته

” اني اقدم على وجه خصوصي غير رسمي الى حضرتكم العلية تقرير ما هو واقع في المملكة التونسية مما عساه ان يكدر صفاء القلوب حيث كنت أنا واهل بلادي على علم من ان الدولة العظيمة الحرة لا يبلغها ما هو حاصل الآن من نائبا في تونس الذي اتخذ طريقة التشديد والتخويف ديدنا في كل شيء حتى صير حكومتنا متحذرة من اصدقائنا عوضاً عن زيادة الالفة والركون الذي هو الواجب مع الامة الفرنسية التي كل اهلنا يعلم انها وحدها هي التي تفيدنا ولهذا عند ما امتلاً وطابنا من الكدر لم نقصد الا ابلاغ الحال الى رجالها المنصفين من غير ان نطرق باباً غير بابها وذلك ان موسيورستان النائب المذكور بعد ان اوقع دولتنا في ارتباك وكاد يغير علينا الدولة الفرنسية في نازلة موسيو دو صالسي التي لا تستحق تلك الاهمية حسبما يوضح ذلك التقرير الذي حرره مجلس التحقيق المعين من فرنسا وبعد ان اضطر حكومتنا الفقيرة التي لم تستطع دفع كيونها (فوائد ديونها) ولا مرتبات متوظفيها الى دفع مبالغ مجبانا من المال والاملاك الى اناس لا فائدة بهم لكلا الدولتين لاسباب تمحاشى عن ذكرها امام فخامتكم حتى انه خسرونا

السيد محمد بيرم

ك

في مدة الستة اشهر الاخيرة فقط نحو مائة الف وسبعة واربعين الفا فبعد هذا كله اذا هو الآن يتعرض رسمياً لتحسين ادارة البلاد التي بها نتمدن الاهالي ويدخلون في الحضارة وكانت الدولة الفرنسية انالتنا اياها على يد نائبها سنة ١٢٧٤ (١٨٥٨) انتصاراً للانسانية والحق فعوضاً عن زيادة التقدم مع تقدم العالم اذا هو الآن مضادٌ لذلك وقال الى سيادة سيدنا الباي لا تفعل مجلس الشورى الذي طلبته منك الاهالي وابق على حالتك العتيقة بل اوعرز اليه مع بعض اعوانه المنكشف حالم بان يقتل نحو ثلاثة اشخاص وينفي نحو سبعة ويلتجى الى حمايته ولا عليه في شيء فلولا مكارم سيادة سيدنا الباي لاقع البلاد بل فرنسا ذاتها في ارتباك مضادة للانسانية والعدالة المجدولة عليها الدولة الجمهورية الفرنسية . فيا ايها الحضرة الفخيمة هل ترضى الامة والدولة التي ترسل ابناءها الى اقصى المشرق والمغرب لحفظ الانسانية ان يكون نائبها مضاداً لذلك في بلاد هي جارة لها عندما كانت الدولة العظيمة تخرج اهل الجزائر من الحكم العسكري الى الحكم البلدي مستترا في دعواه بعدم التعرف بالمجلس بانه سمع ان المقصد منه هو التعرض لمصالح فرنسا مع انه على علم بان مصلحة الامة الفرنسية يعتبرها ويراعها كل من الامر والمأمور في بلادنا لعلمنا بتمامها بيد انه اذا كانت المصلحة ليست لفرنسا وانما هي مجرد فوائد شخصية فان مصلحة البلاد تقدم عليها وهو الذي نعمل المعاصرة عليه من الرجال المشهورين في العالم من الدولة الفرنسية وتبقى بما اثرهم مزينة صحف التاريخ فهذا انا انهي الى مسامعكم الشريفة اختصار ما هو حاصل والحضرتكم ان تطلبوا الايضاح ممن يعلم حالة بلادنا من الذين لم خبرة بها من الضادقين

وقد بادر صاحب الترجمة بإرسال تفصيل المقابلة وما حصل فيها من الكلام الى الوزير بمكتوب مؤرخ في ١٢ شعبان سنة ١٢٩٦ من جملة ما قاله له فيه عن لسان غامبيتا " ان كنتم تريدون الارتياح من الرجل (اي رستان) فيجب ان تكتسبوا هذا الامر بل ولا اجتماعكم بي في شأنه والأمر كان ذلك ينقض قصدكم" وما كاد يصل هذا المكتوب الى تونس حتى انتشر الخبر بسر المسألة ولم يعلم ان كانت الاشاعة حصلت من نفس الوزير او من المترجم الذي كان الواسطة في الكلام بين غامبيتا وصاحب الترجمة الذي لم يكن يتكلم اللسان الفرنسي والحاصل ان القنصل انتهر هذه الفرصة الجديدة وارعد وابرق على الامير والوزير وزاد في اغيار صدورهما على صاحب الترجمة وساعده البخت او الصدفة بانه في الوقت الذي كان الاهالي في تونس يطلبون تأسيس الشورى في بلادهم كانت الدول مشغولة في مصر بمضغ اسماعيل باشا وحصل ذلك على يد خير الدين باشا صاحب الصدارة حينئذ وارتباطات الباشا المذكور بتونس وخصوصاً بصاحب الترجمة مشهورة عند الجميع فاستنتجوا من ذلك ان طلب الشورى في تونس لم يكن القصد منه الا احداث ارتباطات في المملكة تفتح الباب لمداخلة الباب العالي خصوصاً وكان صاحب الترجمة معارضاً شديداً للمعارضة في وصل سكة الحديد بين الجزائر وتونس وتعيين الحد الفاصل بينهما الا بعد العرض للدولة العلية وزادوا في اقتناع الباي بالتلغراف الذي ارسله خير الدين باشا يعلمه فيه بفصل اسماعيل باشا عن خديوية مصر وقد استعمل الصدر الاعظم في تلغرافه عبارات اشتم منها رائحة التهديد والوعيد للباي حتى التزم الحال للاستفهام من الباب العالي

ك ب

السيد محمد بيرم

بواسطة السفارة الفرنسية عن الغرض من عبارات ذلك التلغراف مع انه في ذلك الوقت كانت العلاقات الخصوصية بين المرحوم وخير الدين باشا معقدة مكدره من حين خروج الباشا المذكور من وزارة تونس ولم يصف ماؤها الا بعد ذلك التاريخ كما يدل عليه المکتوب الآتي

”الفاضل الزكي الثقة المعتمد الشيخ سيدي محمد بيرم حرس الله تعالى كماله وبعد قد وصلنا مکتوبكم في ٢٢ من الشهر وعلمنا ما احتوى عليه من لذيذ الخطاب ونحن لله الحمد على ما يسر الاحباب من العافية التامة في امورنا الحسية والمعنوية واما ما اشترتم اليه من الاحوال السالفة عن قدومنا لدار الخلافة فجوابه عنى الله عما سلف والسلام من خير الدين في ٢٩ شعبان سنة ١٢٩٦“

ومن راجع تاريخ مکتوب صاحب الترجمة المذكور اعلاه وجواب المرحوم خير الدين باشا عنه وقارن بينهما وبين تاريخ انفصال الباشا المشار اليه عن الصدارة العظمى الواقع في ٩ شعبان سنة ١٢٩٦ يعلم علم اليقين انه في مدة صدارة الباشا المشار اليه لم تكن بينه وبين الشيخ بيرم ادنى علاقة وان كل ما بناه اذ ذلك المرجعون بناء على دلائقها الودادية القديمة هو محض اختلاق وكان الوزير التونسي غفل او تغافل عن حقيقة المأمورية التي اناطها بعهدته صاحب الترجمة فارسل اليه تلغرافاً رسمياً الى باريس نص ترجمته

من باردو في ٧ اغسطس سنة ١٨٧٩ (الموافق ١٨ شعبان سنة ١٢٩٦)
”من الوزير الاكبر الى الشيخ سيدي محمد بيرم . شاعت الاخبار بانك متداخل في امور سياسية خصوصاً وانه لم يصدر لكم ادنى امر فيها ولذلك

ترجمة المرحوم

ك ج

فان سيدنا المعظم يأمركم صريحاً بان لا تداخلوا مطلقاً في هذه المسائل
حيث انكم سافرتم لمعالجة صحتكم واذا انتهت مدة النداي فارجعوا الى
تونس

ثم بعد ذلك ورد له مکتوب من الوزير بتاريخ ٢٥ شعبان جواباً عن
مكتوبه المؤرخ في ١٢ شعبان وفيه يقول " اما بعد السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فقد بلغنا مکتوبكم الخصوصي وعلما ما ذكرتم وما وقع مع موسيو
غامبيتا فثلك من يعتمد عليه وعلى صداقته واما كتمان السر فيكون هنا
لان نفعه لنا وانما الله يحقق الامل من اتمام الوعد لان القنصل في غاية
القوة الخ "

فلم يسمع صاحب الترجمة بعد هذا الاضطراب في اقوال الوزير الا
ان يستعفى من وظائفه فاجابه الوزير عن الاستعفاء بهذا المکتوب ونصه
" الفاضل الزكي المدرس الشيخ السيد محمد بيرم رئيس جمعية الاوقاف حرسه
الله اما بعد السلام عليكم ورحمة الله فان ما عرضتموه علينا من طلب
الاعفاء من رئاسة جمعية الاوقاف علمناه ومن معلوماتكم انكم كنتم طلبتم هذا
منا قبل سفركم على خير فلم نسمعكم لذلك والذي نعرفكم به اني لم نزل على
رأبي في عدم اسعافكم لما ذكر وارجو الله ان يجمعنا بكم وانتم على حال كمال
ودمتم بحفظ الله والسلام من الفقير الى ربه امير الامراء مصطفى الوزير
الاكبر عفا عنه في ٣ رمضان سنة ١٢٩٦ "

وفي اليوم نفسه ارسل له مکتوباً آخر نصه " اما بعد السلام عليكم
ورحمة الله فانه بلغنا كتابكم المؤرخ في ٢٥ الشهر الفارط متضمناً ما نحن

على ثقة منه من سلوككم الطريق المستقيم في اقوالكم واعمالكم وتحرككم في الاجتماع من ان ينسب اليكم غير ما قصدتموه ولا يستغرب ذلك من مثلكم ونرجو الله ان يجمعنا بكم وانتم على حال كمال ودمتم بحفظ الله والسلام

وقد رجع صاحب الترجمة الى تونس بعد الاحاح الشديد عليه من اصدقائه فوجد الحال متغيراً وملاحح الوزير تظهر الشر ومع ذلك فقد ابلاغه صاحب الترجمة ما رآه وسمعه في باريس بخصوص المسئلة التونسية واراة رجال السياسة فيها ومن جملة ما ابلاغه ان الاخبار رائجة هناك بان القنصل اتفمه بمساعدة فرنسا على مرغوباتها من ضم تونس اليها وفي مقابلة ذلك تضمن للوزير ولاية العهد على الامارة واستيلائه عليها بعد سيده ونصحته بان لا يفتري بهذه الترهات فان القنصل اذا حصل على مرغوبه لا يوفي وعده للوزير ولا تعود الخسارة الا على البلاد واهلها وقد حقق الزمن حدس السيد بيرم فانه لما دخلت فرنسا في تونس سنة ١٢٩٨ لم تطل مدتها فيها حتى عزات مصطفى ابن اسماعيل عن الوزارة واخرجته من البلاد بالرة ولم توف له بما وعدته به بل نظرت اليه نظر الخائن وكثيراً ما تكلمت جرائدها وارباب الوجاهة فيها لتجريده عن نشان اللجيون دونورالفرنساوي وهو حامل اول درجة منه وبقي يتقاب متغرباً في البلدان نقدفه امواج الذل والسؤال بعد ان صرف ما ادخره ايام عزه من الاموال الطائلة واصبح

يوماً يحدوى ويوماً بالعقيق ويا حديب يوماً ويوماً بالخليصاء

الى ان جاءت به المقادير الى القسطنطينية حيث تفاضت الدولة العثمانية عن ذنوبه وابقتة يتنعم بلذيد الحياة ويتحسر على ماضي عزه وغبن

صفقته . اما صاحب الترجمة فانه بعد عودته الى تونس من مأموريته توجه الى (المرسي) للسلام على ولي عهد الامارة الامير الحالي السابق ذكره فوجد الامير المشار اليه في مركبته امام محطة السكة الحديد فاركبه معه وسارا الى بستان الامير فكبر هذا الامر على مصطفى بن اسماعيل وامر صاحب الترجمة بالكف عن التردد على ولي العهد وكثرت الدلائل على سوء نية الوزير نحو السيد بيرم وتغلب دسائس موسيو رستان ضده حتى انصحته بعض الاصدقاء من خواص حاشية الباي بالسفر خارج المملكة لان بقاءه في البلاد فيه خطر عليه فطلب بعد عيد الفطر التوجه لاداء فريضة الحج خصوصا وقد تهدده الوزير بانه اذا شاع الخبر الذي كان اعلمه به بخصوص مساعيه لولاية الامارة يلقيه تحت اعباء المسؤولية الثقيلة فامتنع الوزير من اعطاء الرخصة بالسفر وقد توسط حينئذ السيد الشريف نقيب الاشراف السابق في تونس للحصول على تلك الرخصة وبين للوزير عدم جواز منع المسلمين من اداء فريضة الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وللسادة الاشراف في تونس النفوذ الكبير والكلمة المسموعة فالتزم الوزير بالاجابة وقد سافر صاحب الترجمة من تونس في ٢٦ شوال سنة ١٢٩٦ ولم يعد اليها بعد وقصد مالطه ومنها للاسكندرية ومصر القاهرة وفيها تقابل مع الخديو المرحوم توفيق باشا وكان ذلك في ابتداء ولايته فقدم له قصيدة في التهنئة بالولاية وتاريخها وقد دار الحديث بينهما عن كيفية نظام اللجنة المالية الدولية المولفة في تونس لادارة اشغال الدين وعن النتائج التي اتجتها وهل البلاد متضررة منها ام لا وكان ذلك بسبب ما اقترحتهُ انكلترا وفرنسا اذ كان على الحكومة

ك و

السيد محمد يبرم

المصرية من اقامة لجنة للمراقبة المالية ثم ان المرحوم سار الى الحجاز وقد تقابل في مكة المكرمة مع المولى الشريف حسين الامير السابق واكم وفادته ثم بعد اداء فريضة الحج والمناسك توجه للزيارة في المدينة المنورة حيث اقام ثلاثة ايام وكان مرضه العصبي مشدداً عليه في الطريق وهناك توسل للحضرة النبوية بقصيدة طويلة طالباً من الله الشفاء للبدن والطف بالوطن ومطلع القصيدة

الى السدة العظمى شددت عزائي
الى باب خير الخلق نصصت وجهتي
اليك رسول الله قد جئت ضارعاً
فياخير خلق الله جدلي بالرضا
ويا اكرم الاعماد هب لي توبة
وانت ملاذي في اموري كلها
أأ يا رسول الله طهر بلادنا
يريد خلاف الحق في الخلق جائراً
فجعل بانقاذ البلاد من الذي
وفرج همومي والكروب وعلتي
وللمدل ان ينقاد كل ملوكنا
الى سدة الاجلال شمس المكارم
ومن فضل باب الله املت راحمي
وفضلك ممدود على كل قادم
وامن مغافي من عقاب المآثم
واسس على التقوى قيام دعائي
فجعل شفائي من سقامي الملازم
فقد جار في الانحاء ظالماً غفصمي
فننصحه رشداً لذا كان ظالمي
تأبط شرّاً وارtedy بالمظالم
وليس سواك يرتجى للعظام
اكبما يجعل الدين اعلى العواصم
ومن المدينة المنورة توجه الى ينبع وسافر منها الى بيروت ماراً على خليج السويس وقد ذكر هذه الرحلة في اول هذا الجزء الخامس وما لاقاه في سفره من كرم واکرام صاحب الساحة السيد السند سلمان افندي القادري نقيب اشرف بغداد

ك ز

ترجمة المرحوم

ولما وصل الى بيروت لاقاه والي سورية اذ ذاك المنعم المقام الجليل
الذكر مدحت باشا بمزيد العناية الرعائية واحتفل به اعيان المدينة من مسلمين
ومسيحيين بما ابقى لهم في نفسه الذكر الحسن والثناء المستطاب وكان المرحوم
من جملة المشتركين الماعدين في جمعية المقاصد الخيرية التي تأسست في
بيروت لانشاء مدارس خيرية وقد زار تلك المدارس ولاقى من احتفال
الاساتذة والتلامذة وانشادهم القصائد والمقالات الرائقة بين يديه ما زاد
ابتهاجه وقد هناه الشاعر الدراكة الهليغ المرحوم الشيخ ابراهيم الاحدب
بقصيدة شائقة ذات اربعة واربعين بيتاً مطلعها

بدر العلى تاريخه (من غربه) في الشرق اشرق نوره لمحبه

ومنها

من اين هذا الطيب هل ريم النقا ليلاً سرى ليدير راحة صبه
او جاء بيروتاً محمد يرم من طيبة فذكت نوافح قربه
حيث الزمان على تلون طبعه اذى به كفارة عن ذنبه
وقد مدحه ايضاً الاديب الفاضل واللوزعي الكامل الشيخ ابو حسن
قاسم افندي الكستي البيروتي بقصيدة غراء منها

به تونس الغرب استعزت واحرزت بصحبته الفضل الذي ليس يجحد
يفار على الدين الحنيف لانه خير به لا يعتريه التردد
عليه من العلم الشريف جلالة يقوم لها الدهر الحسود ويقعد
وسيرته الحسنة في كل موطن بأسنه الايام تلى وتنشد
وبعد ان اقام هناك اسبوعاً رام فيه التوجه لدمشق الشام لرؤية

ك ح

السيد محمد بيرم

معالمها العظام وملاقة السيد الامير عبد القادر الجزائري غير ان الوقت لم
يسعف بذلك اترامك الثاليج في الطريق وتعطيله للسكة فتوجه توًّا الى
القسطنطينية وهناك ورد عليه مكتوب من الامير المشار اليه نصه

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله حمد المتوسلين . والصلاة والسلام
على سيد المرسلين . وعلى آله وصحبه آمين . من خادم اهل الله عبد القادر بن
محيي الدين الحسيني الى جناب العالم الفاضل . والهمام الكامل . صاحب المقام
السني . الشيخ السيد محمد بيرم افندي المحترم . ادام الله عليه سوابغ النعم . اما بعد
اهداء تحية مقرونة بالاخلاص والتكريم . وادعية متوالية بدوام نفعكم العميم
فالموجب لتحريره اولاً السؤال عن راحة وجودكم السعيد . والابتهاج
بسماع حديثكم المجيد . وثانياً قد بلغنا من ولدنا عبد القادر افندي الدنا
سلامكم . ومزيد محبتكم وودادكم . وحصل لنا بذلك تمام السرور . زادكم الله
نوراً على نور . ورغبة بربط اسباب المودة بجنابكم . واستجلاب بدائع
خطابكم . ومجابه دعائكم على الدوام . تحررت لكم هذه الارقام . وعليكم السلام
في ١٦ جمادى الاولى سنة ٩٧
المخلص

عبد القادر الحسيني

وكان المرحوم قبل توجهه الى الاستانة ارسل مكتوباً بواسطة بعض
خواصه للوزير بتونس نصه " الصدر الهمام امير الامراء جناب الوزير الاكبر
سيدي مصطفى اطال الله عمره اما بعد السلام التام فاني قضيت المناسك والله
الحمد ولم استطع المبادرة بالرجوع الى الوطن لاني في اضطرار الى اراحة البال
والبدن للاسباب التي تعلمونها حقاً فلزمتني مراعاة الحال الى ان ينفس الله

ك ط

ترجمة المرحوم

الكر ب لقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة والله حفيظ وولي من يتوكل عليه والسلام في غرة صفر سنة ١٢٩٧ "الأ ان هذا المكتوب لما بلغ تونس منعة احياء صاحب الترجمة وخواصه من الوصول ليد الوزير وبقي المرحوم في وظائفه الى حين وصوله للاستانة ولما ورد خبر وصوله اليها اسرعت الحكومة التونسية بتوجيه جميع وظائفه الى غيره وهو المرحوم الشيخ احمد الورتباني وما يجعل بي ذكره هنا ان عائلة صاحب الترجمة رأت من مكارم اخلاق هذا الخلف وحسن تودده وتلطفه بها ما يندر وجود مثله في العصر السافه فضلاً عن هذا الزمان في وقت اضطهاد الحكومة لسلفه ومراقبتها الشديدة لكل ما يتعلق به ثم ان صاحب الترجمة لما استقر بدار الخلافة مدح الحضرة السلطانية بقصيدة مطلعها

النصر والتأييد والعمر المديد قد توجت في عرشها عبد الحميد
وارخ سنة الجلوس الشاهاني بقوله

بشرى الولاية قد اتت تاريخها لخلافة يسنى بها عبد الحميد

ولم تطل الايام حتى ارسل الوزير التونسي يطلب من الباب العالي ارجاع الشيخ يريم الى تونس مدعيًا انه سافر بدون رخصة الحكومة ولم يقدم حسابًا عن ادارته في الاوقاف والواقع ونفس الامر انه لم يطلبه الا بالحاح فنصل فرنسا عليه من جهة لان فرنسا لا تحب حصول الارتباط بين تونس والدولة العلية باي وجه من الوجوه حتى انها من بين سائر الدول لم تعترف بفرمان سنة ١٢٨٨ المقرر لتابعية تونس للخلافة الاسلامية ومن جهة اخرى قد خشى الوزير من التعمام صاحب الترجمة بخير الدين باشا وفسادها مساعيه

لتولي الامارة واطلاع الدولة العثمانية على دسائسه وسوء سياسة الحكومة التونسية في مدة الصادق باي لانه سلم جميع الامور بيد وزيره العديم الخبرة وقد بذل مصطفى بن اسماعيل جميع مجهوده واغرى بعض كبار الرجال في الاستانة لمساعدته على اخراج الشيخ بيرم منها غير ان حكمة مولانا امير المؤمنين وعدالته حالت بين صاحب الترجمة وبين اعدائه واصدق امره العالي بانه اذا كانت هناك دعوى على ناظر اوقاف تونس المقيم بالاستانة فلترفع فيها اذ ان تونس لم تخرج عن كونها من الولايات العثمانية التي تجمعها جامعة تحت السلطنة وبذلك سكت مصطفى بن اسماعيل عن دعواه الفاسدة اما اولاً فلان صاحب الترجمة لم يخرج من تونس الا بجواز (باسبورت) رسمي ممضي عليه من الوزير نفسه بصفة كونه وزير الخارجية لم يزل محفوظاً للآن وقد حضر لوداعه يوم السفر كثير من كبار رجال الحكومة بما فيهم وزير البحرية وأعدله بامر الوزير الاكبر زورق خصوصي من زوارق الباي لتوصيله للباخرة وقد اوصاه الوزير بمحضر جمهور عديد من التونسيين لاحضار بعض هدايا من الحرمين المحترمين هذا ما يتعلق بالسفر واما حساب الاوقاف فقد جرت العادة بنشره سنوياً في الجريدة الرسمية "الرائد التونسي" ولم يتأخر نشره قط وهو محفوظ في مجموعة الرائد يمكن مراجعته ثم ان صاحب الترجمة قبل سفره للبحر اجاز اخذ براءة من مجلس ادارة الاوقاف ممضى عليها من جميع الاعضاء ومن امين الصندوق وهي حجة قوية ناطقة بان لا شبهة في الحساب ولا شيء من اموال الاوقاف باق في ذمة الناظر وتلك البراءة هي بنصها بالحرف الواحد

ل ١	ترجمة المرحوم
الحمد لله	وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم
ريالات فضة	
٣٥٣٩٣٩ ^١ / _{٢١٠}	
٣٠٤٨٧٩ ^٢ / _{٤٠٤٢}	
٤٩٠٥٩ ^٢ / _{٤٠٥١} / _٢	
٨٦٢ ٥١١٠٠٠	
٤٠٤٣٤ ^٢ / _{٤٠٥١} / _٢	
<p>اطلعت الجمعية على حساب دخلها وخرجها سنة ١٢٩٦ التاريخ بأنضمام حسابات السنين السابقة اليها فكانت جملة الدخل ثلاثمائة الف وثلاثة وخمسين الف ريال وتسعمائة وتسعة وثلاثين ريالاً ونصف ريال وعشرة نواصر فضة وجملة الخرج ثلاثمائة الف واربعه آلاف وثمانمائة ريال وثمانين ريالاً الأثمانية نواصر ونصف نصري فضة الذي بتذاكر الجمعية وكان الفاضل ما قدره تسعة واربعون الف ريال وستون ريالاً الأ سبعة نواصر ونصف نصري فضة اخرج منه الرئيس ثمانية آلاف ريال وستمائة ريال وخمسة وعشرين ريالاً فضة صرف خمسة آلاف فرنك صرفت في مصالح الدولة وخرجت فيها تذكرتين منها لقابضها يدفعها مصروفاً على يد الوزير الأكبر ولم يدفعها القابض الى الآن احداها تذكرة مؤرخة في ٢٧ القعدة من عام ١٢٩٣ عدد ٤٦١٩ بها الف فرنك اثنان وثانيتها مؤرخة في ١٥ الحجة سنة ١٢٩٥ عدد ٣٥٦٩ بها ثلاثة آلاف فرنك ولما كان الفصل الواحد والعشرون من ترتيب الداخلية للجمعية قاضٍ بابقاء المفتاح الثالث</p>	

ل ب

السيد محمد يبرم

للخزنة الثانية عند الرئيس والفصل السابع عشر من الترتيب المذكور قاض بان كاهية الجمعية يقوم مقام الرئيس عند غيبته وقد اراد الرئيس السفر الى اروبا فبمقتضى ذلك ابقيت تذكرنا الدولة المذكورتان بالخزنة الثانية المذكورة وسلم الى الكاهية مفتاحها الثالث بحضور الجمعية بعد اطلاعها على الحساب المذكور وسلامة ذمة الرئيس مما في عهده وكان الباقي تحت يد امين مال الجمعية اربعين الف ريال واربعائة ريال وخمسة وثلاثين ريالاً الأربعة نواصر ونصف ناصري فضة وكتب في ٢٠ يونيو الموافق لرجب الاصب ١٣ من عام ستة وتسعين ومائتين والف

صح احمد الورثناني صح محمد بن الامين

صح محمد الشاذلي السنوسي صح من محمود بن سالم

هذا وقد خرج صاحب الترجمة من القطر التونسي وترك وظائفه فيه ولم يكسب منها شيئاً مع انه كان يسهل عليه كثيراً في تلك الاوقات الدخول في ابواب الكسب بلا معارض ولا ممانع كما جرت به العادة عند الكثير محافظة منه على الاستقامة واحترام الحق لاسيما والاقواف لم تكن في بادئ امرها مضبوطة ولا معلومة فامرها في الواقع موكول لذمتها وطهارة نفسه فكان كثيراً ما يلتزم لبيع املاكه وعقاراته لتسديد مصاريفه الواسعة حتى ان مصاريف سفره الاخير لباريس حيث توجه بأمرية من طرف الوزير التونسي تعمل بها من عنده وبلغت اربعة عشر الف فرنك مع ان الوزير المذكور وعده بتسديدها ولم يوف بعد . ولما استقرت اقامته في دار الخلافة وجد المرحوم خير الدين باشا مهتماً

بتقديم تقرير بشأن الاصلاحات المقترحة ادخالها في نظام الدولة العلية
 لزيادة سطوتها وتأيد عظمتها على حسب ما يفكر وقد انهى التقرير المذكور
 بالفعل غير انه لم يحز عمل القبول لانه لم يكن مطابقاً في بعض وجوه
 لاحكام الشريعة الفراء فاخذ الشيخ بيرم في تطبيقه عليها ولما انتهى منه حصل
 تقديمه للحضرة السلطانية ومن ذلك الحين شملته الانظار الشاهانية بعين
 ملاحظتها لدقة علومه واتساع معارفه ثم انه تفرغ لتدوين "صفوة الاعتبار
 بمستودع الامصار والاقطار" وتم الجزئين الاولين منه وكان يقصد تقديمه
 للحضرة المعظمة المشار اليها عند اتمامه خصوصاً وهو شارع في جعل خاتمة
 الكتاب المذكور على نحو مقدمتي ابن خلدون واقوم المسالك اي انها
 تتضمن ما يقتضيه الحال لاصلاح الاحوال في البلاد الاسلامية لعود عصر
 شبابها اليها كما هو غرضه الوحيد الذي يدأب له منذ زمان ويتحمل في
 سبيله كل مشقة وعناء وقد تحسنت صحته اذ ذاك واستراح من اتعاب المرض
 وكاد ان يشفى منه تماماً حتى ان استعماله المرفين قل بحيث بلغ درجة تقرب
 الدم وبينما هو على ذلك الحال متنعم بالانتظار الرحمة من الله بانقاذ
 بلاده من حكومتها الجائرة اذ ذاك وقد اعتذر عن العمل بمقترحات
 اقترحها عليه الموسيو فورنييه سفير فرنسا في ذلك الحين حاصلها الرجوع الى
 تونس تحت كنف فرنسا او الاقامة بالجزائر او بباريس اذ فاجأته الاخبار
 بزحف العساكر الفرنسية على الحدود التونسية وابتداء حركة "خمير"
 المخترعة. ثم ان الشيخ بيرم كان عالماً بما ستؤول اليه البلاد من السقوط في يد
 فرنسا ولكنها لم يكن ينتظر حصول ذلك في العصر الحاضر وكانت في تلك

الاثناء ترد عليه مكاتبات من بعض احبائه التونسيين وغيرهم بما يحصل في
 تونس من تلاعب الوزير بين قنصلي فرنسا وايطاليا وارضايه احدهما يوماً
 واغضابه الآخر يوماً ثانياً وكان الشيخ ينصح مكاتبيه ومحبيه بتجنب هذه
 الالاعاب المضرة خصوصاً تظاهر الوزير بالميل الفجائي لايطاليا واغضائه مرة
 واحدة عن فرنسا حتى انه اهان كرامتها لان ذلك لا تؤمن عواقبه ولم يمض
 على ذلك شهر حتى ايدت الوقائع ما كان يخشاه وليس من غرضنا تكرار
 كتابة ما حصل في ذلك العهد لدخول فرنسا الى تونس واعلان حمايتها عليها
 اذ ان ذلك تكفلت به كتابات غيرنا ولكننا نقول ان الحضرة السلطانية
 اصدرت امرها لخير الدين باشا ولصاحب الترجمة بتقديم ما يريانه في هذه المسئلة
 لجانبها وقد كتب صاحب الترجمة في ذلك تقريراً مفصلاً لخص فيه بيان
 حقوق الدولة العلية على البلاد التونسية وارتباطاتها بها قديماً وحديثاً واستنهض
 هم الدولة لانقاذ تلك المملكة المسلمة حيث انها مرقد المجاهدين ومدفن الصحابة
 والتابعين من الوقوع في يد دولة اجنبية وختم التقرير بنتيجة ما يراه وهو
 انه اذا كانت الدولة تشغلها شواغل الحرب الروسية وعواقبها من انقاذ
 تونس بالقسر من مغتصبها فلا اقل من انه يلزمها التحالف مع دولة اجنبية
 اخرى للتساعد بها على نيل ذلك المرام ولو اقتضى الحال التنازل لها عن
 مدينة واحدة مثل مينا بنزرت في مقابل هذا التحالف وكانت الدولة جرت
 على مثلها مراراً عديدة فان خسارة مدينة واحدة خير من خسارة مملكة
 برمتها وقد كان الشيخ بيرم يكتب هذا التقرير والدموع تفرح عينيه والالم
 العصبي الذي تحرك وتجدد يفتك بجسده وكان يكرر القول على جلسائه بان

لا حذر مما قدّر لا سيما وان الفرصة المناسبة للدولة قد فاتت وهذا الزمن
 زمن قتال لا وقت جدال وسيأتي ذكر هذا التقرير في مجموعة منشأته
 ورسائله ولما رسمت قدم فرنسا في البلاد يؤس المرحوم من قرب العودة اليها
 ورام التقرب من عائلته للمخاطبة في شؤون بيع ما تبقى من املاكه ونقله العائلة
 من تونس الى بلاد اخرى فسافر الى ايطاليا لذلك الغرض واقام في مدينة
 ليفورنو لقربها من تونس وكان مدة اقامته في الاستانة معاشرًا لاهلها
 وخصوصاً ابناء العرب منهم معاشره الصفاء والاخلاص متباعدًا عن المزاحمة
 في طلب المناصب او التداخل فيما لا يعنيه ولم يرَ منهم الا ما يسره وكان
 السيد سلمان القادري رجع من القسطنطينية الى بغداد فلما استقر بها كاتب
 صاحب الترجمة بما نصه

”كتابي هذا وانا مبتلي من الاشواق . ومضطرب لما لها من الاحراق .
 كيف لا وحب ذلك المولى الاجل . والنجيب الافضل . قد اخذ بهجامع
 القلوب . واحاط بالفكر على اتم اسلوب . لمزيد ما انطوى عليه من الاوصاف
 الحميدة . والمكارم السديدة . مع طبع رائق . وعلو جناب فائق . وشهامة
 كاملة . ونجابة فاضلة . وعلم وافر . وفضل متكاثر . فكل فضيلة به حرية .
 وكل مفخرة له سجية . وليكن معلوماً لسيدي ادام الله تعالى بقاءه . وانه
 كل ما يتمناه . باني لم اخل ذكر ثنائيه الجميل من لساني . ولم ينفك تخيل
 شخصه المنير لحظة عن جناني . بل لازلت آتسأ بها ذكرته من الذكر والخيال .
 مفتخرًا بما خصلته من محبة ذلك المولى النبيل بين الاحباب في جميع الاحوال .
 ثم اني وان قدمت من قبل هذا عريضة لم احظ بجوابها من ذلك الجناب

ل و

السيد محمد بييرم

الرفيع لكفي ابدي عذراً لما وقع من القصور مدة من عدم ترديفه بكتاب آخر اذ ترادف العرائض . معدود لدي من جملة الفرائض . فلم يكن التأخير المذكور ناشئاً من قصور في المحبة . ولا عن نقصير في العلم بعلو الدرجة والمرتبة . بل ذلك نوع من التقدير . ووجدانك القوي عالم خبير . يصدق ما يدعيه هذا الخالص الفقير . فالرجو من بعد هذا ان تستمر المراسلات في البين . وينقطع بوجودها البين . افندم

الداعي

في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٢٩٩

پوست نشين حضرت كيلاني

نقيب بغداد

* السيد سلمان القادري *

وقد كان صاحب الترجمة على عادة اهل تونس وعلى ما امتاز به من التشيع الكلي لآل البيت النبوي الكريم يميل ميلاً خاصاً للسيد المشار اليه لنسبه العالي وحسبه العالي وفضله المتلاهي حتى ان ذلك كان من جملة البواعث على الايقاع به تشفياً من سيادة السيد النقيب حرسه الله ومع ذلك فقد كان المرحوم يسعى جهده لجمال علاقاته مع جميع من يعاشره من العرب وغيرهم في الاستانة على احسن ما يكون من المجاملة وحسن المعاملة وكان مع صاحبي السماحة السيد احمد اسعد افندي والسيد ابي الهدى افندي على قدم الوداد وحسن الاعتقاد كما يظهر من آثارها المحفوظة لديه ونذكرها هنا تبركاً بهما وافتخاراً بوجهما

” اخذت يا بهجة الفضلاء . وقرّة اعين العلماء .

كتابكم الكريم . وامركم المحترم الفخيم . واطلعت على رسالتكم الجميلة (١)

(١) عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان

ل ز

ترجمة المرحوم

الشاهدة لحضرتكم بايادي العلم الطويلة . واني بجمده تعالى ممن يجب ان
يسدي المعروف لاهل الفضائل . سيما لمثل حضرتكم من ارباب المزايا العلية
والفواضل . فاذا وفق المولى نقوم بتقديمها لمعلمها . ودمتم ارباب المناقب واهلها "

الداعي

(ابو الهدى)

" قدوة الاماجد الكرام . ذو الفضل والاحترام . محبنا العزيز السيد
محمد بيرام . حفظة الله آمين

وبعد مزيد السلام . مع التحية والاکرام . اعرف سيادتكم هو ان الساعة
ثلاثة ونصف في يومنا هذا لازم تشرفونا في البيت مع نجلكم المكرم لاجل
ان تترك بكم . هذا ما لازم ودمتم . في عز وسرور . وانتم حبور
في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٠٠ "

الداعي

(احمد اسعد)

وبعد ان اتفق صاحب الترجمة مع عائلته على العود الى الاستانة
والسكنى بها حيث لم ير محلاً انسب منها من بلاد الاسلام ولا تليق
السكنى بعائلة مسلمة في بلاد اجنبية مع انه كان يخطر في بال بعض
التونسيين اذ ذاك التوجه في عدد كبير الى امريكا للاستيطان بها غير ان
هذا الفكر لم يكن تنفيذه لعمومات حالت دونه فقصد المرحوم التوجه
الى القسطنطينية وعرج على جنيفاً من بلاد سويسره حيث ابقى كاتب هذه
الاحرف في احدى مدارسها المعتبرة ثم قصد ويانه وبلاد المجر والصرب
ورومانيا حيث اقام ليلة في بخارست ومنها توجه الى وارنه من اعمال البلقار

السيد محمد بيرم

ل ح

ومنها ركب الباخرة قاصداً دار الخلافة حيث لم تتصل السكة الحديد
اذ ذلك بينها وبين اوروبا وقد قاسى في هذه السفرة الآم البرد واتعاب
السفر الذي حق فيه القول بانه قطعة من العذاب خصوصاً ولم يكن
صاحب الترجمة يتكلم بلغة اجنبية الا بعض كلمات فرنساوية وليس في
النمسا ولا في البلاد التي عرج عليها كثيراً من يتكلم تلك اللغة وكان يسرع
المسير للوصول قبل عائلته الى الاستانة لتحضير محل لنزولها وقد وصل اليها
قبل العائلة بنحو يومين او ثلاثة وبعد ان استراحوا قليلاً فاجأهم ذور
الدماس والاغراض بوشايات اوغرت الصدور على صاحب الترجمة
وكادت ان توقعه فيما لا تحمد عقباه وكان مبنى تلك الوشايات على حصول
الحركة العراقية بمصر اثناء وجود الشيخ بيرم في اوروبا فبنى عليها اصحاب
الاغراض اقوالاً فاسدة ومزاعم بعيدة منشأها الحقيقي حزازات في
صدورهم من الحسد له وبغية الايقاع بارباب المناصب من اصدقائه واحبابه
فارادوا الانتقام منهم بالاساءة الى صاحبهم وجعله محل تهمة يستخرجون
منها ما يروج غرضهم في النكاية باولئك الرجال فالتزم هذا المهاجر بدينه الى
دار الخلافة الاسلامية ان ينزوي في بيته ويلزمه مدة تقرب من الستة
اشهر لا يخرج منه الا لقضاء الضروري او اداء فرض عين كصلاة الجمعة
وقد رأى في تلك الاثناء من تودد الهام الاير الصالح الورع الشيخ محمد ظافر
افندي المدني وتلطف الفريق الغيور الحاج حسن باشا محافظ مركز بشكطاش
محل سكنه وكلاهما من اقرب المقرين للذات الشاهانية المخلصين لها في السر
والعلانية ما اطلق لسانه بالشكر وقلبه بالدعاء الصالح لها والحق يقال ان

الحضرة الخاقانية لم تفتعن شمول صاحب الترجمة بعين رعايتها وكثيراً ما كان امير المؤمنين نصر الله به الدين يظهر علاماً رضائه وصفائه عليه حتى انه لما اراد يهدي الى امبراطور المانيا فريدريك الثالث وكان اذ ذلك ولي العهد بعض جياذ الخيل امر احد الاعوان ان يتوجه الى الشيخ ييرم ليكتب رسالة عربية يصحبها الامور السلطاني معه عند ذهابه الى برلين ليقدمها مع الخيل الى الامير المشار اليه وكان ذلك بعد صلاة يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة ١٢٩٩ وكان يطلق عليه عند ذكره من الفاظ العناية ما يستدل به على قرب منزلته من خليفة المسلمين وبمجرد وصول جلالتيه الى قصره الفاخر يبلدز بعد صدور ذلك الامر جاءه الرسول بالكتابة المطلوبة فسر بها كثيراً واثني على كاتبها وتلك الرسالة هي " الحمد لله بديع الخلق كما شاء و اراد . جاعل الصافات الجياذ . عدة مستمرة من أهم آلات الاستعداد . وصلاته وسلامه على رسوله متم مكارم الاخلاق . الحاث على الفروسة واقتناء الخيل العتاق . وعلى آله واصحابه فرسان ميادين الوفاق . اما بعد فلا يعزب عن نباهة نبيه . ودراية خبير في المعارف وجيه . ما للخيل على الاطلاق من المزية . في المنافع البشرية . بسائر الآفاق . حتى ورد في الخبر الشهير " الخيل معقود بنواصيا الخير " لا سيما نوع العراب منها . الجامعة لاشتات الحسن فلا مندوحة لاهل الفضل عنها . ألم تر انها قد حوت جمال الصورة واستقلت بالحذق وتهذيب الاخلاق المشكورة . فكادت ان تشارك النوع الانساني في الادراك . وفعلت سائر انواع الحيوان بلطافة الذات والمزية في مواطن العراك . ألا وهي العاديات صبحاً . المغيرات صبحاً .

السيد محمد بيرم

م

متوسطة المجموع . مستشرفات الفروع . مبلغات الآمال . مقربات الشواسع لهم الرجال . فلذلك توجهت اليها عناية اهل الفضل . وتسابت اليها الرغبات في الخصب والحل . ولم تزل كريماتها محفوظة الانساب . متوارثة الخصال الحميدة من الاجداد الى الاعقاب . لا يأتي اهل العناية عن اقتنائها . ومعرفة اصلها ونسبها وانتشائها . ويفوز عليها بالمزية ما صلح منها لاقتناء الملوك العظام . سيما ما اختص بان يعتلى صهوته خليفة الاسلام . لا زال تاجاً على هامة الايام . وما تختاره اليه العرب من صفوة جيادها الكرام . وعلى الخصوص ما تميز باهدائه . لخلاصة اهل ولائه . من الملوك الفخام . وكان منها هاتيه الخمس الجياد . العتيقات الاعراق الامجاد . ثلاثة منها عراب الآباء والامهات . واثنان من خلاصة الاعاجم الوطن وان ناكبت العراب في الصفات . وقد تحرر هذا التحرير في التعريف باصولها . وما جمعت من سمات الكمال وفصولها . فاما الثلاثة العراب . السابقة القرين في العراقة والانتساب . فاولها اشقرها المبارك . الذي لا يدانيه في استجماع الحاسن مشارك . واسمه المجلي . وقد طابق اسمه سماه اذ هو لمفاخر الخيل مجلي . وهو من جياد نجد العربية . الشهيرة الصفات والمزية . سقلاوى القبيلة . شامل لما يحمده في امثاله من الفضيلة . كل سلسلة اصوله من قبيلته المحمودة . وكلا ابويه متفرع من ذلك القبيل الى جدود كثيرة معدودة . مسماة اجداده وجداته . خالصة من اشتباه النسب وكالاته . واما ثانيها وهو الاشهب . الجاعل ابعد القصبات الهين الاقرب . واسمه السابق . فهو مناكب متقدمه في جميع صفاته حتى غدى به لاحق . سوى انه استعوض عن النجدية . بان كان من العراق العربية .

ولا يخفى ما لعناقها من شهرة الزينة . سيما في حفظ النسب من الاختلاط .
وانساق عمودها على اقوم صراط . لا جرم ان كان وحيد اقارانه . بنباهة
شانه . واما ثالثها المسوم . وهو الاحمر المستكمل المقوم . واسمه ابو ليلى . فقد
جمع لما في جياذ الخيل يتلى . اذ هو من صنف كحيل العجوز . الذي هو
لصفات العناق من العراب يحوز . وعلى من جاره في ميادينها يفوز . فهو
لا يجارى اذا ما ضم . لانه من خلاصة خيل قبيلة شمر . فاهمري ان هاته
الثلاثة وان اختلفت اسماها . فقد اتحدت عراقها واحسابها . وكل منها
قد استكمل صفات الجودة والفضيلة . واستتبت فيه محامد كل الخصال
الجميلة . فلا بدع ان تبعها ما يكمل به عدد الخمس . مما تنبسط له الروح
وتشرح به النفس . وهما الفرسان الاخضران . اللذان استكملت صفة العناق
ولو انها اعجيبان . وهما من جزيرة مدلي الشيرة . ذات النقطة المهمة من
البحر الابيض الفائزة بالخيل ذات المناقب الخطيرة . وهما وان افترقا هيكلآ .
فقد تفردا منظراً مجملآ . اذ هما فرسا رهان . متمدا الاخلاق والسمات
والالوان . فاستكملت هاته الخيل مزايا التناسب . وكانت لها جهة ملائمة
بما للمتهددين من التوادد المتقارب

وقد كان السلطان ارسل له قبل ذلك ايضاً كتاب التتفاء لابن سينا
في نسخة جميلة لتفحصه وتقديم كتابه بمضمونه وبعد مدة من الزمن صفا فيها
الجو للشخ بيرم من رمي الاعادي وحسد الحساد زاد السلطان في اكرامه
باحساب مصاريف اقامته في الاستانة على خزينة الدولة باعتباره ضيفاً من
ضيوف الحضرة السلطانية وذلك بان تدفع نظارة المالية اجرة المنزل ولوازم

البيت وقدرت في الشهر بخمس وعشرين ليرة عثمانية وقد استمر صرف هذا المرتب مدة ثمانية عشر شهراً اي لحين خروج صاحب الترجمة من الاستانة وقد بادر المرحوم بكتابة المكتوب الآتي لاداء واجب الشكر على هذه العناية السلطانية ونصه

المقام الذي اناخت به مطايا البيان واستقرت . واعترفت بالبلاغة بانه وحيد عصره واقرت . وعضد البراع اشهادها اذ كان بعد ان جست يدها اسطاعته ونقرت . فلا بدع ان ابصرت به عين الوزارة وقرت . وكان يمين الخلافة المؤمن منها على ما تشا . ألا وهو صاحب الدولة علي رضا باشا . باشكاتب الحضرة السلطانية . افاض الله عليه آلاءه القدسية . اما بعد سلام تحمله ايدي التعظيم . وتحفه آداب الاجلال والتفخيم . فقد بلغ العبد ما حصل له من عناية مولانا صاحب الخلافة العظمى . والسلطنة الباذخة المجد الشهي . فوقع مني هذا الانام الموقع الذي ليس وراءه حد في الاعجاب . وهزني السرور حتى اعجزني عن التلفظ بالخطاب . كيف لا وقد لاجت من ذلك الانعام بفضل الله علائم اخلاصي فيما اقتحمته من مفارقة وطني وكسبي وعشيرتي وخواصي كما كنت بسطته لدى جنابكم قبل ان تحدث على وطني الطامة الكبرى . المرجو من الله ان يبذل بأمر المؤمنين عسرهما يسرا . من اني اعد عملي قرابة لله جل وعلى . اذ في ذمتي ورقبتي بيعه لامير المؤمنين لا تبلى . ولا يجوز لي شرعاً ان ابني بعبد الحميد سلطاني بدلا . فقد ورد في صحيح البخاري " من خرج عن السلطان قيد شبر مات ميتة جاهلية " فلم ابالي لذلك بالمضادات الوطنية والخارجية . واستقررت في ظل الخلافة

الاسلاميّة . إلى ان غمرتني الانعامات الخافانيّة . فكيف لا اطير لهذا الانعام
 سروراً . وهو علامة بارادة الله تعالى ان تنال النفس الرضى موفوراً . فقلت
 يا نفس قرّبي عينا . وردني من مناهل امير المؤمنين عذباً معيناً . فها انت
 شاهدت قسطايس عدله . واين انت من جوده وفضله . وفوق ذلك الطاف
 العناية . التي ليس وراءها للتطلب من غاية . فحسبي حسبي . ولنتوجه ضارعاً
 الى ربي . بشرائري . واخلاص قلبي . ونقول اللهم يا من تجلّى بجلائل
 نعمائه . ويا من احتجب برداء كبريائه . يا من توجهت الى جنبه الاقدس
 عزائم الآمال . ويا من تعلقت بعيم جوده اطاع السؤال . نستوهبك من
 الصلوات والتسليمات . ما يناسب من فضلته على جميع المخلوقات . وانرت
 به اقطار الارض والسموات . سيدنا ومولانا محمد خاتم الرسالة . ومنار
 الدلالة . وتنظم فيهما معه صحبه الكرام وآله . وتضرّع اليك اللهم ان تكسو
 هاتو الدولة العليّة العثمانيّة حلة النصر . خافقة أوبة عدلها الى آخر الدهر .
 مؤيدة اعلامها . مكتوباً على صفحات الايام اجلالها واعظامها . بتأييد اسد
 غايبها . وامام محرابها . قرّة اعين المسلمين . مولانا امير المؤمنين . المحفوف
 بالتأييد الرباني . الخليفة الاعظم السلطان عبد الحميد الثاني . اللهم وكما جعلته
 مفخرطاً في سلك المدح من رسولك عليه الصلاة والسلام لامراء القسطنطينيّة
 من آله الكرام حسبها هو في الصحيح المأثور . فاجعله اللهم مظهرآ لوعدك
 حيث قلت " ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان
 مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن
 المنكر والله عاقبة الامور " واطل اللهم في طاعتك عمره . واجعل السداد

والصلاح فيما دبره . منكسة اعداؤه على الاعقاب . مستبشرة احبائه بعمله
المستطاب . والسنتهم بالدعاء اليه صادحة . خاتمين ضراعتهم باسرار الفاتحة .
وبعد ان انتظمت دعواتنا بمشيئة الله في سلك الاجابة . واحرزت من حضها
موقع الاصابة . حان لعصابة الشكر والحمد والثناء ان تكون لسدة امير
المؤمنين ايده الله مصروفة . ومن البديهي ان وقوعها موقع القبول لدى
جلالته على حسن تمهيد مثلك أيها الوزير بعد الاعتماد على الله تعالى موقوفة .
فتنور لها زناد الحمية . من تلك الغيرة الرضائية . لا زلتم صاعدين مدارج
السعادة في العناية السلطانية

وفي تلك المدة تفرغ الشيخ لتأليف الجزء الثالث من صفوة الاعتبار
وتحرير رسالة سماها " التحقيق في مسألة الرقيق " بحث فيها عن كيفية
معاملة الرق عند المسلمين بمقتضى الشريعة وبيان اسباب الرق ودواعيه
واحكامه وذهب فيها الى ان العبيد المباعين الآن هم احرار وان منع
الحكومات الاسلامية لتجارة العبيد هو شرعي محض لا يحتاج الحلال فيه
لطلب الدول الاجنبية وقد حرر قبل ذلك جواباً علمياً لبعض نبلاء الانكليز
عن سؤال وجهه اليه مضمونه هل ان التونسيين مسرورون من دخولهم
تحت دولة اجنبية فوضح السيد بيرم في جوابه بان التونسيين ليسوا اقل
الامم حباً في الاستقلال والتنعم بلذائده والغيرة على الوطن وانهم مسلمون
يتمنون بكل جوارحهم دوام صلتهم بالجامعة الكبرى الاسلامية واستدلى على
ذلك بادلة عقلية ونقلية طويلة مقننة وقد كانت من عادة صاحب الترجمة
منذ كان في تونس ان يحتفل كل سنة بالمولد النبوي الشريف احتفالاً

شائناً واطب عليه لحين وفاته حتى انه كان آخر اعماله في هذه الدنيا رحمة
الله وفي كل سنة يكتب رسالة مخصوصة في موضوع من المواضيع العلمية
يتخلص فيها لذكر المولد الشريف وقدائف في الاستانة رسالتين لذلك الغرض
احداها فيما يجب لآل البيت النبوي الكريم من التبجيل والتعظيم مبيناً
حقوقهم على المسلمين بشرط ثبوت النسب العلي حتى لا يدخل في هذه
السلسلة السامية دخيل تترتب له تلك الحقوق الواجبة وثاني الرسالتين فيما
يجب للنبي صلى الله عليه وسلم على سائر المسلمين وألف رسالة اخرى في
سكنى دار الحرب وذلك عند ما رأى ما طرأ على بلاد الاسلام من التفتقر
المستمر نسأل الله اللطف والسلامة وقد ذهب في هذه الرسالة بعد شرح ما عليه
البلاد الاسلامية الآن الشرح الكافي وايراد الادلة والنصوص الشرعية الى
ان الانسان حر فيما يختاره حسب مصلحته واجتهاده . وقد سأله بعض الافاضل
عن رأيه في مسألة الاجتهاد والتقليد مستنداً على الرسالتين المطبوعتين في
الاستانة المنسوبتين لملك بهوبال صديق حسن خان فشرح في الجواب غير
انه لم يتمه ويظهر من فحوى كلامه واعماله الخصوصية انه يرى تقليد احد
الاثمة الاربعة واجباً على حسب المشهور في مذهب اهل السنة . ولما تولى
امير تونس الحالي منصب الامارة هناك الشيخ بيرم بمكتوب مصدر بهذين
البيتين

ألا بعلي ملك تونس سدداً فلا زال فخرًا للبلاد مؤيداً
ونجیح دعائي بان اذ قلت ارخن ألا بعلي ملك تونس سدداً
وقد توجهت في ذلك الوقت آمال ابناء قائل هذين البيتين لرجوعه

الى تونس اذ ان نفوره الذاتي كان من الوزير مصطفى بن اسماعيل الذي
افل نجمه بوفاة سيده الصادق باي ولم يبق من مانع له من العود الى بلاده
ومسقط رأسه ومدفن اجداده خصوصاً ورستان نائب فرنسا استبدل بغيره
وصفا الوقت وزال المقت فكاتبه بعض المشيعين للسفارة الفرنسية بتونس
بمناسبة الفرصة لا سيما وقد كان وعد الامير عند توديعه وهو اذ ذاك ولي
العهد بالعود الى الوطن عند ولايته عليه فاعتذر صاحب الترجمة عن كل ذلك
بان السيرة العمومية هناك لم تبقى على الحالة المألوفة ثم ان صحته لم تنزل في
تقهقر في الاستانة لتأثره من الانفعالات النفسانية المتسببة عن دسائس ذوي
الاغراض السابق شرحها التي لا يكاد يخلو منها من كان له شأن بين الناس
او فضل يميزه بين اقرانه والمعالجة والعيال يلزمها الكثير من المال فباع
صاحب الترجمة جميع املاكه بتونس وصار يصرف من ثمنها في حاجياته وعوائده
التي لم يغير منها شيئاً بحيث رأى نفسه في تأخر مالي مستمر لا يأمن معه من
الوقوع في مغالب الفقر وهو لم يحسن من العمل الا مباشرة عقاراته والتفرغ
للاشغال العلمية وكان بعض كبار اصدقائه ينفروا من سائر الوظائف العادية
لاعداده الى وظيفة مخصوصة تليق بعلومه وما زال منتظراً حتى ضاق لذلك
ذرعاً وزاد عليه اشتداد المرض العصبي اذ وجد عاملاً لتحريكه قوياً وهو
الانفعال النفساني المستمر فنظر في امره فلم يجد من البلاد الاسلامية التي
يمكنه الاقامة فيها براحة بال الا القطر المصري وهو مع حرارته التي يأبأها
مزاج صاحب الترجمة الا انه اوفق من غيره من البلاد الاخرى . اما
الولايات العثمانية فقد اشار عليه بعض المطلعين على الاحوال على ان طلبه

التوجه اليها لا يجوز محل القبول خصوصاً وهو لم يكن له ميل الا للتوجه الى المدينة المنورة للمجاورة او الى الشام وينميه عن الاقامة في الحجاز احتياجه المستمر للحكماء والعلاجات وهما شيئان مفقودان تقريبا من تلك الجهات المباركة فاستخار الله في القدوم الى مصر وساعدته المقادير بالحصول على مكاتيب توصية لبعض ذوي النفوذ في هذه البلاد فاراد طلب الرخصة للقدوم اليها ولكنه استشعر ان طلب الاذن للتوجه اليها ربما لا يجوز قبولاً خصوصاً وانه تعذر عليه وجود من يبلغ الحضرة السلطانية تفصيل امره وشكوى حاله على الوجه الحقيقي والآفان احترام الخليفة لثله من علماء المسلمين كان يدفع شكواه ويرفع عنه ألم معيشته ولكن دون الملوك من عقبات الاشغال ما يمنهم عن الوقوف احياناً على مثل هذه الاحوال فاذا فقد الناصح الامين الذي يتيقظ للملافة هذه الامور بحسن تبليغها الى مقام الخلافة حصل الاهمال الذي وقع فيه صاحب الترجمة وامثاله فالتزم التحل بطلب العودة الى الوطن وقارن هذا الطلب الاجابة اذ كاتبه علي رضا باشا باشكاتب المايين الهايوني بهذه البطاقة العربية وهذا نصها بالحرف الواحد بخط يده

” العالم ... صل والاديب الكامل محمد افندي بيرم سلمه الله
بعد التحية الوافية نبدي لكم اننا عرضنا مادة العزيمة الى بلدتكم فصدرت
الارادة السنية السلطانية علي عزيمتكم الى ذلك الطرف ان شاء الله تكون
مصعوباً بالسلامة ونروم منكم ان لا تنسوننا من دعائكم الصالح في السفر
والاقامة ودمتم في ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٠١ ... (علي رضا) “

ومتما يذكر هنا مقروناً بمزيد الاسف ان القسطنطينية العظمى تشتمل على نحو المليون نفس من السكان من اجناس مختلفة اقليم ابناء العرب او المنتسبون اليهم ومع ذلك لا ترى اشد منهم تهاافتاً على الايقاع فيما بينهم فبينما ترى الروم والارمن واليهود يعاضدون بعضهم بعضاً ويسعون ابني جنسهم في الخير بحيث يصدق عليهم انهم كالبنين المرصوص يشد بعضه بعضاً ترى اولاد العرب المسلمين ينتحلون ويتلفون على اختلاق الاسباب وايجادها لابعاد بني جنسهم عن دار الخلافة وتغيير قلوبهم منها والله في خلقه آيات . فقد راجت فيهم سوق التحاسد والتباغض والتنافر والتشاحن حتى لا يكاد يخلو حديث من احاديثهم او حركة من حركاتهم الا في ايداء بعضهم وايقاع السوء بأنفسهم والتخاذل فيما بينهم لا فرق في ذلك بين الكبير والصغير والعظيم والحقير بل الداء واحد في الكل الا من وفق الله ولا شك ان هذا من سوء حظ الاسلام الذي كان ينبغي ان يصرفوا له اوقاتهم في خدمته بما في يدهم من التدرية على نفعه لسأل الله ان يرفع من بينهم آفة الدساس التي يشوشون بها على انفسهم وعلى بلادهم ويسقطون بها سائر الامة العربية في أعين الامة التركية

وقد غار الشيخ مركز الخلافة واليمين مغرورقة بالدمع والحشاء ممثلي بالاسى والصدر مغم بالاسف ليس ذلك لمنصب فارقه او لرفاهة عيش زايلها او لطمع في شيء من نعيم الدنيا الزايل وعيشها الفاني وانما كان يتحرق فؤاده لما كان يرى عليه الامة الاسلامية من الانحلال والاخذ في اسباب الضعف وكيف ان بلاده وقعت اولاً في يد الاجنبي وخرج لاجل ذلك

مشتتاً بمائلته في البلاد ليسكن بها بلدة اسلامية فلم ير امامه مكانا هو اولى
 ان يقصد لهذا الغرض وألحق بعالم مسلم مثله من اولاد نقباء الاشراف ان
 يقيم بمائلته فيه سوى دار الخلافة وعلل النفس بأن ما يراه هناك من صولة
 الاسلام وتشديد الدين واستقامة امور المسلمين واجتهاد امير المؤمنين ومن
 حوله من خاصته وحاشيته ورجاله لانقاذ الاسلام واهله مما سيسلى مصابه
 بفقد بلاده ومنى النفس بانه لا ييأس على ضعفه وعجزه من القيام بخدمة
 تفيد الاسلام او نصيحة تشيد الدين او اشتراك في عمل يجمع به كلمة المسلمين
 او ما يماثل ذلك مما يجب على كل فرد من المسلمين القيام به وخصوصاً من
 كان من طائفة العلماء فرأى لسوء الحظ من تلك الدسائس ودنايا
 السعيات ومسابقة الوشاة اضراراً بكل من كان مثله على رأيه حتى يخلو
 الجوّ لأولئك المسابقين ما اضطره الى مبارحة دار الاسلام للتشتت مرة
 اخرى في البلاد بمائلته بعد ان يس من العمل في حقه بمقتضى الآية الشريفة
 "قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى" والمرحوم يمته بجبل النسب
 الى البيت الطاهر النبوي من جهة ويتصل من الجهة الاخرى الى مجاهد في
 سبيل خدمة الدولة العلية اراق دمه في افتتاح البلاد التونسية ولم تزل
 اعقابه لتوارث الولاء والاخلاص والصدقة المتينة للدولة العلية في كل
 زمان ومكان حتى انه لما اهدى السلطان عبد المجيد كركاً من السمور الفاخر
 من ملبوساته الذاتية الى امير تونس احمد باشا لم ير الامير المشار اليه أليق
 بلبسه من الشيخ ييرم الرابع فاعطاه اياه ولم يزل محفوظاً يتبرك به في بيت
 ييرم بتونس وصار لبس الكرك عزية لهم لم يقلدهم فيها سواهم وقد آكفى الشيخ

الرابع بذلك عن قبول نشان الافتخار التونسي لما عرضة الامير عليه واتبعه في ذلك صاحب الترجمة ايضاً سنة ١٢٩٥ اذ صارت العادة في تونس ان العلماء لا يتقلدون النياشين وفي حرب الدولة مع الروسية سنة ١٢٤٤ نقاعست الولاية التونسية عن نصره الدولة مادياً وادبياً فلم يجد شيخ الاسلام بالاستانة من يستعين به لحث المسلمين في تونس على مساعدة الدولة الأجد صاحب الترجمة بيرم الثاني لما هو مشهور عن هذه العائلة منذ القدم انها متعلقة بخدمة الدولة لا تفترعن ذلك ابداً فاجابه بالمكتوب الآتي نصه

” ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .
 ان احسن ما تشرفت به الامة المحمدية . وتجلت به العصاة الاحمدية . اتباع
 اواحر الله تعالى ونواهيه . وبذل الجهد في اعلاء هذا الدين وتشديد مبانيه .
 اقتداءً بصدرها الاول . وعملاً بسنة نبيه المرسل . ولعمري ان هذا في
 العبارة وان كان سهلاً بيننا . ففي ابرازه للوجود ليس هيناً . لتوقفه على
 امدادات الهية . وهداية ربانية . وداع الى هذا بلسانه . ورحمه وسنانه .
 وقد تطابقت حملة الانباء في سائر البلاد . من جميع العباد . ان القائم بهذا
 الشأن . والحائز قصب السبق في هذا الميدان . ومجدد الدين بعد الاندلس .
 ومظهر اعلامه اثر الانطاس . الدولة العثمانية اعلى الله منارها . وضاعف
 اقتدارها . وانام الانام في ظلها . واعاد عليهم من فيض فضلها . فلم تخل
 والحمد لله من امام يهدي الى الحق والى طريق مستقيم . ولم يأل جهداً في
 رمي اعدائه بالعذاب الاليم . مؤيد من الله بعلماء . عاملين هم ورثة الانبياء
 ناهجين في نصح العباد مناهج الاصفياء . وقد ورد علينا من حضرة مولانا شيخ

الاسلام . وامام العلماء الاعلام . ومرجع الحكام في الاحكام . ومن يده
مقاليد النقض والابرار . لا زالت اقلامه في بحار العلوم ساجية . ومواعظه
للقلوب جارحة . وتجارته عند الله تعالى رابحة . كتاب كريم . هادٍ باوامره
ونواهيه الى الصراط المستقيم . لا يقابله كل مؤمن الا بالقبول والتسليم .
وكيف لا وقد جاء بالذكرى التي تنفع المؤمنين . المأمور بها في الكتاب
المبين . حائثاً على الجهاد . والتشمير عن ساق الاجتهاد . وتعاطي اسبابه .
وطرح الامور الصارفة عن بابه . فاجتمع لقراءته الاعيان من العلماء وغيرهم
بحضرة الامير جمعا . وفتحوا له قلباً وسمعاً . وتلقوه بالاذعان والقبول .
والمبادرة لامثاله بالفعل والقول . واميرنا مثابر على تنفيذ اوامر الدولة
العلية . التي طاعتها من طاعة رب البرية . وما هو الا ان يؤمر فيطيع .
ويكاف . فيأتي بما يستطيع . والله تعالى يؤيد سلطاننا بمدد نصره . ويجعل
اعداء الدين تحت قره . ويعلي رايته الشاعخة في البر والبحر . ويكتب على
صفحاتها سورة الفتح والنصر . والسلام اللائق بجلالكم . من العبد الفقير
محمد بيرم

وفي الحرب الاخيرة تأخرت الحكومة التونسية عن مساعدة الدولة
ايضاً لخوفها من معارضة فرنسا فتام الشيخ بمقتضى ما ورثه عن ذويه من محبة
الدولة العلية يحرض الوزير وينصح الامير ويحض المسلمين جميعاً على اعانة
الدولة ولم يكتف بذلك فقط بل سعي سعيه حتى توصل لاستخراج فتاوى
شرعية بوجوب القيام بواجب المساعدة للدولة حتى لا يبقى هناك عذر لمعتذر
في ذلك التقاعس وهذا صورة السؤال الذي طلب عليه الفتوى

ن ب

السيد محمد بيرم

” علماء الاسلام . بعد اهداء السلام . والتحية والاکرام . ما قولكم . رضي الله عنكم . في نازلة صورتها ان امام المسلمين قد اخبر اهل قطر من المسلمين من هم تحت طاعته . وداخلون تحت بيعته يخطب ائمتهم باسمه على منابرهم بان العدو قد فاجأ بلاد المسلمين مماناً بالحرب ووقعت منه المباشرة بالفعل في حدود المملكة وكان الامام استشعر من العدو ما آل امره اليه من مباشرته بالحرب فهياً من العساكر بحدود المملكة للدفاع عن بيضة الاسلام نحو الستائة الف وحين اطلعه على جيوش العدو وعلم ما امكن من اخبارهم رأى الامام ان الستائة الف تحتاج الى ضم آخرين اليهم من العدد الكثير الذي تحصل به مقاومة العدو ويمكن له به مدافعة العدو فاستنفر كل من استطاع من اهالي ذلك القطر الى الانضمام الى حوزة العساكر ثم الذي وقع في الخارج بعد استنفار الامام هو ان العدو قد استولى على بلدان وقرى من مملكة ذلك الامام واهاليها مسلمون جارية في تلك البلدان والقرى شعائر الاسلام كما استولى على قسم من مملكة ذلك الامام سكانه نصارى يؤدون الخراج ويزعمون بالطاعة للامام وهذا القسم له بال من المملكة يبلغ عدد سكانه نحو الخمس ملايين وقد جعله العدو مركزاً لذخائره وعدده وعدده بها فيه من الحصون ومع ذلك لم يقدر العدد الوافر المهيأ من عساكر المسلمين على اخراج العدو لما تسلط عليه نم حصلت للعدو مضرات اخرى من غزو سفنه وثورة قسم ممن كان تحت سلطانه من المسلمين باعانة الامام لم فهل يجب والحالة ما ذكر على احاد ذلك القطر المستنفر اهله ممن قدر على الزاد والكراع والسلاح ان ينفر للامام ويلبي دعوته سواء كان

ذلك القطر موالياً لموضع الهجوم أو بعيداً عنه وعلى تقدير ان يكون الموضع الموالى اهله تكاسلوا او عرض لهم ممانع يتعلق الوجوب حينئذ بين يلي من يلزم وهكذا ام لا يجب واذا قلنا بوجوب ذلك على الافراد والاشخاص بذلك الشرط فلو كان هناك من له منفعة عامة كمثل عالم لا اعلم منه في البلد بفصل القضاء فهل ذلك مسقط للوجوب عنه ام لا جوابكم الشافي

وما فتى رحمه الله يخلص الخدمة للبيت العثماني عند كل فرصة وبكل وسيلة حتى انه رأى رأياً ينتج عنه نفع المسلمين وارتقاء شأنهم جميعاً من جهة توثيق عرى الجامعة الاسلامية واتلاف ممالك المسلمين وتنظيم احوالها على ما يضمن قوة المركز وثبات الوجود ومن جهة اعتلاء شأن البيت العثماني بتشييد امر الخلافة فيه على جميع المسلمين وممالكهم وذلك الرأي هو ان نتحد الممالك المستقلة الاسلامية والولايات العثمانية المستقلة استقلالاً داخلياً ثم يصير الجميع عصبية واحدة ومملكة واحدة تحت رئاسة الخليفة السلطان العثماني ومن ضمن الامور التي اوصى بها في روابط هذه الجامعة ان يجتمع امراء الممالك الاسلامية في بعض السفين بالكمبة المطهرة لتكون شاهداً على قوة ارتباطهم وفي ذلك من اعلام شأن الممالك الاسلامية ما لا يخفى على كل من امعن النظر في نظام الممالك الالمانية التي كانت ضعيفة ضئيلة بتفرقها ممالك صغيرة يسهل على الطامع ابتلاعها كما حصل مراراً فلما اتحدت جميع المقاطعات الالمانية على النمط الذي نراه الآن بمملكة بروسيا اصبحت اعظم الممالك شأنًا واشدها قوة وصارت مملكة بروسيا التي كانت تحت رحمة الطامع لضعفها وانفرادها اقوى الممالك بالتمادها مع بقية الممالك الالمانية وقد

كتب المرحوم في هذا الباب كلاماً طويلاً مستشهداً فيه بالشواهد الدينية والتاريخية كقول احد مشايخ اسلام الاستانة الاقدمين عند تحسبته هذا المشروع لمن كان يعارضه ان الاليق بجهد السلطان وفخر الدولة ان يكون السلطان سلطان السلاطين لاسلطان الولاية وربما ادخلناه في ضمن ما سنشره من بعض كتاباته التي تركها عند الفرصة

وقد خرج الشيخ على تلك الحال يُقلب طرفه في البلاد لعله يجد بلدة اسلامية يشد اليها رحله فلم يجد من بلاد المسلمين بلدة يطمن فيها الساكن على نفسه وعرضه ولا يكون عرضة لمثل تلك الدسائس الا البلاد المصرية وان كان دمه ليجري اسفاً على تلك البلاد ايضاً التي اصابها ما اصاب غيرها من سيطرة الاجنبي عليها ولكن رب ضار نافع وبعض الشراهن من بعض وقد انكر عليه المتشدقون عمله هذا وقدموه على مصر في حالة وجود الانكليز وتضارب الاحوال فيها غير انه كان يجيب على ذلك " بان لاحق لاحد في الاعتراض عليّ اذ ان الدولة رضيت لي الاقامة في تونس تحت حماية فرنسا حسب منطوق الارادة السنية المسطرة اعلاه وتونس انسلخت بالمرّة عن الممالك العثمانية ولا اثر لسلطة الدولة او المسلمين فيها. اما مصر فانه مع وجود الانكليز فيها فانها لم تنزل ولاية من ولايات الدولة وسيطرة الحكومة المحلية فيها قائمة وعلى فرض المساواة في المعاملة لا قدر الله فلا فرق بين الانكليز والفرنسيين "

وقد انتقل المرحوم بعائلته الى مصر معرجاً في طريقه على بلاد اليونان وذلك في المحرم سنة ١٣٠٢ (نوفمبر سنة ١٨٨٤) اي بعد الاحتلال الانكليزي

بسنين وشهرين ولما استوطن بالقاهرة هنا حضره المصقع البليغ الشيخ حمزة
افندي فتح الله يهدين البيتين البديعين
لكن اشرقت في الشرق مصر بيبرم واضحت به تلك الكينانة تونس
فكم شاد مع آباءه من مكارم اضاءت بها في الغرب من قبل تونس
وبعد ان استراح اياماً قابل الجناب الخديوي التوفيقي المرحوم فاظهر
له مزيد العناية وانزله منزلة الثقة الامين فحكي له سموه جميع ما جرى في
الثورة العسكرية وتفاصيلها وكما يتعلق بما قاساه فيها وختم كلامه بقوله "انني
ذكرت لكم كل هذا لتتأكدوا من صداقتي لكم" ثم اظهر له من علائم الاكرام
ما جعله دائم الشكر له ومن ذلك انه امر بان تكون مصاريف الشيخ على نفقة
الحكومة كما كان في ضيافة مولانا السلطان وفي ٢٥ ربيع الاول من تلك
السنة اصدر جريدة الاعلام وهي جريدة علمية سياسية يومية غير ان صحة
صاحب الترجمة وقلة اختباره بالقطر المصري لم تساعده على توالي اصدارها
يومية فجعلها تظهر ثلاث مرات في الاسبوع ثم صارت اسبوعية واستمرت
كذلك مدة طويلة بحيث ان اول عدد منها صدر في التاريخ المذكور واخر عدد
وهو ٢٦٩ صدر في غرة جمادى الاولى سنة ١٣٠٦ ثم احتجبت الجريدة المذكورة
عن الظهور بتولي صاحبها خطة القضاء في محكمة مصر الابتدائية الاهلية وكان
في نيته عند تأسيسها مع فتح مطبعة مخصوصة به ان يشغل نفسه بتحريرها وبطبع
الكتب المفيدة طالبا لنفع العموم بما اكتسبه من الاختبار بالتجول في البلدان
وبما يعلمه من العلوم الشرعية الاسلامية وتطبيقها على الاحوال السياسية التي
ينتج عنها تحرير البلاد وانتظام امورها كما كانت تتوابع به نفسه منذ القديم

ن و

السيد محمد بيرم

حتى قال خير الدين باشا عن هذه الجريدة انها لا تلبث ان تكون " تيمس العرب " ودفعه الى ذلك ايضاً ما كانت عليه سميته من حب الاشتغال بالعلوم وفن التحرير والانشاء وما يتسع هذا الغرض الا في مثل الاشتغال بطبع الكتب وانشاء الصحف ولكن قد خاب جميع امله اذ ان الجريدة لم تطل ايامها حتى رماها بعض الناس بانها تحت على الانتماء للاجنبي وهو امر لم نقله ابداً وغاية ما هنالك انها كانت تحت على الاستفادة من الانكليز ما داموا موجودين في البلاد اذ ان معاكستهم وامر البلاد والامة جميعاً في يدهم لا تعتمد عقباها كما يينته التجربة بعد والذي أَلجأهُ لانتهاج هذا المسلك ما قاساه من ظلم الاستبداد وما رآه من وجود عوامل محرّكة في مصر باغراء بعض الاجانب لتوغير صدور الناس على حكاهم اذ ذاك وخشى من دوام الحال على ذلك المنوال ان يأتي بالضرر المادي والمعنوي على الطائفة الاسلامية والحاصل ان كثيراً من الناس لم يقدروا عمله حق قدره هذا زيادة عن ان حال الجرائد في الشرق ليس هو على ما يشاهد في البلاد المرنقية في التمدن والحضارة بحيث ان الجرائد هنا لا تنجح الا اذا كان لها معضد قوي ولم يتعود الشرق لغاية الآن ان ينمي شيئاً ما لم تكن يد الحكام فيه والشيخ بيرم كان قليل المعرفة بالناس واخلاقهم في مصر فلم يجن من جريدته ثمرة تذكر ثم ان الكتب التي طبعها تحمل بخسارة مصاريفها ولم يكسب منها شيئاً وزد على ذلك انه تربى في ترف وعزة نفس وهمة عالية ومن تكن هذه اخلاقه فلما ينجح في عمل تجاري ثم ان الحرّ اضرب بصحنه وزاد في نفقه قرها فزاد في استعمال الرفين زيادة مفرطة حتى صار يستعمل نحو الغرام وكسور

في اليوم وهو مقدار كاف لقتل عدة من الانفس الغير المتعودة عليه
فالتزم بعد سنتين ونصف من الإقامة بصران يسافر الى اوربا وكان ذلك قريب
احتفال ملكة انكلترا بهضي الحسين سنة على توليها الملك فتوجه اولاً الى
مدينة فلورنسا من اعمال ايطاليا لملافاة صديقه المرحوم الجنرال حسين
باشا التونسي حيث طلبه لتسوية شؤونه لما اعياه المرض فأوقف جملة من
املاكه على بعض اخصائه وخصصها بعدم لجيوش المسلمين ومن هناك قصد
المرحوم مدينة باريس لاستشارة حكائهما في امر صحته ثم سافر الى اندربرة
عاصمة الانكليز وهناك قابل جملة من نبلائها وكبار اعيانها كالورد سالبوري
والورد نورثبروك وقد تكلم مع من قدر الله والاهمال ان يكون ييدهم
زام الاحوال المصرية بما رآه نافعاً لبني جلدته وجنسه وحامياً لدمارهم
ومشيداً في المستقبل فخارهم وكان اذ ذلك النفور متمكناً بين نائب الانكليز
في مصر وبين رئيس مجلس النظار فيها فكان القوم في حيرة من هذا
الامر خصوصاً والمرشحون لمنصب الوزارة في مصر قليلون جداً والفكر
القائم في اذهان بعضهم حينئذ ان رياض باشا مكروه في البلاد مستبدلين على
ذلك بظهور الثورة فيها مدة وزارته الاولى فبذل المرحوم جهده لصرف
هذا الفكر وسعى بقدر استطاعته لما فيه اعلاء شأن المسلمين وبعد ان حضر
الاحتفال رجع الى باريس لاتمام المعالجة ثم عاد الى مصر بعد ان تعيب عنها
نحو الخمسة اشهر معرجاً في طريقه على برلين وويانه وفي الاثناء المذكورة
سعى الساعون كثيراً لارجاعه الى الاستانة وكتبه بعض اصدقائه
في ذلك حسب ما صدرت به الاوامر السلطانية فأظهر المرحوم كمال

ن ح

السيد محمد يريم

استعداده للرجوع اليها قائلاً ان بيعة امير المؤمنين لم تنزل في عنقي
واوقف رجوعه على تسوية احواله المالية ثم يقدم الى القسطنطينية ومع
ذلك فلم تكن الاعداء تكف عنه الاذى في غيابه ايضاً حتى انه لما طبع
صاحب الترجمة احدى رسائله المذكورة آنفاً المختصة بحقوق الاشراف
دس ارباب الدسائس له في دار الخلافة ما اوجب المخابرة مع الحكومة
المصرية بشأن موضوع تلك الرسالة اذ قيل انه تعرض فيها لمسالة الخلافة
وهو امر لم يخظر له على بال ومن العيب ان يفكر فيه عاقل وحاشا لمثل
الشيخ يريم وقد وصل لما وصل اليه من التعب المادي والمعنوي غيره
منه على بني جنسه وملته ان يتصور حدوث زيادة الشقاق بينهم وزرع
بذور الخلاف بمسألة استقرار القرار عليها منذ قرون واجمع المسلمون قاطبة في
مشارك الارض ومغاربها عند عربها وتركها وزنجها بالاقرار فيها لبني
عثمان منذ عهد السلطان سليم الاول ثم تعبهوه ايضاً فيما يكتب في
جريدة الاعلام الى ان يسر الله بقدم الغازي مختار باشا الى مصر وظهر له
بالعيان فساد تلك الوشايات

وفي اثناء سفره كاتبه العلامة المرحوم الشيخ عبد الهادي نجا الاياري
من كبار علماء الجامع الأزهر ومفتي المعية السنية بهذا المكتوب

بسم الله والسلام عليكم ورحمة الله

ورد الكتاب على الحب المغرم	فشفاه من وجد الغرام المؤلم
قد شمت منه مذ شمت اريجه	بشراً بصحة ذي السيادة يريم
حيًا فأحيا بهجة كانت بما	قاساه تسمي في اشد نألم

ن ط

ترجمة الرحوم

واييك ما ذاقته شراباً سائفاً
 الأبان سرّت سرائرنا بما
 جنباب مولانا الهمام فانه
 جمع الاله له الفضائل مثلما
 ما بين اخلاق كازهار الربى
 بجمالته وجلالته وفخامته
 وسيادة وسعادة ابدية
 فالله بكل صحة لجنابه
 من بعد فرقتيه وراحة نائم
 ابداه من سريان برء محكم
 هو بهجة الدنيا ونور العالم
 جمع الزهور الروض تحت المرزم
 ومحاسن تزهو بكل غنيم
 وسماحة موروثه عن حاتم
 وجميل تدبير برأي محكم
 ما غردت قمرية بترنم

استفتح أوكتي هذه بلطائف تحييات نديك، بها نسام الاسحار فنتسك .
 واستفتح كما ثم رقائق تضرعاتي بقلب سليم الى ربه نديك . مبتهلاً اليه تعالى
 ان ينم البال ويشرح الصدر بكمال صحة مزاج حضرة انصرة وجه الايام .
 وغرة طلعة الزمان وقره اعين الانام . شامة الدنيا التي بها تتأرجح . وشمس
 قلادة المليء التي بها تتبرج . علامة العصر . الذي انست محاسنه محاسن ابناء
 سلافة العصر . فما هو الأ روح الارواح . ولوح الفضائل التي تتبلج في المساء
 والصبح . وان شفاء جسمه لشفاء لكل عليل . وروا ظما كل غليل . فمها صح
 مزاجه الشريف صح مزاج الايام . ومها لبس حلال العافية فعلى الدنيا السلام .
 هذا ورجائي ان تتمشوا روعي بنوالي اخبار صحتكم كلما وفد وافد . وتعموا
 نفسي بورود اخبار صحتكم كلما ورد لهذا الطرف وارد . ثم سعادة الهمام فكري
 باشا يتحف حضرتكم بلطائف التحييات . احسن الله لنا وله ولحضرتكم النهايات
 في ١٣ الحجة سنة ١٣٠٤
 عبد الهادي نجا الاياري

س

السيد محمد بيرم

وعلى ذكر هذا المکتوب والشیء بالشیء یذكر ننشر هنا بعضاً من
محررات وردت على صاحب الترجمة عن لسان المغفور له توفیق باشا دلالة
على منزلته لدیه وانمودجاً على معاملته له فمنها تلغراف جاءه جواباً على التهنئة
التي قدّمها يوم تذاكر الجلوس الخديوي في ٢٦ يونيه سنة ١٨٨٨

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد بيرم بمصر

تلغراف حضرتكم الوارد بتهنئة الحضرة الخديوية على اليوم السعيد
بعرضه قد صارت الممنونة لجنابه العالي من ذلك ولزم تبليغ الامر للمعلومية

سر تشریفاً في خديوي

برأس العين

ومنها مکتوب ورد له من محمد زكي باشا تشریفاً في اول خديوي

اذذاك وهو

حضرة والدنا العزيز المحترم دام بالخير والنعمة

تشریفنا بورود تذكّرة حضرتكم ومتشكرين غاية التشكر وبوقته قدمنا
الامانة للاعتاب الكريمة فحصلت الممنونة التامة وامرنا بتبليغ ذلك لسيادتكم

افندم

الداعي

محمد زكي

في ٦ شعبان سنة ١٣٠٦

ولما كنا بصدد ذكر هذه المحررات فلنجعل خاتمتها مکتوباً ورد على

المرحوم من صديقه الحميم . الملاذ العظيم . ذي القلب السليم . الاستاذ الابر
مولانا الشيخ محمد ظافر دامت بركاته اذ الغاية بيان ما كانت عليه صلوات
صاحب الترجمة بعارضيه ومعارفه ومخاطباته مع محبيه ونص المکتوب

الحمد لله

الى حضرة المهام الفاضل . والعمدة الكامل . جامع شتات الفضائل . وناظم
فرائد محاسن الشئائل . ومنبع المعارف . ومجمع اللطائف . وقطب فلك السياسة
ومركز دائرة ارباب الرئاسة . جناب الاعز الاكرم . مولانا الشيخ سيدي محمد
بيرم . ادام الله عزه واقباله . وانه له مناه وآماله . آمين

بعد اهداء تحيات اطيب نفعا من روض الازهار . وألطف من اسيم
الاسمار . فقد وصل كتابكم الكريم . المشتمل على الدر النظيم . الحري بالتبجيل
والتعظيم . وقرت به اعيننا سرورا . وامتلات به قلوبنا بهجة وحبورا . وما
اعلنتموه من الفرح والجلد . بحصول نشاط محبكم من عارض المرض الذي
حصل . فهو من علامات تمام الوداد . وخصوص محبتكم الاصيله وكال
الاعتقاد . ولكم عندنا من ذلك الحظ الاوفر . والقسط الاكبر . وما عطفتم
به على ذلك من الذكر الجميل . والثناء والتبجيل . على المحب فهو من
انطباع كما لاتكم الظاهرة . التي تجلت في مرات ذاتي واصبحت في عالم
الشهادة لكم ظاهرة . كما هو مصداق قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة اخيه
كما يشهد بذلك ذوق كل صديق وموقن وعلى كل فنحن معترفون بالقصور .
ولسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق في جميع الامور . وان يجعلنا بركة دعاكم
مظهرا للخيرات . وواسطة لتوالي المبرات . وان يجعل العاقبة للمتقين . وينجز وعده
بنزول نص النصر على اعلام جيوش المؤمنين . ونخص بالسلام كامل من
بحضرتكم وجناب اخينا الشيخ سيدي حمزه مسلم عليكم . وكذا كامل اولادنا
مقبلين يديكم . وهذا ما نزم . ودام مجدكم والسلام

خادم الفقرا

محمد ظافر المدني

١٣ شعبان سنة ١٢٩٤

وقد تفرغ صاحب الترجمة في الاوقات التي يتركها له المرض لانعام تأليف ابتداءه في استانبول سماه " تجريد السنان للرد على الخطيب رونان " وذلك ان العالم الفرنساوي المذكور وهو من مشاهير اهل بلاده تعرض في خطابة القاها بباريس تحت عنوان " الاسلام والعلم " الى ذكر الديانة الاسلامية وانها تمنع العلوم من الانتشار بين ابناءها فأفسد صاحب الترجمة هذا الزعم برد مقنع اتى فيه على ذكر جميع العلوم والفنون التي استنبطها المسلمون او تفحوها وله رسالة في صورة سؤال جررها في جواز شراء اوراق الديون التي تصدرها الممالك الاسلامية حتى تبقى اموال المسلمين في بلادهم ولا يجحبهم عنها اشتباه الربا الذي لا ينطبق في هذه الحالة عليها وكتب تقريراً مسهباً في شأن التعليم بمصر ذهب فيه الى لزوم انتشاره باللغة العربية لسهولة تناوله وتعميمه بين العموم مستنداً في ذلك على عمل العرب في صدر الاسلام وعلى عمل الاروبا وبين انفسهم فانهم لا يمانون الا بلغاتهم وقد نجحوا اما مصر فلما اتبعت طريقة التعليم باللسان الاجنبي لم تنتشر فيها العلوم والفنون مع طول الزمن الذي مضى من حين تأسيس المدارس فيها وله ايضاً عدة كتابات على جملة احاديث نبوية شريفة وهي التي كان يحتفل بجمعها في تونس على حسب العادة الجارية هناك في المدرسة العنقية التي كان شيخاً عليها وفي سراي المرسي عند جناب الامير الحالي وسنشر جميع هذه الرسائل والمنشآت والقصائد وغيرها من التحارير العلمية والسياسية التي كتبها في مجموعة خاصة بحول الله تعالى ولم تتركه ايضاً في مصر دسائس بعض الفرنسيين وتهمهم الباطلة فمن ذلك ان جريدة لانتون

(المصباح) الباريسية نشرت خبراً عن مكاتبتها في القاهرة في شهر أغسطس سنة ١٨٨٩ مفاده ان الشيخ يريم سافر متوجهاً الى الشيخ السنوسي للاتفاق معه على اهاجة نار الفتنة في السودان بواسطة المهدي والقصد من ذلك كله معاكسة فرنسا وصادف نشر هذا الخبر خروج صاحب الترجمة حقيقة من القاهرة ولكن لاستنشاق الهواء البارد على شاطئ البحر في جهة رأس البر بدمياط وقد تجول المرحوم في كثير من انحاء القطر المصري وكان يكتب اثناء تجوله في ذهنية بقية صفوة الاعتبار فاتم الجزء الرابع واول الخامس ولم يمهله الاجل لاتمامه فانه كان يقصد التوسع في الكتابة عن بلاد النمسا وسويسره والمانيا ورومانيا والبنغار والصرب واليونان وهي البلاد التي شاهدها ولكن ما كتبه اجمالاً عنها في الجزء الاول يمكن ان يعني القارئ عن التفصيل والاسباب وكان ينوي كتابة خاتمة صفوة الاعتبار على نمط مقدمتي تاريخ ابن خلدون واقوم المسالك فلم تمكنه صحته ولا اجله من اخراجها من حيز الفكر الى قوة العمل ونحن نورد هنا بعض تعليقات كتبها ليوسع البحث فيها في هذا الموضوع عسى ان يقيض الله من يمشي على نمطها اذ المقصود هو نفع ملتنا وايقاظنا من غفلتنا وكفى بما جرى للامة في القرنين الماضيين من التقهقر والتلاشي والانحلال واعظاً في ديوان العبر واهم باب المبتدا والخبر لمن يروم الاستفادة بالماضي ليدفع به غائلة المستقبل اما تعليقاته فهي فيما ينبغي لنا اتخاذها وتدير نفوسنا عليه وفيه فصول الاول في زيادة نشر العلم الثاني في كيفية الحكم وانه ينبغي اتخاذ قول واحد من المذهبين (اي في تونس حيث الاحكام جارية بمقتضى المذهبين الحنفي والمالكي). الثالث في كيفية ادارة

السياسة وما هو عمل الملك وما هو عمل كل وزير وما هو عمل مجلس النواب الذي حقه ان يتخذ من الاهالي وان لا تعطى الكلفة دفعة واحدة بل على قدر استطاعة الاهالي وقابليتهم وان ذلك يأتي في المسامين من الملك وهو المرابي لرعيته والسبب في عدم اعطاء الحرية التامة في فرنسا كما هو جار في انكلترا ثم تعامل الدول مع دول الاسلام على خلاف التصرف في داخلتهم لضعفها وعدم انصافهم فعلينا بالوسائل وحكم تذاكر البنوك شرعاً وليس هو من قبيل السفتجة . وعلاقة الدول والاحكام وفوائد الصحف وفوائد سكك الحديد والبريد والتكلم عليه وعدم تأخير المقصد في الكلام عند الزيارة لاثنين معاً . والنهي عن الغيبة بين الاخوان . اجتهاد اليهود في المال بكل بلاد واغلب الصناعات بأيديهم وعدم تعاطيم الصنائع المجهدة . الطرق الموجبة للنفرة بالتفاضل . ابلاغ الشريعة الى الكفار واجب ولو بدون حرب . اجتهاد الاجانب في العمل حتى وصلوا بين شاطيء اميركا والبحرين الاحمر والايض وخرق المنسني والخرق تحت المنش . اسباب عدم استواء الدول الاجانب في التظلم ببلاد الاسلام على حسب مقاصدهم وقوتهم فامريكا مثلاً وان كانت رعيته عند الترك قدر رعية الانكليز فلا تجد منهم تظلاً ولا اقامة حجة مستمرة من سفيرهم . الوجوب على الحكومة والعلماء فيمن يتوجه الى الحج بتعليمه ما يجب عليه قبل السفر والا فيمنع

وفي ١٢ جمادي الاولى سنة ١٣٠٦ (١٤ يناير سنة ١٨٨٩) عين

صاحب الترجمة قاضياً في محكمة مصر الابتدائية الاهلية في مدة وزارة رياض باشا الثانية وكان في وزارة نوبار باشا كلف المرحوم بكتابة ما يراه

عن القوانين المعمول بها في المحاكم الاهلية من حيث مطابقتها للشريعة الغراء او القوانين الجارية في الدولة العثمانية الشامل لها كتاب المجلة والدستور فرام اولاً التوسع في الموضوع بتقسيم القوانين المصرية باباً باباً ومقارنتها بالمجلة او الدستور واذا لم يجد نصاً مطابقاً لها فيها فيطبقها بقدر الامكان على قول احد المجتهدين بدون تقييد بذهب مخصوص غير ان عملاً مثل هذا يلزمه طول الوقت وكثرة العمال والزمن غير قاض بذلك فالتزم ان يصرف النظر عن هذا العمل وكتب عن القوانين ما نصه

” القوانين الاصول التي عليها مدار الحقوق في الحكومة المصرية هي القانون المدني وقانون التجارة البري وقانون التجارة البحري وقانون العقوبات وهاتو القوانين الاربعة نظر مطابقتها للقوانين العثمانية اوللشريعة المطهرة على التفصيل الآتي فاما قانون العقوبات وقانون التجارة البرية والبحرية فجميع ما يوجد من موادها في القوانين العثمانية الماثلة لها هو مطابق مطابقة كاملة وهو ايضا الأكثر من مواد القوانين المصرية لكن القليل جداً من مواد هاتو القوانين لا يوجد اصلاً في مثلها من القوانين العثمانية . واما القانون المدني المصري فهو مخالف للمجلة العثمانية التي هي قائمة مقامه مخالفة كثيرة كلية غير ان القانون المدني المصري مع ذلك أكثره مطابق للشريعة المطهرة على الاطلاق من غير نظر الى خصوص مذهب معين بل بالنظر الى اقوال الائمة المعمول باقوالهم في الديانة والقليل من هذا القانون المدني مخالف ايضا لجميع تلك الاقوال غير ان تحويره بما يرجع به الى مطابقة احدها مما يقتضيه الحال امر سهل يسير بفتنة حذاق اهل الخبرة والعلم “

وكذلك كلفه الباشا المشار اليه بتقديم تقرير بما يراه لاصلاح حال
الاقواف وقد فعل وكان موجهاً همته في مدة توظيفه بالمحاكم لسعي وراء
تطبيق قوانينها على الشريعة الغراء ولما قدم ولي عهد الانكليز الى مصر كان
صاحب الترجمة من الافراد القليلين الذين اجتمعوا به وفي تلك السنة انتهى
رياض باشا ترميم منزله بالحلمية فهناهُ المرحوم بهذه الايات

ان الوزير المصطفى في عصره	لا زال عوناً للمليك بازوره
ابدى من التدبير في الاصلاح ما	قد حقق المهود منه بقطره
فلقد اتى في قصره ما يتبني	حسناً به ومثانة مع وفوه
والقطر قصر واسع الارجاه قد	ابدى له انموذجاً من قصره
وكلاهما مستأهل بعياله	وادارة باصابة من فكره
فكما نشاهد في الصغبر اجادة	فكذا الكبير نراه صار بامره
اذ اتفن التحسين حتى ارخوا	قصر رياض فيه جنة مصره

(سنة ١٨٨٩)

وقد عين عضواً في اللجنة التي تشكلت للنظر في تعميم المحاكم الالهية
بالوجه القبلي وعضد هذا التعميم وكذلك انتخب عضواً في لجنة تشكلت في
الحكمة بناء على طلب نظارة الحقاينة لتقديم تقرير للنظارة بكل ما يرى
لزوم تعديله في القوانين على حسب ما يلائم حالة البلاد وعين عضواً في
لجنة بنظارة الداخلية لمراجعة الاحكام الصادرة من قومسيونات الاشقياء
وانبنى على عمل هذه اللجنة الافراج عن عدد عظيم من المحكوم عليهم
بالاشغال الشاقة في طره وكان امضاؤه على تقرير هذه اللجنة آخر اعماله

س ز

ترجمة المرحوم

الرسمية فتوجه الى مدينة حلوان لتغيير الهواء وهناك اشتدَّ عليه المرض وبلغ به الضعف غاية المنتهى وظهر في جهة جنبه الايسر خراجان بسبب الحقن بالمرفين اعقبها بعد فتح الطبيب لها تكوُّن المادة في الرئة وبعد ان لازم الفراش بالمرض المعروف بذات الجنب نحو الخمسة والعشرين يوماً فارق الحياة وذلك في الساعة الخامسة ونصف بعد ظهر يوم الاربعاء ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٠٧ (١٨ دسمبر سنة ١٨٨٩) وقد خلف ثلاثة بنين رزق بهم من بنت عمه التي تزوج بها في ١٤ ربيع الثاني سنة ١٢٧٧ وكان قبل ملازمته للفراش محتفلاً بالمولد النبوي الشريف هناك بحضور بعض الاصحاب وقد دخل الى الحرم من تلك الحفلة ولم يخرج حياً وفي مدة مرضه ورد عليه مكتوب من صديقه رياض باشا ونصه

” جناب الاستاذ

من صميم الفؤاد قد تكدرت من خبر ما طرأ على جنابكم من انحراف المزاج الذي لم اعلم به الا من منذ كم يوم وادعو المولى سبحانه وتعالى ان ينَّ عليكم بالشفاء وكمال الصحة والعافية ونراكم معنأ عن قريب وعلى اي حال اترجاكم ان لا تؤاخذوني والعذر عند كرام الناس مقبول

محبتكم المخلص

في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٠٧

رياض

وقد حضر دولة الباشا المشار اليه الى حلوان وقصد عيادته وارسل اليه نبلة وكذلك كان المرحوم توفيق باشا كثير السؤال عنه يوماً بواسطة طبيبه عيسى باشا حمدي ولما توفي اظهر لابنائيه جميل التلطف نعمة الله

السيد محمد بيرم

س ح

برحمته وقد شيع رياض باشا جنازة صاحب الترجمة صبيحة يوم الجمعة
وكانت مودتها صافية خالصة ودفنه في التربة المخصصة التي شيدها
بقرب ضريح الامام الشافعي رضي الله عنه وقد كتب على قبره هذه الايات
وهي من انشاء الشاعر البليغ حفي بك ناصف

يا قبر اضنانا البكاء وتبسم	ادريت ان الفضل فيك مخيم
أعلمت انك قد حويت محمداً	وتركت اكباد الورى لتضرم
هذا الذي كانت بدائع فكره	تلي البيان على اليراع فينظم
من عترة ثوت العلوم بدارهم	فهم لطلاب الهداية انبم
اولاه مولاة مواهب فضله	والله يعطي من يشاء ويرحم
واقام في دار التميم فأرخوا	في جنة الفردوس أسكن بيرم

سنة ١٣٠٧

وقد رثاه جملة من احبابه وكتبت الجرائد تعبيه ولتقتصر منها على
ما قالته "الوقائع المصرية" جريدة الحكومة المصرية الرسمية الصادرة في
٢١ ديسمبر سنة ١٨٨٩ نمرة ١٤٥ "انا لله وانا اليه راجعون . في آخر ليلة
الخميس الماضي انتقل من هذه الدار الفانية الى الدار الآخرة الباقية المرحوم
الشيخ محمد بيرم احد قضاة المحكمة الابتدائية الاهلية بمصر وصاحب جريدة
الاعلام العربية وكانت وفاته رحمه الله بمدينة حلوان عقب اشتداد الداء
العصبي الذي مني به من عدة سنين ولم ينجع فيه علاج الاطباء

وفي صباح يوم الجمعة الماضي احتفل بنقل جسده من حلوان احتفالاً
يليق بمقامه وفضله وانتظره على محطة ميدان محمد علي العدد العديد من

رجال الحكومة السنية وأكبرها وفي مقدمتهم صاحب الدولة رياض باشا رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية والمالية وكثير من العلماء وقضاة المحاكم الالهية ومشاهير المحامين وذوي الفضل من الوجوه والاعيان . وما هو جدير بالذكر في هذا المقام ما كان من صاحب الدولة رياض باشا من العناية بأمر المرحوم والاهتمام بشأنيه والمساعدة في أكرام تشييع جنازته ودفنه وتعزية اولاده وتشجيعهم على تحمل المصاب الى غير ذلك من الاحتفال والاکرام ولما وصلت الجنازة الى المحطة شيعت في مشهد حافل مشى فيه دولة رئيس النظار ومن تقدم ذكرهم ومن حضروا من حلوان بغاية السكون والوقار وكان في مقدمة المشهد الذاکرون ومرتلو البردة وغيرها من الاحزاب والاوراد ثم المشيعون للجنازة فحملة السرير وكلهم آسفون لفراق هذا الرجل العظيم الشأن وقد دفن رحمه الله في المدفن الذي بناه صاحب الدولة رياض باشا بقرافة الامام الشافعي عليه الرضوان وفرقت الصدقات على الفقراء والمساکين ودعا الناس للمرحوم بالرحمة والغفران

اما الرجل رحمه الله فكان عالماً فاضلاً فقيهاً كاملاً متضلماً من العلوم الشرعية بأنواعها مطلعاً على احوال الامم وله الباع الطولى في فنون التاريخ القديم والحديث وكان من ذوي الاقلام البليغة فيما يريد كتابته من المواضيع وقد ألف رسائل كثيرة في الاحاديث والاصول والاحكام الشرعية والجغرافيا التاريخية والسياسية وغيرها وكلها تدل على غزارة مادته وسعة تفننه في المعارف والعلوم وكان كثير الاستشهاد بأحوال الامم الغابرة والحاضرة في كتاباته واقواله وله قوة حاضرة في اقامة الدليل والبرهان كما يشهد بذلك

المقامات الافتتاحية التي كُنن ينشرها في جريدة الاعلام رحمه الله رحمة واسعة وافرح على آله وذويه جميل الصبر . وعزاهم على مصابهم فيه اكل العزاء واثابهم على الصبر عظيم الاجر آمين

وهذا ما قالته جريدة الحاضرة الصادرة بتونس في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٨٩ عدد ٧٤ " صباح يوم الخميس الفارط نشرت اخبار التلغراف من حلوان مصر القاهرة خبر وفاة العلامة النحرير صاحب الصيت الشهير المؤلف الشيخ السيد محمد بيرم وبما انه من مفاخر البلاد التونسية تقوم الحاضرة بواجب رثائه وهي ادرى من غيرها بفضائل رجالها فقد ولد هذا العالم في بيت العلم البيروني سنة ست وخمسين ومائتين والفرق وتربي في مهاد العلم والتعليم وقرأ على ابن عمه الشيخ احمد بيرم وعلى عم جده الشيخ مصطفى بيرم وعلى شيخ الاسلام الشيخ محمد معاوية وقرأ على الشيخ الطاهر بن عاشور والشيخ الشاذلي بن صالح والشيخ محمد الشاهد والشيخ علي العفيف وغيرهم من فحول جامع الزيتونة الى ان حصل على مرتبة عالية وتقدم لخطبتي التدريس وقرأ كتباً مهمة بجامع الزيتونة وولي مشيخة المدرسة العنقية بعد وفاة عمه شيخ الاسلام الرابع وختم بها الاختام المهمة وكان يعيدها كل سنة في بيت الحضرة العلية وكان عالماً فاضلاً عالي المهمة عزيز النفس رفيع الحسب منشئاً فصيح اللسان جميل الحاضرة صاحب اناة ووقار خبيراً بالسياسات الشرعية والوقفية حسن التدبير واسع الادارة امتنع من قبول الخطط الشرعية عدة مرار متملاً بضعف بدنه وكان عضواً في عموم الجمعيات التي انعقدت لوضع الترتيب العلمية والتنظيمية اول الوزارة

الخيرية وهو الذي قام برئاسة جمعية الاوقاف عند تأسيسها فأسس اصولها بعد ان جمع شملها بما يقتضيه العلم والانصاف وولي نظارة المطبعة الرسمية واعتزته امراض عصبية بعمده سافر بسببها عدة مرار لباريز وايطاليا وحنكته الاسفار بما يزيد في الاعتبار وبشارته كان انشاء المستشفى الصادقي وباشر اقامته على النمط الذي رآه بباريز ومن قلمه كان انشاء قانونه وشكره الامير يوم فتحه في الموكب العمومي وولي عضواً في مجلس الدولة الشوري على عهد وزارة ابن اسمعيل واشتد مرضه والح في طلب الإعفاء ولم تسفه الدولة بذلك وخرج لبيت الله الحرام اواخر سنة ست وتسعين ومائتين وألف ورجع على طريق الشام ولما رأت الدولة انحلال وظائفه احوالها لغيره في الثامن والعشرين من محرم سنة ١٢٩٧ وتنقل من الشام الى دار الخلافة العثمانية فنزل بمنزل التعظيم والتكريم وعرضت عليه نقابة الاشراف والفتوى بالشام فلم يقبل لضعف بدنه ثم انضم اليه ابناؤه وعائلته واجرت عليه الدولة جراية سلطانية وهناك ألف رحلته صفوة الاعتبار بمستودع الاقطار والامصار واودعها من الاصول السياسية والاصول العلمية ما يدل على كمال تضلعه وقوة عارضته واقام بالاسنانة الى ان شق عليه مرضه العصبي و اشار عليه اطباء بالتنقل الى البلاد الحارة فتنقل بأهله وابنائهم اول المحرم سنة اثنتين وثلاثمائة والف وتلقته الديار المصرية بالرحب والقبول وانزله الجنب الخديوي منزلة التكريم واجرى عليه جراية تليق بأمثاله وفتح بها مطبعته الاعلامية وافادت صحيفة "الاعلام" في سائر الجهات العربية الى ان ولي حاكماً بالمحكمة الاهلية وفي اثناء هاته الاسفار كان مجداً في الاعتناء بكرام

السيد محمد بيوم
ع ب

ابنائهِ في المدارس الى ان وصلوا الى قدم الكفاءة للمهمات وترقى اولهم لخطبة
كاتب يجلس النظار بالديار المعريّة نسأل الله ان يجعل منهم خلفاً محموداً
وان يديم عليه في نعيم الجنان ظللاً ممدوداً

هذا وقد قيل ان قيمة المرء لا تقوم بمقدار مادحيه فقط بل بانضمام
المنتقدين عليه ايضاً وعلى ذلك نقول انه من دون سائر الجرائد العربيّة
والافرنجيّة قد انفردت احدى جرائد الاستانة العربيّة بنشر ما يخالف امره
عليه الصلاة والسلام "اذكروا موتاكم بغير"

ولم يكن ذلك ليؤثر على حسن صيته وشهرته فقد قيل - كلام
العدى ضرب من الهذيان - ومن تأمل في تاريخ حياة المغفور له علم انه
كلما خفص الاعداء والحساد من شأنه ذراعاً ارتفع ميلاً وكلما اشتدت به
ملمات الحوادث وكوارث الزمن زاد قدره اعتلاءً فقد خرج المرحوم من
دياره مغرباً مشرداً فما زالت به همته حتى بلغت به الى شرف المقابلة
بالحضرة الشاهانية ونوال اقصى الرعاية السلطانية وخسر امواله واملاكه فقام
له فضله وعلمه بعدم الحاجة لاحد فعاش ميسوراً ومات ميسوراً واجتهد
بعض ذوي التقصير في الخط من سيرته والاعمال في شهرته فما زاده ذلك الا
اعتلاءً في الصيت واحتراماً في النفوس وتوقيراً في الصدور فقضى حياته
جميد السيرة وانتقل الى رحمة ربه طاهر السريرة وعلى كل حال فنسأل
الله ان يجازي الجميع خيراً ولا يريهم خيراً هذا وقد كتبت ما كتبت والله
يعلم اني لم اقصد به فخراً ولا حباً في الظهور وانما هي حقائق مشبوتة بمستنداتها
القيتها تحت نظر القارىء ليرى في حياة هذا الموفى وما طراً عليه من

ترجمة المرحوم السيد محمد بيرم

ع ج

نعيم وبؤس العبرة التي يتوخاها وقياماً بمحقوق الابوة والتربية واجابة لما
كان كلفني به عند قدومه الى مصر ولكوني اعلم الناس بأحواله رحمة الله
رحمة الابرار

وكما تذكرت على قبره محاسن افعاله في حياته العمومية وجميل اخلاقه
وشهامة نفسه في حياته الخصوصية أكاد انشد بيت المعري مخاطباً
لقبراييه

لأطبقت اطباق الحارة فاحتفظ بلؤلؤة المجد الحقيقة بالخزن
٩ ذي الحجة سنة ١٣١١ * محمد بيرم *



كتاب

صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار

وهو رحلة

الشيخ الجليل والعالم المحقق النبيل السيد محمد يريم الخامس التونسي
رحمة الله وطيب ثراه

الجزء الاول — يشتمل على مقدمة وأقسام وفيها مباحث في احكام السفر شرعاً والاستدلال على قبرة الخالق والقول بتكوير الارض ودورانها والاستدلال على ذلك بأقوال الحكماء والفقهاء والصوفية وغير ذلك من المباحث الشرعية والعمية الطبيعية وذكر ما ورد في السفر من كلام الحكماء والادباء وحكم السفر لغير ارض الاسلام واسباب سفر المؤلف وتقسيم احوال اهل الارض الآن مقسماً ذكرهم الى ٨٧ فصلاً اي على عدد الحكومات المستقلة مشروحة كل واحدة منها بالشرح الوافي وهو اتم كتاب في الجغرافية العمومية للكورة الارضية مطبوع باللغة العربية وفي هذا القسم كثير من الفوائد كدخول الاسلام الى الصين وذكر دولهم فيه والمملكة التي أنشأها السلطان سليمان وذكر استيلاء الانكليز على الهند والموكب الذي حصل لتلقيب ملكتهم بسلطانة الهند وسفر ولي عهدهم الى ذلك القطر وما جرى له من الاحتفال وكذلك سفر شاه ايران الى اوربا والاستانة وما لاقاه فيها من اكرام السلطان عبد العزيز وتفصيل احوال مملكة مراکش واسباب تقدم اوربا ويلي هذا الكلام على القطر التونسي منشأ المؤلف ثم جدول عمومي عن احوال جميع عمالك الارض وبيان عدد سكانهم وديانتهم وقواتهم الحربية والبحرية وايرادهم ومصروفهم وتجارتهم وديونهم وطول السكك الحديدية فيها

الجزء الثاني — في بقية الكلام على القطر التونسي بالتفصيل عن ادارته وسياسته واحكامه واخلاق اهاليه وجميع ما يتعلق بذلك من زمن الفتح الاسلامي الى حين دخول فرنسا فيه

الجزء الثالث — في الكلام على مملكتي إيطاليا وفرنسا بالاسباب واسباب تقدمها وتاريخهما القديم والحديث وحالتهما الادارية والسياسية وقواتهما الحربية والمالية وانتشار العلوم والمعارف فيهما ورسوخ الحرية في ابناءهما

الجزء الرابع — في الكلام على قطر الجزائر وتاريخه ودخول فرنسا فيه وما وقع في حربه مع الفرنسيين وبيان حاله الآن كل ذلك بقاية البسط والشرح وكذلك الكلام على مملكة انكلترا وما رآه المؤلف فيها وذكر تاريخها واسباب تمدنها وتقدمها وانتشار مستعمراتها واحوالها بالتفصيل ثم ذكر جزيرة مالطة واستيلاء الانكليز عليها وحالتها قديماً وحديثاً

وفي هذا الجزء الكلام على القطر المصري وبيان احواله الى سنة ١٣٠٣ هجرية اي حين وصول المرخصين العثماني والانكليزي اليه وذكر الديار المصرية وجغرافيتها وتاريخها وحكوماتها وسياستها وتفصيل الثورة العسكرية وفيه بحث عن افساد دعوى حرق المسلمين لمكتبة الاسكندرية

الجزء الخامس — في الكلام على الحجاز بالتفصيل والدولة العثمانية وتاريخها الى حين عقد معاهدة برلين واسماء سلاطينها وتاريخ ولايتهم مع بيان اعمالهم الشهيرة منظومة في قصيدة وفي جميع هذه الاجزاء مكاتبات لبعض الملوك والسلاطين والامراء ومماهدات دولية كثيرة وفرمانات سلطانية متعددة في اغراض ومقاصد شتى وبلي هذا الجزء ترجمة المؤلف بقاية الشرح والبسط وما حصل له في اسفاره وتنقلاته ومخاطبات الامراء والوزراء والعلماء والشعراء له وهي خاتمة الكتاب



فهرست

* الجزء الخامس من صفة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار *

صحيفة

٢	فصل في تاريخ الحجاز — مطلب في تاريخه القديم
٢	ذكر العرب البائدة
٣	بحث في عمر الارض
٤	ذكر العرب العاربة
٧	اصول التشريع في الاسلام
٨	ذكر العرب المستعربة
٩	ذكر العرب المخضرمين
٩	فصل في التاريخ الجديد للحجاز
٩	مختصر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم
١٢	ولاية العائلة الشريفة الحالية امارة الحجاز
١٣	مطلب في السياسة الداخلية للحجاز
١٧	مطلب في سياسته الخارجية
١٧	مطلب في عوائد وصفات الاهالي بالحجاز
١٩	مطلب في التجارة بالحجاز
٢١	مطلب في الصنائع به
٢٣	مطلب في المعارف به
٢٤	مطلب في الاحكام به
٢٦	مطلب في هيئة المساكن به
٢٧	حكم تنظيم المدن في الاسلام
٢٨	مطلب في اللبس وبقية العادات بالحجاز
٣٠	مطلب في اللغة به
٣١	الباب المباشر — في المملكة العثمانية
٣١	فصل في سفر المؤلف اليها

٣٢	ذكر خليج السويس
٣٥	ذكر مدينة بيروت
٣٦	ذكر رستم باشا متصرف لبنان اذ ذاك
٣٩	ذكر المرحوم مدحت باشا
٤٠	ذكر من اجتمع بهم المؤلف من الاعيان في بيروت
٤٠	ذكر مدينة ازميز
٤١	ذكر جناق قلعه
٤١	وصول المؤلف للقسطنطينية
٤٢	مطلب في صفة القسطنطينية
٤٦	فصل في مجمل تاريخ الدولة العثمانية
٤٧	قصيدة « عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان » الشيخ بيوم الثاني
٥٢	وصية بطرس الاكبر قيصر روسيا
٥٥	اصلاحات السلطان محمود الثاني وترتيب الجيش النظامي سنة ١٢٤١
٥٥	واقعة نافارين ببحر الجزر وحرق الاساطيل العثمانية
٥٦	فرمان كلخانة الصادر بالتنظيمات الخيرية في ٢٦ شعبان سنة ١٢٥٥
٥٩	ذكر حرب القريم ومعاهدة باريس المعقودة في ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦
٦١	الفرمان الذي اصدره جلالة السلطان عبد الحميد الثاني عند جلوسه
٦٣	دسائس روسيا وثورة بعض الولايات بالروم ابلي
٦٤	اقتراحات مؤتمر الاستانة
٦٥	الفرمان الصادر بالقانون الاساسي
٦٧	لائحة (بروتوكول) لندره وهي البلاغ النهائي قبل الحرب الاخيرة
٦٨	انتساب الحرب بين الدولة العلية وروسيا سنة ١٢٩٤
٦٩	معاهدة الصلح المعقودة في اياستفانوس في ٣ مارس سنة ١٨٢٨
٧٩	معاهدة برلين المعقودة في ١٣ يولييه سنة ١٨٧٨
٩٨	المعاهدة التي ابرمت مع الدولة العلية لاجلاء الاراضي العثمانية من العساكر الروسية
١٠١	تقاريف الكتاب
١٠٣	ترجمة المؤلف رحمه الله

